
ا. د. محمد درنيقة
الطرق الصوفية
ومشايخها في طرابلس

الطُرق الصُوفيّة
ومشايخها في طرابُلس

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ".

الكهف: ٢٨



ومشايخها في طرابلس

الدكتور محمد درنيقة

الطبعة الأولى

١٩٨٤

دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر

شارع الشيخ محمد الحسيني - تلفون ٦٢٤١٢٤ - ٦٢٠٦٢٠

طرابلس - سجل تجاري ٨٦٠/ ٩٧٩ - ص. ب ٢٤٢

المقدمة

في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي اصبح التصوف طريقة (١) جماعية ، وتعددت الطرق الصوفية بحسب تعدد المشايخ . وقد تقتصر بعض الطرق على تعليم القرآن والاحاديث النبوية والآداب الشرعية والانقطاع للعبادة من صلاة وصوم الى غير ذلك من الطاعات التي تسهم في تصفية النفس وتزكيتها ؛ وقد تزيد هذه الشروط عند البعض ، فتصحبها الاذكار ، او تجمع بين الاذكار والاناشيد الدينية بل تد ترتل هذه الاناشيد مع الموسيقى ...

واصبح لكل طريقة مذهبها الخاص في تربية السالكين (٢) ، وفي رياضتهم ، وتأديبهم . والواقع ان كل الطرق تتشابه في التكوين : يتجمع المريدون حول شيخ مشهود له بقوة الشخصية ، فيأخذ في تعليمهم سلوك الطريق ، وتهذيبهم حسب نظام خاص ، وتلقينهم ذكراً خاصاً وبطريقة خاصة . وبعد وفاته ينشر تلامذته تعاليمه وآراءه اما شفاهاً واما كتابة . واخذت كل طريقة تضع لنفسها سلسلة من المشايخ تبدأ بالرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد كثرت هذه الطرق وانتشرت في شتى انحاء العالم الاسلامي ؛ وبدأ طلاب الاجازات يتوافدون الى مشايخ هذه الطرق لنيلها . واصبح بامكان المريد تحصيل عدة اجازات لطرق متعددة (٣) . وبذلك ادت الطرق الصوفية رسالة مهمة خلال تاريخها ، ظهر ذلك في نشر الاسلام في بلاد لم تصل اليها الجيوش الاسلامية ، كالهند مثلا او جنوبي الصحراء الافريقية الكبرى : السنغال ، مالي ، النيجر ، غينيا ، غانا ، نيجيريا وتشاد وغيرها . « فكانت الزوايا والرباطات التي اسسها شيوخ هذه الطرق الصوفية بؤرات لنشر الدعوة الاسلامية بين الشعوب الوثنية . ومرد هذا خصوصاً الى اختلاط الصوفية بالطبقات الشعبية في هذه البلاد وعيشهم بين العامة والفقراء ، مما ابدى لهؤلاء نماذج حية تتصف بالتقوى والصلاح » (٤) . ولعبت الطرق دوراً مهماً في تربية جمهور المسلمين تربية روحية تقربهم من الله . وفي راي كثيرين ان الطرق قدمت للانسانية جمعاء الخير والتعاون على البر للارتفاع بالحياة الى مستوى الانسان الكامل الذي حاولت تكوينه الديانات السماوية المختلفة .

ولقد اتى بعض الذين ينسبون انفسهم الى الطرق الصوفية بضروب من الانحرافات

والجهالات ، فكانوا بذلك نكبة على المتصوفة ، وسبباً لاساءة الظن بالتصوف والصوفية . وهكذا كثرت مهاجمة العلماء والفقهاء للتصوف والمتصوفين ، واندفع البعض الى الاعلان بان التصوف ليس من الدين في شيء ، وانه مرض ، وسبب للتخلف ، ولشيوع العقلية المتواكلة وما الى ذلك .

وقد توجه البحث لجلاء الامور التالية :

١) العودة الى المنابع الأولى للطرق الصوفية التي وصل تأثيرها الى طرابلس ، وتوضيح المبادىء الاساسية التي ارتكزت عليها كل طريقة وما طرأ عليها من انحراف .

٢) وضع تراجم لمؤسسي هذه الطرق والتعريف بآثارهم ودرس شخصياتهم .

٣) اظهار الدور الذي لعبته طرابلس في هذا المضمار .

٤) توضيح ان الدعوة الى التواكل واسقاط الفرائض الدينية والقيام باعمال غريبة الى غير ذلك من الامور التي يأباها كل ذي عقل ، هي خزعبلات وافتراء على التصوف وتشويه لدوره .

ولقد بذلت جهدي في استقصاء المعلومات ، وتحملت الكثير من المتاعب ، واعترضت سبيلي صعوبات عديدة لأسباب اوجزها فيما يلي :

١) قلة الباحثين والمؤلفين في الطرق الصوفية ، يقابل ذلك كثرتهم في بحث التصوف قبل نشأة الطرق .

٢) قلة اهتمام الطرابلسيين بمؤلفات آبائهم واجدادهم ، فالجد الذي الف عشرات المصنفات قلما تجد عند حفيده كتاباً له . استثني من ذلك بعض الحريصين على هذا التراث .

٣) تردد مشايخ الطرق الحاليين بتزويدي بالمعلومات عن انفسهم لأنهم يعتبرون ان هذا العمل يدعو الى ذيوع الصيت ، وهم يحاولون تجنب الأضواء ؛ فشيخ الزاوية يتلقف المريد لتسليكه وينظر الى الباحث بعين الريبة . فوجدت صعوبة في اقناع عدد من المشايخ بالادلاء بالمعلومات اللازمة .

ولتذليل هذه الصعوبات كان لا بد من مخالطة مشايخ الطرق الحاليين ، وكسب ثقتهم واقناعهم بان هذا العمل ليس لنشر الصيت وانما هو بحث علمي موضوعي .

وكان بعض المشايخ يسكنون القرى المجاورة لطرابلس وبعضهم خارج لبنان ، فكنت انتقل بين هذه الاماكن للأخذ عنهم مباشرة ، وللاطلاع على احوالهم واحوال الزوايا عن كثب . أضف الى ذلك ان وصف الذكر في كل زاوية يدفع الباحث الى حضور حلقات الذكر حتى يتمكن من اخذ صورة صحيحة عما يجري في تلك الحلقات .

واذا استثنينا ذكر الطريقة المولوية ، التي توقفت منذ فترة ، فان وصف حلقات الذكر حصل بعد الاطلاع الميداني .

وقبل الخوض في تلك التفاصيل لا بد من تعريف القاريء بتاريخ موجز لمدينة طرابلس .

هـــوامش

(١) الطريقة في اصطلاح الصوفية هي « السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات » . علي الجرجاني ، التعريفات (اسطنبول ، ١٣٠٨ هـ) ، ص ٦٥ .

(٢) « السالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره » . م. ع. ص ٥٤ .

(٣) Marijan Molé , Les mystiques musulmans (Paris , 1963), p.p. 119-120 .

(٤) عبد الرحمن بدوي ، تاريخ التصوف الاسلامي ، (الكويت ، ١٩٧٨) ، ص ٢٥ .

الفصل الاول

لمحة تاريخية عن مدينة طرابلس

طرابلس بلدة قديمة العهد تقع على خط الطول ٢٠ً ٤٤َ ٣٥° شرقي غرينتش وخط العرض الشمالي ٢٦ً ٢٦َ ٣٤° وعلى مقربة من البحر المتوسط . انشأها فينيقيو صيدا وصور وارواد لتكون نموذجاً للبلدان الفينيقية ومركزاً لمجلس فينيقي دائم مهمته البحث في الامور الخطيرة التي يتعرض لها الساحل الفينيقي .

والواقع ان انشاء هذا المجلس لم يجر في مدينة من هذه المدن الثلاث وذلك خوفاً من استبدادها وسيطرتها على المجلس واحكامه ، لذلك جرى انتخاب ارض محايدة فكانت طرابلس (١) .

كانت كل مدينة ترسل مئة عضو ، وكان من الطبيعي ان يحضر العضو معه عائلته ؛ وقد سكن هؤلاء الاعضاء محلات متفرقة متباعدة عن بعضها ، ولهذا اطلق عليها اليونان اسم « تريبوليس » اي المدن الثلاث . وكانت المحلة الأولى او المدينة الأولى في موقع اسكلة طرابلس (الميناء) ؛ والثانية في موقع السلفتانية التي هي اليوم مقبرة للروم الارثوذكس ؛ والثالثة في موقع البحصاص . وكانت كل مدينة محاطة بخندق يعصمها من الاعداء (٢) ، وفي كل منها تسري احكام المدينة الأم .

ومع توالي الايام ازداد عدد سكانها واتصلت اقسامها .
من الوجهة التاريخية فان تشكيل هذا المجلس لم يتم الا بعد مجيء نبوخذنصر الى سورية سنة ٦٠٦ ق.م. لكن هذا المجلس اضمحل وزال فتضاءلت اهمية البلدة ولم تنهض من جديد الا عندما نشب الخلاف بين قواد الاسكندر الذين اقتسموا امبراطوريته ؛ فكانت طرابلس تبني السفن للقائد أنتيغونس .

ولقد مر بها القديس بطرس وهو في طريقه من صور الى انطاكية فنصب فيها اسقفاً واثني عشر كاهناً بعد ان اعطاهم الارشادات وزودهم بالنصائح اللازمة . ومر بها ايضاً بمبيوس القائد الروماني حيث قتل حاكمها ديويوس (٣) .

ولم تدخل الديانة المسيحية الى هذه المدينة الا بعد ان قدمت الضحايا على مذبح الوثنية الرومانية . وقد ذكر التاريخ اسماء بعض الضحايا :

لاونتيوس ، تريبوس ، توادولس ... وذلك ابان حكم ادريان .
وروى بروكوب أن الملك يوستينيانس انشأ في طرابلس كنيسة بديعة أطلق عليها اسم لاونتيوس (٤) .

ويذكر الدبس اسماء عدة اساقفة طرابلسيين اشتهروا بزهدهم ؛ وكانت لهم تأثيرات مهمة في الاتجاهات الكنسية التي ادت الى ظهور الكنيسة الشرقية (٥) .

وفي خلافة عثمان « أنفذ اليها معاوية جيشاً بقيادة سفيان بن مجيب الازدي . واقام سفيان حصنا ليعزل البلدة تماماً ، واشتد الضيق بأهلها حتى اتصلوا بالامبراطور البيزنطي وتوسلوا اليه أن يرسل بعض السفن بأقصى ما يستطيع من السرعة لنجدتهم . واستجاب الامبراطور لهم ، ونجح الطرابلسيون في ركوب السفن ليلا ولاذوا بالفرار . واراد معاوية ان يعمر المدينة المقفرة فحمل عدداً غفيراً من الفرس على الاستقرار فيها ، كما يقول ياقوت » (٦) .

وكان الروم يطمعون في اعادتها الى سلطتهم فأخذوا يحاولون غزوها ، لا سيما عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٣ م . حيث تمكن القائد زاميتاس ، ايام القيصر نيكافورس ، من الاستيلاء عليها لمدة ثلاث عشرة سنة حتى اضطر الروم الى اخلاء المدن التي استولوا عليها من سورية فعادت طرابلس كاخواتها للدولة الاسلامية . وفي عام ٣٨١هـ / ٩٩١م حاصرها امبراطور الروم لمدة اربعين يوماً لكنه لم ينل منها فقفل عائداً الى بلاده (٧) .

يذكر اليعقوبي الجغرافي عام ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م . ذلك الميناء العجيب الذي كان يتسع لألف سفينة . وبعد خمسين سنة جاء الاصطخري وسمى طرابلس بثغر دمشق وتحدث عن خصوبة ارباضها ، واشاد باخلاق اهلها وخلالهم . وقد وصف ناصر خسرو (٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م .) البلدة في عهد الفاطميين وصفاً رائعاً فقال « ... وكان البحر يحمي المدينة من ثلاثة جوانب ويحميها من البر سور ينهض امام بركة كبيرة . وكان ثمة مسجد جميل في سرة البلدة . ويسكنها عشرون الفاً جلهم من الشيعة . وكان ينفق على حامية السلطان (حاكم المدينة) من المكوس التي تؤديها السفن الكثيرة التي كانت تصل الى الميناء » (٨) .

والفتح العربي كان سبباً لتأسيس حركة علمية واقتصادية في تلك البلدة ؛ فقد استقبل اهالي طرابلس التعاليم الاسلامية ودخلوا في هذا الدين واقبلوا على دراسة الاسلام وعلومه ومدنيته وسياسته وعملوا بمثله العليا (٩) . فنهض سكان المدينة بذكائهم الوقاد ومشاريعهم العلمية والمدنية واخذوا يستفيدون من استعداد هذه البقعة ؛ فكانت الزراعة والصناعة والتجارة في آن واحد آخذة في الرقي بنسبة متزايدة .

وكان المسلمون لا يألون جهداً بنشر العلوم والسعي لانارة افكار السكان فيشيدون الجوامع والتكايا والمدارس . وقد اسست في اكثر انحاء المدينة المكتبات التي كانت تعمل لتحرير الافكار من تسلط الفلسفة القديمة ؛ ومن اشهر تلك المكتبات تلك التي

انشأها آل عمار في القرن العاشر للميلاد / الرابع الهجري ؛ فقد كانت كعبة للعلوم يحج اليها العلماء من كل فج ويحصلون فيها على ما يشتهون من المصنفات المفيدة منهم ابو العلاء المعري . لكن لم يطل زمن هـــذا الفيض العلمي اذ شنت اوروبة الحروب الصليبية على منطقة الشرق الاوسط ؛ ومن الطبيعي ان تكون طرابلس محط انظار الاوروبيين (١٠) .

« وفي ربيع ٤٩٣ هـ . / ١٠٩٩ م . وصلت جنود الصليبيين الى طرابلس فحاصروها مدة دون جدوى الى ان اتى امير تولوز (سان جيل) عام ٤٩٧ هـ . / ١١٠٣ م . مع امدادات من الافرنج من جهة البحر فأطبق على المدينة بالحصار البري والبحري . وبنى عام ٤٩٩ هـ . / ١١٠٥ م . حصناً بالقرب من المدينة على تلة مشرفة (تلة الحاج) وبنى تحت الحصن ربضاً ؛ فخرج اليه فخر الملك ابو علي ابن عمار ، صاحب طرابلس ، فأحرق الربض فاحترق سان جيل ومات بعد عشرة ايام . وقد لقيت طرابلس الاهوال في هذا الحصار واظهر حاكمها ابن عمار مقدرة عجيبة في الصبر والتصدي للمحاصرين لا سيما ان رجاله ومؤونته كانت تتناقص يوماً بعد يوم ، دون ان يتمكن الاسطول الفاطمي من مساعدته . فأضطر ابن عمار عام ٥٠١ هـ . / ١١٠٧ م . الى السفر الى بغداد ليطلب النجدة من الخليفة العباسي المستظهر ومن السلطان محمد ؛ فلم يحصل منهما على مطلوبه فعاد الى دمشق .

وصمدت طرابلس الى ان كان ثاني يوم عيد الاضحى عام ٥٠٣ هـ . / ١١٠٩ م . فاقتحمها الافرنج عنوة فقتلوا ونهبوا واسروا وغنموا (١١) . ولم تسلم مكتبة طرابلس من الدمار والاتلاف ؛ فكان نصيبها الحرق . ويعترف شوشتري في كتابه « مختصر الثقافة الاسلامية » وتومبسون في كتابه « المكتبة في العصور الوسيطة » وغيرهما ، بأن الصليبيين احرقوا مكتبة طرابلس بعد احتلال المدينة (١٢) .

وكان بنو عمار قد اهتموا بهذه المكتبة كثيرا ، وكان هؤلاء من الشيعة على المذهب الاسماعيلي ، وارادوا نشر مذهبهم والدعاية له ، لذلك اوجدوا مؤسسة تقوم بهذه المهمة وهي دار العلم في طرابلس . واهتموا بتغذية هذه المكتبة ؛ فكان لهم وكلاء يجوبون البلاد بحثاً عن الكتب والمخطوطات النادرة . وخصصوا عدة كتبة في تلك المكتبة لنسخ هذه المخطوطات بشكل مستمر ؛ وكانت معظم الكتب مجلدة ، محلاة بالذهب والفضة ؛ وبالخطوط المنسوبة لأشهر الخطاطين آنذاك . وفي المكتبة عدد كبير من الكتب بخطوط مؤلفيها . وحوت هذه الكتب جميع فروع المعرفة الانسانية من طب وفلك وتنجيم وفلسفة وادب وتاريخ ... وقيل ان عدد كتبها بلغ ثلاثة ملايين مجلد ، وذلك ابان مجدها ، منها خمسون الف نسخة مـــن القرآن وثمانـــون الف نسخة تفاسير (١٣) .

مرت طرابلس ، في العهد الصليبي ، باضطرابات متواصلة . وفي عام ٥٦٦ هـ . / ١١٧٠ م . قاست البلدة كثيرا من زلزال مروع . وظلت طرابلس بأيدي الصليبيين حتى

عام ٦٨٨ هـ. / ١٢٨٩ م. في ٢٦ نيسان حيث تمكن السلطان قلاوون بمساعدة حسام الدين نائب دمشق من فتحها ، فأمر بقتل من فيها وحرقها وهدمها الى الارض ، غير انه ابقى على الكنائس بعد ان حول بعضها الى مساجد (١٤) . وذكر الملك المؤيد اسماعيل ابو الفدا في تاريخه ما نصه « وحصار طرابلس هو أيضاً مما شاهدته وكنت حاضراً فيه مع والدي الملك الأفضل وابن عمي الملك المظفر صاحب حماه ؛ فلما فرغ المسلمون من قتل اهالي طرابلس ونهبهم ، امر السلطان المنصور فهدمت ودكت الى الارض ؛ وكان في البحر قريباً من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس ، فلما اخذت طرابلس هرب عالم عظيم من الافرنج والنساء الى الجزيرة المذكورة والى الكنيسة التي فيها ، فاقتحم العسكر الاسلامي البحر ، وعبروا بخيولهم الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها . وبعد فراغ الناس من النهب عبرت ــ ابو الفدا ــ اليها في مركب فوجدتها ملأى من القتلى بحيث لا يستطيع الانسان الوقوف فيها من نتن القتلى » (١٥) .

ثم امر قلاوون ببناء طرابلس الجديدة على تلة الحاج ؛ وشيئاً فشيئاً اخذت تستعيد مكانتها السابقة وازدهارها .

وفي عام ٧٠٠ هـ. / ١٣٠٠ م. زارها الدمشقي ووصف موارد المياه الجارية في كل جانب من جوانبها ، وخص بالذكر قنطرتها التي قدر طولها بمئتي ذراع وارتفاعها بـ سبعين ذراعاً ؛ كما وصف حدائقها . . . (١٦) .

ومر بها ابن بطوطة المغربي عام ٧٥٨ هـ. / ١٣٥٦ م. فقال : « تخترقها الانهار وتحفها البساتين والاشجار ويكنفها البحر بمرافقه العميمة والبر بخيراته المقيمة ؛ ولها الاسواق العجيبة والمسارح الخصيبة ؛ والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء . وفي طرابلس اربعون اميراً من الاتراك ؛ واميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الامراء ، ومسكنه بدار السعادة ؛ ومن عوائده ان يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الامراء والعساكر ويخرج الى ظاهر المدينة ؛ فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ترجل الامراء ونزلوا عن دوابهم ، ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله فينصرفون . وتضرب الطبلخانة عند دار كل امير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم ، وتوقد المشاعل » (١٧) .

« وممن كان بها من الاعلام كاتب السر بهاء الدين غانم واخوه حسام الدين وهو شيخ القدس واخوهما علاء الدين كاتب السر بدمشق . ومنهم وكيل بيت المال قوام الدين ابن مكين . ومنهم قاضي قضاتها شمس الدين بن النقيب .
وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي القرمي وحمام سندمور الذي كان فيما مضى اميراً على المدينة » (١٨) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن بطوطة راى بجبل لبنان جماعة من الصالحين ، الزهاد ، المنقطعين الى عبادة الله (١٩) .

وفي عهد المماليك تم بناء معظم مساجد المدينة ، واكثرها لم يذكر عليه اسم بانيه بدافع ديني بحت ورغبة في ثواب الله . واذا شيد الامير او الغني مسجداً جعل بالقرب منه زاوية ليدفن فيها عند موته . وفي طليعة تلك المساجد الجامع المنصوري ، وقد بناه السلطان صلاح الدين خليل الاشرفي ابن سيف الدين قلاوون عام ٦٩٣ هـ. / ١٢٩٣ م. وبنى الامير طينال (طيلان) جامعاً باسمه عام ٧٣٦ هـ. / ١٣٣٥ م. وتسميه العامة الى الآن بـ جامع طيلان .

ويعود تاريخ بناء جامع ارغون شاه ــ الغنشا ــ الى سنة ٨٨٠ هـ. / ١٤٧٥ م. وجامع السيد عبد الواحد المكناسي بني عام ٧٠٥ هـ. / ١٣٠٥ م.

ومن اشهر مساجد العهد المملوكي ايضاً :

١ ــ التوبة على مقربة من نهر ابي علي .
٢ ــ العطار وسط البلدة .
٣ ــ البرطاسي الذي كان مدرسة أسسها عيسى بن عمر البرطاسي .
٤ ــ جامع الاويسية .
٥ ــ جامع الطحام .
٦ ــ جامع المعلق وقد بناه محمود بن لطفي الزعيم عام ٩٦٧ هـ. / ١٥٥٩ م. أيام السلطان سليمان القانوني .
٧ ــ جامع محمود بك السنجق عام ١٠٢٠ هـ. / ١٦١١ م. وقد دفن السنجق في مدرسة الجامع (٢٠) .

كانت هذه المساجد لاقامة الصلاة والعبادة ، وكانت تجري فيها دروس دينية من تفسير للقرآن وللاحاديث النبوية وكل ما يتعلق بالعلوم الدينية ، فكان الجامع مسجداً ومدرسة . لكن سرعان ما بدأ امراء المدينة بانشاء المدارس التي كثيراً ما تكون ذات هدف محدد كنشر مذهب معين ، فقد أنشأ الحسن بن عمار قاضي طرابلس من قبل الفاطميين في النصف الاخير من القرن الخامس الهجري دار حكمة أو شبه مدرسة جامعة لبث التشيع على نحو دار الحكمة التي انشأها الحاكم بأمر بالله ، الخليفة الفاطمي .

وبالمقابل سارع المماليك الى انشاء المدارس لنشر المذهب السني في طرابلس . وقد ضمت طرابلس الى البلاد العثمانية ، مع غيرها من بلاد الشام وذلك عقب معركة مرج دابق ٩٢٢ هـ. / ١٥١٦ م. وعاشت الاضطرابات والمؤامرات والفتن التي كانت تعيشها المدن السورية الأخرى ابان حكم العثمانيين الذين فرضوا عليها الضرائب الباهظة لمصاريف الولاة والباشاوات ، لا سيما عندما ضعفت سلطة سلاطين آل عثمان ؛ فتقهقرت المدينة ولاقت الاهوال من قسوة الحكلم وظلمهم (٢١) .

وفي عام ١٢٧٧ هـ. / ١٨٦٠ م. اشتعلت نيران الفتن الطائفية في لبنان وبعض انحاء سورية ؛ وهنا لا بد من الاشارة الى ان هذه المدينة لم تعرف هذا الاقتتال البغيض ،

وذلك بفضل وعي مشايخها وعلمائها ؛ فعاش ابناؤها من مختلف الطوائف في وئام .

وفي عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م. كانت المدينة مركز لواء طرابلس الذي كان يحده شمالا لواء اللاذقية ، وشرقاً لواء حماه ، وجنوباً متصرفية جبل لبنان .

وفي عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م. كان عدد سكان طرابلس مع الميناء يقدر بثلاثة وثلاثين الفاً ، ويبلغ عدد المتعلمين فيها نحو اربعمائة شخص تقريباً ، وان المدارس التي كانت تجاوز المئة والتي كانت لها اوقاف غنية قد انحسرت الى خمس عشرة مدرسة مشرفة على الخراب ، اشهرها : السقرقية ، الخاتونية ، الطواشية ، القرطائية ، العطار ...؛ وكانت هذه المدارس تدرس العلوم الشرعية (التفسير والحديث والفقه والكلام ...) والعلوم اللغوية (اللغة والصرف والنحو والبديع والبيان ...) (٢٢) .

وبعد ان يتم الطلاب الطرابلسيون الدراسة في مدينتهم تتوجه منهم بعثات نحو الجامع الازهر في القاهرة ، والجامع الاموي بدمشق ، ونحو بغداد والاستانة . وكان اعضاء هذه البعثات يقضون الاعوام منكبين على الدرس والبحث والتحصيل . ثم يعودون الى طرابلس حيث ينشرون ثمرة هذا التحصيل في تعليم الناشئة الطرابلسية وفي تدوين المصنفات .

وكان الطرابلسيون في منارات العلم تلك يتابعون الدراسات العليا في علوم التفسير والحديث والحكمة والطب والفلك وغير ذلك من العلوم (٢٣) الشائعة في ذلك العصر في منطقة الشرق الاوسط . ولم يهتم مثقفو المدينة بالعلوم التجريبية والتطبيقية الا بعد الحرب العالمية الأولى وانحسار الحكم العثماني عن هذه المنطقة .

والداخل الى طرابلس اليوم يجد نفسه امام خمسين قرناً من التاريخ تفاعلت وابدعت وانصهرت في بوتقة هذه المدينة النامية على احدث دعائم الحضارة العصرية . فالمدينة ، اليوم ، متحف حي تجاورت فيه المتناقضات ، واختلط القديم بالحديث ، وتعانق الشرق والغرب في جو من التجانس . ان خمسة آلاف سنة تتجمع امام البصر على لوحة من زرقة البحر وخضرة الزيتون وبساتين البرتقال المحيطة بأجمل الابنية والصروح الناطقة بتنوع الهندسة العربية عبر العصور .

وقبل ختام هذه اللمحة لا بد من الاشارة الى الالتباس الذي قد يقع به القارىء بين هذه المدينة ومدينة اخرى باسمها في شمال افريقيا — وهي طرابلس الغرب — وقد تخلص البعض من هذا الالتباس باضافة همزة الى اسم طرابلس الآسيوية فتصبح (اطرابلس) . والاشهر في التمييز بينهما ان يقال طرابلس الشام للأولى وطرابلس الغرب للثانية ، وهذا ما درج عليه الناس قاطبة (٢٤) . وبعد ان تم فصل لبنان عن سورية أطلق على هذه المدينة لفظ طرابلس فقط .

هـــوامش

(١) را : جرجي يني ، تاريخ سورية (بيروت ، ١٨٨١) ، ص ٣٧٤-٣٧٥ .
(٢) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ (بيروت ، ١٩١٧) ، ص ٢١٤ .
(٣) را : يني ، تاريخ سورية ، ص ٣٧٦ .
(٤) را : يوسف الدبس ، تاريخ سورية ، ج ٢ ، (بيروت ، ١٨٩٩) ، ص ٧٤ .
(٥) م. ع. ص ٢٠٠ .
(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة خورشيد ــ يونس ، عدد ٣ (القاهرة ، ١٩٣٩) ، ص ١١٧ .
(٧) را : يني ، تاريخ سورية ، ص ٣٧٨ .
(٨) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طرابلس .
(٩) را : مصطفى الرافعي ، طرابلس الفيحاء (بيروت ، ١٩٤٢) ، ص ٢٣ .
(١٠) را : عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام (الاسكندرية ، ١٩٦٧) ، ٣٨٦ .
(١١) يني ، تاريخ سورية ، ص ٣٨٤ .
(١٢) را : محمد ماهر حماده ، المكتبات في الاسلام (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ١٣٥ . أيضاً محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ الاسلامي (بيروت ، ١٩٢٥) ، ص ٩٤ .
(١٣) را : حمادة ، المكتبات في الاسلام ، ص ١٣٣ .
(١٤) را : دائرة المعارف الاسلامية ، عدد ٣ ، مادة طرابلس .
(١٥) محمد امين صوفي ، سمير الليالي (طرابلس ، ١٣١٦ هـ.) ، ص ١٠٥ .
(١٦) را : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طرابلس .
(١٧) يني ، تاريخ سورية ، ص ٣٩٥ .
(١٨) ابن بطوطة ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، تحقيق العوامري (القاهرة ، ١٩٣٤) ، ص ٥٣ .
(١٩) م.ع. ، ص ٦٦ .
(٢٠) را : محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، (دمشق ، ١٩٢٨) ، ص ٥٢-٥٤ .
(٢١) را : يني ، تاريخ سورية ، ص ٤١٩ .
(٢٢) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ و ص ٢٥٦ .
(٢٣) را : الرافعي ، طرابلس الفيحاء ، ص ٢٢-٢٦ .
(٢٤) را : جرجي يني ، تاريخ سورية ، ص ٣٧١ .

الفصل الثاني

مؤسسو الطرق الصوفية

أ ــ عبد القادر الجيلاني •
ب ــ احمد الرفاعي •
ج ــ علي الشاذلي •
د ــ احمد البدوي •
هـ ــ محمد بهاء الدين الاويسي (شاه نقشبند) •
و ــ عمر الخلوتي •
ز ــ جلال الدين الرومي •

الفصل الثاني

مؤسسو الطرق الصوفية

يعتبر الصوفية انفسهم خلفاء النبي (ص) والممثلين الشخصيين له . وهم يعتقدون انه لولا هذه الخلافة الباطنية لعمت الفوضى وحل الخراب (١) . والمتتبع لسلاسل مشايخ كافة الطرق الصوفية يجد الرسول (ص) في قمتها . لذلك درج كل مؤسس طريقة الى وضع سلسلة مشايخ له تصل الى النبي (ص) ، حتى تحل البركة على كافة المريدين ، كما يعتقدون . وقام مشايخ الطرق بوضع سلاسل نسب لهم تصلهم بالرسول أيضاً .

وفي هذا الفصل سوف نتناول مؤسسي الطرق الصوفية على اساس من الفترة الزمنية التي عاش فيها كل شيخ طريقة . وسوف يقتصر البحث على الطرق الصوفية التي وصل تأثيرها الى طرابلس فكان لها مريدون في تلك المدينة .

أ ـ عبد القادر الجيلاني او الكيلاني مؤسس القادرية أو الجيلانية او الكيلانية :

ينتهي نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب . ولد سنة ٤٧٠ هـ . / ١٠٧٧ م . في جيلان (٢) ، دخل بغداد عام ٤٨٨ هـ . / ١٠٩٥ م . في الوقت الذي تركها الغزالي (ت ٥٠٥ هـ . / ١١١١ م .) متخلياً عن التدريس في نظاميتها زاهداً في الدنيا ، طالباً للمعرفة واليقين . واقبل عبد القادر على العلم بهمة وجد وحرص ، ولم يرض بالقليل منه ، فقرأ العلوم السائدة في عصره . لكن ذلك لم يعق شغفه بالعبادة (٣) .

مشايخه :

سمع الجيلاني الحديث من ابي غالب محمد بن حسن الباقلاني ومن جعفر السراج ومن ابي طالب ابن يوسف . وقرأ الادب على ابي زكريا التبريزي ، وتفقه على القاضي ابي سعيد المخرمي المخزومي وعلى ابي الخطاب الكلوذاني . واخذ الطريقة عن الشيخ ابي الخير حماد بن مسلم الدباس (ت ٥٢٥ هـ . / ١١٣٠ م .) واكملها عند القاضي ابي سعيد المخرمي (ت ٥١١ هـ . / ١١١٧ م .) ، وحصلت له الاجازة عنه (٤) .

وكان المخرمي قد لبس من الشيخ ابي الحسن علي بن يوسف القرشي الهكاري بـ « هكار » شمال العراق (ت ٤٧٥ هـ . / ١٠٨٢ م .) . وهو بدوره من شيخ الى آخر حتى نصل الى ابي بكر الشبلي (٥) وهو من ابي القاسم الجنيد البغدادي (٦) . وهو من

خاله سري السقطي (٧) ، وهو من معروف الكرخي (٨) ، وهو من داود الطائي (٩) ، وهو من حبيب العجمي (١٠) وهو من الحسن البصري (١١) ، وهو من الامام علي بن ابي طالب (ت ٤١ هـ. / ٦٦١ م.) ، وهو اخذ العلم والطريقة والبركة والحقيقة ، كما يقولون ، من ابن عمه النبي (ص) (١٢) .

وبعدما اتم الشيخ عبد القادر دراسته العلمية والروحية ، عني بالاصلاح ، واصبح لقبه القطب (١٣) الجيلاني ، وذلك نتيجة لمجاهداته . وفي سنة ٥٢٠ هـ. / ١١٢٦ م. استلم مدرسة شيخه ابي سعيد بباب الازج ،ببغداد ، فضاقت المدرسة بالناس . وفي سنة ٥٢٨ هـ. / ١١٣٣ م. تم توسيع المدرسة وصارت تنسب اليه . وكان يجتمع في مجلسه ، في بعض الاحيان ، الخليفة والملوك والوزراء فيجلسون متأدبين خاشعين ، بالاضافة الى عدد كبير من المريدين والعلماء (١٤).

ولقد تأثر عبد القادر بالحوادث المؤلمة التي كان يمر بها العالم الاسلامي آنذاك ، كما أن الانحراف عن الشرع ، والتعظيم للملوك وتقديسهم ، للوصول الى الغايات ، والاستماتة في الحصول على المادة ... كل ذلك جعل الالم يحز في نفسه ، ويحرك مشاعره . فاندفع في طريق الوعظ والفتوى واصلاح النفوس ومحاربة النفاق ... وكان يدعو الناس الى تقوية العقيدة في النفوس وتهذيب الاخلاق (١٥) . فاقبل عليه الناس ، واحاط به المريدون ينهلون منه التقوى والتفسير والحديث والفقه والتصوف وآداب السلوك والعبادة . ولم تخل مجالسه ممن يسلم على يديه ولا ممن يتوب . ويذكر عنه قوله : « اسلم على يدي اكثر من خمسة آلاف وتاب أكثر من مئة الف » (١٦) .

ومهما يكن في هذه الارقام من مبالغة فانها توضح مدى تأثيره في المستمعين بصدق ايمانه وقوة حجته . وفي انصرافه للوعظ يقول : « سبحان من القى في قلبي نصح الخلق ، وجعله اكبر همي . اني ناصح ولا اريد على ذلك جزاء ولا شكوراً . أجرتي حصلت لي عند ربي . ما أنا طالب دنيا ، ما انا عبد الدنيا ولا الآخرة ولا ما سوى الحق » (١٧) . وبعد ان يعلن الجيلاني عبادته للواحد الاحد القديم ، يبين ان فرحـــه متعلق بفـــلاح الناس ، وان غمه مرتبط بهلاكهم ، وبعدهم عن الصراط المستقيم ، المتمثل بالعودة الى الدين . « اذا رايت وجه مريد صادق قد افلح على يدي شبعت وارتويت واكتسيت وفرحت كيف خرج مثله من تحت يدي » (١٨) .

وفي وعظه يضع الجيلاني اهمية كبرى للعمل ، ذلك أن العلم يوجب على الانسان ان يعمل به حتى يؤدي الهدف من هذا التعلم . فالمحدث لا يكون محدثاً وحافظاً الا اذا طبق الحديث على نفسه ، واعد قلبه ليكون على قلب صاحب الحديث . كما أن قاريء القرآن يبرأ منه القرآن ورب القرآن اذا لم يعمل بما حفظه وعلمه . فالمعول عليه عند الانسان ، في رايه ، امران : القلب والعمل .

فالجيلاني يريد من مستمعيه ان يعملوا بما علموا حتى يحققوا الهدف المنشود من الوعظ والارشاد (١٩) .

عرف الجيلاني بمحاربته للعلماء الذين اصبحوا ندماء الامراء واتباع الحاشية ، فاخضعوا الشريعة ونصوصها ، كما يرى لاسيادهم حتى يضمنوا لهم المزيد من التحكم والتسلط . وقد ادى ذلك ، في رأيه ، الى انتشار الاحكـــام الجائرة وانتشار المفاسد الاجتماعية . وقد اغلظ الجيلاني فيهم القول ووصفهم بانهم « خونة العلم واعداء الله ورسوله ، واعتبرهم من المنافقين ، الذين لا يتورعون عن شيء للحصول على شهوات الدنيا وحطامها » (٢٠) .

ويقول مخاطباً فرداً من افراد هذه الطبقة « اما تستحي ، قد حملك حرصك على ان تخدم الظلمة وتأكل الحرام . ، فالى متى ، يزول ملكهم عن قريب وتتولى خدمـــة الحق الذي لا يزول . اللهم اكسر شوكة المنافقين واخذلهم او تب عليهم » (٢١) .

قد يعترض بعض العلماء على تعنيف الجيلاني ، ويزعمون انه لم يصل الى درجاتهم العلمية . لكن هذا الزعم يتبدد اذا علم المرء أن الجيلاني كان مشهورا بالفتوى على مذهبي الشافعي واحمد بن حنبل . وكثيرا ما كان يستثير بفتاويه اعجاب علماء العراق آنذاك . وكان يقرأ القرآن بالقراءات المعروفة ، ويجري في مدرسته دروساً في التفسير والحديث وفي المذاهب والاصول والنحو وغيرها (٢٢) .

وفاتـــه :

ظل الجيلاني مثابراً على دعوته حتى وافاه الأجل عام ٥٦١ هـ. / ١١٦٥ م. بعد ان جاوز التسعين ، وقبيل وفاته سأله ابنه عبد الوهاب النصيحة ، فقال له كلمات كانت الاخيرة في حياته وهي : « عليك بتقوى الله ولا تخف احداً سواه ، ولا ترج أحداً غيره ، وكل الحوائج اليه ، ولا تعتمد الا عليه ، ولا تطلب من غيره ، ولا تثق باحد سواه » . ثم نطق بهذا الدعاء : « استعنت بلا اله الا الله وهو الحي الذي لا يموت ولا يخشى الفوت . سبحان من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت » . وجعل يكـــرر الشهادتين واسم الجلالة حتى خفي صوته واسلم الروح (٢٣) . ودفن ببغداد حيث له ضريح ومزار يعتبر من مشاهد المدينة .

مؤلفاته :

ترك الجيلاني عدة مؤلفات في التصوف منها : « الفتح الرباني والفيض الرحماني » و « فتوح الغيب » (٢٤) . وقد جمعهما تلاميذه من المواعظ التي كان يمليها في مجالسه .

وقد كتب اصحاب الجيلاني واتباعه فيه المقالات الكثيرة ، كما يذكـــر ابن كثير في البداية والنهاية ، وذكروا عنه اقوالا ومكاشفات اكثرها مغالاة ، لا يطابق الشرع ، الذي كان الشيخ حريصا على عدم مخالفته . فظهرت فئة من المنحرفين الذين يزعمون انهـــم ينتسبون الى طريقته ، واعتادت هذه الفئة أن تسند للشيخ كلمات وشطحات مردودة . لكن هذه الفئة تصطدم بالمطلعين على احوال الشيخ الذين يبينون كذبها ونفاقها (٢٥) .

مثال ذلك ما نقل باسانيد كاذبة وروايات فاسدة ان الشيخ عبد القادر قال علـــى

كرسي وعظه ببغداد : « قدمي هذه على رقبة كل ولي . وان العلماء علموا بهذا في جميع الاقطار فحنوا رؤوسهم مذعنين له خاضعين . وزعم البعض ان هذه الكلمة تنبيء بعلو كعبه على جميع القوم :

ومثال ذلك ايضا قولهم عنه انه أعطي سجلا فيه اسماء مريديه واتباعه وانهم وهبوا له وانه لا يبرح الموقف حتى يأخذهم معه الى الجنة .. » (٢٦) . وقوله : « انا احفظ مريدي في غيبته وحضوره . ومريدي لا يدخل النار . وقوله للميت : قم باذني ... » (٢٧) . الى غير ذلك من الاقوال المدسوسة التي يقصد بها تحقيق امرين :

الأول : اعلاء شأن الشيخ وقدره بين اعيان الامة من اولياء واتقياء وصوفية . وانهم جميعاً تحت قبضه وبسطه ، اذلاء لديه ، لا يرفعون رأساً ولا يفتحون بصراً .

الثاني : أن فضل الله قد انحصر فيه وفي اتباعه ، وهم خير الناس وافضلهم ، في رأيهم ، واقربهم الى الله واحبهم اليه كيفما كانوا (٢٨) .

ولا يمكن ان تصدر هذه الاقوال عن الشيخ لأن فيها ما يهدم منار التوحيد ، ويضر بالعقيدة ، وفي الوقت نفسه لا ينطبق على ما عرف من سيرته وما نقل عنه . فقد كان يعد نفسه دون بقية الشيوخ تواضعاً . وقد صادف مرة في طريقه الى مدرسته شاباً سكران فانتهره الشيخ واغلظ له القول حتى قال له الشاب : يكفيك يا شيخ عبد القادر ، فالذي جعلك شيخاً زاهداً وجعلني شاباً مخموراً يقدر على تبديل الحال في الحال . فأصفر لون الشيخ وفر هارباً يرتعد ويقول : اللهم لطفك يا ارحم الراحمين . ولا زال مدهوش الخاطر كل ذلك اليوم .

فمن كان هذا حاله كيف يتجرأ على الله واوليائه ، وهو الذي عرف عنه عظيم الادب مع الجميع (٢٩) .

وهو القائل :

اذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد	فدجال يقود الى الجهل
عليم باحكام الشريعة ظاهراً	ويبحث عن علم الحقيقة عن اصل
ويظهر للوراد بالبشر والقرى	ويخضع للمسكين بالقول والفعل
يهذب طلاب الطريق ونفسه	مهذبة من قبل ذو كرم كلي (٣٠)

فكيف تصدر هذه الاقوال عن شيخ متواضع للفقراء وللمساكين .

فمما لا شك فيه ان هذه الاقوال من اختراع بعض ادعياء التصوف . وبعض المنتسبين الى طريقته من الجهال . يريدون بذلك اعلاء منزلته بين رجال الصوفية وهو منها براء .

ومهما يكن فان للجيلاني مكانة رفيعة بين الصوفية قديماً وحديثاً . ولو لم يكن عظيماً ومؤثراً لما انتشرت طريقته في شتى البقاع الاسلامية . ولما اعتبره الشيخ احمد

الرفاعي بانه فريد عصره حيث قال عنه : « هو رجل عظيم بحر الشريعة عن يمينه ، وبحر الحقيقة عن يساره ومن ايهما شاء غرف . انه في حاله وادلاله لا ثاني له في عصرنا » (٣١) .

وقد تمكن الجيلاني بوعظه من احياء موات النفوس والقلوب ، وزرع الايمان فيها ، فانتشرت في العالم الاسلامي آنذاك روحانية جديدة واخلاق حميدة .

ب ــ الشيخ احمد الرفاعي : مؤسس الطريقة الرفاعية :

ويعود نسبه الى موسى الكاظم (١٢٨ــ١٨٣هـ . / ٧٤٥ــ٧٩٩ م.) فجعفر الصادق (٨٠ــ١٤٨ هـ . / ٦٩٩ــ٧٦٥ م.) فمحمد الباقر (٥٧ــ١١٤هـ/٦٧٦ــ٧٣٢م) فزين العابدين علي السجاد (٣٨ــ٨٤ هـ . / ٦٥٨ــ٧١٢ م.) فالحسين (ت ٦١ هـ . / ٦٨٠ م.) فعلي بن ابي طالب (٣٢) .

كان جده رفاعة الحسن المكي قد ترك مكة وهاجر الى اشبيلية في الاندلس ، اثناء واقعة القرامطة وهجومهم على الحجاز . وظلت الاسرة الرفاعية في الاندلس مدة مئة عام تقريباً حتى عاد بها يحي النقيب الى العراق واستوطن البصرة .

ولد الرفاعي سنة ٥١٢ هـ . / ١١١٨ م. في قرية حسن من اعمال واسط ، ومحاذية لام عبيدة ، بالبطائح (مجموعة قرى بين واسط والبصرة) . درس الرفاعي ، في قريته ، على يد الشيخ عبد السميع الحربوني ، فحفظ القرآن . وفي عام ٥١٩ هـ . / ١١٢٥ م. توفي والده ، علي المكي الرفاعي ، ببغداد فيما كان هناك فكفله خاله الشيخ منصور البطائحي الانصاري الملقب بالباز الاشهب . كان الشيخ منصور من ارباب المقامات والاحوال وقد تخرج بصحبته عدد كبير من مشايخ العراق (٣٣) . وقد اهتم الشيخ منصور بابن شقيقته اهتماماً كبيراً . ولما بلغ احمد اشده ارسله خاله الى مدينة واسط ليتتلمذ على الشيخ علي القاري الواسطي وعلى خاله الثاني ابي بكر (٣٤) . واخذ الرفاعي ايضاً عن الشيخ عبد الملك الحربوني وغير هؤلاء .

وحيثما حل كان يجد اهتماماً بالغاً من مشايخه ، فتخرج عالما ومحدثا وفقيها ومفسرا وقارئا ومجودا وحافظا . اخذ مبادىء التصوف عن خاله منصور ولبس خرقته . كما اخذ عن الشيخ ابي الفضل علي الواسطي ، حيث سلك على يديه طريقته الصوفية ، ولبس خرقته ايضا . وفي العشرين من عمره نال الرفاعي اجازته في علوم الشريعة والطريقة من شيخه ابي الفضل ، الذي كان يقيم مجلس الدرس للفقهاء ، كل يــوم بعد صلاة الفجر ، ولطلاب الحديث بعد صلاة الضحى ، ويفتتح درس علم الكلام بعد الظهر ، ودرس التصوف بعد العصر ، ويعقد مجلس الذكر كل ليلة بعد العشاء (٣٥) . فتأثر الرفاعي باسلوب استاذه ودرج على اتباع هذه الطريقة بعد وفاة خاله منصور وشيخه ابي الفضل .

وفي عام ٥٤٠ هـ . / ١١٤٥ م. اصبح الشيخ الرفاعي المشرف على رواق خاله

واملاكه ، وذلك بفضل وصية منه ، مفضلا اياه على أولاده ، لما كان يكن له من حب . ولما كان يرجو له من مستقبل في ميدان التصوف . استلم الرفاعي الرواق بام عبيدة . وذلك في زمن خلافة المقتفي لأمر الله (ت ٥٥٥ هـ. / ١١٦٠ م.) الخليفة العباسي (٣٦)، فوسعه ليستوعب جمهور المريدين . وقد اشترك معظم اهالي واسط والبطائح في هذا العمل ، فقدم بعضهم المال اللازم وقام البعض الآخر بالعمل . واصبح الرفاعي امام اهل الطريق وشيخ المريدين ، لا سيما ان شيخه ابا الفضل كان قد بايعه ، قبل مماته ، وطلب الى اصحابه الأخذ عنه .

وفي عام ٥٥٥ هـ. / ١١٦٠ م. قصد الحجاز لاداء فريضة الحج ، فسارت معه جموع غفيرة من المشايخ والمريدين منهم عبد القادر الجيلاني ، علي بن خميس ابو بكر الانصاري ، عقيل المنبجي ... (٣٧) .

ثم رجع الى العراق ينشر فيه طريقته الصوفية .

وفاتـــه :

ظل الرفاعي يدّرس ويعظ ويقيم حلقات الذكر حتى اصيب عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م باسهال حاد ، وبعدة امراض أخرى ، وذلك قبيل وفاته بشهر واحد ، فاصبح جسمه نحيلا . وبالرغم من كل ذلك وما صاحبه من الآلام الشديدة ، فقد ظل صابرا عليهـــا مستمرا في اداء الواجبات الدينية ، مواظبا على ما اعتاد عليه من الطاعات والنوافل ، بقدر استطاعته ، معزيا نفسه بانها مدة يسيرة وبعدها راحة ابدية .

وليلة وفاته أمر احد اتباعه (ابا يعقوب) بتوزيع نعلين وغطاء وقنفة ، هي كل ما عنده (٣٨) .

وتوفي وهو ينطق بالشهادتين وذلك عن عمر يناهز الستة والستين . وكان يوم وفاته مشهوداً ، اذ احتشدت الجموع لتشييعه من كل القرى المجاورة لام عبيدة ، ودفن بقبة جده لامه الشيخ يحيى النجاري الانصاري . وقبره معروف بالبطائح في محافظة الناصرية بالعراق (٣٩) ، حيث اقام اتباعه مركزاً مهماً لنشر الطريقة الرفاعية .

وقد رثاه تلامذته ومريدوه والمشايخ والشعراء ... واكثروا فيه القصائد والاقوال حتى بلغت مراثيه الف قصيدة جمعها بعض محبيه في ثلاثة مجلدات (٤٠) .

يقول عنه الشيخ يعقوب كراز : « خدمته اكثر من ثلاثين سنة فما رأيت ولا سمعت بشيخ اكمل منه ، ولا اكثر ذلا وانكسارا ، ولا اقوى شكيمة في دين الله ، ولا ازهد ولا اسخى ، ولا ازيد تواضعاً ، ولا اعظم تحملا منه » (٤١) .

تصانيفه :

لقد كان الرفاعي علامة وقته . فقد جمع بين المنقول والمعقول من العلوم . وقد ترك مصنفات عديدة في علوم الطريقة والشريعة فقد اكثرها ، ولم يبق منها الا

القليل . له شرح لكتاب « التنبيه » لابي اسحاق الشيرازي في ستة مجلدات كبيرة . وقد فقد هذا الشرح ابان هجوم التتار على بغداد ، وتهديم معالم الحضارة فيها . وله كتاب « البرهان المؤيَّد » وهو من الكتب المهمة في بيان اصول الطريقة الرفاعية وفروعها . وله كتاب « الاربعين حديثاً » (٤٢) .

وله كتاب « اهل الحقيقة مع الله » وهو يتضمن اربعين مجلساً ، في كل خميس مجلس ، اولها أول خميس من شهر رجب عام ٥٤٩ هـ. / ١١٥٤ م. وقد ذكر فيها مجموعة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وتفسيراتها وشروحها مستعيناً باقوال كبار الصوفية في الموضوعات التي تتناول الزهد والتصوف والاخلاق الفاضلة (٤٣) .

ولم يسلم الرفاعي من الدس ، فقد تجرات جماعة من الخارجين على تعاليم الشيخ بوضع كتاب « الفتح المبين » وزعمت انه من مواعظ الرفاعي وكلماته المأثورة . وقد ذكروا فيه اقوالا لا يمكن ان تصدر عن شيخ ملتزم باوامر الشرع ، محارب للشطحات . وقد اجمع كل من ترجم لهذا الشيخ على نبذها (٤٤) .

ج ــ علي ابو الحسن الشاذلي :

ينتهي نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب (٤٥) . ولد بقرية غمارة القريبة من سبتة في المغرب الاقصى وذلك عام ٥٩٣ هـ. / ١١٩٦ م. (٤٦) .

مشايخه :

سلك ابو الحسن الطريقة الصوفية على الشيخين : ابي عبد الله محمد بن ابي الحسن علي المعروف بابن حرازم ومن ابي عبد الله عبد السلام بن مشيش (بشيش) (٤٧) . ولكل من هذين الشيخين سلسلة تصله بالرسول من حيث التتلمذ والسلوك (٤٨) .

يذكر الرفاعية في كتبهم ان ابا الحسن الشاذلي المغربي ، وزعيم صوفية الاسكندرية سلك الطريق على يد ابن مشيش الذي سلك بدوره على يد الشيخ بري العراقي ، تلميذ الرفاعي . ويذكر الرفاعية سلسلة للشاذلي تصله بالشيخ عبد الرحمن المدني العطار الشهير بالزيات وهو عن جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي وهو عن الرفاعي ... (٤٩) . يريدون بذلك ان الشاذلية رفاعية المشرب .

وفي ذلك يقول الشاعر عبد الرحمن الجوهري الشاذلي :

يا شاذلي لك الفخار بخرقة ... بالشاذلي لها تلألأ رونق
قم وابتهج وافخر بها فطرازها ... بامامنا الغوث الرفاعي يلحق (٥٠)

ومن المعلوم ان ابا الحسن كان قد أنتقل من مسقط راسه ، غمارة ، الى تونس في سن مبكرة ، ثم توجه بعد ذلك الى المشرق العربي حيث ادى فريضة الحج ، ثم توجه الى العراق . ويذكر بانه ، في عام ٦١٨ هـ. / ١٢٢١ م. ، اجتمع بالشيخ ابي الفتح

الواسطي ، فلم يجد الشاذلي من يباريه علماً وتصوفاً . فلما ابلغه عن مقصده في الاجتماع بالقطب ، والأخذ عنه قال له ابو الفتح : « تطلب القطب بالعراق وهو في بلادك . ارجع الى بلادك تجده » فرجع ابو الحسن الى بلاد المغرب حيث اجتمع باستاذه ابي محمد عبد السلام بن مشيش . وفي ذلك يقول : « لما قدمت عليه (يقصد ابن مشيش) وهو ساكن مغارة برباطه في راس الجبل ، اغتسلت في عين في اسفل الجبل وخرجت عن علمي وعملي ، وطلعت اليه فقيراً ، واذا به هابط علي . فلما رآني قال : مرحباً بعلي ابن عبد الله . . . وذكر لي نسبي الى الرسول . ثم قال : يا علي طلعت الينا فقيراً عن علمك وعملك وستأخذ منا غنى الدنيا والآخرة . فأخذني منه الدهش . واقمت عنده اياماً الى ان فتح الله على بصيرتي ، ورأيت له خرق عادات من كرامات وغيرها » (٥١) .

دعـــوته :

وبعد أن امضى ابو الحسن مدة في الاخذ عن ابن مشيش ، طلب منه شيخه الرحيل الى بلدة شاذلة اولا ، ثم الى تونس ، ثم الى المشرق العربي . واوصاه شيخه بتنزيه لسانه عن ذكر الناس ، وتنزيه قلبه عن عبادة اصنامهم ، وبحفظ الجوارح ، واداء الفرائض ، وتذكير الناس بها . كما امره بتلاوة هذا الدعاء : « اللهم ارحني من ذكر الناس ومن العوارض من قبلهم ، ونجني من شرهم ، واغنني بخيرك عن خيرهم وتولني بالخصوصية من بينهم » (٥٢) .

ارتحل ابو الحسن الى شاذلة ، وهي قرية قريبة من تونس ، فعرف منذ ذلك الحين بالشاذلي ، وعرفت طريقته الصوفية بالشاذلية . وكان الشاذلي ، بادىء الأمر ، متردداً بين التزام البراري والقفار من اجل التفرغ للطاعة وللقيام بالاذكار ، وبين صحبة العلماء في المدن . وما لبث أن جمع بين الاتجاهين ، فكثيرا ما كان يدخل المغاور ويجلس فيها عدة ايام متفرغاً للعبادة ، يصوم النهار ويقوم الليل ، لا سيما في جبل الزعفران القريب من شاذلة ، حيث اقام مدة يجاهد النفس ، في مغارة بأعلى الجبل وبالقرب من عين ماء هناك . وكان قبل اتصاله بابن مشيش لا يسمع بولي الا ويتجه اليه ، ولو تجشم في سبيل ذلك الاهوال حتى يقف على حال الولي ، ويأخذ عنه (٥٣) .

وبعد خلوته في جبل الزعفران ، توجه الى مدينة تونس ، حيث اقام بدار مسجد البلاط مع جماعة من اصحابه منهم : ابو الحسن علي بن مخلوف الصقلي ، ابو عبد الله الصابوني ، ابو محمد عبد العزيز الزيتوني ، ابو العزائم ماضي بن سلطان ، ابو عبد الله البجائي الخياط ، ابو عبد الله الخارجي . . . واقام مدة ، فكثر اتباعه مما اغضب قاضي المدينة ابن البراء (٥٤) ، فوشى به الى السلطان ابي زكريا ، زاعماً ان الشاذلي يريد تأليب الرعية عليه ، واقامة ملك له كما اقام الفاطميون من قبل ملكهم في تونس ، لا سيما أن الشاذلي حسني علوي ، فحصلت مناظرة بين الشاذلي وبين الفقهاء ، بحضور سلطان تونس ، الذي تأكد من صدق الشاذلي فاعتذر اليه . ثم توجه الشاذلي الى الحجاز يريد اداء فريضة الحج ، بعد أن وعد السلطان بالعودة الى تونس عقب انتهاء موسم الحج . ولم يكتف ابن البراء بما فعله بابي الحسن في تونس ، بل ارسل

الى حاكم الاسكندرية انه سيصل الى المدينة رجل يدّعي شرف النسب وقد شوش على التونسيين بلادهم ، وهو يريد ان يشوش على اهالي الاسكندرية كما فعل بتونس . فأمر سلطان مصر باعتقال ابي الحسن في الاسكندرية ، لكن الشاذلي تمكن من الوصول الى القاهرة ، واجتمع بالسلطان الذي حادثه واعجب به وسارع الى تكريمه وتقديره ، كما يروون (٥٥) .

وبعد اداء الفريضة رجع الشاذلي الى تونس فتتلمذ على يديه عدد كبير من ابنائها ، في مقدمتهم خليفته ابو العباس المرسي (٦١٦—٦٨٦ هـ / ١٢١٩—١٢٨٨ م) ثم عاد الى الاسكندرية عام ٦٤٢ هـ. / ١٢٤٤ م. عن طريق الساحل ماراً بطرابلس الغرب . وفي كل هذه الرحلات كان الشاذلي يستمر في دعوة الناس الى الله تعالى ، فتلاقي دعوته الاستجابة من جميع الطبقات (٥٦) .

وفي الاسكندرية خصص له السلطان برجاًاوقفه عليه وعلى ذريته من بعده . هذا البرج كان بمثابة الزاوية المركزية للشاذلية ، ومنه انتشر مشايخ هذه الطريقة يؤسسون الزوايا الشاذلية في مختلف انحاء العالم الاسلامي . وكانت بيوت الصوفية في وسط هذا البرج ، بالقرب من جامع كبير ، وفي اعلى البرج عدة غرف كانت مسكن ابي الحسن مع عياله . وقد تزوج الشاذلي ورزق اولاداً منهم : احمد وعلي وابو عبد الله محمد شرف الدين الذي كان قاطناً دمنهور عام ٧١٥ هـ. / ١٣١٥ م. ومن البنات زينب وعريفة الخير . كان الشاذلي يجمع مريديه في هذا البرج ، كل ليلة ، لاقامة الاذكار وللوعظ والارشاد . وعند الانتهاء كان يتوجه الى خلوته (٥٧) .

ولم يقتصر الشاذلي نشاطه العلمي والروحي على مدينة الاسكندرية وحدها ، فقد كان دائم الرحلة الى المدن المصرية ، فزار دمنهور ودمياط والمنصورة ... وتردد كثيراً على القاهرة . وفي هذه المدن كان الشاذلي يعقد حلقاته المعتادة للدرس والوعظ لتفقيه الناس في امور دينهم ولنشر مبادئه ودعوته (٥٨) .

اصيب ابو الحسن عام ٦٤٦ هـ. / ١٢٤٨ م. بانكفاف البصر ، لكثرة مطالعاته وانصرافه الى الدرس . ولقد دفعه هذا الانكفاف الى الانصراف كلية الى التفكير بالله ، فيقول لاقرب مريد عنده (ابي العباس المرسي) عندما اتى يزوره : « يا ابا العباس لقد انعكس بصري على بصيرتي فصرت كلي مبصراً بالله » (٥٩) .

ولم يدفعه هذا الانكفاف الى تغيير عادته حيث كان يؤدي فريضة الحج عاماً ويقيم آخر . وعندما يقرر الشاذلي الحج يبعث الى تلامذته في شتى انحاء العالم الاسلامي طالباً اليهم موافاته الى بعض المناطق التي تقع على طريق الحج او للالتقاء به في الحجاز ليشكل منهم وفد الشاذلية .

وفاتـــه :

يذكر الشيخ محمد شرف الدين بن ابي الحسن ان والده امرهم ، في سفره الأخير

الى الحج ، ان يأخذوا معهم فأساً ومسحاة ، حتى اذا توفي احدهم دفنوه . ولم يكن لهم عادة بذلك . وليلة وفاته جمع اصحابه واوصاهم بامور كثيرة ، كما اوصاهم بحفظ وترداد احزابه . ثم اختلى بابي العباس المرسي واوعز الى اصحابه بانه اي ابـا العباس سيكون خليفته في مشيخة الطريقة .

وبات ابو الحسن في ذكر الله والتضرع اليه حتى وقت السحر فسكت . وظن الجميع انه نام فكلموه فلم يتكلم فحركوه فلم يتحرك فوجدوه ميتاً ، فدفنوه بحميثرا في برية عيذاب ، في واد على طريق الصعيد ، وذلك في شهر شوال عام ٦٥٦هـ. / ١٢٥٨م. عن ثلاث وستين سنة . وقد اكمل الوفد ، بعد مراسيم الدفن ، طريقه الى الحج برئاسة خليفته ابي العباس المرسي (٦٠) .

ولقد سارع الى ذكر سيرته وتعداد مناقبه وكراماته عدد كبير من المشايخ منهم : داود بن باخلا ، احمد بن فخر الدين بن ابي بكر اليمني القرشي ، عبد الله بن النعمان ، قطب الدين القسطلاني ، تاج الدين بن عطاء الله في كتابه « لطائف المنن » ، سراج الدين بن الملقن ، جلال الدين السيوطي عبد الوهاب الشعراني ، المناوي ... فقد كان الشاذلي ، في رأي هؤلاء ، عالماً ورعاً ، وبحراً عميق الغور ، ومربيا ممتازا . تتلمذ على يديه صفوة رجال الفكر والعلم آنذاك ، واسس اعظم مدرسة فكرية في المجتمعات الصوفية . ورثاه محمد البوصيري (٦١٠ــ٦٩٥ هـ. / ١٢١٣ــ١٢٩٥ م.) . صاحب البردة والهمزية ، بقصيدة طويلة جاء فيها :

امـا الامـام الشـاذلـي طريقـه	في الفضـل واضحـة لعـين المهتدي
فانقـل ولـو قدمـاً علـى آثـاره	فـاذا فعلـت فـذاك أخـذ باليـد
افـدي عليا (الشاذلي) بالوجود وكلنا	بـوجوده مـن كـل سـوء نفتـدي
قطـب الزمـان وغوثـه وامامـه	عـين الوجـود لسان عين الموجد (٦١)

وقد ذكر مريدوه ، في قصائدهم ، مراحل حياته ، وما حققه من نجاح في افريقية عموماً وفي تونس ومصر خصوصاً . وذكروا ما جرى بينه وبين ابن البراء ، واعلنوا بان هذه الحادثة كانت لخير المشرق العربي ، اذ انضوى عدد كبير من العلماء هناك تحت لواء الشاذلي (٦٢) .

لم يترك الشاذلي كتاباً بالرغم من كثرة مطالعاته . ولقد سئل مرة : « لم لا تضع كتاباً في الدلالة على الله وعلوم القوم (الصوفية) ؟ فاجاب : كتبي اصحابي . ومن المعلوم ان ابا الحسن قد ترك ثروة عظيمة من حكم ووصايا واحزاب وادعية منشورة في كتب التصوف ، رواها عنه مريدوه والعلماء » (٦٣) . وربما كان الشاذلي الصوفي الوحيد الذي جمع له تلامذته : « اشهر الاحزاب ، لا سيما حزب البحر ، الذي يسمى ايضاً الحزب الصغير ، تمييزاً له عن حزب آخر له اطول من الأول لكنه دونه شهرة . وهذا الحزب محبب الى المسافرين ، وخاصة من يركبون البحر . ويزيد من اهميته انه كتب سنة ٦٥٦ هـ. / ١٢٥٨ م. وهي السنة التي توفي فيها الشاذلي » (٦٤) .

ومن اشهر احزابه ايضاً : الكبير ، الآيات ، الفتح ، النور ، اللطيف ، النصر ، البر ، الكفاية ، الفلاح ، التوسل ... الى غير ذلك من الاقوال والاحزاب التي تدل على ان ابا الحسن كان اديباً ، ذا اسلوب بديع ، وان نفسه قد صفت وان قلبه قد رق (٦٥) .

د ـ السيد احمد البدوي :

نسبــه :

ابو العباس احمد بن علي بن ابراهيم بن محمد ... ينتهي نسبه الى الحسين بن علي بن ابي طالب . كانت اسرته تسكن الحجاز . وفي عام ٥٣٥ هـ. / ١١٤٠ م. هاجرت الى المغرب الأقصى حيث استقرت في مدينة فاس . وفي فاس كانت ولادة احمد ، بزقاق الحجر البلاط ، عام ٥٩٦ هـ. / ١١٩٩ م. (٦٦) . وفي عام ٦٠٣ هـ. / ١٢٠٦ م. بدأت اسرة البدوي رحلة العودة الى موطنها الاصلي مكة ، معلنة رغبتها في اداء فريضة الحج . وبالرغم من التكريم الذي لاقته خلال رحلتها تلك ، فانها صادفت المشقات ، لا سيما في اجتيازها للصحاري ، حتى هبطت مصر . فعرفت الأمن والراحة . وكان البدوي في السابعة من عمره ، فتركت هذه الفترة التي قضاها بمصر في نفسه اعمق الأثر . وبعد ذلك يممت الاسرة وجهها نحو الحجاز فمرت بالمدينة واستقرت اخيراً في مكة ، موطنها الأصلي (٦٧) .

تربيتــه :

تربى احمد في المغرب على عادة الاشراف المنتسبين الى بيت الرسول (ص) ، فحفظ القرآن ، وتعلم القراءات ، ومال الى الزهد منذ صغره حتى اشتهر بين قومه بالشيخ احمد الزاهد . ولما انتقل الى مكة ، كان يتعبد في جبل ابي قبيس المطل على الحرم المكي . وقد ساعده جو الحجاز المشبع ، آنذاك ، بالزهد والتصوف ، على الانصراف كلية الى العبادة من صيام وقيام وعزلة وصمت ... ولا غرابة في ميله الى التصوف ، فقد اشتهر افراد عائلته بالتدين . فترسخت في اعماق الصبي صورة الحياة ، عبادة وزهداً ، لكن ذلك لم يمنعه من ان يكون فارساً شجاعاً (٦٨) .

رحلته الى العراق واستقراره بمصر : في سنة ٦٣٤ هـ. / ١٢٣٦ م. توجه احمد الى العراق ، فزار اضرحة الأولياء (الحلاج ، عبد القادر الجيلاني ، احمد الرفاعي ، موسى الكاظم ، محمد الجواد ...) فشغف بهم وبسيرهم ، وتطلع الى محاكاتهم في تربية المريدين . وفي عام ٦٣٥ هـ. / ١٢٣٧ م. عاد الى مكة ، واخذ في مراجعة ما مر به ، وبالتالي الى تخطيط للمستقبل ، واختيار مكان مناسب ليثبت فيه اسس مدرسته الصوفية . فتوجه بانظاره نحو مصر ، فاختار مدينة طنطا لتكون هذا المركز . وبعد رحلة شاقة وصلها عام ٦٣٧ هـ. / ١٢٤٠ م. (٦٩) .

وفي طنطا اخذ البدوي ينظم الدعوة ويربي المريدين بالنظر وبالسلوك وبالتعليم وبالقدوة الى ان تصفو نفوسهم ، فيبدأ في توجيههم الى مناطق تحتاج الى الدعوة . وكانت زاويته سطح منزل مريده الشيخ ركين . وعلى هذا السطح كانت تعقد الندوات

العلمية ، وكان يجيء اليه المجادلون والمتحنون والعلماء ... فتجري مناقشات دينية وابحاث صوفية (٧٠) .

وظل البدوي في طنطا حتى وفاته عام ٦٧٥ هـ. / ١٢٧٦ م. فدفن هناك ، ثم بني له قبر وعليه قبة ، ثم بني حولها مسجد عظيم يعتبر من اكبر مساجد مصر (٧١) .

لقد ترك البدوي عدة مؤلفات ، لا سيما في موضوعات التصوف ، والفقه الشافعي ، غير انه لم يقع بين ايدينا شيء من هذه المؤلفات الا النذر اليسير . وحتى هذا القسم ، كما يرى ابراهيم نور الدين ، فان الكثير منه لا وجود له الا في دور الكتب الاجنبية ، وخاصة في باريس وبرلين وليبزغ والاستانة .

ويرجع نور الدين السبب في ضياع هذه المؤلفات ، وخروج بعضها من مصر ، الى حملة السلطان سليم ٩٢٣ هـ/١٥١٧ م واخذه الى متاحف الاستانة كل ما عثر عليه من كتب . لذلك لا مجال للاستغراب اذا وجدنا ان معلومات المؤلفين الاجانب عن البدوي اوفر من معلوماتنا ، ومدعمة بالمراجع والاسانيد . ومن اشهر مؤلفات البدوي ، كما يبينها نور الدين :

١ ـ صلوات : وهي مجموعة من الادعية والصلوات على الرسول ، وضعت للاتباع ، وقد شرحها ونشرها عبد الرحمن عيدروس احد مشاهير الصوفية في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وذلك في رسالة بعنوان « فتح الرحمن » . وهذه الرسالة مسجلة بدار الكتب بالقاهرة (٧٢) .

٢ ـ وصايا : وهي مجموعة من الوصايا والعظات ، في شكل جمل وعبارات عامة . وقد وجهها البدوي لتلميذه وخليفته عبد العال (٧٣٣ هـ/١٣٣٢ م) لتكون دستورا له وللمريدين من بعده .

٣ ـ « الاخبار في حل الفاظ غاية الاختصار » مخطوط ، كتبه شخص يدعى ابراهيم سنة ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م. اي بعد نزول البدوي بطنطا بسنتين . ويرجح ان يكون ابراهيم هذا هو احد المريدين الذين كانوا يكتبون للبدوي رسائله ومؤلفاته . وبهذا الكتاب شروح طويلة في الفقه والمعاملات والاحوال الشخصية على مذهب الامام الشافعي . والبدوي ، على الرغم من انه لم يكن من اعلام الشعر والادب او عظماء المؤرخين والكتاب ، فقد كان من اعلام التصوف الاسلامي في عصر الانحلال والتراجع (٧٣) .

وللبدوي القاب عديدة اشهرها :

١ ـ السيد لأنه ينتمي الى الرسول .

٢ ـ البدوي نسبة الى سكن البادية ، حيث عاش اجداده ، والى وضعه اللثامين على عادة البدو من المرابطين الملثمين من بربر شمال افريقيا .

٣ ـ الصامت لأنه كان يؤثر الصمت .

٤ ــ القطب .
٥ ــ السطوحي لاقامته فوق السطح يتأمل السماء ويشخص ببصره نحوها .

وقد اطلق على اصحابه لفظ السطوحية (٧٤) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان البدوي لعب دوراً مهماً في تعبئة جماهير مصر ضد الغزو الصليبي ، لا سيما في الحملة السابعة (٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م) التي قادها لويس التاسع ملك فرنسة . فقد اسهم البدوي اسهاماً فعالاً في طرد الغزاة وانقاذ ارض مصر . وهكذا فان انصرافه عن المسرح السياسي واقباله على العبادة لم يمنعه من مساعدة الجماهير في حل مشاكلها (٧٥) .

هـ ــ محمد بهاء الدين الاويسي البخاري المعروف بـ (شاه نقشبند) :

لئن اعتبر النقشبندية ان سلمان الفارسي (٧٦) هو المؤسس لطريقتهم ، فان هذه الطريقة قامت وانتشرت بفضل تعاليم شاه نقشبند . ولد محمد بهاء الدين عام ٧١٧ هـ/١٣١٧ م بقصر عارفان . وفي الثامنة عشر من عمره صحب الشيخ محمد بابا السماسي . ولما توفي هذا الشيخ سافر محمد بهاء الدين الى سمرقند ، واخذ يتردد الى مساجدها ، ويحضر حلقات الدروس فيها ، ويتصل بكبار مشايخها . ثم سكن قصر العارفان ، مسقط رأسه ، وصحب الشيخ امير كلال (٧٧) ، وتتلمذ على يديه . وبعد وفاة شيخه انصرف النقشبندي الى تربية المريدين الذين كانوا يلازمونه في حله وترحاله .

وظل في وعظه حتى وفاته (١٣ ربيع الاول ٧٦١ هـ/١٣٨٨ م) . يذكر تلميذه علاء الدين العطار (ت ٨٠٢ هـ/١٣٩٩ م) ان الشيخ النقشبندي ، لما مرض مرضه

الاخير ، خرج الى الرباط ، ودخل خلوته ، فطفق اصحابه يتواردون عليه وهو يوصي كل واحد منهم . ثم رفع يديه بالدعاء ، وعندما انتهى من دعائه فاضت روحه .

وقد دفن في بستانه . وبنى اتباعه فوق قبره قبة ، ثم جعلوا البستان مسجداً ، واجرى الملوك عليه اوقافاً كثيرة وبالغوا في الاعتناء بضريحه (٧٨) .

و ــ مؤسس الخلوتية :

يصر الخلوتية على ان الرسول (ص) هو المؤسس لطريقتهم ، وذلك عندما كان يخلو في غار قريب من مكة فيمضي الايام في عبادة وتبتل . لكن سلسلة الخلوتية لا تخلو من مجددين ، كما يسمونهم ، فهناك عمر الخلوتي (ت حوالي ٨٠٠ هـ/١٣٩٥ م) في قيصرية (٧٩) .

ومصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين ... الذي ينتهي نسبه الى ابي بكر الصديق . (١١٠٠ــ١١٦٣ هـ. / ١٦٨٨ــ١٧٤٩ م.) شاعر صوفي ، ولد بدمشق ومات بالقاهرة . زار القدس وحلب وبغداد والقسطنطينية اكثر من مرة .

ترك البكري عدة كتب يصف فيها رحلاته ، وعدة رسائل في التصوف . والكثير من الاوراد والصلوات والادعية والاراجيز الصوفية التي وضعها لمريدي الخلوتية ، مثل « الفية التصوف » في نحو ١٢٠٠ بيت . وله ايضاً « بلغة المريد ومشتهى الموفق السعيد » و « فوائد الفرائد » و « ارجوزة في الشمائل » و « منظومة الاستغفار » (٨٠) .

ز ــ جلال الدين الرومي (٦٠٤ــ٦٧٢ هـ / ١٢٠٧ــ١٢٧٣ م) :

مؤسس طريقة دراويش الفتل الشهيرة بالطريقة المولوية (٨١) . هو محمد بن محمد بن الحسين الخطيبي البكري ، ويلقب بالبلخي نسبة الى مسقط راسه بلخ ، وبالقونوي نسبة الى قونية التي سكنها ، وبالرومي نسبة الى بلاد الروم التي كانت قونية احدى المدن الاسلامية الكبرى بها (٨٢) . كان والده محمد الملقب ببهاء الدين عالماً صوفياً مشهوراً ، وقد جمع حوله عدداً من المريدين الذين لا يعرف الا القليل عن طريقتهم الصوفية وعن مبادئهم واذكارهم . لكن لا يذكر لهم سماع أو رقص ، وانما قصروا هممهم في مراقبة جمال المولى المنعكس على المخلوقات (٨٣) . وقد لقب والده بسلطان العلماء نظراً للمكانة المرموقة التي رفعه اليها اهالي بلخ .

تتلمذ جلال الدين على يد والده اولا . وفي عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م . هاجر بهاء الدين مع اسرته من بلخ خوفاً من الخطر المغولي ، ونتيجة لخلاف وقع بينه وبين حاكمها علاء الدين محمد خوارزم شاه . فانتقل جلال في طفولته بصحبة ابيه الى نيسابور اولا حيث تم اللقاء بينه وبين الشاعر الصوفي فريد الدين العطار (٨٤) .

وبعد نيسابور ، دخلت الاسرة بغداد ، ثم مكية فملاطية على الفرات ، وظل بهاء الدين متنقلا باسرته بين الحواضر الاسلامية حتى دعاه الامير السلجوقي علاء الدين قيقوباد الى قونية ، فتوجهت الاسرة اليها واستقرت فيها (٨٥) .

وفي قونية جمع بهاء الدين حوله جماعة من الصوفية الذين كان يربيهم ، فلما توفي عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م . تولى مشيخة مريديه احد تلاميذه وهو برهان الدين محقق الترمذي . فأدى رسالة الوعظ والتسليك على افضل وجه . وقد تتلمذ على يديه جلال الدين مدة من الوقت ثم ارتحل جلال الى الشام لاكمال دراسته فاقام في حلب فترة ثم انتقل بعدها الى دمشق . ويظهر أن جلال الدين لم يكن في تلك الفترة من عمره يهتم بالتصوف ، لذلك لم يذكر له اتصال بصوفي دمشق المشهور ابن عربي لا سيما انه كان لا يزال بدمشق عند مثول جلال الدين اليها . وفي عام ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م . عاد جلال الى قونية وبدأ يمارس العمل الذي اعد نفسه له وهو التدريس والوعظ ، على غرار ابيه واستاذه برهان الدين . وقد تعلق به تلامذته لأنه كان واعظاً بالغ التأثير ومعلماً بارعاً . وظل جلال يدير شؤون هذه الفئة في قونية مدة اربع سنوات حسب تعاليم والده . وقد بلغ أثناء هذه المدة من النضج العقلي والنفسي درجة ممتازة . وفجأة اذ بصوفي جوال يعرف باسم شمس الدين التبريزي يدخل قونية عام ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م . (٨٦) . ولا تزال المعلومات عن نسب شمس الدين هذا واحواله ضئيلة

جداً . وعن لقائه بجلال الدين ، يذكر المؤرخون أن الرومي كان بين تلاميذه ومجموعة من العلماء والأهالي يسألونه فيجيبهم . واذا بالتبريزي يدخل المجلس ويشارك في الاسئلة ، فيستفهم من جلال عن المقصود من دراسته للرياضيات والعلوم . فيجيبه جلال بان الغاية من ذلك الاطلاع على اداب الشرع . فينفي التبريزي معلناً أن الغاية من ذلك الوصول الى المعلوم قائلا : « ان العلم اذا لم يجردك من نفسك فالجهل خير منه » فتحير جلال ، وما لبث ان تعلق بهذا الشيخ فلازمه لمدة عام تقريباً . وكان التبريزي في الستين من عمره . وهكذا فقد اصبح الاستاذ جلال تلميذاً صغيراً للتبريزي الدرويش ، يتلقى منه الدروس كل يوم . وقد رأى جلال عند شيخه علماً جديداً لا عهد له به فانكشف له عالم جديد من الحقائق والاذواق (٨٧) .

هذا الخضوع التام للتبريزي جعل جلال الدين يتحول الى شخص آخر فيهمل التدريس ، ويعرض عن الوعظ ، ويتخلى عن التلاميذ وينصرف الى حياة التأمل الصوفي . وقد عبر جلال عن حياته الجديدة بفيض غامر من الشعر . وفي ذلك يقول :

عندما اشتعلت نيران الحب في صدري
احرق لهيبها كل ما كان في قلبي .
فازدريت العقل الدقيق والمدرسة والكتاب
وعملت على اكتساب صناعة الشعر وتعلمت النظم (٨٨) .

فنقم طلاب جلال على شمس الدين لأنه حرمهم استاذهم ، واندفعوا الى مضايقته ، وهموا بأذيته حتى يرحل عن قونية ، ففر التبريزي الى جهة لا يعلمها جلال وذلك عام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م ، وحتى لا تقع فتنة في قونية . فحزن جلال وانقطع عن الناس ، حتى فاجأته رسالة من شيخه . فكتب اليه جلال يعتذر عن الذين اسهموا في ايذائه ، ويدعوه الى قونية :

أيها النور في الفؤاد تعال	غاية الوجد والمراد تعال
ايها السابق الذي سبقت منـ	ك مصدوقة الوداد تعال
انت كالشمس اذ دنت ونأت	يا قريباً على البعاد تعال (٨٩) .

وارسل جلال ابنه سلطان ولد الى دمشق ليصطحب التبريزي الى قونية . وقد ابتهج جلال بقدوم شيخه ، وسر سروراً عظيماً وطابت مجالسه معه . غير أن التبريزي ترك قونية مرة ثانية عام ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م وبصورة نهائية . فطفق جلال يفتش على شيخه في دمشق وحلب وغيرها ويرسل اصحابه وابناءه وتلاميذه للبحث والتفتيش . واصبح جلال من الهائمين بحب هذا الشيخ ، وصار كالسكران لا يلبث ان يرقص عند سماع اي ايقاع . فانصرف بكليته الى مجالس السماع والذكر . وكان يدور في مدرسته كالهائم ، ويئن ، ويرسل الزفرات ... وهي اللوحات التي قامت عليها الطريقة المولوية (٩٠) .

وتألم جلال لهذا الفراق وهتف من اعماق قلبه :

مـــن ذا الذي قـــال ان شمس الـــروح الخـــالدة قـــد ماتت
ومن الذي تجـــرأ على القـــول بـــان شمس الأمـــل قـــد ولت
ان هـــذا ليس الا عـــدواً للشمـــس وقـــف تحـــت سقـــف
وربط كلتا عينيه وصاح : هـــا هي ذي الشمس تموت (٩١) .

وتمخضت محبة جلال لشيخه عن ديوان من الغزل الصوفي الرائع « ديوان شمس تبريز » . وهو نشائد تتمثل فيها نظرية الشمول المتطرفة . ويعزي جلال الفضل في هذا الشعر الى شيخه ، بما اثاره في روحه من حنين بلغت بالروح غاية الصفاء ، كما يرى . وخرجت بها عن عالم الحس (٩٢) .

وقد عبر جلال عن تأثير هذا الشيخ فقال :

وحـــين جـــاء وجـــه شمـــس الديـــن   حجبت شمس السماء الرابعة وجهـــا
فهذا الشذي قـــد جذب انتبـــاه روحي   اذ وجدت فيه رائحة قميص يوسف (٩٣)

وبعد اختفاء شمس تبريز التفت جلال الدين الى تلاميذه . فانست روحه ببعضهم ، وفي طليعتهم صلاح الدين زركوب (ت ٦٥٧ هـ. / ١٢٥٨ م.) ، ومن بعده حسن حسام الدين (٦٢٢ــ٦٨٣ هـ. / ١٢٢٥ــ١٢٨٤ م.) الذي ينسب اليه الفضل في حث استاذه على تأليف المثنوي . فقد لزم جلال الدين وأخذ يدون ما يمليه عليه استاذه (٩٤) .

وظل جلال الدين في قونية حتى وفاته عام ٦٧٢ هـ. / ١٢٧٣ م. فدفن هناك . وقام اتباعه ومحبوه ببناء ضريح له اقيمت فوقه قبة عرفت بالقبة الخضراء .

وكان جلال طالما هتف بالحنين الى هذا اللقاء ابان حياته على الارض . وطالما اعتبر الموت بداية لحياة اعمق واسمى :

في يوم موتي حين ترى نعشي مشيعاً
لا تحسبن ان لي قلباً متعلقاً بهذه الدنيا
ولا تبك من اجلي ولا تقل وا اسفاه وا اسفا
والا وقعت في حبائل الشيطان وهذا ما يؤسف له .
وحين ترى جنازتي فلا تقل هذا فراق ... فراق .
فان لي في هذا الزمن وصالا ولقاء
وحين تودعني القبر فلا تقل وداعاً وداعاً
فان القبر ليس الا حجاباً يحجب صحبة اهل الجنان
واللحد يبدو كالحبس ولكنه يكون خلاصاً للروح
واية حبة طواها الثرى ثم لم تنبت
فلماذا تحمل مثل هذا الشك عن ذات الانسان (٩٥) .

مؤلفاتـــه :

ترك جلال عدة تآليف منها المنثور ومنها الشعر ، واغلبها في اللغة الفارسية . وله بعض القصائد في العربية التي تدل على المامه بهذه اللغة ، وذلك يظهر من معرفته لتفاسير القرآن وللسنة النبوية . لكن اشعاره في اللغة العربية تمتاز بطابعها الشعبي وتحرره من قواعد النحو والصرف والاوزان ... مما يدل على أنه نظمها ليترنم بها اتباعه ممن كانوا لا يحسنون الفارسية .

أ ــ في النثر :

١ ــ المجالس السبعة : ويشتمل على خطب ومواعظ من النوع المعروف الشائع بين الوعاظ . والظاهر أنها أثرت عنه ابان اشتغاله بالوعظ والتدريس ، وقبل أن يعتنق التصوف فكراً وعملا .

٢ ــ الرسائل : وهي مجموعة من الرسائل كتبها الـــى معاصريه واصدقائـــه واقربائه .

٣ ــ فيه ما فيه : ويشتمل على مجموعة من احاديث جلال الدين ومحاوراتـــه ومواعظه . وهو كتاب ذو اهمية كبيرة ، اذ أنه ينطوي على كثير من الافكار والآراء التي صاغها في منظومته الكبرى « المثنوي » . وهو يلقي الضوء على كثير مما ورد في هذا الكتاب . والظاهر ان هذه المجالس قد سجلها المريدون عن استاذهم بعد أن اصبح صوفياً عارفاً وتخلى عن التدريس . ولهذه المجالس اهميتها ، لانها تزيد المعلومات عن عصر الشاعر وبيئته (٩٦) .

ب ــ في الشعر :

١ ــ الرباعيات : وهي تشمل ١٦٥٩ رباعياً أي ٣٣١٨ بيتاً . بعضها مدسوس على جلال ، كما يقول اتباعه ، ويسهل على من خبر شعره الحقيقي ان يستبعد بعضها لبعده عن اسلوب جلال .

٢ ــ الديوان « شمس تبريز » ، تيمنا باسم شيخه . وهو يضم غزليات وقصائد صوفية يبلغ عددها ٣٥٠٠ قطعة تشتمل على نحو ٤٢ الف بيت . وهي قصائد محلقة في آفاق عالية من التجرد الروحي . لا تكاد تمس الارض الا مساً رقيقاً . وقد بلغ في غزله ، على حد قولهم . اسمى درجة بلغها شعراء الصوفية في التجرد مـــن المادة ، والانطلاق من عالم الحس . الى عوالم رحبة من التأمل الروحي . فيتلمس الانسان من مطالعتها اشواق روح ادركت حقيقتها وعانت في هذه الحياة غربتها ، فثارت على الجسد وزلزلت جوانبه لتتحرر من اساره (٩٧) .

٣ ــ المثنوي : وهو منظومته الكبرى . تشير هذه التسمية « المثنوي » الى الشكل الذي نظم فيه . وذلك على غرار منطق الطير لفريد الدين العطار . فكلمة المثنوي

نعني ذلك النظم الذي يعرف بالمزدوج في العربية ، فهو شعر تتعدد فيه القوافي على ان تكون لشطري البيت الواحد قافية موحدة . وهذا الأمر مكن الفرس من نظم الملاحم والمطولات وحال دون تمكن العرب من نظمها لالتزام شعرائهم وزناً واحداً ، وقافية واحدة في القصيدة .

والمثنوي ستة أجزاء تضم ٢٥٦٣٢ بيتاً . وهو يتناول الحياة بكل جوانبها ، لكن بذوق صوفي ، كما يعتبرون . فقد حفــل المثنوي بالقــرآن والحديث وقصص الانبياء والقصص الشعبية والاساطير والعادات والفلسفة والكلام والطب والفلك ... لذلك جاء المثنوي غير مرتب وغير مبوب (٩٨) . وقد نظمه في الفارسية ، وسجل كل الآراء والمبادىء التي استندت اليها طريقته (٩٩) .

شخصيتــه :

لا بد من الاشارة الى ان نفسية جلال الدين كانت على استعداد لتقبل التأمل الصوفي . لذلك حصل له هذا الانقلاب عند اتصاله بشمس تبريز . لم يسع جلال الدين لاكتساب رضاء الملوك أو ذوي السلطان ، فلم يمدح أحداً منهم في قصائده الكثيرة ، بل على العكس فقد خص شيخه ومريديه وغيرهم من الصوفية بكل مدح ، وصرف عنايته للفقراء . لم يعرف عن جلال خروج عن الادب في مناظراته ولا حدة في النقاش . وقــد اشتهر باللين الذي مكنه من كسب اشد الخصوم (١٠٠) . وعندما انتقده علماء عصره ، بانه كان يجالس الفقراء ويناقش ارباب الحرف ويقبلهم ضمن مريديه ، فكان منهم الحائك والبقال ... اجابهم بقوله : « لو أن مريديي كانوا ممن اكتمل لهم الفضل لوجب ان اكون انا مريداً لهم . انني اقبل بين مريديي الاشرار ليتبدلوا ويصبحوا اخياراً » (١٠١) .

وكان جلال يكره المال الذي يأتي من غير عمل . فكانت تأتيه خمسة عشر ديناراً من الاوقاف ، لكنه كان يكتب الفتاوى مقابل ذلك حتى يستحق هذا المبلغ ، ولم يكن ليتأخر في عمله او يتبرم (١٠٢) .

وكان يوزع على مريديه كل ما يصل الى يده . « اشتهر جلال بخشوعه ، فقد كانت صلاته صلاة محب ، مستغرق ، هائم بحب الله ، يغيب عن نفسه ، ويشتغل بربه ، فلا يشعر بمكان وزمان ، وامام وركوع وسجود ، يسيل دموعاً ويذوب محبة . ولطالما كان يقضي الليالي متهجداً مقبلا على طاعة الله » (١٠٣) .

هـــوامش

(١) را : البير نادر ، التصوف الاسلامي ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص ٣٠ .

(٢) جيلان أوكيلان ، ويقال ايضاً بلاد الديلم ، ولاية من القسم الشمالي الغربي من بلاد فارس . يحدها شمالا ناحية تاليس الروسية ، وجنوباً بغرب سلسلة جبال البرز الفاصلة بينهما وبين اذربيجان وعراق العجم ، وجنوباً بشرق مازندران ، وشمالا بشرق بحر قزوين (را : ابو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة في الاسلام (الكويت ، ١٩٦٩) ، ص ٢٥٢ .

(٣) م. ع. ، ص ٢٥٢ .

(٤) را : عبد الرحمن ابو الفرج ، ترياق المحبين (القاهرة ، ١٣٠٥ هـ.) ، ص ٥٦ .

(٥) واسمه دلف ويقال اسمه جعفر بن يونس ، خراساني الأصل ، بغدادي المنشأ والمولد ، واصله من أسروشنة . تاب وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ . وصار أوحد وقته حالا وعلماً . وكان عالماً فقيهاً على مذهب مالك . عاش سبعاً وثمانين سنة . توفي ٣٣٤ هـ. / ٩٤٥ م. ودفن بمقبرة الخيزران . (را : السلمي ، طبقات الصوفية ، تحقيق شريبة (القاهرة ، ١٩٥٣) ، ص ٣٣٧) .

(٦) الجنيد بن محمد ، اصله من نهاوند ، مولده ومنشؤه بالعراق . تفقه على ابي ثور (ت ٢٤٠ هـ. / ٨٥٤ م.) وكان يفتي في حلقته . وصحب السري السقطي والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب البغدادي (ت ٢٧٥ هـ. / ٨٨٨ م.) توفي الجنيد (٢٩٧ هـ. / ٩٠٩ م.) . را : السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ١٥٥ .

(٧) السري السقطي : كان تاجراً ببغداد ، ثم ما لبث أن تتلمذ على معروف الكرخي . وكان اوحد زمانه في الورع واحوال السنة وعلوم التوحيد . وكان لا يتكلم بعلم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة (عبد الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص ١٠) .

(٨) معروف الكرخي ، ابو محفوظ ، معروف بن فيروز ، اسلم على يد علي بن موسى الرضا ، وكان سبباً في اسلام ابويه . توفي عام (٢٠٠ هـ. / ٨١٥ م.) . كانت عقيدته في الحياة دوام طاعة المولى وخدمة الناس وتقديم النصيحة لهم (را : القشيري ، الرسالة ، ص ١٠) .

(٩) داود الطائي : ابن نصير ، كوفي الأصل . اشتغل بالعلم ودراسة الفقه . ثم اختار العزلة والخلوة . ولزم العبادة واجتهد فيها الى آخر عمره . اقام ببغداد فترة ، وحضر مجلس ابي حنيفة (ت ١٥٠ هـ. / ٧٦٧ م.) ثم عاد الى الكوفة وبها كانت وفاته (١٦٥ هـ. / ٧٨١ م.) . (را : صادق الجميلي ، من اعلام العارفين ، ج ١ (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص ٧٩) .

(١٠) حبيب العجمي : ابو محمد الحبيب الفارسي المعروف بالعجمي . كان يحضر مجالس الحسن البصري ، تأثر بمواعظه وانشغل بالتعبد حتى غدا شيخاً من شيوخ الطريق . كان رقيقاً كثير البكاء . توفي ١٢٥ هـ. / ٧٤٢ م. (را : الجميلي ، من اعلام العارفين ، ج ١ ، ص ٩٢) .

(١١) الحسن البصري (٢١ــ١١٠ هـ. / ٦٤٢ــ٧٢٨ م.) . ابو سعيد الحسن بن يسار البصري . تابعي ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن ابي طالب واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية . سكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب ، فكان يدخل على الولاة يأمرهم وينهاهم . قال الغزالي عنه : انه اشبه الناس كلاماً بكلام الانبياء ، واقربهم هدياً من الصحابة ، وكان غاية في الفصاحة .
ولما كتب اليه عمر بن عبد العزيز : انني قد ابتليت بهذا الأمر (الخلافة) فانظر لي اعواناً يعينونني

عليه . فاجابه الحسن : اما ابناء الدنيا فلا تريدهم واما ابناء الآخرة فلا يريدونك فاستعن بالله . توفي بالبصرة . يعتبره الصوفية والزهاد رائدهم ومؤسس حركتهم (را : عزة حصرية ، الشيخ ارسلان (دمشق ، ١٩٦٥) ، ص ٢٥) .

(١٢) را : ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٥٥ .

(١٣) القطب ويسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف اليه . وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان . (علي الجرجاني ، التعريفات ، ص ٨١) .

(١٤) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٢٥٣ .

(١٥) م. ع. ، ص ٢٦٨ .

(١٦) م. ع. ، ص ٢٥٧ .

(١٧) عبد القادر الجيلاني ، الفتح الرباني (القاهرة ، ١٣١٨ هـ.) ، ص ١٨ .

(١٨) را : الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ١٨ .

(١٩) را : محمد علوان ، التصوف الاسلامي (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ١٧..

(٢٠) الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ١١٨ .

(٢١) م. ع. ، مجلس ٥١ .

(٢٢) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٢٥٨ .

(٢٣) الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٢٠٨ .

(٢٤) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٢٥٧ .

(٢٥) را : ابو الهدى الصيادي ، التاريخ الاوحد (القاهرة ، ١٣١٣ هـ.) ، ص ٧٨ .

(٢٦) بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، مج ١١ ، ص ٦٢٤ .

(٢٧و٢٨) ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٥٢ .

(٢٩) م. ع. ، ص ٥٦ .

(٣٠) احمد الوتري ، روضة الناظرين (القاهرة ، ١٣٠٦ هـ.) ، ص ٤٥ .

(٣١) ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٥٣ .

(٣٢) را : الصيادي ، التاريخ الأوحد ، ص ٢٤ .

(٣٣) را : عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

(٣٤) را : يونس السامرائي ، احمد الرفاعي (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص ١١ .

(٣٥) را : احمد الفاروثي ، ارشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين (القاهرة ، ١٣٠٧ هـ.) ، ص ٧ .

(٣٦) را : الجميلي : من اعلام العارفين ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٣٧) را : احمد الرفاعي ، البرهان المؤيد ، تحقيق الحلواني (دمشق ، ١٩٦٠) ، ص ١٧ .

(٣٨) را : الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٧٨ .

(٣٩) را : الجميلي ، من اعلام العارفين ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٤٠) را : ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٨ .

(٤١) م. ع. ، ص ١٤ .

(٤٢) را : الجميلي ، من اعلام العارفين ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٤٣) را : احمد الرفاعي ، حالة اهل الحقيقة مع الله ، تحقيق ابن منجع الواسطي (القاهرة ، ١٣١٥ هـ.) ، ص ٢ .

(٤٤) را : الصيادي ، التاريخ الأوحد ، ص ٨٤ .

(٤٥) را : احمد بن عياد الشافعي ، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ١١ .

(٤٦) را : محمد المدني ، الانوار القدسية (الاستانة ، ١٣٠٤ هـ.) ، ص ٢٥ .

(٤٧) ابن مشيش صوفي مشهور في المغرب العربي ، تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن المدني ، كان يؤثر العزلة ، تخرج على يديه مريد واحد فقط هو ابو الحسن الشاذلي . قتل ابن مشيش غيلة عام

٦٢٢ هـ. / ١٢٢٦ م. لمهاجمته ابن ابي الطواجن ، مدعي النبوة في المغرب آنذاك ، فقد حمل ابن مشيش عليه وعلى اتباعه بالمنطق وبالادلة الدينية ، الأمر الذي دفعهم الى قتله . را : عبد الحليم محمود ، ابن مشيش (القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص ٤١ .

(٤٨) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ١٣ .

(٤٩) را : الصيادي ، التاريخ الاوحد ، ص ١١٣ .

(٥٠) الوتري ، روضة الناظرين ، ص ٤٦ .

(٥١) را : محمد المدني ، الانوار القدسية ، ص ٣١—٣٢ .

(٥٢) عبد الحليم محمود ، ابو الحسن الشاذلي (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ٢٦ .

(٥٣) را : المدني ، الانوار القدسية ، ص ٢٧ .

(٥٤) Paul Nwyia , Ibn Ata'Allah (Beyrouth , 1971) , P. 30 .

(٥٥) را : علي احمد ابو النظر ، درة الاسرار وتحفة الابرار (الاسكندرية ، ١٩٣٥) ، ص ٢٨—٣١ .

(٥٦) را : المدني ، الانوار القدسية ، ص ٥١ .

(٥٧) م. ع. ، ص ٤٦—٤٨ .

(٥٨) جمال الدين الشيال ، اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ١٨٠ .

(٥٩) ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٤٨ .

(٦٠) را ، ابو النظر ، درة الاسرار ، ص ١٨٠ .

(٦١) فاطمة الشيرطية ، رحلة الى الحق ، (بيروت ، ١٣٧٣ هـ.) ، ص ٤٨ .

(٦٢) را : ابو النظر ، درة الاسرار ، ص ١٤١ .

(٦٣) اليشرطية ، رحلة الى الحق ، ص ٣٧٣ .

(٦٤) دائرة المعارف الاسلامية ، خورشيد يونس ، مادة حزب .

(٦٥) را : الشيال ، اعلام الاسكندرية ، ص ١٨٧ .

(٦٦) را : عبد الحليم محمود ، السيد احمد البدوي (القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص ٤٩ .

(٦٧) را : محمد علي قطب ، السيد البدوي (بيروت ، ١٩٧٢) ، ص ١١ .

(٦٨) م.ع. ، ص ٥٢ .

(٦٩) را : قطب ، السيد البدوي ، ص ٣٥ .

(٧٠) را : محمود ، السيد احمد البدوي ، ص ٨٤ .

(٧١) را : ابراهيم نور الدين ، حياة السيد البدوي (طنطا ، ١٩٥٠) ، ١٠٥ .

(٧٢) م.ع. ، ص ٧٢ .

(٧٣) را : نور الدين ، حياة البدوي ، ص ٧٢—٧٣ ، ٥٩ .

(٧٤) را : مجلة منبر الاسلام ، عدد شباط ١٩٧٥ ، ص ٢٢٠—٢٢٦ .

(٧٥) را : عياد ، التصوف الاسلامي ، ص ١٤٢ .

(٧٦) سلمان الفارسي ، ابو عبد الله ، اسلم مقدم النبي المدينة ، وشهد الخندق . مات بالمدائن في خلافة عثمان . وقالوا مات سنة ٣٦ هـ. / ٦٥٦ م. (السلمي ، الطبقات ، ص ١٣٢) .

(٧٧) كان مصارعاً ثم انصرف الى العبادة والذكر على يد السماسي مدة عشرين سنة . توفي في سوخار من قرى بخارى (عبد المجيد الخاني ، الحدائق الوردية في حقائق اجلاء النقشبندية (دمشق ، ١٣٠٦ هـ.) ، ص ١٢٣) ..

(٧٨) م. ع. ، ص ١٢٥ ، ١٤١ .

(٧٩) را : محمد علوان ، مجلة الاسلام والتصوف ، (القاهرة) عدد ١١ نيسان ، ١٩٦١ ، ص ١٩ .

(٨٠) را : محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ٢٨٩ .

(٨١) Louis Gardet , L'islam (Paris , 1967) , P. 238 .

(٨٢) را : احمد عطية الله ، القاموس الاسلامي (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ص ٦٢١ .

(٨٣) Marijan Molé , Les mystiques musulmans P. 111 .

(٨٤) ولد العطار عام ٥١٣ هـ. / ١١١٩ م. ، توفي ٦٢٧ هـ. / ١٢٢٩ م. وهو صاحب كتاب تذكرة الاولياء ، وكتاب منطق الطير ، والعديد من القصائد الصوفية . را : عطية الله ، القاموس الاسلامي ، ص١١٤

(٨٥) را : عبد اللطيف الطيباوي ، التصوف الاسلامي (القاهرة ، ١٩٢٨) ، ص ١٦٤ .

(٨٦) Molé , Les mystiques , P. 111 .

(٨٧) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٣٢٧ .

(٨٨) عبد السلام كفافي ، جلال الدين الرومي (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ٢٥ .

(٨٩) الندوي ، رجال الفكر ، ص ٣٢٨ .

(٩٠) Molé , Les mustiques , P. 112 .

(٩١) كفافي ، جلال الدين ، ص ٢٧ .

(٩٢) را : الطيباوي ، التصوف الاسلامي ، ص ١٦٥ .

(٩٣) كفافي ، جلال الدين ، ص ٢٨ .

(٩٤) را : الطيباوي ، التصوف الاسلامي ، ص ١٦٥ .

(٩٥) كفافي ، جلال الدين ، ص ٣٦—٣٧ .

(٩٦) م. ع. ، ص ٣٩ .

(٩٧) را : كفافي ، جلال الدين ، ص ٤٢ .

(٩٨) Molé , Les mustiques , P. 112 .

(٩٩) Titus Burckfardt , du soufisme (Lyon , 1951) , P. 68 .

(١٠٠) را : كفافي ، جلال الدين ، ص ٣٣ .

(١٠١) م. ع. ، ص ٣٣ .

(١٠٢) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٣٣٢ .

(١٠٣) Dermenghem , Vies des saints musulmans (Alger) , P. 294 .

الفصل الثالث

الاسس العامة للطرق الصوفية

القسم الأول : الالتقاءات والاتفاقات العامة :

١ ــ الشريعة والطريقة
٢ ــ الابتعاد عن الدنيا
٣ ــ الاحوال والمقامات
٤ ــ الشيخ والمريد
٥ ــ الكرامات
٦ ــ احتفالات عامة (ذكر ، مدائح نبوية ، موالد . . .) وعلاقات اجتماعيه .

القسم الثاني : نقاط الاختلاف بين الطرق تميز بعضها :

١ ــ الجذبة النقشبندية .
٢ ــ الرابطة النقشبندية .
٣ ــ الختم النقشبندي .
٤ ــ قواعد الطريقة النقشبندية .
٥ ــ تميز الخلوتية .
٦ ــ تميز المولوية .

الفصل الثالث

اسس الطرق الصوفية

القسم الاول :

من المتعذر اليوم تعداد الطرق الصوفية الموجودة ، وذلك لكثرتها وتفرعها عن بعضها البعض ، فقد يفتح الله على واحد من المشايخ بطريق الالهام ، ويؤتى حظاً كبيراً من الانوار القدسية ، كما يقولون ، فيكاشف بفائده ذكر اسم معين من اسماء الله الحسنى ، فيكون ذلك سبباً أو اساساً لانشاء طريقة صوفية (١) . وقد يقوم هذا الشيخ بوضع مبادىء لطريقته ، او يقوم بهذا العمل اتباعه حتى يتميزوا عن غيرهم من اتباع الطرق الأخرى .

وهذه الطرق تعتمد الاسس التالية :

١ ــ الشريعة والطريقة :

يرى اقطاب الطرق الصوفية ان مراعاة الشرع شرط اساسي في نظامهم الصوفي ، ويعلنون في كل مناسبة أن تصوفهم مقيد بالكتاب والسنة ، وأنه ليس هناك من تناقض بين الشريعة والحقيقة . فان كانت الشريعة تهتم باعمال الجوارح من الطهارة والصلاة والزكاة و . . . فان الحقيقة تحض على الخشوع والصفاء واخلاص النية و . . . في القيام بالعبادات .

فالجنيد الذي يعتبر امام الطائفتين (الفقهاء والصوفية) يقول : « من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به في هذا الأمر (التصوف) ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » (٢) .

ومؤسس القادرية الجيلاني كان من اعظم المعارضين لكل تصوف لا يتفق مع الكتاب والسنة ويحكمها في جميع الامور والاحوال ، كما انه كان من دعاة اخضاع الطريقة للشريعة : « كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، فطر الى الحق بجناحي الكتاب والسنة » (٣) .

ومن باب التمسك بالحدود الشرعية انطلق الجيلاني يهاجم المنحرفين ، الذين يدّعون التصوف ـ وهم موجودون في كل عصر ومصر ـ فيعلنون للملأ أنهم وصلوا الى مرحلة لم يصل اليها غيرهم ، لذلك لا يمكن ان تطبق عليهم قواعد الشرع وفروضه كما تطبق على غيرهم ، فينصرف الواحد منهم عن اقامة الشعائر وما امر به الدين . فجاء رد الجيلاني حاسماً في هذا الموضوع ، لا سيما ان بعض هؤلاء قد استباح المحرمات واقبل على المخالفات بحجة أن قلوبهم صالحة ونياتهم طيبة ، وانهم من اهل الباطن ... فيقول الجيلاني في حقهم : « ترك العبادات المفروضة زندقة وارتكاب المحظورات معصية . فالفرائض لا تسقط عن أحد في حال من الاحوال . ويجب على الجميع حتى الصالحين منهم والذين هم في ارقى المنازل ان لا يتخلوا عن الشرع ونواهيه » (٤) .

ولم ينس الجيلاني فئة المرائين ، الذين يتظاهرون بالورع ، فيديمون صيام النهار ، وقيام الليل ، ويأكلون ويلبسون الخشن ، لكن قلوبهم في ظلمة ، لا يتقدمون خطوة في الطريق الى الحق ، لأن اساس البناء الروحي في الاسلام ، كما يراه الجيلاني ، فقه القلب وتوجهه الى الحق بالايمان والتسليم . والفائز ، في نظر الجيلاني ، من طهر قلبه مما سوى الله ووقف على بابه بسيف التوحيد ، وصمصامة الشرع (٥) .

والرفاعي يقول : « من لم يزن اقواله وافعاله واحواله في كل وقت بالكتاب والسنة لم يثبت عندنا في ديوان الرجال (الصوفية) » (٦) . وقد حارب الرفاعي العادات الدخيلة في الطريق والتي ادخلتها جماعة من المتصوفة . فهو يرى بانه لا بأس بهذه العادات اذا تمكن الشيخ بواسطتها من اقتياد النفوس المتعلقة بغرائب العادات ، وعندما تتطهر نفوس المريدين يخرجون من قيود العادات الى اطلاق الشرع . لكن جماعة من اهل النقص ما لبثت ان عظمت تلك العادات ، التي جعلتها في صلب العبادات ، بل اهتمت بها اكثر من الاهتمام بالعبادات . فكان الرفاعي يحذر السالكين من هذا الانحراف ، اي ادخال العادة في العبادة ، ويوضح بانه مهما تكن هذه العادات مباحة فانها قد صيغت بعقل المخلوق ، والعبادات صيغت بأمر الخالق . وبين عقل المخلوق واوامر الخالق فرق شاسع ، لذلك يجب ان تكون غاية السالك من العادات تقريب النفس الى الله بما لا يكرهه (٧) . وهذا قول صريح بالتزام الشرع والابتعاد عن كل بدعة قد تدفع السالك الى الشذوذ عن الهدف الاساسي ألا وهو تطبيق الشرع . ودعوة الرفاعي للتأدب بآداب القرآن والتخلق باخلاق الرسول كانت تشمل الاولياء والوعاظ وشيوخ الاروقة والسالكين والخلفاء ...

وقد ارسل اليه الخليفة العباسي المستنجد بالله (٥١٠ـ٥٦٦ هـ. / ١١١٦ـ ١١٧٠ م.) يسأله النصيحة ، وذلك بعد ان سمع بزهد الرفاعي وتقواه . فأمره الرفاعي بتنفيذ احكام القرآن واتباع الرسول والاكثار من طاعة الله . وحذره من مغبة الابتعاد عن الشرع وذكره بمن باد من الملوك والخلفاء (٨) .

ولقد داب الرفاعي في تسليط الأضواء على فئة ، في زمانه ، انتسبت الى التصوف ليكشف زيف أدعاءاتها ويعزلها عن العارفين ويعريها على حقيقتها ليحذر المسلمين منها ، فحمل حملة عنيفة على هؤلاء الذين تجاوزوا حدود الشريعة وتخطوا معاني القرآن . اذ حاول هؤلاء التفرقة بين الدين والتصوف زاعمين انهم اهل باطن وان الدين لأهل الظاهر ، وان لكل منهما طريقاً خاصاً به . فكان الرفاعي يعتبر ان الدين يجمع باطنه لبّ ظاهره ، وظاهره ظرف باطنه ، ولولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح . فالقلب الذي هو نور الجسد ، لا يقوم بدونه ، ولولا الجسد لفسد القلب .

يضرب الرفاعي المثل بانسان تفرد قلبه بحسن النية ، وطهارة الطوية ، ثم قتل وسرق وكذب وتكبر واغلظ القول ... فما الفائدة عندئذ من النية والطهارة . كما انه اذا عبد الله وتعفف وصام وتواضع وابطن قلبه الرياء والفساد فما الفائدة ايضاً . فالظاهر والباطن لا غنى لكليهما عن الآخر . فكل حالة باطنة يأمر ظاهر الشرع بعملها ، كما أن كل حالة ظاهرة يأمر ظاهر الشرع باصلاح الباطن لها (٩) . ويرى الرفاعي ان الهدف الاسمى لطريق الصوفية هو نفسه هدف طريق الفقهاء ، كما ان العقبات التي تعترض الصوفية في السلوك هي ذاتها التي تعترض الفقهاء . فالطريقة ، في رايه ، هي الشريعة .. أو بعبارة أخرى الطريقة خاضعة للشريعة والفرق بينهما لفظي .

فالمادة والمعنى والنتيجة واحدة ، ولا يرى الرفاعي مجالا لأن ينكر الصوفي حال الفقيه ، او ينكر الفقيه حال الصوفي ، الا اذا كان الفقيه آمراً بلسانه ، وليس بلسان الشرع ، واذا كان الصوفي سالكاً بنفسه لا بسلوك الشرع . ويورد الرفاعي حواراً بين صوفي وفقيه ، يتساءل فيه عما يحل بالصوفي اذا قال له الفقيه : أأنت تقول لتلامذتك لا تصلوا ، لا تصوموا ، لا تقفوا عند حدود الشرع ؟ فهل يستطيع الصوفي ان يرد الا بـ : حاشا لله .

ويتساءل عما يحل بالفقيه اذا قال له الصوفي : أأنت تقول لتلامذتك لا تكثروا ذكر الله ، لا تحاربوا النفس بالمجاهدات ، لا تعملوا بصحة الاخلاص ؟ فهل يستطيع الفقيه أن يرد الا بـ : حاشا لله (١٠) . فلم يكن الرفاعي يجد تضارباً بين الشرع والتصوف . وقد هاجم الرفاعي كل متصوف تلفظ بكلام يعارض الشرع وفي مقدمة هؤلاء الحلاّج الذي نقل عنه قوله : انا الحق . فاعلن الرفاعي خطأ الحلاج في هذا الوهم وبيّن انه ، اي الحلاج ، لو كان على الحق ما قال انا الحق . وفي ذلك يقول : « لست اراه رجلا واصلا ابداً ، ما اراه شرب ، ما اراه حضر ، ما اراه سمع الا رنة وطنيناً فأخذه الوهم ، لأن من يزدد قرباً يزدد خوفاً » (١١) .

وقام الرفاعي بتصنيف لصوفية عصره ، فوجد ان اتباع الحلاج يميلون الى القول بالوحدة ، واتباع الجنيد يؤخذ عنهم الجمع بين الطريقة والشريعة . وهناك فرقة تذكر بحب المعالي ، وفرقة ترى الطريق الى الله بالذل له وللخلق ايضاً ، وفرقة تميل الى

الاغماض والتكلم بالرقائق (١٢) . . . ويخلص الى ان الموقف الاسلم في نظره هو التمسك بالشرع (١٣) .

ويعتبر الرفاعي ان أهل البدع لم يكتفوا بدس الاحاديث ونسبتها الى الرسول مما ينزه عنه ، بل انطلق هذا الفريق في الكذب على لسان الصوفية فادخلوا في كلامهم ما ليس منه . ثم تبعهم البعض فانحرفوا عن الخط السليم للتصوف الاسلامي المنسجم

مع الشريعة . ولذلك فان الرفاعي يعارض كل من ينكر على الصوفية اقوالهم وافعالهم الا اذا ردها الشرع (١٤) . ويحاول الرفاعي تبرير بعض اقوال الصوفية . فكان يعتبر ان حالة اهل الحب تأخذ القلب فيطيش العقل ويتكلم اللسان كلام من جنّ أو أغشي عليه . ويوضح بانه لو كان في زمن الحلاج لأخذ بالتأويل الذي يمنع اقامة الحد عليه ، ولقنع من الحلاج بالتوبة والرجوع الى الله لأن باب التوبة لا يغلق . من اجل ذلك كان الرفاعي يدعو المريد الى تأويل كلام بعض الصوفية (١٥) .

ولم يكن الرفاعي ليقبل مريداً الا بعد تأكده من ان هذا المريد يؤدي الفروض الدينية . ولا يقبل منه كلاماً لا ينسجم مع الشرع . وكل من سأله النصيحة ارشده الى اقوال الرسول وافعاله (١٦) .

والوقوف الى جانب الشرع ، كما يرى الرفاعي ، يفرض على المرء المدافعة عن العبادات والتكاليف الشرعية من صلاة وصوم وزكاة . . . وقد بين الرفاعي ان القيام بهذه الواجبات يؤمن صحة الابدان والنفوس ، والانطلاق نحو مجتمع افضل يحقق سعادة الفرد والمجتمع . وقد ركز الرفاعي طريقته الصوفية على هذه الواجبات الدينية ، اذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع . فالانسان لو عبد ربه مدة طويلة بطريقة غير شرعية ، فعبادته راجعة اليه ، وفي ذلك يقول :

وجه الشريعة اهدى   من سر ذاك وسري (١٧) .

ومن الشرع ايضاً نبذ الخلافات التي نشأت بين المسلمين ، لا سيما تلك التي انفجرت بين الامام علي ومعاوية . فان الرفاعي ، بالرغم من انه حفيد للامام ، يعتبر ان معاوية كان قد اجتهد فاخطأ وله ثواب اجتهاده وان الحق مع علي وله ثوابان . وفي رايه أن علياً اكبر من ان يختصم في الآخرة مع معاوية على الدنيا . فكان الرفاعي يأمر اتباعه بذكر جميع الصحابة بخير ؛ لا بل يدعو الى تعظيمهم والثناء عليهم وترك ما شجر بينهم من خلاف ، والكف عن ذكر معايبهم ، لأن في ذلك جمع الكلمة (١٨) .

لقد كان الرفاعي شديداً في امور الدين ، صعباً على الضالين ، قوي الشكيمة اذا انتهكت محارم ألله ، ينقض على المنحرفين والعاصين بسيف قاطع حتى يردهم الى الشرع . وفلسفته في ذلك ان التهاون في الواجبات الدينية ، واهمال قمع البدع واهلها يؤدي الى الضعف والتشتت . وعلى العكس من ذلك فان الانتصار لها ومحاربة البدعة يحقق خيري الدنيا والآخرة (١٩) .

اما الشاذلي فقد كان مثال المسلم الملتزم باوامر الشرع ونواهيه . وهو لم يدخل طريق الصوفية ، ولم يؤسس طريقة خاصة به ، الا بعد ان حمل لواء المناظرة في العلوم الظاهرة والا بعد أن حاز علوم الشريعة ، فكان يوصي اتباعه باداء الفرائض واجتناب المحارم (٢٠) .

ومن اتاه يسأله النصيحة يوضح له انه لا يملك القدرة على فرض شيء أو منع شيء لأنه ليس برسول ، فالفرائض معلومة والمعاصي مشهورة . فليس على السائل الا التزام جانب الشرع من حيث الاوامر والنواهي . وفي ذلك يقول : « اذا رايت رجلا يدعي حالا ، مع انه يخرجه عن امر الشرع فلا تقربن منه . ومن دعا الى الله بغير ما دعا به الرسول فهو بدعي » (٢١) . وقد شرب أحد ابنائه الخمر مرة ، فالتقطه احد تلامذة ابي الحسن ، في مدينة الاسكندرية ، واقام عليه الحد في الخمر وابو الحسن الشاذلي ينظر فرحاً مستبشراً ، لأن هناك من تلامذته من يسارع الى تطبيق الشرع وحدوده حتى الى اقرب الناس اليه (٢٢) . وكان الشاذلي يحذر اتباعه من القول بالحلول أو الاتحاد أو الشك المطلق ... ويعتبر ان شطحات البعض دخيلة على الاسلام ، ولا ينجو منها الا من تمسك بنصوص القرآن وسنة الرسول . يقول الشاذلي : « اذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف ، وقل لنفسك : ان الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة » (٢٣) .

وينضم الشاذلي الى مشايخ الطرق الذين يعتبرون ان غلاة الصوفية قد خرجوا عن الدين عندما اباحوا لانفسهم اسقاط التكاليف ، لأن هدف التكاليف ، في رأيهم ، هو القرب من الله . وطالما انهم قد وصلوا الى هذه الدرجة فلتسقط عنهم . وحجة الشاذلي في ذلك ان اقرب الناس الى الله هم انبياؤه ورسله ، ومع ذلك لم يرتفع عنهم التكليف (٢٤) .

ويرى الشاذلي أن التصوف روح الاسلام الشامل لظاهره وباطنه : اما الظاهر فهو العبادة الخالصة لله . واما الباطن فانه شهود تجلي الله بصفاته وافعاله . واعظم كرامة للانسان ، عنده ، هي كرامة الايمان ومتابعة السنة . وليست الكرامة الحقيقية في اظهار خوارق العادات وانما هي اتباع الشريعة . ولئن اصر الشاذلي على اتباع الشريعة ، فانه لا يستثني منها واحداً من العوام والسالكين والشيوخ والاولياء والانبياء ... لأن الشريعة هي السور العام الذي يحفظ التوحيد (٢٥) .

والشيخ خالد ذو الجناحين النقشبندي (ت ١٢٤٢ هـ. / ١٨٢٦ م.) يوصي اتباعه النقشبندية : « اما بعد ، فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الاكيد بشدة التمسك بالسنة السنية ، والاعراض عن الرسوم الجاهلية ، والبدع الردية ، وعدم الاغترار بالشطحات الصوفية » (٢٦) .

ونجد مثل ذلك في بقية الطرق الصوفية .

يعتبر الصوفية انفسهم من الداعين الى نصرة السنة في كل مكان ، وقد نصت اجازاتهم التي كانوا يمنحونها للسالكين ، على تمسكهم بالكتاب والسنة . وقد حرصوا على التماس الدليل من الكتاب والسنة لكل حركة من حركاتهم ، ودونوا في ذلك الرسائل والنشرات المختلفة .

ولئن حرص اقطاب الطرق على مراعاة جانب الشرع ، فان انحلال البلاد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، وانحراف بعض المشايخ ، وانتساب الادعياء والجهال ــ وقلما يخلو عصر منهم ــ الى الحركة الصوفية ... كل هذه الامور مجتمعة ادت الى انحراف كثير من الصوفية عن الالتزام باوامر الشرع والى ادخال طقوس واعمال على انهــا من الدين وهو منها براء . فأصبحوا عرضة لنقد العقلاء وسخرية المجتمع .

٢ ــ الزهد ، الابتعاد عن الدنيا :

لقد حارب الجيلاني الدنيا بسلاح الزهد الذي يعد اعظم مقام في الطريق .
وهو نفسه لم يصل الى الزهد الا بعد ان قاسى الأهوال ، ومر بالمجاهدات . فقد كان يلبس جبة صوف ويضع على راسه خريقة . ويصف الجيلاني معاناته للجوع ، ايام مجاعة بغداد ، فيقول : « كنت اقتات بخرنوب الشوك والبقل وورق الخس من جانب النهر والشط . وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد الى ان بقيت اياماً لم آكل فيها طعاماً . فخرجت يوماً ، من شدة الجوع ، الى الشط لعلي اجد ورق الخس أو البقل أو غير ذلك فأتقوت به . فما ذهبت الى موضع الا وغيري قد سبقني اليه ، وان وجدت فأجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حباً » (٢٧) . وظل الجيلاني يتبع سبيل المجاهدات والرياضات حتى جاءه الحال . فالدنيا اصبحت في نظره الى امد والآخرة الى ابد ، فلا بد من تنظيف القلوب بالمجاهدات والزهد للفوز بالباقية . والزهد الحقيقي ــ كما يراه ــ هو الذي يورث في القلب حزناً وفي البنية تحولا . فاذا تحقق هذا الحزن وهذا التحول ، جاء الفرج من الحق فيذهب الحزن .

ويوجب الجيلاني على المؤمن مراقبة الحق ، مراقبة الخائفين منه ، لأن الخوف في رايه شحنة في القلب ولا يتحقق ذلك الا بذكر الموت وبأنه غاية كل حي . فان ذلك يؤدي الى الزهد في الدنيا وترك اهل الفساد ومصاحبة الصالحين . عند ذلك تترقى درجة العبد الىالايمان ومنه الى الايقان ومنه الى المعرفة فالى العلم والمحبة (٢٨) .

لم يكن الجيلاني من دعاة الانقطاع عن الدنيا ، بل كان يدعو الى التمتع بالمباح والحلال . لكنه يعارض الانغماس في الشهوات ، والاقبال على اللذات بنهامة وجشع ، كما انه يعارض تعلق القلب بها . والاخذ من الدنيا ، في نظره ، مقتصر علي الحلال المباح ، ومشروط بالاحسان الى الفقراء والمحتاجين ، أو بدفع ديون العاجزين . والذين يفعلون ذلك هم الملوك ، فيرايه ، بينما ملوك الدنيا ينهبون ولا يهبون (٢٩) .

والطريق الى الله تعوقها الخوادع ، والشهوات والملذات ، فان وقف معها العبد

انقطع عن طريقه . وهذا ما دفع الجيلاني الى محاربة حب الدنيا مبيناً أن من تكن الدنيا في يده ولا يحبها فانه يملكها ولا تملكه ، فيستخدمها ولا تستخدمه ، ويتصرف بها ولا تتصرف به ، ولا تستطيع افساده . فلا خير في الدنيا ، في رايه ، الا لمن صرف ماله ووقته في وجوه البر والصلاح . وكان الجيلاني يردد امام اصحابه الحديث النبوي : « نعم المال الصالح للعبد الصالح » (٣٠) . فوجود المال الحلال في اليد لا غبار عليه . اما أن يدخل حب المال القلب ، ويملك على الانسان تفكيره فهذا لا يرضى عنه ولا يقبله مطلقاً .

وقد شاع عند بعض الناس آنذاك ان الواحد منهم يكتفي من حياته بالذكر والتسبيح وبالبطالة وعدم السعي وبذل الجهد والمساهمة في الاعمار وبالتردد على موائد الناس حيث ينال منها بنفاقه وادعائه . فيأتي الجيلاني ليضع الامور في مواضعها الصحيحة معلناً ان الله يحب العبد المطيع المؤمن ، الذي يأكل بكسبه وعمله ويبغض من يأكل بنفاقه ولا يعمل خيراً للعباد . ويحفز الكسالى للانطلاق نحو العمل واضعاً لهم قاعدة جليلة « كسب الحلال عبادة » (٣١) . ويعلم الجيلاني تلاميذه بان ليس هناك افضل من اطعام الطعام ولا اشرف من الخلق الحسن ، ولو كانت الدنيا بيده لأطعمها للجائع ، ولو اتته اموال كثيرة لفرقها على الفقراء . وتحقيقا لرغباته تلك كان يمد السماط كل ليلة ويأكل مع الفقراء والاضياف (٣٢) .

والرفاعي يعتبر الزهد اول قدم قاصدي الطريق الى الله ، ومن لم يتمسك بالزهد فانه لا يصح له شيء مما بعده من مقامات واحوال . والزاهد في نظر الرفاعي ، من تخلى عن كل شيء يشغل عن الله (٣٣) . والزهد في مفهومه ، لا يعرف العزلة والانطواء وتعذيب النفس ، ولا يعرف المظاهر الزائفة ، من البسة بالية وسخة . وانما أن يكون متاع الحياة في يد الانسان يصرفه وفق ما أمر الله به ، وان لا سلطان أو تأثير لهذا المتاع على قلبه (٣٤) . وقد رضي الرفاعي بالكفاف من العيش ، واشتهر بحبه للناس كافة ، وببذل نفسه وماله لهم ، فكانت الالوف تجتمع في مجلسه ، في كل يوم من ايام الاسبوع ، حيث كان يمد السماط صباحاً ومساء وهو وعياله لا يملكون من عرض الدنيا شيئاً .

وقد يتساءل المرء : كيف يتمكن الرفاعي من اطعام وكسوة هذه الالوف ؟ لقد كانت للرفاعي بعض الاوقاف التي تدر عليه بعض الاموال ، وكانت تأتيه اموال كثيرة من اغنياء الامصار لا سيما من العراق وايران والهند . فكان يوزع كل ما يصل اليه من اموال وامتعة (٣٥) . وكان يحث اتباعه على السخاء ، لانه في نظره من علامات الزهد .

وقد ابتعد الرفاعي عن الاضواء والمظاهر ، فلم يذكر له تزلف او تسكع على ابواب الخلفاء والامراء ، مع تواضعهم بين يديه ، الأمر الذي لم يزده الا ذلا وانكساراً لله . وكان يرى في الزهد الاقبال على الخدمة . فكان يخدم ضيفه ، ويحمل اليه بنفسه بعض الاطعمة ، والى بيوت الارامل والمساكين واصحاب الحاجات ، ويراف باليتيم ، ويقدم للعميان نعالهم ويقودهم الى المكان المقصود ، ويتواضع للفقراء ويعد نفسه واحداً

منهم ، فكان لا يتميز عن اي فقير من فقراء مجلسه (٣٦) .

كان الرفاعي بعيداً عن الانانية ، غير معتد بنفسه ، كثيراً ما يردد : « ربما كان فيكم من هو عند الله اجل مني فلست بمقدم على هذا الجمع ، ولا املك لنفسي شيئاً من الخير الا ان يتغمدني الله برحمته » (٣٧) .

وكان يدعو نفسه بأحيمد تصغيراً لأحمد . ولذلك دعا مريديه الى محاربة الغرور والكبر ، ذاكراً للمغرور اصله الوضيع ونهايته المحتومة ، وحاثاً اصحابه على التحلي بالاخلاق الكريمة التي يعتبرها في الذل والانكسار ، ويحذرهم من الاخلاق الذميمة التي يراها في العظمة والنظر الى عيوب الناس (٣٨) .

وكان ينصح مريديه بالقناعة لأن فيها وحدها حرية العبد ، بينما الطمع يجعل الحر عبداً . ويحذرهم من حب الدنيا لأنها فانية ودنية وكلها غرور ويشجعهم على تلاوة القرآن وتدبره وقيام الليل وينهاهم عن كثرة النوم والأكل ، وعن كثرة استعمال المباحات حتى تنطبق عليهم اوصاف الزهاد (٣٩) .

وفي ذلك ينشد الرفاعي بعض الابيات :

تعـــود سهـــر الليـــــل	فـــان النـــوم خســـران
ولا تركـــن الـــى الذنـــب	فعقبـــى الذنـــب نيـــران
وقـــم للواحـــد الفـــرد	فللقـــرآن خـــلان

ويصف حال الزهاد :

اذا جنهمـــوا الليـــل	فهـــم في الليـــل رهبـــان (٤٠) .

اما ابو الحسن الشاذلي فانه يعلن بان هذا الطريق ليس بأكل النخالة والشعير ، وانما هو بالصبر على الاوامر واليقين في الهداية . ويطلب من مريديه الاقبال على العمل وليجعل احدهم مكوكه سبحته ، أو تحريك اصابعه في الحياكة سبحته (٤١) . واشتغال الشاذلي بالعبادة لم يمنعه من ان يكون مزارعاً وتاجراً ، يتكسب عيشه ، وينفق من امواله على الفقراء والمعوزين (٤٢) . فكان لا يأمر احداً بترك حرفته أو تجارته ، بل يعرفه الطريق وهو باق على حالته . وكان لا يحب المريد الذي لا حرفة له . فكان من تلاميذه : الصابوني ، الزيتوني ، الخياط ... فالشاذلية لا يعرفون ، في الزهد ، هجر الاعمال للانصراف الى العبادة وحدها ، كما كان يفعل بعض رواد الزوايا ، حيث كانوا يعيشون في حالة من الخمول ، يسمونها الزهد ، وقد اندفع الكثيرون الى نعت الصوفية ، من جراء ذلك ، بالكسل في مجال الاعمال الدنيوية . فمريد الشاذلية يسلك الطريق وهو في عمله ، وحجتهم في ذلك انه ليس من سبب شرعه الله الا وهو مقرب العبد من الحضرة الالهية (٤٣) .

لكن اباحة الشاذلية لهذه المكاسب من حرف وزراعة وتجارة ... مقرونة بالتيقظ

والتثبت والتحرز من الوقوع في الشبهات . فيعمل المريد من اجل التعاون ، ومن اجل حسم الاطماع ، من اجل مساعدة غيره من الفقراء والمحتاجين (٤٤) .

والزهد الشاذلي لا يكون بلبس الثياب البالية الوسخة . فقد كان يحث اتباعه على لبس الملابس النظيفة ويدعوهم الى الاعراض عن لبس المرقعات ، او الأزياء التي اختص بلبسها جماعة من الصوفية لا سيما الخشن من الصوف . لأن هذا اللباس ، في رأيه ، كأنه ينادي على صاحبه « انا فقير فاعطوني شيئاً » وينادي على سر الفقير بالافشاء . لذلك يعتبر الشاذلي أن من لبس زي الصوفية التقليدي فقد ادعى . وكلن هو نفسه متجملا في جميع شؤونه ، يراه المرء فيحسبه من المتمسكين بالدنيا وزخرفها ، حتى اذا اختبر باطنه وجده افقر الناس . وما لبث تلامذته ومريدوه أن ساروا على نهجه (٤٥) .

ويحارب الشاذلي حب الدنيا ، لانه ، في رايه ، راس كل كبيرة ، ويعتبر ان من استغنى بالله عن الدنيا فقد فاز . ويتساءل الشاذلي : « كيف يستطيع انسان ان يستغني بها ومتاعها قليل ولذتها فانية » . ويخلص الى النتيجة التالية : « لا هدى الا لمن اتقى ، ولا تقوى الا لمن اعرض عن الدنيا ولا يعرض عنها الا من هانت عليه نفسه ، ولا تهون النفس الا عند من عرفها ، ولا يعرفها الا من عرف الله ، ولا يعرف الله الا من احبه ، ولا يحب الله ألا من اصطفاه الله واجتباه وحال بينه وبين نفسه وهواه » (٤٦) .

وهذا لا يعني ان الشاذلي يدعـو الى ترك الدنيا والعزوف عنها والعيش في صومعة ، وحرمان الجسد من حاجاته الضرورية ، وغير ذلك من الامور التي درج عليها معظم الزهاد . فالاسراف في ترك الدنيا ، في نظره ، مذموم ، لأن الانسان عند ذلك لا يؤدي حقوق بدنه ، فتنحل اعضاؤه ، ولا يلبث ان يعود بعد ذلك للاقبال على الدنيا يغب منها ويسرف في الاقبال عليها فتمتلك عليه فكره وارادته وحركته . فالشاذلي يحارب الميل القلبي الى الدنيا ، ويعتبر ذلك من قبيل الشرك في الطريق الى الله . لأن من غفل قلبه عن الله في عبادته أو عبوديته ، فكأنما يسخر من نفسه ويلعب بهذه العبادة . لكن لا يمانع الشاذلي في استعمال الدنيا باليد ، دون ان تنفذ الى القلب (٤٧) . وبهذا المعنى يقول لمريده : « برّد الماء ، فانك اذا شربت الماء الساخن وقلت الحمد لله ، قلتها بكزازة . واذا شربت الماء البارد ، وقلت الحمد لله استجاب كل عضو فيك بالحمد لله » (٤٨) .

من ذلك يتضح ان ابا الحسن كان يدعو الى التنعم بما هو مباح ، ولكن يحذر من امتلاك هذه النعم لناصية القلب ، حيث تصبح هي الهدف الاسمى للانسان . ويبين ان من بين علامات خروج الدنيا من القلب بذلها عند الوجود (٤٩) وهنا يدعو الشاذلي مريديه الاغنياء الى تصريف اموالهم في الوجهة التي امر بها الله ، حتى يستحقوا اسم الزهاد . ولبس الزي العادي واللين وأكل الطعام الشهي وشرب الماء البارد ... لا يوجب كل ذلك العتب من الله ، اذا اقترن بالشكر والاحسان ، ولا يتنافى مع الزهد في

الدنيا (٥٠) . ويخلص الشاذلي الى قاعدة عامة ، للاقلال او الاكثار من شهوات الدنيا : ذلك ان كل شهوة تدعو الى الرغبة في شهوة مثلها هي شهوة ممقوتة يجب الخلاص منها . وكل شهوة تدعو الى طاعة الله والى الرغبة في سبيل الخيرات هي شهوة محمودة (٥١) .

ولئن دعا الشاذلي الى شيء من الجوع والسهر فليس المراد من ذلك الافراط . حيث يتأذى الجسم وتضعف الحواس ، وتضمحل الافكار من تأثير الحرمان الشديد ، بل المقصود أن ينام الانسان عند النعاس ويرتاح عند التعب ويأكل عند الجوع ... فلا بد من قضاء الحاجات الضرورية للجسد على افضل وجه حتى يتمكن الانسان من اداء الفروض . وهذا ما جعل مشايخ الشاذلية ظرفاء في مأكلهم وملبسهم ومشربهم ومسكنهم لدرجة ان المرء لا يستطيع التفرقة بينهم وبين اهل الدنيا بسهولة .

والدنيا الممقوتة ، عند الشاذلي ، انما هي الدنيا التي تشغل وتلهي وتستعبد ، اما أمتلاك المال واقتناء العقار والثراءعريضاً أو غير عريض ، فلا مانع منه اذا خلا من المضار . وفي ذلك يقول الشاذلي : « اللهم وسع ارزاقنا وكثر اضيافنا ، واجعلنا من المتقين في سبيل مرضاتك ، قصداً بلا اسراف ولا تقتير ، وقنا من الشح والبخل ... » (٥٢) .

ويرى الشاذلية ان اهل الصفة كانوا فقراء ، في اول امرهم ، وكانوا يعرفون باسم اضياف الله . وبعد ان دارت الايام دورتها اصبح منهم الغني والامير . فكانوا في الفقر يصبرون وفي الغنى يشكرون . اذ الزهد ، في راي الشاذلية ، لا يختص بفقر أو بغنى وانما يختص بصدق التوجه الى الله (٥٣) .

٣ ــ الاحوال والمقامات :

« الحال معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب . ويزول بظهور صفات النفس . فاذا دام يسمى مقاماً . فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب . والاحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود » (٥٤) .

ا ــ التوبة :

كل داعية الى الله ، لا بد له من التذكير بالتوبة ، لأن الانسان ، في رأيهم ، عرضة لتغيرات وتقلبات شتى . والتوبة معروفة مذ كان الانسان على الارض .

والتوبة ، عند الصوفية ، اول مقام . وليست تركاً للذنب فقط ، وان كان الترك من لوازمها ، وانما هي فعل يتضمن اقبال التائب على ربه ، وانابته اليه والتزام طاعته . وهذا يستتبع ترك النواهي .

اقبل الجيلاني على فتح باب التوبة على مصراعيه ، امام جميع المنحرفين والعاصين ، وذكرهم بأن ولوجهم في هذا الباب كفيل باعادتهم الى طريق الحق

والصواب ، وفتح صفحة جديدة مع الخالق

يقول الجيلاني : « لا تيأس ايها الانسان من رحمة الله بمعصية ارتكبتها ، بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة ، والثبات عليها ، والاخلاص لها ، وطيبه وبخره بطيب المعرفة . فالفلاح لمن تاب من جميع الذنوب واخلص في توبته ، وانصرف الى خالقه بكل جوارحه » (٥٥) .

والصوفي ، بطبعه ، لا ينظر الى صغر الذنب ، بل الى عظمة الرب ، فيتوب عن كل شيء يشغل قلبه عن الله . لذلك يدعو الجيلاني الى التوبة عن الغفلة ، ويدعو الى اليقظة لأن في ذلك جنة الانتقياء . ومهما كثرت الذنوب في رأي الجيلاني فان التوبة الخالصة تمحوها (٥٦) .

والتوبة عند الشاذلي على نوعين :

١ ــ توبة عوام وهي على ثلاث مراتب : الأولى للكافرين حيث تكون توبتهم الى الايمان والاسلام . والثانية توبة الفاسقين الذين ارتكبوا الكبائر والمخالفات . والثالثة توبة عوام المسلمين عن الصغائر التي صدرت عنهم بسهو أو غفلة أو جهل .

٢ ــ توبة خواص وهي على مرتبتين : الأولى توبة الخواص وتكون عن الافكار المتعلقة في الدنيا . وهذا مقام عوام الأولياء وخواص المؤمنين . الثانية : توبة خواص الخواص عن اشتغال القلوب بغير ذكر الله ، وهي مقام خواص الاولياء .

واشترط الشاذلية على التائب امرين : الأول ان يوزع على الفقراء والصالحين ما تسمح به نفسه من الاموال ، لان حقيقة التوبة تكمن في ترك المعاصي والمخالفات باطناً ، فوجب ان يترك ما تيسر مما بيده للموافقة بين الظاهر والباطن .

الثاني ان يصوم ثلاثة ايام متواليات بنية التوبة .

ولهذه التوبة عند الصوفية آداب معينة ، كأن يصلي التائب ركعتين بنية صلاة التوبة ، اي انه صمم على ترك ما كان فيه من اثم وفساد (٥٧) .

ويفلسف الشاذلي الذنب عندما يعتبر انه لا يتوقع أن لا يعصى الله في مملكته ، حتى تكون الاهمية لمغفرته ورحمته ، وحتى تكون للرسول الشفاعة . لأنه لو لم يعص الله لما كانت هناك حاجة الى المغفرة والرحمة والشفاعة (٥٨) .

وبفضل التوبة تمكن الصوفية من اعادة كثير من المنحرفين الى الالتزام باوامر الشرع .

ب ــ الاستغفار :

وهو يتبع التوبة ، وهو طلب الغفران من الله ، بالقلب وباللسان . وهذا ما كان يطلبه مشايخ الصوفية من مريديهم حتى المشهورين منهم بالصلاح . فالاستغفار يمحو الذنوب (٥٩) .

ويضع الشاذلي اهمية كبرى للاستغفار . فاذا خامر سر المريد شيء من ذنب أو عيب فعليه أن يبادر الى الاستغفار . ومثله الاعلى في ذلك استغفار النبي ، بعد البشارة واليقين من الله بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فهذا في معصوم لم يقترف ذنباً ، فكيف بمن لا يخلو من ذنب في وقت من الاوقات (٦٠)

ويرى الشاذلي أن الاستغفار يزيد في الرزق وفي الحسنات التي تكتب للعبد ، لذلك وجب على المرء السالك لطريق الله ، حتى ولو لم يرتكب معصية تستوجب ذلك الاستغفار . وينصح المريد بانه اذا اراد أن يجعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب فعليه ان يلزم الاستغفار . واذا اراد أن يقلل ذنوبه ويقضي عليها فبالاستغفار أيضاً . على ان يصاحبه الخشوع والخضوع وبذل الحسنات والعبادة في الخلوات (٦١) .

وحقيقة الاستغفار ، عند الشاذلي ، ان لا يكون للانسان مع غير الله قرار ، فعندما ينظر الانسان الى اوصافه الذميمة يستعيذ بالله منها ، فيأخذ في الاستغفار والانابة . ذلك أن الاستغفار ، عندهم ، هو طلب الستر من الاوصاف الذميمة والعزم على تركها نهائياً واحلال الصفات الحميدة التي أمر الله بها ، فيصل المريد بذلك الى مرتبة الخضوع للاحكام الالهية وترك منازعة الاله ، والوقوف عند حدود العبودية (٦٢) .

وكان الشاذلي يردد لمريده : « اذا اردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، اللهم أغفر لي ذنبي . . . » (٦٣) . ويوجب على مريده قول : « اعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك . واعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب فانك لسريع العقاب وانك لغفور رحيم » (٦٤) . وهذا القول وضعه الشاذلي لمن اراد ان لا يضره ذنب .

وهكذا يلجأ كل شيخ طريقة الى وضع صيغ للاستغفار ويطلب من مريديه تردادها ، لأنهم يعتبرون ان فيها العلاج الناجع لما ارتكبوا من ذنوب واخطاء .

ج ــ القبض والبسط :

قلماَ يخلو الانسان من القبض أو البسط ، اللذان يتعاقبان عليه كتعاقب الليل والنهار . « وهما حالتان ، بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء . فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن . والفرق بينهما ان الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه او محبوب . والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت ، يغلب على قلب العارف من وارد غيبي » (٦٥) .

واسباب القبض كما يحددها الشاذلي ثلاثة : ذنب اقترفه الانسان أو ضياع بعض متاع الدنيا ، أو اذى يأتيه من قبل ظالم مستبد . ويوجب الشاذلي على الأول ان

يتوب وينيب ، وعلى الثاني أن يرضى ، وعلى الثالث أن يصبر ويدعو الله للتخلص من هذا الظلم .

واسباب البسط عنده ثلاثة ايضاً : الاول زيادة الطاعة أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة . الثاني زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة . الثالث المدح والثناء من الناس .

وعلى كل واحد من هؤلاء الذين اصابهم البسط ، أن يرى النعمة والمنة من الله في تيسير هذا الأمر له . وعليه أن يحذر من نسبة هذه الامور الى نفسه وأن يتخلى عن الخوف من فقدان هذه النعم (٦٦) .

ويضع الصوفية آداباً للقبض والبسط : من آداب القبض : الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجاري الاقدار . فالقبض عندهم شبيه بالليل الذي من شأنه الرقاد والهدوء والخشوع . ومن آداب البسط : كف الجوارح عن الطغيان لا سيما اللسان . لأن النفس متى فرحت بطرت وخفت ونشطت ، فربما تلفظ المريد بكلمة لا يقيم لها بالا ، فيسقط ، في نظرهم ، في مهاوي القطيعة . لذلك فهم يعتبرون البسط مزلة اقدام . فاذا احس المريد بالبسط ، اوجبوا عليه لجم نفسه بلجام الصمت (٦٧) .

د ــ الوجد والفقد :

يوضح الشاذلي أن الفقد والوجد متعاقبان ايضاً ، ولا بد للمريد حيالهما من الاتصاف باربعة امور : الشكر على نعم الله ، والرضا بما قسم ، وبذل الفضل ، وتسليم الأمر لله في كل امر ومقصد (٦٨) .

هـ ــ التوكل :

يعتبر الصوفية ، ان التوكل على الله اعظم وسيلة ، لما ينشده المريد من التقرب الى الله .

والتوكل ، في نظرهم ، من صفات المؤمنين . وينحصر في الخضوع والاستسلام للارادة الالهية . فلا يعتمد الانسان على غير الخالق ولا يفوض امره الا اليه ، ولا يخشى غيره ابداً . وفي القرآن آيات كثيرة تحث على التوكل . وقد الصقت بالتوكل امور عديدة ، دفعت ببعض الصوفية الى ترك الاسباب . فقام مشايخ الطرق يناهضون هذا الفريق . وفي طليعة هؤلاء الجيلاني الذي كان يدعو الى تفويض الامر الى الله (٦٩) . ويضرب الجيلاني مثلا بشخص تجرد عن ارادته واختياره واستسلم لقضاء الله وارادته ، وذلك بعد أن مر بمراحل عديدة : فقد ابتلي هذا الشخص بأمر ، وحاول ان يتخلص منه بنفسه ، فلم يتمكن . ثم سعى يطلب المعونة عند ارباب المناصب والاموال وعند اهل الطب . فلم يجد ، عندئذ رجع الى ربه بالدعاء والتضرع . فلو حققت له نفسه طلبه لما رجع الى الخلق . ولو حقق له الخلق طلبه لما رجع الى ربه . واذا لم يتحقق طلبه عند الله فعليه ان يديم السؤال والدعاء والافتقار مع الخوف والرجاء . وعندما

ينقطع عن جميع الاسباب ، في راي الجيلاني ، ينفذ فيه القدر . فلا يرى الا فعل الحق فيصير موقناً موحداً ضروره (٧٠) .

ويؤنب الجيلاني كل من يعرض عن الحق ، ويقبل على الخلق الذين في رايه ، ليس بأيديهم نفع أو ضرر ، عطاء أو منع . فيدعو الناس الى تسليم الامور الى الحق فهو اعلم بهم منهم : « فان اراد الله ان ينفع رجلا على ايدي العباد نفعه ، وان اراد أن يضره على ايديهم كان ذلك . فان الله وحده هو المسخر والملين والمقسي للقلوب ، وهو المعز والمذل والممرض والمعافي ... » (٧١) . فالجيلاني يؤمن بان الله هو القوة الوحيدة التي تملك الخير والشر والتي تأخذ بنواصي العباد ، وتسيطر على ضمائرهم وعلى سعيهم . فعلى المريد أن يقطع الاسباب ، ويخرج من حوله وقوته ، ويستسلم للارادة الالهية بلا لم ولا كيف ، ويتقبل بالرضا والابتسام كل ما يعرض له من خير أو شر ، لأنه لو اجتمع مع اهل الارض جميعاً على ان يجلب لنفسه شيئا لم يقسم له لما قدروا على ذلك ، كما يرى الجيلاني . ويستتبع ذلك عدم طلب ما لم يقسم للانسان (٧٢) .

ويعتبر الجيلاني أن الواحد منا عبد من يملك زمامه . فاذا اراد الانسان الفلاح ، فعليه ان يسلم قلبه ليد الحق ، ويتوكل عليه حقيقة التوكل ، لأن الله اعرف بمصلحة العبد . فعند ذلك يتوجب على الانسان أن يسكت ، ويلتزم الاطراق الى ان يأتيه الاذن من الله لأن ذلك أولى من الدعاء والتضرع الذي لا يجلب منفعة غير مقدرة ولا يخلص من مضرة قسمها الله (٧٣) .

قد يظن المرء ، للوهلة الأولى ، ان الجيلاني وغيره من مشايخ الطرق ، يرون ان الانسان كالريشة في مهب الريح ، ما عليها الا ان تنصاع للتيارات الجارفة . لكنهم ، اي الجيلاني والمشايخ ، يحثون المريدين على عدم الوقوف مع السابقة والاتكال عليها ، كما يقولون بل على الانسان ان يجتهد في تحصيل الايمان وان يتعرض لنفحات الحق (٧٤) . لأن الله امر العبد بامور وضمن له ضماناً . فان قام بها العبد بصدق واخلاص ، قام الله بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج . ولئن اهتم الجيلاني باعتماد القلب على الله وحده ، وعدم تطلعه الى الدنيا أو الآخرة ، فان الانسان ، عنده ، متى وصل الى هذه المرحلة من القرب ، لا تضره مباشرة الاسباب . والقول توكلت على الله ، مع اعتماد القلب على غير الحق لا ينفع . فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء آخر . ويخطىء من يظن ان التوكل ، في راي مشايخ الطرق ، يعني ترك الاسباب وعدم السعي لتدبير المعاش ، بل معناه انحصار الأمل في الخالق والالتجاء الى تدبيره وحكمته . ولقد راينا حث مشايخ الطرق لمريديهم على العمل والاعمار .

و ــ المراقبة :

في اصطلاح الصوفية « هي استدامة علم العبد ، باطلاع الرب وتسليط هيبة

حضور الحق ، ونظره على القلب وسائر الاعضاء ، في حركاتها وسكناتها . تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » (٧٥) .

والمراقبة عند الصوفية اصل كل خير ونجاة ، ولكن المريد لا يتوصل اليها الا بعد محاسبة نفسه على ما مضى ، واصلاح احواله الحاضرة . وتتضمن المراقبة ملأزمة القلب معنى اسم الذات . لذلك يحرص المشايخ على الطلب الى المريد بان يذكر بالصيغ المعروفة ، عدة مئات من المرات يومياً ، باللسان وبالقلب ، حتى يظل المريد في حال المراقبة التي يتمكن بفضلها من تنوير باطنه ، كما يدعون ، بنور الهداية (٧٦) . ومن لم يمر بالمراقبة لا يصل الى مرحلة الكشف . لان من راقب الله في خواطره عصمه في جوارحه .

وللمراقبة عندهم عدة درجات ومراتب :

١ ــ مراقبة الحق في السلوك الى معرفته على الدوام .
٢ ــ مراقبة الاقربية ، يقصدون بها أن الله اقرب الى الانسان من نفسه .
٣ ــ مراقبة البصرية ، أي ان الله ينظر الى الانسان في جميع حركاته وسكناته .
٤ ــ مراقبة العلمية ، أي انه تعالى يعلم ما في القلوب في كل آن ، فعلى المريد أن يصون قلبه .
٥ ــ مراقبة الفاعلية ، اي ان افعال الانسان من افعاله تعالى ، فيحصل للمريد الرضا .
٦ ــ مراقبة الملكية ، اي ان ذات المريد وما يملك ملك لله ، فعلى المريد تسليم الأمر اليه .
٧ ــ مراقبة الحياتية ، بمعنى ان الحياة الابدية انحصرت بالمولى . فعلى المريد ان يفني ذاته في ذات الله .
٨ ــ مراقبة المحبوبية ، فيجب على المريد ان يكثر من النوافل ليحصل على محبة الله .
٩ ــ مراقبة التوحيد الشهودي ، بمعنى ان المريد اينما اتجه فانــه يــرى الله بعين البصيرة (٧٧) .

ز ــ الكشف :

يرى الصوفية أن الانسان مشتمل على عالمين : عالم الهيكل وهو الجسم المحسوس المشهود ، وعالم السر وهو مجتمع من العقل والروح . ويعتبرون أن الجسد سفلي يتعلق به ما سفل من الامور من طعام وشراب ولباس وشهوة وراحة ... فهذه الاحوال تدل على ان عالم الجسد سفلي في نظرهم . اما عالم السر فانهم يعتبرونه عالماً علوياً يتعلق به العلم والمعرفة والترقي والوصول الى حقائق الاشياء . هذا العالم ، في رأيهم ، مكبل بحجاب الوجود . فاذا رفع السالك عنه الحجاب بالرياضة الروحية تلقى النور الالهي المنكشف للقلب . فينظر حقائق الاشياء ، وعند ذلك يترقى المريد الى مرتبة الصديقين . ويحسب الصوفية الانسان ، من المقربين الى الله ، بمقدار اضمحلال حجاب الوجود واطلاق نور الروح . اما اذا أطمس ذلك النور بالحجاب ، وسلبت فكرة

العقل بظاهر الهيكل السفلي ، عند ذلك يحسب صاحب هذا الشأن من المبعدين ، فينحط من منزلة القرب ، وذلك بنسبة متوافقة مع غلظة حجابه . ويتفق مشايخ الطرق على أن الذي يدفع الى الكشف هو اشتغال المريد بالذكر (٧٨) .

ح ـ المحبة :

المحبة حال شريفة عند الصوفية . وقد ورد في القرآن أن الله يوصف بانه يحب العبد ، وأن العبد يوصف بانه يحب الله . « فمحبة الحق للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه ، كما أن رحمته ارادة الانعام . فالرحمة خاص من الارادة ، والمحبة اخص من الرحمة . فاراد ةالله ان يوصل الى العبد الثواب والانعام تسمى رحمة ، وارادته أن يخصه بالقربة والاحوال العلية تسمى محبة » (٧٩) .

ومحبة العبد للخالق تكمن في الرضا والتعظيم له وكثرة الاستئناس بذكره ، وتتضمن المبادرة الى اداء الطاعات من فروض ونوافل واجتناب للمعاصي « واما المفهوم من صفات محبة الخلق للمحبوب والاستئناس به ونحو ذلك فالله تعالى منزه عنه . وعلامة حب الله للعبد حب العبد له . ومحبة العبد لله هي حالة يجدها في قلبه » (٨٠) .

وعلى هذا درج مشايخ الصوفية الذين يبينون ان المحبة مطلوبة شرعاً ، وأن الآيات القرآنية تحث على محبة الله واتباع تعاليمه . ولا يرضى مشايخ الطرق بوصف المحبة بالعشق لله . لأن العشق في رايهم مجاوزة الحد في المحبة ، ولا يجاوز احد في محبة الله قدر استحقاقه ، بل لا يبلغ ذلك القدر ولو اجتمعت محبة الخلق كلهم كما يرون (٨١) .

ويبين الشاذلي أن لا تقوى الا لمن اعرض عن الدنيا ، ولا يفعل ذلك الا من هانت عليه نفسه ، ولا تهون النفس الا لمريد عرفها ، ولا يعرفها الا من عرف الله ، ولا يعرف الله الا من احبه ، كما يرى ، ولا يحب الله الا من اصطفاه وحال بينه وبين نفسه (٨٢) . فعلى الانسان الاقبال على محبة الله بنزاهة وتوقير . وعندما تتمكن هذه المحبة من عبد ، تأخذ من قلبه كل شيء سوى الله ، فتميل النفس الى طاعة المولى ، ويتحصن العقل بمغفرته ، وتنجذب الروح في حضرته ، وينصرف السر الى مشاهدته ... ويستزيد العبد ، في نظر الشاذلي ، فيزاد ويكسى حلل التقرب من الله (٨٣) .

ويعتبر الصوفية ان حب الله هو محط رحال كمل العارفين ، فالنقشبندية تعتبر ان اقرب الطرق الى الله تكمن في حبه ، ولا يصفى حبه حتى يبقى المحب روحاً بـلا نفس ، كما يدعون ، ومن طاوع نفسه فلا يذوق محبة الله (٨٤) .

ومؤسس المولوية كان يدعو الى الحب لأنه ، في رايه ، يحول المر حلواً والتراب تبراً ... ويعتبره الجناح الذي يطير به الانسان المادي الثقيل في الاجواء . والحب عند جلال الدين يخلص الانسان من كل علة ، وهو دليل على صحة الروح ، فليس ، عند

جلال ، من طاعة افضل منه . وحتى يكون الانسان محبوباً ، لا بد من صفات لا تتيسر لكل مخلوق ، ولكن لكل منهم نصيب في ان يحب . فاذا لم يكن المرء محبوباً فليس من مانع ان يكون محباً . ولكن الى من يوجه هذا الحب الذي هو نور الحياة وقيمة الانسان ؟ لا يتوجه الحب ، عند جلال ، نحو من كتب عليه الفناء والافول ، لذلك على الحب ان يتجه نحو الخالد الذي لا يموت ، والذي يفيض الحياة على كل وجود . فالارتباط عنده ، وثيق بين الحب والتوحيد . لأن التوحيد يقطع كل ما عدا الله ، والحب شعلة تحرق كل ما سوى المحبوب (٨٥) .

وموضوع المثنوي محبة الروح لله ، وتوقها للرجوع الى خالقها ومصدرها . وكان جلال جاداً في رسم الطريق التي تسير بالروح صعوداً (٨٦) .

ومحبة جلال للخالق ، دفعته الى الدعوة الى الاخاء البشري الشامل ، ونبذ الحروب ، والمساواة بين الناس مهما اختلفت الوانهم واشكالهم . وقد اعتبر حروب البشرية كصراع الاطفال ، لا معنى لها ولا لب . وكان يحث الناس على التفاهم . ويخاطب الحاج ويقول : « فاذا كنت حاجاً فاطلب لك رفيقاً من الحجاج سواء اكان هندياً أو تركياً أو عربياً ولا تنظر الى صورته ولونه بل أنظر الى عزمه وقصده . فان كان اسود اللون ، فان له ذات قصدك . ان اللون الظاهري يكون للثور . أما الانسان فانشد في باطنه الالوان . فالالوان الجميلة تجيء من وعاء الصفاء . واما لون الاشرار فمن ماء الجفاء الاسود » (٨٧) .

وكان جلال يحث الناس على الابتعاد عن الصراع الديني ونبذ التعصب . وقد حفل المثنوي بالقصص التي تسخر من التعصب الديني لا سيما قصة ملك اليهود الذي اضطهد النصارى ، والتي وردت في الكتاب الأول من المثنوي . لقد رأى جلال الجرائم التي ارتكبت باسم الدين ، فكان يوصي اتباعه ومريديه بمسالمةاهل الاديان المختلفة . وقد نادى بتكامل الرسالات السماوية ، حيث يرى ، أن جوهرها واحد . ونادى بتعاون الانبياء جميعاً على مر العصور في هداية البشر (٨٨) . ويضرب الامثال فيقول : « ان انت وضعت عشرة مصابيح في مكان واحد ، فقد يكون كل منها مختلفاً في صورته عن الآخر ، ولكنك لا تستطيع ان تفرق بصورة قاطعة بين نور كل منها اذا نظرت الى نورها » (٨٩) . وعن الجوهر الواحد يقول : « وان انت عددت مائة من ثمار التفاح ، فان هذه لا تبقى مائة بل تصبح واحدة حين تعصرها » (٩٠) .

لقد انطلقت دعوة جلال الى المحبة ونبذ التعصب من عقيدة اسلامية راسخة في نفسه . فكان يحث جميع بني البشر كي يجتمعوا على المحبة وكي يعيشوا في وئام ، والا يجعلوا من الدين ذريعة للعدوان . وتوجه بمحبته نحو الاله الواحد الذي يمكن ان يجتمع حوله البشر بمختلف اديانهم وطوائفهم (٩١) .

وقد بادله اصحاب الديانات الأخرى محبة بمحبة ، وقد تجلى ذلك عندما خرجت جنازته في قونية ، فازدحم عليها اهل المدينة من مختلف الطوائف وهم يبكون ويتلون

القرآن والانجيل والتوراة . وبلغ ذلك حاكم قونية فقال له رجـال الدين المسيحي واليهودي : « به عرفنا حقيقة الانبيـاء السابقين ، وفيـه رأينـا سيرة الاوليـاء الكاملين » (٩٢) . ولم تصدر هذه الشهادة الا لأن جلال كان قد رفع الحب الى مبدأ كوني (٩٣) .

والرفاعي كان يدعو المريد الى أن يملأ قلبه وروحه ووجدانه بمحبة الله ، فينبثق من تلك المحبة حب الناس ، بل حب كل انسان وحيوان ونبات . . . حب للكون كله ، لأن الكون في نظره ليس جمادا بل هو كائن حي مدرك ، له احساسه وشعوره وله تسبيحه للخالق (٩٤) .

٤ ـ الشيخ والمريد :

تتفق الطرق الصوفية كافة على أنه لا بد للمريد من ان يسلك على يد شيخ واصل ، أو مرشد كامل ، كما تسميه بعض الطرق . فهو الذي يرشد المريد ويؤدبه . وهذا الشيخ نال الاجازة في الطريقة عن شيخ آخر ، وهكذا عبر سلسلة مشايخ تصل الى الرسول (ص) فالشيخ وسيط المريد الى ربه . ومن هنا تأتي ضرورة السلوك على يد شيخ عارف باحوال ومقامات طريق الوصول . ويعتبر الصوفية ان من لا شيخ له كان الشيطان شيخه ، ومن لا شيخ له لا يفلح ابداً .

والمرشد الكامل يجمع بين الشريعة والحقيقة ، ويتبع تعاليم الرسول وافعاله واقواله ، وهم يعتبرونه ، نائباً للرسول . ووجوده في نظرهم امر نادر ، لذلك على المريد ان يطوف البلاد ، كي يتصل به ويأخذ عنه وينصبغ بصبغته واخلاقه ، اذ ليس للسالك قدرة ، في ابتداء سلوكه ، ان يصل الى معرفة ربه . وهذا ما يقتضي منه التماس مرشد يوصله الى ما يبغيه .

ويعتبر الصوفية أن المطلب الاسنى لهم هو الوصول الى جناب القدس . ولما كان للطالب ، في الابتداء ، تعلقات شتى وان الله في كمال التقديس والتنزيه والمناسبة ، فلا بد من مرشد يكون برزخاً لوصول الطالب الى المطلوب « وبقدر ما يحصل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب ، يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين . ومتى حصل للطالب المناسبة التامة ، خرج المرشد من البين بالكلية واوصله الى المطلوب من غير توسط . ففي الابتداء والوسط لا يمكن شهود المطلوب دون مرآة المرشد . وفي الانتهاء ينجلي له جمال المحبوب دون واسطة ويحصل له الوصول » (٩٥) .

ووجود الشيخ ، في الطرق كافة ، ضروري لايصال المريد الى مرحلة الخضوع التي هي الغاية القصوى من ذكره . ومقام الاحسان لا يصل اليه المريد الا بالسلوك على يد شيخ كامل ، ولو حفظ المريد كتباً متعددة ، فانه لا يستغني بها عن تربية مثل تربية الشيخ ، فهو الذي يخلصه من رعونات نفسه الامارة بالسوء ، كما يقولون ، ومـن دسائسها الخفية (٩٦) .

ويرى النقشبندية ان هذا المرشد يفيض على مريده رائحة الانس بالله ، فيبتهج المريد بالنظر الى بدائع قدرة الله وجمال جلاله الظاهر في المخلوقات ، فحينئذ يترك المريد الالتفات الى الصور الفانية واللذات الزائلة . ولئن وضع النقشبندية وغيرهم تلك الاهمية الكبرى لمصاحبة الشيخ ، فقد اعتبروا ان الانسان يتخلق باخلاق من يصاحبه . وبفضل هذه الرياضة الروحية التي تنتقل الى المريد من شيخه يصل الأول الى أعلى مراتب الكمال ويصبح حاكماً لنزعاته غير محكوم لها (٩٧) . وعلى المريد اطاعة شيخه في كل الاوامر والنواهي ، مهما بدت مخالفة للمنطق والاعراف ، وعليه بالصبر كي يتمكن من تحصيل الطريقة . ولعل اكثر ما يهتم به الشيخ هو التربية الباطنية لجمهور المريدين (٩٨) . وقد منحت الطرق الصوفية للشيخ المرشد سلطاناً مطلقاً على المريد ، واوجبوا على المريد اطاعة شيخه اطاعة عمياء لا تردد فيها . ويتمثلون على ذلك بان يكون المريد بين يدي شيخه كما يكون الميت بين يدي الغاسل .

وفي نظرهم ان الشيخ عادة لا يأمر بغير اوامر الشرع ، فان صادف المريد بعض الامور التي يدل ظاهرها على مخالفة ، فعليه بالتأويل كما تنص على ذلك قصة النبي موسى مع الخضر . وعلى المريد ان يطلع شيخه على جميع احواله ، لأن الشيخ المرشد ، عندهم ، كالطبيب يجب ان يطلع على احوال المريض حتى يتمكن من دفع امراضه . وعلى المريد أن يفضل شيخه على نفسه وماله وولده . والتعظيم لمشايخ الطريقة واجب على كل مريد لأن نسبة هذا الشيخ اليه كنسبة الابوة المعنوية ، التي تعتبر في نظرهم اشرف من الابوة الظاهرية (٩٩) .

ويضع الجيلاني ثلاث مراحل حتى يصل الشيخ الى مرحلة الارشاد :

المرحلة الأولى : تتضمن تنقية القلب من حب المال والأهل والولد ، وحتى عن طلب الولاية والمنازل والمقامات والجنات والدرجات . . . فلا يبقى في القلب امنية ولا ارادة .

المرحلة الثانية : امتلاء القلب بفعل الله وحبه وارادته .

المرحلة الثالثة : وعندها لا تضر القلب الاسباب من الولد والأهل (١٠٠) .

فهؤلاء الاولياء ، في راي الجيلاني ، يتولاهم الله فيربي ظواهرهم بيد حكمته ، وبواطنهم بيد علمه ، فلا يخافون من غيره ولا يرجون غيره ولا يأخذون الا منه ، ولا يعطون الا فيه ، وهم يستوحشون بغيره ويستأنسون به ويسكنون اليه وحده . فهذه هي صفات الاولياء ، كما يراها مشايخ الطرق .

ومن اجل ذلك كانوا يحكمون بالنفاق على كل مدع للولاية يتزلف للملوك ولأهل الدنيا حتى ينال عندهم الحظوة (١٠١) .

ويضع الرفاعي شرطين اساسيين للاعتراف بالشيخ المرشد : الايمان والتقوى . ويرى أن صفات الشيخ يجب أن تشتمل على المحافظة على الشرع وان يكون عالماً في فقه الدين غير جاهل . يعرف كيف يصلي وكيف يصوم وكيف يزكي . . . ولقب الولي

ليس لقباً ابدياً ، عند الرفاعي ، اذ ربما سقط عن ولايته وسلك مسلك الفجار ، كما ان الفاجر ربما رزق الولاية بفضل توبته ومناجاته من صميم القلب (١٠٢) .

ونظراً لهذه الاهمية التي تعطى للشيخ المرشد ، فان كثيراً من المتصوفة انحرفوا عن الطريق السليم ، وبداوا بالاستنجاد بالاولياء والاستغاثة بالصالحين ، عند الشدائد .

وكان الجيلاني أول من يحذر ويتوعد . ذلـــك ان هذه الفكرة كانت منتشرة قبله ، وانتشرت من بعده ايضاً ، اذ انها تجد مرتعاً خصباً عند الجهال . فيتوجهون بالنذور والابتهالات لهؤلاء الاولياء طالبين مساعدتهم في دفع ضر الم بهم ، او جلب منفعة لهم . وقد انقسم المسلمون ازاء هذا الأمر الى طوائف : فبعضهم يرى ان الاستغاثة بالاولياء والمشايخ جائزة شرعاً ، ويعللون قبولهم ذلك بان هذا الطلب لا يتضمن معنى العبادة ، لأن المعبود واحد وهو الله ، وانما ينادون من ينادون على وجه الشفاعة عنده ؛ اذ يعتقد هؤلاء أن الله يمد المشايخ بمدد من عنده . وبواسطة هذا المدد يتمكن الأولياء من مساعدة المحتاجين والمستغيثين (١٠٣) .

وبعضهم الآخر يرى انه لا يتوسل بمخلوق اصلا باستثناء النبي . فالى اي الفريقين يتجه الجيلاني ؟ قد يقال بانه هو الولي فكيف يستغيث بغيره ؟ او انه القطب فكيف يتجه الى من هم دونه يطلب الغوث منهم ؟ لئن كان الجيلاني ولياً فان ذلك لا يعني ان الفترة السابقة لوجوده كانت خالية من الأولياء الذين وصلوا الى مرتبته ان لم يكن الى مرتبة اعلى . وقد ذكر تلامذته انه اذا الم به نازل ، أحسن الوضوء وصلى ركعتين ثم بدأ بالصلاة على النبي حتى يفرج الله عنه (١٠٤) .

اما الرفاعي فكان يحذر اتباعه من جعل رواقه حرماً ، وقبره صنماً من بعد وفاته ، محارباً بذلك كل دعوة للانحراف كان يتوقع حدوثها . لكن صيحته تلك ذهبت ادراج الرياح . واذا بام عبيدة (مكان دفنه) تضيق بالخيام المضروبة لاناس اندفعوا من شتى الاقطار لزيارة قبره والتبرك والتوسل به لقضاء الحاجات الأمر الذي يتعارض مع ما كان يطلبه من المريدين .

من جهة ثانية كان الرفاعي يدعو الى محبة الأولياء والتقرب اليهم ، وعدم التعرض لهم بأذى ، لأن في هذا التعرض بعد عن محبة الله والتقرب اليه . ويدعو الى عدم تفضيل المشايخ ، لأن الله الذي رفع بعضهم فوق بعض هو الذي يعلم درجاتهم . اما الانسان فانه لا يعلمها (١٠٥) .

وقد سأله بعض المريدين ان يدعو لهم ، فاجابهم الرفاعي : « ومن انا حتى ادعو لكم اني عبد فقير مثلكم لا اعد بشيء بل لا املك لنفسي شيئاً ولا اعلم مصيري » (١٠٦) . هذا في حياته فكيف بعد مماته .

وقد غالى فيه اتباعه كثيراً وسيطرت على عقول الناس افكار بقدرة الرفاعي ، ومنزلته عند ربه ، فكتبوا اليه الرسائل ونظموا فيه القصائد كما ذكر احدهم :

في القلب والنفس آلام وانت لها ... يا صاحب العمة السوداء ترياق
بنو رفاعة اولاد الحسين لهم ... جددت مجداً له في الكون اشراق .

فرد عليه الرفاعي حاثاً اياه الى الالتجاء الى الله وحده :

بالله من قيد ما في النفس اطلاق ... وللقلوب اشارات واذواق
فارجع الى الله من باب الرسول وقف ... هناك والفتح سيال ودفاق (١٠٧) .

ولم يبلغ تقديس الشيخ ما بلغه تقديس البدوي . فقد ادخل اتباعه في صلب طريقته التوسل والاستغاثة به . حتى شاع بين مريديه التوسل به في قضاء الحاجات ، فيرى البعض أنه لزام عليهم ان يمروا بضريح البدوي بطنطا في الصباح والمساء ليضعوا ايديهم في ثقب بجانب المقصورة الغربي ثم يضعونها في جيوبهم تبركاً ورغبة في بسط الرزق . وظن اتباعه بان فيه القدرة على أن يأتي بالمستحيل (١٠٨) . ومما لا شك فيه ان هذه الانحرافات قد وضعها وروج لها الدجالون المتكسبون . ولا يرضى بها الدين اذ أنها من انواع الشرك بالخالق .

يضع مشايخ الطرق آدابا للمريد ، ويحرمون عليه تجاوزها . فالجيلاني وضع قصيدة تسمى « النوادر العينية في البوادر الغيبية » ذكر فيها الصفات التي يجب ان يتحلى بها المريد . وهي تتألف من ٥٣٤ بيتاً . وقد جاء فيها :

وان ساعد المقدور أو ساقك القضا ... الى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كل ما من قبل كنت تسارع
ولا تعترض فيما جهلت من امره ... عليه فان الاعتراض تنازع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل الغلام والكليم يدافع (١٠٩) ...

وآداب المريد ، عند الصوفية ، تشمل :

ا ــ آدابه مع شيخه :

وتتمثل في اتباع اوامر الشيخ وتجنب نواهيه ، كما أن عليه المحافظة على حرمته حاضراً أم غائباً حياً أم ميتاً . وعليه ان يقوم بحقوق شيخه عليه ، حسب الامكان وبلا تقصير ، وذلك بتقديم بعض الهبات التي يقدر عليها . ويفرض الصوفية على المريد التشبه بشيخه في أصول الطريقة وفروعها المهمة دون دقائقها . وهذا التشبه يكون في الزي وفي لبس خرقة الصوفية وفي العمل ايضاً (١١٠) . وليس للمريد ان يجادل شيخه او ينكر عليه فعلا من افعاله . واذا جالسه فلا يتكلم الا باذنه ، واذا رغب في أمر فعليه أن يطلع شيخه عليه . وان وقع منه تقصير فعليه ان يعلم شيخه بذلك ، وان يكون متهيئاً لخدمته ... الى غير ذلك من الامثلة التي تدل على محو شخصية المريد امام شيخه . فعلى المريد ان يسلب اختيار نفسه ازاء اختيار شيخه في جميع الامور كلية

كانت او جزئية ، عادة او عبادة . حتى انهم فرضوا عليه أن يحب ما احب الشيخ وان يكره ما كره .

ومعظم الطرق تفرض على اتباعها عدم الاتصال بمشايخ الطرق الأخرى ، واذا استثنينا الشاذلية ، التي تبيح للمريد التحول الى غيرها ، فان بقية الطرق لا تقبل مريداً يسلك في نفس الوقت على يد شيخ آخر طريقة اخرى ، اي ان يكون له شيخان في وقت واحد (١١١) .

وعلى المريد ان يحدث الناس عن الاحوال والخواطر والواقعات والكشوفات التي تحصل لشيخه ، ولكن على شرط ان يحادثهم على قدرة عقولهم وافهامهم (١١٢) .

ب ــ آدابه مع اخوانه المريدين :

فرض مشايخ الطرق على مريدهم التحلي ببعض الآداب الخاصة نحو اخوانه واقرانه ، فاوجبوا عليه المحافظة على اخبارهم ، وعدم النظر الى عيوبهم ، وعدم مزاحمتهم على الامامة في الزاوية . وعليه أن ينبه اخوانه الى اوقات الخيرات ، كما يسمونها ، كالاسحار وليالي الجمع والاعياد والقدر .

ولا يجب ان تدفعه كثرة عبادته الى الاستعلاء على رفاقه . واذا بغى بعض الاخوان على البعض الآخر فعليه ان ينصر الفئة المظلومة . وعليه ان يخدم زاويته ومرضاها الذين لا اهل لهم ولا يرمي بنفسه في احضان الكسل والخمول . وعليه ان يوسع على اخوانه فيساعد المحتاجين منهم بالمال والجهد . واذا ظلم احد اخوانه فعليه المبادرة وبسرعة الى الاستغفار بطريقة خاصة ، كأن يقف في آخر الزاوية ، كاشف الرأس معترفاً بذنبه ، ويظل كذلك حتى يسمح له شيخه بالجلوس (١١٣) .

ج ــ آدابه في الجلوس والمجالسة :

لمجالسة الاكابر يفرض الصوفية على المريد آدابا خاصة منها : التخلي عن اعداء هؤلاء الاكابر والميل اليهم وتخصيصهم بكل محبة واحترام ، والقاء السلام عليهم ، وترك التجسس على عقائدهم وايثار اقوالهم وافعالهم والموافقة لهم في الافعال والاعمال (١١٤) . وفي ذلك ينصح الشاذلي مريده بقوله : « اذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة . اما ان تفيدهم واما أن تستفيد منهم ، وذلك غاية الربح معهم . واذا جالست العباد والزهاد فاجلس معهم على اساس الزهد والعبادة . واذا جالست العباد الصديقين ففارق ما تعلم تظفر بالعلم والفوائد » (١١٥) .

د ــ آدابه في السؤال :

على المريد الابتعاد عن سوء الظن وغلبة الشهوات . واوجبوا على من اراد الدخول على جبار أو متكبر يسأله الرفق بالعباد أو يحدثه بمصالحهم ، فعليه ان يمشي متواضعاً لوجه الله ، وان يكون في سعيه هذا لا يبغي غير الله ورضوانه . ولا يجب

على المريد أن يسأل الله غير خيرات الدين لأن فيها وحدها الجمع بين خيري الدنيا والآخرة . ويوصي المشايخ مريدهم برفع حاجاته الى الله وحده قبل رفعها الى الناس . فان قضاها سبحانه من الناس فعلى المريد شكره وشكرهم ، وان لم يقضها فعليه الرضا ، وعدم ذم احد من هؤلاء الناس . لأن الصوفية ينطلقون من ان الملك والقدرة والعلم والارادة والمشيئة لله وحده . فعلى المريد ان يجعل فقره اليه وحاجته عنده (١١٦) .

هـ ــ آدابه في العزلة :

فرض الصوفية آدابا معينة على كل من قرر العزلة أو التجرد في احدى زواياهم . فعليه أن يستعين بالله ويجلس على بساط الصدق (١١٧) ذاكراً لله ، ورابطاً قلبه بالعبودية المحضة الصادرة عن المعرفة . وعليه ملازمة الشكر والمراقبة والتوبة والاستغفار .

ويحذر مشايخ الطرق من آفات العزلة : فمنها آفات تصيب العوام القاصدين ، وتنحصر في تعلق النفس بالاسباب وركون القلب الى الجهة المخصوصة بالاكتساب .

وآفات تصيب الخواص منها : الاستئناس بالوسواس والتحدث بالرجوع الى مزاولة النشاط الدنيوي . . . ولكل آفة من هذه الآفات سبيل للرد حتى تستقيم العزلة . ولهذه العزلة ثمرات منها : الكشف الذي يتحقق للأولياء واستمطار الرحمة وتحقيق المحبة (١١٨) .

يقول الشاذلي : « اربعة آداب ، ان خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والتراب سواء . وهذه الاربعة هي : الرحمة للاصاغر والحرمة للأكابر والانصاف من النفس وترك الانتصاف لها » (١١٩) .

ولعل النقشبندية من اكثر الطرق تدخلا بكل حركات المريد وسكناته ، لا بل حتى في انفاسه . ولا بد للمريد المبتدىء من مجاهدات ورياضات حتى يصل الى درجة الانتهاء فيصبح مراداً . وقد يتمكن المريد من المكاشفة في ابتداء الطريق ، وبالتالي الى الوصول الى ما لم يصل اليه ارباب الرياضات ، غير ان اكثر هؤلاء يردون الى المجاهدات ليستوفوا ما فاتهم من احكام اهل الرياضة وليقطعوا المنازل والمقامات (١٢٠) . وجلوس المريد للذكر له آداب ، فاذا انتهى من الذكر فعليه ان يديم الوضوء ، وان يكثر من العبادات وان يلازم الجماعة وان يحيى ما بين صلاتي المغرب والعشاء بالذكر . وعليه ان لا ينقص ورده (الاسم الذي يذكر به) عن خمسة آلاف مرة في اليوم .

وتفرض النقشبندية على مريدها أن لا يخالط الذين لا يعتقدون بطريقته ، لأن هذا الاختلاط في رايهم ، يورث قسوة في القلب . وبلغ من تدخل النقشبندية في احوال المريد انها فرضت عليه ان لا يأكل طعاماً مصنوعاً بيد تارك الصلاة او منكر على الطريقة (١٢١) .

ويعتبر الصوفية أن التصوف كله ادب . ولكل وقت ادب ولكل حال ادب . فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال . ومن ترك الادب فهو مطرود من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن الوصول . وبدون الآداب لا يتمكن المريد من الوصول الى الفتح والكشف ، ولا يتم الانتقال من مقام الى مقام اعلى الا بالتحلي بالآداب الصوفية .

ووضع البدوي عدة شروط لقبول المريد في زاويته منها :
الا يكذب ، الا يأتي بفاحشة ، ان يكون غاض البصر عن محارم الله ، ان يكون طاهر الذيل اي الا يذهب الى اماكن تحط من مروءته ، ان يكون عفيف النفس ، ان يكون خائفاً من الله عاملا بكتابه (١٢٢) .

وهكذا تتفق الطرق على الاهتمام بآداب المريد ، والتأكد من قيامه بها .
وقد اوجبت الطرق الصوفية على كل من اراد الدخول في سلكها أن يعطي عهد الطاعة . فبعد أن يتم المريد استعداده : القيام بالفروض الدينية ، خدمة الزاوية ، محبة الفقراء (الصوفية) . . . يحزم امره على الدخول في سلك الصوفية . عند ذلك تجري حفلة خاصة تعرف بـ « حفلة المبايعة » . وعادة تجري هذه الحفلة بعد انتهاء الذكر .

يجلس المريد امام شيخ الزاوية ، يحيط بهما جمهور المريدين ، فيتلو الشيخ سورة الفاتحة ثلاث مرات سراً ، ثم يتلو آية المبايعة (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً) (١٢٣) . ويستغفر الله ويتوب اليه ، ثم يمسك بيده اليمنى يد المريد اليمنى ويلقنه الذكر . ثم يعلن الشيخ بصوت مرتفع والمريد يكرر وراءه : « اشهد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وانبيائه والحاضرين من خلقه ، انني تائب الى الله ورسوله من جميع الخطايا ، راغباً في امتثال اوامره لرسوله ، مجتنباً محارمه ، مجتهداً في طاعته ، منيباً اليه ، مواظباً على خدمة الفقراء والمساكين على حسب الطاقة ، وان سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى القطب الغوث (اسم مؤسس الطريقة) شيخنا في الدنيا والآخرة والله على ما نقول وكيل » (١٢٤) .

ثم يقول الشيخ : « العهد عهد الله ، واليد يد الله ويد شيخنا وقدوتنا الى الله » (١٢٥) . ويتلو الآية (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) .

وبعد ذلك يجلس الشيخ على ركبتيه ويغمض عينيه واضعاً يديه على الركبتين ، ويلقن المريد بقول « لا اله الا الله » ثلاث مرات . وفي الرابعة يضيف « محمد رسول الله » والمريد يكرر ما يتلو الشيخ .

وفي النهاية يقرأ الحاضرون الفاتحة ويهدونها الى اهل العهود والى جميع المؤمنين . ويرى الصوفية ان هذه البيعة تستند الى السنة النبوية ، لأن البيعة لا تكون في الخلافة فقط ، فقد تكون بيعة على الهجرة أو الجهاد أو الثبات في المعركة أو التمسك بالسنة كما ورد عن الرسول (ص) .

وكل الطرق الصوفية توافق على اخذ العهد من الصغار ، اما بالنسبة للنساء فالملاحظ أن اليشرطية الشاذلية والنقشبندية والبدوية من بين الطرق السالفة تسمح بذلك . ففي اليشرطية والبدوية يقوم شيخ ذكر باخذ العهد على النساء . اما في النقشبندية فهناك امراة شيخة تأخذ العهد على المريدات .

ولمنح الاجازة في الطريقة ، المعبر عنها بخلع الخرقة (١٢٦) مراسيم خاصة . اذ يقوم الشيخ بلف الخرقة فوق راس المريد ، وعند كل لفة تلاوة للفاتحة واهداء الى الرسول أولا ثم الى الخلفاء الراشدين ، فالى حفيدي الرسول (الحسن والحسين) ، فالى علماء أهل الشريعة (ابو حنيفة ، مالك ، ابن حنبل ، الشافعي) ، فالى مشايخ اهل الطريق (الجيلاني ، الرفاعي ، البدوي ، الدسوقي) . ويسلم الشيخ المريد اجازة يذكر فيها مشايخه هو واهم نصائحه للمريد الذي سيصبح من الآن فصاعداً شيخاً يستلم زاوية .

والاجازات على انواع فمنها في اخذ العهد وفي التسليك وفي استعمال المزهر وغيره من الادوات الموسيقية ، وفي استعمال الشيش أو غيره من الادوات الحادة ، وفي الدوسة . . . ولا يحق لشيخ ان يقوم بأمر من هذه الامور الا اذا نصت على ذلك اجازته .

ويقوم شيخ الزاوية بختم الاجازة وتجري المصادقة على هذه الاجازة من قبل مشاهير مشايخ العصر .

٥ ــ الكرامات :

عرف الجرجاني الكرامة فقال : « هي ظهور امر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوة النبوة ، فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا (١٢٧) وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة » (١٢٨) .

كل الطرق تؤمن بالكرامات ، وترى انها من الامور التي يحدثها المولى لأوليائه تكريماً على ايمانهم واظهاراً لشأنهم وتأييداً لهم في جهادهم ونصرتهم للدين ، الأمر الذي دفع ويدفع جمهور الفقهاء الى معارضة هذا التيار ، لأن نشر الدين يتم بتأييد العقل السليم والمنطق الصحيح والحجة الدامغة .

والناس ازاء الكرامة ثلاثة اقسام :
أ ــ مصدق .
ب ــ معترض .
ج ــ لا ادري .

والصوفية هم في طليعة المصدقين بها ؛ فقد حرص مشايخهم على طرد كل معترض من صفوفهم ، وحكموا بالفسوق والشرك على كل مسلم لا يؤمن بها . فهو غير مصدق بما جاء في التنزيل أو على الأقل هو ايمان ببعض ما جاء في القرآن وكفران البعض الآخر .

وفي أول الأمر كانت النظرة الى الكرامات نظرة معتدلة ، فهي عبارة عن اجابة دعوة أو شربة ماء في مغارة أو اظهار طعام في اوان فاقة أو تخليص من عدو ... او ما شابه ذلك ، لكن مع انتشار التصوف لم يرض الصوفية المتطرفون بهذا الاعتدال « فلقد اخذ أصحاب المصالح يروجون لكرامات الاولياء ، ويبالغون في هذه الكرامات مبالغة تتمشى وانتشار الجهل وضعف المستوى الفكري للناس » (١٢٩) . فانتشرت انباء عن كرامات لا يصدقها عقل ولا يستسيغها ضمير المؤمن الحق . ولكنها وجدت قبولا في عصور ضعف فيها العقل وقل فيها المؤمنون الواعون وانتشرت الخرافات والبدع والاضاليل (١٣٠) .

وأخذ كل فريق ينسب الى شيخه الكرامات المختلفة حتى يرفع من مكانته في اعين بقية الفرقاء . وكأنما الامر منافسة .

وميز الصوفية بين المعجزة والكرامة : فالأولى اختص بها الانبياء والرسل . والثانية للاولياء . وللصوفية في التفرقة بينهما اقوال وآراء مبثوثة في كتب التصوف ، ويفرق الصوفية بين الكرامة والاستدراج . اذ أنهم يعتبرون ان بعض الناس تجري على ايديهم امور خارقة للعادة مع انهم مجاهرون بالمعصية . والكرامة في نظرهم لا تكون الا على يد ولي اي صاحب العقيدة الصحيحة ، المواظب على الطاعات ، المتجنب للمعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات . والولي لا يسكن الى الكرامة ، ولا يفتخر بها بل يصير خوفه من الله اشد اذ انه يعتبر ذلك من باب الاستدراج (١٣١) .

والولي الصادق ، اذا أظهر الله على يديه بعض الكرامات ، بدون ميل منه ولا مقصد ، لا يفرح بها ولا يلتفت اليها ، لأنه يعتبر ان الاستقامة (١٣٢) على امر الله من اعظم علامات الولاية ، ومن هنا قول بعض الصوفية « الاستقامة عين الكرامة » .

فاعظم كرامة للولي هي فناؤه عن الصفات الذميمة ، وبقاؤه في الصفات الحميدة ، فلا يشترط في الشيخ المرشد ظهور الكرامة ، وانما الشرط الاساسي : تمسكه بالكتاب والسنة (١٣٣) .

ولو سار الصوفية واتباعهم على الرأي القائل بان الاولياء لا يهتمون بظهور الكرامات ، وانما هدفهم خشية الله والامتثال لشريعته وتعاليمه ، وتزكية النفس ، وتخليصها من الصفات المذمومة ، وتحليتها بالصفات الكاملة وهذا ما نادى به مؤسسو الطرق ، لسلم التصوف من كثير من الانتقادات التي وجهت اليه والى رجاله .

لكن الذي حدث هو أن « بعض الصوفية ومريديهم وجهوا اهتمامهم نحو نشر الشائعات عن كراماتهم الحسية ، لأنها اقرب الى مفاهيم الناس في عصور الانحطاط والجهل . وقد تناسى معظمهم الكرامات المعنوية وما فيها من معان روحية سامية » (١٣٤) .

٦ ــ الذكـر :

تتفق الطرق الصوفية على ان لبس الخرقة وحده لا يكفي لأن يجعل الفرد عضواً عاملا في الطريقة ، فعليه ان يواظب على حضور حلقات الذكر ، وبذلك يهيئون انفسهم للكشف والاطلاع على عالم الغيب ، كما يقولون . « وقد احلوا الذكر من طريقتهم اعظم محل ، واعتبروه اكبر ركن من الاركان العملية في الدين » (١٣٥) . فالذكر باب الخيرات ، والعمدة في طريق الله ، وهو الأصل الجامع ، وصقال القلوب ... الى غير ذلك من الالفاظ الصوفية التي ترفع من مكانة الذكر .

وكل عبادة في رأيهم ، اختل فيها نظام الذكر ، يعاقب صاحبها بالقطيعة من الله . فلا يصل المريد الا من باب الذكر .

وقد اتفقوا على ان ليس هناك من وقت معين لاقامة هذا الذكر كما هي الحال في الصلاة والصوم ... وقد قسم الصوفية الذكر الى ثلاثة اقسام :

أ ــ ذكر باللسان ، واتفقوا أنه ذكر العوام الذين يذكرون الله خوفا من ناره ، وطمعاً في جنته ، ورغبة في ثوابه .

ب ــ ذكر القلب وهو ذكر الخواص ، حيث ينكف اللسان .

ج ــ ذكر الروح وهو ذكر خواص الخواص (١٣٦) .

والاذكار عندهم اربعة انواع :

أ ــ ذكر يطرد المريد به الغفلة أو ما يخافه من الغفلة .

ب ــ ذكر يذكر به المريد اما العذاب واما النعيم ، اما القرب واما البعد ...

ج ــ ذكر يذكر المريد بان الحسنات من الله والسيئات من قبل النفس .

د ــ ذكر يذكر به المريد ، وهو ذكر الله لعبده ، وليس للعبد فيه متعلق (١٣٧) .

واوجب الصوفية على المريد استدامة الذكر مع الفكر ، أي أن يستحضر الذاكر انه بين يدي الله ، وان الله مطلع ورقيب عليه ، وانه خالق لحركاته وسكناته واقواله وارادته ، وما وقع عليه أو منه من خير أو شر ... يعنون بذلك التوجه القلبي نحو الله .

وقام مشايخ الطرق بوضع اوراد واحزاب (١٣٨) وصيغ صلوات على النبي (ص) ، لأتباعهم معتبرين أن من يلتزم بها تطوى له مقامات الطريق ويصل الى الفتوح . لكن اتباعهم تفننوا بهذه الاذكار فاضافوا اليها الشيء الكثير ونسبوه للمشايخ ، لذلك اصبح التمييز صعباً بين ما وضعه المؤسس وما اضافه الاتباع من بعده .

فالجيلاني ، الذي كان يقيم حلقات الذكر وضع لمريديه ثلاثة عشر اسماً من اسماء الله الحسنى . سبعة منها أصول وستة فروع . فالسبعة الأصول خصصها ، كما يقولون ، للنفوس السبع . ولكل اسم عدد معين من المرات يرددها المريد . ولكل اسم ايضاً توجه ، مثال :

النفس اللوامة ولها الاسم الثاني : الله . وعدد تلاوته سبعون الف مرة .
وتوجهه : الهي دلني عليك بك وارزقني الثبات عند وجودك لأكون متأدباً بين يديك .
الهي بعظمتك وجلالك اجعل قلب عبدك الضعيف مظهراً لذاتك ومنبعاً لآياتك ...

وقد اوجب الجيلاني على مريديه ملازمة الاسم حتى يتم الانتقال الى الاسم التالي وهكذا (١٣٩) .

ووضع الجيلاني عدة صلوات لتتلى عقب الصلاة المفروضة ، كذلك وضع عدة احزاب اشهرها : حزب الفتح وحزب الفتوح الرباني (١٤٠) .

اما الرفاعي فكان يقيم حلقة الذكر ، كل يوم بعد صلاة العشاء . ويبدأ ذكره بالفاتحة فالاستغفار ، ثم الذكر بكلمة التوحيد (لا اله الا الله) . ثم باسماء الله الحسنى . وهذه المراحل تتبعها معظم الطرق الصوفية .

وفي بعض الاحيان يأمر الرفاعي مريده بقراءة ورده سراً ، حتى اذا انتهى جمع المريدين وبدأ بالذكر جهراً . ثم يعظمهم ويوصيهم (١٤١) .

والذكر ، كما يراه الرفاعي ، يحفظ القلب من الوسواس ، ويولد حركة ضرورية لحلقة المريدين . وكان يفرض على الذاكر الهمة وصحة النية وذكر الرب على غاية من التعظيم (١٤٢) . وهو نفسه لم يكن يفتر قلبه ولسانه عن ذكر الله حيث انشد .

اذا مرضنا تداوينا بذكركمو — فنترك الذكر احياناً فننتكس
وان اردنا بآن ذكر غيركمو — احاط بالنطق منا العي والخرس (١٤٣) .

ويرى الرفاعي ان الذاكر يشعر بالنور والطمأنينة في قلبه ، ذلك ان الذكر ، في رايه ، طعام الروح وليست هناك من لذة تعادل ذكر الله . ولا يزال الرفاعي يرفع من قدر الذكر حتى يعتبره عبادة . فبه يتمكن الصوفي من بلوغ الكشف وتجلي الانوار الالهية (١٤٤) .

والذاكر ، عند الرفاعي ، جليس الحق ، فعليه ان يكثر من الصلوات ، على الرسول ومن التوسل الى الله ، وذلك بذكر اسمائه الحسنى بخشوع وتأدب .

ويتعجب الرفاعي من فئة قامت تنكر على الذاكرين ، ذكر اسماء الصالحين من الصوفية والدعاء لهم ، فتصدى الرفاعي لهذه الفئة يبين لها ان المسلم في صلاته يقول : « السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » وليس في قول المصلي شرك ولا خروج عن العبادة ولا عن حد العبودية . فلا يخرج الذاكر من دائرة الشرع اذا ذكر الصالحين بدعاء . وكان الرفاعي يحرم مجلس ذكره على الكاذب أو القاصر عن ادراك المعاني التي يسعى المريد الى تحقيقها بواسطة الذكر .

والذكر عنده مرتبط بشخصين مهمين :

أ ــ الحادي الذي يذكر الله ويمدح الرسول بامانة واخلاص حتى يستطيع ان

يحرك جموع الذاكرين .

ب ــ المرشد الذي يلاحظ الذاكرين فلا يثقل عليهم لأنهم لا ينتقلون من مرحلة الى أخرى من مراحل الذكر الا باشارة منه (١٤٥) .

وكان المريدون ، في رواقه بأم عبيده ، يذكرون الله قياماً وقعوداً ، مع المحافظة على الادب وحسن الانتظام ، وفق ما اشار عليهم شيخهم . لكنهم كانوا يهتزون ؛ ذلك ان السماع يولد الوجد ، والوجد يحرك الاطراف . فان كانت الحركة غير موزونة فتسمى ، عنده اضطراباً ، وان كانت موزونة يسميها رقصاً وتصفيقاً وهزاً . فزعم البعض ان مريدي الشيخ الرفاعي يرقصون في اثناء الذكر ، فرد الرفاعي بانه لا يرضى عن الرقص الجسماني ولا يقبل من مريده القيام بهذه الحركات ، لأنها في رايه ليست من الذكر . ومن جهة ثانية فانه يقبل رقص الروح ، كما يسميه ، ويتمثل له برقص الملائكة التي يرى أنها وهي تسبح وتذكر الله تهتز لهذا الذكر ، كما يرى « فمن تمتع بالوجد الصادق والقصد الصالح ، وسمع نغمة طيبة أو قولا حسناً ، طارت همته ، فهو العارف الذي ترقص روحه وتصح عزيمته . والسماع موجود ــ كما يقول الرفاعي ــ في طبع كل ذي روح يسمع وكل جنس يسمع بما يوافق طبعه ، ويفهم من السماع ما تنتهي اليه همته . فالطفل اذا سمع الحدو طرب ونام ، والجمال اذا حداها الحادي سارت ونسيت الم الاثقال » (١٤٦) . وهكذا فان الطرق الصوفية تضع اهمية كبرى للحادي ، وقد تنشيء فرقة خاصة للانشاد ، تنشد التوسلات الالهية والمدائح النبوية بينما يقوم المريدون بالذكر .

ولا يخفي الرفاعي امتعاضه من سؤال هل ذكرت ربك ؟ فقد نظم قصيدة طويلة في الرد على السائل . جاء في مطلعها :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي	وهل انسى فاذكر من نسيت
اموت اذ ذكرتك ثم احيا	ولولا ماء وصلك ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقاً	فكم احيا عليك واموت
شربت الحب كأساً بعد كأس	فما نفد الشراب ولا رويت (١٤٧) .

ويذكر الرفاعية ان شيخهم الف اكثر من ٦٦٠ حزباً ليتلوها تلاميذه ومريدوه ، من اشهرها : الوسيلة ، السيف القاطع ، الشهود ، المراقبة ، الاسرار ، الحزب الكبير ، التحفة السنية . . . (١٤٨) .

وقام الشاذلي ، بدوره ، بوضع العديد من الاحزاب لكي يتلوها مريدوه . وفرض على كل منتسب الى طريقته ان يتلو اوراداً خاصة بهذه الطريقة وهي :

الاستغفار مئة مرة ، الصلاة على النبي وآله وصحبه مئة مرة ، كلمة التوحيد مئة مرة . وتتلى هذه الاوراد بعد صلاتي الفجر والمغرب . وقل مثل ذلك عند البدوي ، لكن العدد يختلف اذ يطلب البدوي ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة (١٤٩) .

ويتوجب على المريد الشاذلي ان يتلو الوظيفة الشاذلية المسماة بالورد العام ، في كل يوم عقب صلاتي الصبح والعشاء . وقد سمى ابو الحسن هذه الصلاة بصلاة الفتح . وهي في الاصل صلاة لشيخه ابن مشيش . ثم اضاف اليها مشايخ الشاذلية عدة ادعية وابتهالات ، وقاموا بترتيب آياتها وسورها .

وهم يعتبرون ان المريد لا يصل الى مراتب الكمال بدون تلاوتها . وقد يتلوها المريد منفرداً أو مع جماعة . وتنقسم هذه الصلاة الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : كلمات التعظيم للرسول (ص) .
القسم الثاني : يتضمن ادعية المريد التي تظهر تذلله للخالق ، وطلبه الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

القسم الثالث : يتضمن بعض السور القرآنية : الانشراح ، القدر ، قريش ، الاخلاص ، المعوذتين ، الفاتحة (١٥٠) .

ومن عادة الشاذلية الجلوس بعد صلاة العصر لقراءة المسبعات (١٥١) والاذكار المخصصة لهذه الفترة الزمنية . ذلك ان الشاذلي كان قد وضع لمريديه عدة نماذج من الاذكار والاوراد يتلونها في اوقات معينة (١٥٢) .

وقام البدوي بوضع حزب لاتباعه ، يتلونه عقب الصلاة المفروضة ، وفي اوقات ذكرهم .

ويضم هذا الحزب الصلاة على النبي وبعض الآيات القرآنية وادعية واستغاثات (١٥٣) .

كما نسب اليه اتباعه عدة صلوات مبثوثة في بعض الكتب لا سيما في كتاب سعادة الدارين ليوسف النبهاني الشاذلي (ت ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م) .

والذكر بكلمة التوحيد هو الشائع بين جمهور الصوفية . فانهم يعتبرون أن اصدق الاقوال قول لا اله الا الله . فيذكر بها المريد بلسانه حتى ينتقل معناها الى قلبه . ويبدأ شيخ حلقة الذكر بقوله : « فاعلم انه لا اله الا الله » فيبدأ جمهور المريدين بالذكر بهذه الصيغة . ويرون أن الاستمرار ضروري حتى تنكشف عن قلب المريد الحجب المظلمة ، الحاصلة من الذنوب الماضية « فيشاهد ، على حد قولهم ، بعين البصيرة ان لا محرك ولا مسكن ولا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله ، شهود ذوق وحال لا شهود اعتقاد . والشهود الذوقي لا يعرفه الا من ذاقه ، ومن علاماته ان يرى المريد نفسه لا تكره مخلوقاً ، ولا يحصل منها ايذاء لا لمسلم ولا لكافر ولا لحيوان . وليكن قول المريد : الا الله بقوة وشدة بخشوع وغمض العينين وملازمة الطهارة . فالذكر الجهري ضروري لتنيقظ الاعضاء من الغفلة (١٥٤) .

وتتفق معظم الطرق على الذكر في حالتي الجلوس والقيام مع التمايل قليلا . وكان من عادة بعض مشايخ الطرق استعمال آلات موسيقية . فكان الجيلاني يستعمل طبلة ويرفع علماً اخضر لتنبيه وتذكير جماهير المريدين بانه سيباشر الذكر .

وكان الرفاعي لا يعارض الاستماع الى منشد المدائح النبوية ، دون استعمال آلات .

ويذكر عن الشاذلي ضرب المزاهر بين يديه وكانت تنشر له الاعلام (١٥٥) . ولم يذكر عن البدوي أو النقشبندي انه استعمل آلة موسيقية . اما جلال الدين مؤسس المولوية فقد قبل الناي في حلقة ذكره .

لكن الاتباع زادوا في هذه الامور . فاستعملت زوايا الرفاعية والقادرية والبدوية والمولوية مختلف الآلات من طبول وناي ودفوف ومزاهر وغير ذلك من الآلات الموسيقية ، وتحولت بذلك حلقات الذكر الى تأوهات ومواويل تشبه الى حد كبير مـــا يجري في الملاهي . وكان لها أثر مهم في افساد آداب الناشئين من المريدين .

وقام اتباع القادرية والرفاعية والبدوية والشاذلية والمولوية بالرقص في حلقات يتوسطها شيخ الزاوية . واختصت المولوية بلباس طويل فضفاض وبفتل دراويشها على شكل دوائر متناثرة في حلقات الذكر واعتبرت ذلك من انواع العبادة ، الأمر الذي اوغر صدر الفقهاء (١٥٦) . وتفرد مشايخ القادرية والرفاعية والبدوية باستعمـــال السلاح (الشيش) فكانوا يطعنون بها المريدين ابان حلقات الذكر ، وكانوا يقومون بأكل النيران وغير ذلك من الاعمال التي تدل على تعذيب البدن . وقد شاهد ابن بطوطة ، الرحالة المغربي ، بام عينه ما كان يقوم به الرفاعية برواق عبيدة ، من ضرب للطبول ونقر على الدفوف ورقص وسير على النيران ... (١٥٧) .

وتتفق جميع الطرق على اقامة حلقة الذكر في جو يميل الى التعتيم ، الا اذا كانوا يقرأون الصلوات والاوراد والاحزاب .

وقد وصف امين الريحاني احدى حلقات الذكر وصفاً دقيقاً ، بيّن فيه تدرج الذاكرين من الغفلة الى طمس العبارة التي يذكرون بها الى التلوي والرقص والوثب ، الى الغيبوبة وصدور اعمال لا يرتضيها عقل أو دين (١٥٨) .

لم نقف على معلومات تبين لنا حضور النساء حلقات ذكر الجيلاني ، لكن المراجع تثبت أن للرفاعي مريدات . فقد قام بعض حساده بالوشاية به الى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله (ت ٥٥٦ هـ . / ١١٦٠ م.) فزعموا ان الشيخ يجمع بين الرجال والنساء في حلقة واحدة للذكر . ولما تبين للخليفة البهتان والزور بكى وكتب للرفاعي يعتذر . وما لبث هو نفسه أن حضر احد مجالس الرفاعي ببغداد (١٥٩) .

وفي النقشبندية هناك شيخات تدير الختم النقشبندي للنساء فقط . اما اليشرطية ، وهي فرع من الشاذلية فقد كانت تجمع في حلقات ذكرها في عكا بين الرجال والنساء

المتحجبات ، الأمر الذي لم يرض عنه الفقهاء فاتهموا اليشرطي وانصاره بالزندقة . وما لبث اليشرطي ان فصل بين الجنسين .

وبالنسبة للمولوية لم نسمع بمريدة أو شيخة ، مما يدل على أن سلوك هذه الطريقة كان بين الذكور فقط .

وفي البدوية ، بمصر فقط ، كان يجري الجمع بين الجنسين لا سيما ايام موالد البدوي .

وتتفق هذه الطرق جميعها في ان كل واحدة منها اقرب الطرق ، واسهلها على المريد للوصول الى اعلى الدرجات . وكل طريقة ، كما يعلن مشايخها ، خالية من البدع ، ومن كدورات جهلة المتصوفة ، وأن امر الطريقة كبير ، وان الجميع يذعن لتعاليمها ومبادئها . . . فكل طريقة تدعي بان لها قدماً راسخاً في انقاذ البشر من الشرور لما فيها من التعاليم العالية . . . وبالجملة كل طريقة ، في نظر اتباعها ، الطريق الاقرب ، الافضل ، الاقوى ، الاكمل . . . (١٦٠) .

القسم الثاني :

وتتميز الطريقة النقشبندية عن بقية الطرق بـــ :

١ ــ الجذبة (١٦١) النقشبندية :

يرى النقشبندي ان الجذبة حالة شريفة وان عارضها بعض المتفقهة . ولكن الى اي حد يذهب مشايخ هذه الطريقة في تأييدها ؟

يعلن النقشبندية أن هناك حالات متعددة للسالك : فقد يحصل الجذب لانسان دون ان يسلك الطريق المستقيم ، ويعنون بها (الطريق) امتثال اوامر الله والابتعاد عن نواهيه . ولهذا النوع من الجذب ، في رأيهم ، نتيجة هي الدخول في البله والجنون . وقد يتمثل السالك اوامر المولى ولا يحصل على الجذب الالهي . ونتيجة هذا النوع أن يصبح السالك من العلماء العباد القانعين بما يظهر عليهم من العلم والعبادات . وعندما يراهم الناس يرفعون من اقدارهم ، نظراً للعلم الذي يحملونه . وسرعان ما تدخل الآفات الاجتماعية الى بواطن هؤلاء العلماء فيتملكهم الرياء والعجب والحسد والحقد . . . ويضع مشايخ النقشبندية الاهمية القصوى لمن يجمع بين الحالين كأن يكون سالكاً ثم يأتيه الجذب أو العكس ، بمعنى أن يجمع الانسان بين السلوك والجذب . وعند ذلك يصبح هذا الانسان من اهل الله (١٦٢) . « فالسالك المجذوب عالم عامل بعلمه فورثه الله علم ما لم يعلم . والمجذوب السالك عامل عالم أخلص لله فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » (١٦٣) .

ويعتبر النقشبندية أن الشريعة تدعو الى تحصيل الجذب الالهي . ففي نظرهم ، الآيات والاحاديث وسير الصحابة والتابعين والاولياء طافحة بذكر الجذب والصعق

والخشية والبكاء . لذلك لا ينكر النقشبندية على من صاح أو صعق اثناء الذكر ، طالما أن ذلك حصل دون ارادة منه . اما ان يتصنع المريد ذلك ، كما هي الحال عند معظم المتصوفة ، فلا يقبل منه مطلقاً (١٦٤) .

٢ ــ الرابطة النقشنبدية :

وهي عندهم ، عبارة عن استحضار روحانية ائمة رجال السلسلة النقشبندية ، للاستفاضة من هذه الروحانية . وفي ذلك يقــول عبــد الغني النابلسي النقشبيدي (ت ١١٤٤ هـ. / ١٧٣١ م.) « يستحضر المريد صورة شيخه على اكمــل الاحوال ليحصل له المدد ، فان شيخه بابه الى حضرة الله تعالى ووسيلته » (١٦٥) .

اما شيخ الطريقة محمد بهاء الدين (ت ٧٩١ هـ. / ١٣٨٨ م.) فيقول : « كل من مال الينا أو انتسب الى محبتنا ، بعيداً كان أو قريباً ، لا بد ان نلحظ نسبته كل يوم وليلة ونمده من منبع عين الشفقة والتربية بالامداد الدائم ، ان كان حافظاً لاحواله ، ومنقياً لطريق الامداد من ادناس التعلقات واوساخها » (١٦٦) .

وطريقة الرابطة في نظر النقشبندية أن يقرر المريد صورة شيخه بين حاجبيه ، ويعمق النظر من ناصيته الى ناصية شيخه ، طالباً منه المدد القلبي (١٦٧) .

٣ ــ الختم النقشبندي :

يعتبر النقشبندية ان جل طريقتهم يقوم على الختم ، الذي يرونه من اعظم نعم الله على عباده . ذلك ان كبار مشايخهم تنفضله على بقية الامداد ، ولا يتوانى عنه الا كل متهاون بالطريقة أو متهاون بالدين (١٦٨) . والختم هو حلقة ذكر النقشبندية ، يقيمونه عدة مرات في كل اسبوع حيث يجتمعون على شكل حلقة ، وهم جلوس ، كل مريد في المكان المخصص له جالساً على ركبتيه متوركــاً بعكس تــورك الصلاة . يستقبل المريدون القبلة ويستغفرون المولى جهراً ، ثم يأمرهم شيخهم بالرابطة . وبعد فترة قصيرة يتلون الفاتحة سراً . وقد اشترطوا لذلك الاخلاص وانصراف القلب عن المشاغل . ثم يبدأون بقراءة الصلوات على الرسول ، وهي صلوات خاصة بهم يرددونها مئة مرة . وبعد ذلك يتلون سورة الانشراح تسعاً وسبعين مرة ، لاعتقادهم ان كل من دخل طريقتهم هذه يجد انشراحاً لم يره من قبل ، فكأنه آمن حديثاً لما يرى من نور الايمان والاحسان . اما سورة الاخلاص ، فقد اوجبوا تلاوتها الف مرة ومرة في كل ختم . ومما تجدر الاشارة اليه ان المريدين يتقاسمون عدد المرات بالتساوي فيمــا بينهم . اما السبب في اختيارهم لهذه السور الثلاث (الفاتحة ، الانشراح ، الاخلاص) واتباعهم لهذا الترتيب ، فهو ان البدء بالفاتحة ، كما يعتقدون ، يكون من اجل رجاء الفتوح من الله لعبده . اما الانشراح فلما يحسه المريد ، عقيب الفتح ، من انشراح الصدر وتوسعته حتى انه يسع جميع ما خلق في هذا العالم . وتشير الاخلاص الى انه روح العبادة ، فكل عبادة لا تكون مع الاخلاص لا روح فيها (١٦٩) .

ويجمع المريد كل حواسه الى القلب ، كما يرون ، ثم يتصور معنى اسم الجلالة ومدلول كلمة (الله) . وهذه المرحلة تسمى الوقوف القلبي . ولا بد من وجود هذا الوقوف في جميع اوقات الذكر . واذا حصلت للذاكر غيبة وذهول عن الدنيا وتعطلت حواسه ، يترك الذكر ويبقى تابعاً لتلك الكيفية مستغرقاً في الوقوف القلبي مستحضراً قلبه لنزول الفيض . وبعد ذلك يذكر النقشبندية بالنفي والاثبات (لا اله الا الله) ، وينتهي الذكر بقول (محمد رسول الله) (١٧٠) .

ويحذف النقشبندية ، في ذكرهم ، ادوات النداء ، لأن لفظ هذه الادوات ، في نظرهم ، يجعل الذاكر يشعر بان هناك من يذكر اسم الله ، الأمر الذي يحاول الصوفي الخلاص منه . وعندما يحقق الصوفي هذه الاهداف يصل الى مرحلة الفناء التي تعتبر آخر مراحل الطريق (١٧١) .

ولا يقبل النقشبندية ان تجري في الختم صيحات واضطرابات وزعقات ، بصورة متعمدة ، لأنهم يعتبرون كل ذلك من البدع المخالفة لتعاليم الاسلام . وحجتهم في ذلك ان الصحابة كان سماعهم في تلاوة القرآن ، وحضورهم في الصلاة وشيمتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هذا الموقف دفع النقشبندية الى انتقاد كل زمار ورقاص في حلقات الذكر والى محاربة ادخال الآلات الموسيقية أو حتى القيام بالحركات المعهودة عند بقية الطرق (١٧٢) .

وقد درج مشايخ الطرق على تلقين الذكر للفقراء ، اي كان معظم سالكي الطرق الصوفية من الفقراء ، الا ما ندر فاذا اتى احد الموسرين يريد سلوك الطريق ، طلب منه شيخه المبادرة الى ترك ثرائه ووجاهته ، لينصرف بكليته الى التربية الصوفية ، كما يقولون . لكن مشايخ النقشبندية تلقن اذكار الطريقة لبعض ذوي المناصب ، دون الطلب اليهم ترك ما هم فيه ، اعتقاداً من هؤلاء المشايخ ان قلوب المريدين سوف تلين تدريجياً ، فتنيب في النهاية الى دار الخلود . اذ لو قال الشيخ للمريد اترك كل شيء واخرج من حياة الرفاهية والا فانني لن القنك الذكر ولن يكون لك القبول . فان هذا المريد ، في رأي النقشبندية ، سوف يدير ظهره وينفر لأنه سوف يجد الانخلاع عن كل هذه الامور ، دفعة واحدة ، أمراً صعباً .

والذي يدفع النقشبندية ، كما يقولون ، الى هذا التساهل خوفهم من وصول المريد الى مرحلة اليأس . ويعللون عملهم هذا بان الرسول كان يتبع مثل هذه السياسة مع بعض الاعراب . فالارشاد والهداية انما وضعا للضال ، وهذا التساهل ، في رايهم ، يؤدي الى استئناسه ودخوله في الطريق (١٧٣) .

ومن الامور التي يهتم بها النقشبندية ، في الختم ، أن لا يحضر هذه الحلقة أجنبي ،

لذلك فهم يحرصون على جو التعتيم وعلى اغلاق الابواب ، بعد التأكد من عدم وجود أجنبي أو منحرف غير تائب .

اما بقية الطرق فانها تسمح المجال للغرباء والمنحرفين حتى يستمعوا الى الاذكار ويشاهدوا حركات الصوفية وآدابهم . وبعد ذلك يختلي الغريب بنفسه فاذا وجد الرضا دخل في سلك المريدين ، والا فانه يختار وجهة مغايرة .

هذه النظرة المحدودة لقصر الذكر النقشبندي على جمهور المريدين فقط ، دفعت بمشايخ النقشبندية الى اقامة اذكارهم في زواياهم الخاصة بدلا من اقامتها في الجوامع والاماكن العامة (١٧٤) .

٤ ــ قواعد الطريقة النقشبندية :

وضع مشايخ النقشبندية احدى عشرة قاعدة لطريقتهم :

١ ــ وقوف زماني ، اي الوقوف والشعور المنسوب الى الزمان ، ويعني اطلاع السالك على زمانه المستمر عليه وعلمه بكيفية حاله .
٢ ــ وقوف عددي ، اي شعور الذاكر ، عند ذكره ، بعدد الذكر . وهو عبارة عن الذكر الخفي القلبي مع رعاية العدد .
٣ ــ وقوف قلبي ، اي الوقوف المنسوب الى القلب ، وهو كناية عن الحضور مع الحق على وجه لا يكون معه التفات الى غيره .
٤ ــ نظر برقدم ، أي انه ينبغي للسالك أن يكون نظره الى قدميه عند المشي لئلا ينظر الى الآفاق ، لأن النظر اليها يورث الحجاب في القلب . واكثر الحجب التي في القلوب هي الصور المرتسمة فيها من طريق النظر .
٥ ــ هوش دردم : هو ش بمعنى العقل ، ودر بمعنى في ، ودم بمعنى النفس ، والمعنى المراد انه ينبغي للسالك العاقل ان يحفظ النفس عن الغفلة .
٦ ــ سفر در وطن : اي السفر في الوطن . فينبغي أن يكون سفر السالك من عالم الخلق الى جناب الحق .
٧ ــ خلوة در انجمن : در انجمن : الخلوة في الجلوة . والمراد بها ان يكون قلب السالك حاضراً مع الحق غائباً عن الخلق مع كونه بينهم .
٨ ــ ياد كرد : ياد بمعنى الذكر . والمراد انه ينبغي للسالك ان يذكر بالنفي والاثبات (لا اله الا الله) باللسان ، كل يوم بعدد معين (خمسة آلاف أو عشرة آلاف) .
٩ ــ باز كشت : باز بمعنى الرجوع . والمراد تخيل هذه الجملة (الهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي) .
١٠ ــ نكاه دشت : نكاه بمعنى الحفظ . والمراد أن يحفظ السالك قلبه على ملاحظة معنى النفي والاثبات عند الذكر لئلا تدخله الخواطر .
١١ ــ ياد داشت : وهي عبارة عن حضور القلب مع الله على الدوام (١٧٥) .

٥ ـ تميز الطريقة الخلوتية عن بقية الطرق :

اساس هذه الطريقة دخول الخلوة . وقد وضع مشايخ الطريقة خمسة وعشرين شرطاً للخلوة اهمها :

استئذان الشيخ في دخول الخلوة .

صلاة ركعتين قبل الدخول ، والتوجه الى الله ليسهل للمريد الأمر وينيله مراده .

كيفية الدخول ، كما هي الحال عند دخول المسجد : الرجل اليمنى اولا ، البسملة ، التعوذ من شرور النفس .

تعتيم الخلوة فلا يدخلها شعاع الشمس حتى لا تنشغل حواسه .
ملازمة الوضوء ، والاكثار من الصوم ليصفو القلب من الكدورات البشرية .
ان يشغل قلبه بمعنى الذكر ، مراعياً معنى الاحسان (١٧٦) .
ان لا يتكلم مع احد الا مع شيخه ، وذلك لأمر ضروري .
ان تكون الخلوة بعيدة عن الاسواق واماكن السماع .
ان يغطي المريد راسه اذا اراد الخروج الى الصلاة ، فيتوجه بنظره نحو الارض .
ان يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة ، لأن تركها خطأ . وان كان له رفيق يصلي معه في خلوته والا فعليه بصلاة الجماعة على ان يعود بعدها الى خلوته .
عدم النوم الا اذا غلبه النعاس .

الاعتدال في جميع احواله ، لا سيما بين الجوع والشبع . وبعض الخلوتية يقصر طعامه ، اثناء الخلوة ، على الزيت والزيتون او غيره من المأكولات النباتية ، ويمنعون طعام الحيوان أو ما خرج منه .

ملازمة الذكر في القلب وعدم فتح الخلوة للناس .

اذا شاهد المريد شيئاً في النوم أو في اليقظة أو في الفهوانية (ما بين النوم واليقظة) ، لا يستحسن ذلك ولا يستقبحه ، ولا يزيد عليه ولا ينقصه ، بل يعرض كل ذلك على شيخه ولا يطلب منه تأويله ، فلربما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل . ولا يجب ان يكتم واقعته عن شيخه ، لأن الكتمان خيانة .

دوام تخيل صورة الشيخ ، وهو الرابطة بينه وبين خالقه ، كما يعلنون ، فهذا التخيل يدفع وسوسة الشيطان . فاذا هم المريد بمعصية يتمثل له الشيخ فينزجر عن فعلها ، كما يعتقدون (١٧٧) .

وهكذا فان دخول الخلوة والخروج منها لا يتمان الا بموافقة الشيخ . وقد اتفق مشايخ الخلوتية على ان مدة الخلوة تستغرق اربعين يوماً .

فالخلو تشبه الى حد بعيد المحبس ، الذي يضع الناسك نفسه فيه ، قاهراً

لجسده بالجوع والعطش والسهر ، منصرفاً الى التأملات التي تحمله على تسبيح الخالق (١٧٨) .

٦ ــ تميز المولوية :

تتميز المولوية عن بقية الطرق بالفتل المولوي ، الذي يرجعونه الى ما قام به ابو بكر الصديق من فتل امام النبي . فبعد أن انفق ابو بكر ماله واعتق عبيده في سبيل الله ، قال له الرسول : « يا ابا بكر هذا جبريل يقريك من الله السلام . وان ربك عليك راض فهل انت عنه راض ؟ » . فقال ابو بكر : « اني عن ربي راض (ثلاث مرات) » وصار يفتل كالدولاب (١٧٩) .

نشأت المولوية كذكرى لصديق جلال الدين وهو شمس تبريز . فقام جلال الدين بجعل قباء هذا الشيخ شعاراً لاتباع طريقته ، يرتدونه فيتميزون به عن غيرهم .

تتميز المولوية ايضاً ، باستعمال الناي الذي يشيع الانين والاشواق في حلقات الذكر (١٨٠) .

هـــــوامش

(١) را : محمد علوان ، مجلة الاسلام والتصوف ، القاهرة ، العدد ١١ ، نيسان ١٩٦١ ، ص ١٩ .
(٢) ألبير نادر ، التصوف الاسلامي ، ص ٧٤ .
(٣) عبد القادر الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٩٧ .
(٤) عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف (حلب ، ١٩٦٤) ، ص ٢٥٨ .
(٥) را : الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٣٣ ، ٩٥ .
(٦) محمود صادق الجميلي ، من اعلام العارفين ، ج ١ ، ص ١١ .
(٧) را : عبد الرحمن ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ١٠ .
(٨) م. ع. ، ص ٣٣ .
(٩) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٦٨ .
(١٠) م. ع. ، ص ١٠٦ .
(١١) م. ع. ، ص ٣٥ .
(١٢) الرقيقة هي اللطيفة الروحانية ، وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين ، كالمدد الواصل من الحق الى العبد ويقال لها رقيقة النزول . وكالوسيلة التي يتقرب بها العبد الى الحق من العلوم والاعمال والاخلاق السنية والمقامات . ويقال لها رقيقة الرجوع ورقيقة الارتقاء . وقد تطلق الرقيقة على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سر العبد وتزول به كثافات النفس (علي الجرجاني ، التعريفات ، ص ٥٢) .
(١٣) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٧٣ . أيضا نور الدين ، البدوي ، ص ٦٤ .
(١٤) را : يونس السامرائي ، احمد الرفاعي (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص ٢٩ .
(١٥) را : احمد قلاش ، افضل المساعي في مناقب الرفاعي (حلب ، ١٩٦٤) ، ص ٣١ .
(١٦) را : احمد الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٦٢ .
(١٧) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٦٨ ، ٨٥ .
(١٨) را : احمد الوتري ، روضة الناظرين ، ص ٥٦ .
(١٩) را : الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٤١ .
(٢٠) را : علي احمد ابو النظر ، درة الاسرار وتحفة الابرار ، ص ١٢٤ .
(٢١) ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٧٨ .
(٢٢) را : أبو النظر ، درة الاسرار ، ص ٤٠ .
(٢٣) محمود المغربي ، تحفة السالكين (القاهرة ، ١٢٧٠ هـ.) ، ص ٩ .
(٢٤) را : جلال السيوطي ، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الشاذلية (القاهرة ، ١٩٣٤) ، ص ٧٨ .
(٢٥) را : محمود منوفي ، جمهرة الاولياء واعلام اهل التصوف (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ٢٢٨ .
(٢٦) عبد الحميد طهماز ، محمد الحامد (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٥٧ .
(٢٧) عبد الفتاح أبو غدة ، صفحات من صبر العلماء (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ٥٩ .
(٢٨) را : الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٩٩ ، ١١٨ .
(٢٩) را : الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٥١ .
(٣٠) م. ع. ، ص ٧٧ .

(٣١) م. ع. ، ص ١١٠ .
(٣٢) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٢٥٥ .
(٣٣) را : المنوفي ، جمهرة الأولياء ، ص ٢٠٧ .
(٣٤) را : الجميلي ، من اعلام العارفين ، ص ١٨ .
(٣٥) را : الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٤٠ .
(٣٦) را : قانون الاسرة الرفاعية (بيروت ، ١٩٤٧) ، ص ٩ـ١٠ .
(٣٧) الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٣٢ .
(٣٨) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ١٠٢ .
(٣٩) را : الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٤٢ .
(٤٠) السامرائي ، احمد الرفاعي ، ص ١٨ .
(٤١) را : اليشرطية ، رحلة الى الحق ، ص ٨١ .
(٤٢) را : مجلة منبر الاسلام ، القاهرة ، عدد شباط ١٩٧٥ ، ص ١٢٠ .
(٤٣) را : عبد الحليم محمود ، ابو الحسن الشاذلي ، ص ٦٨ .
(٤٤) را : اليشرطية ، رحلة الى الحق ، ص ٨٠ ، ٢٦٨ .
(٤٥) را : محمود ، ابو الحسن ، ص ٤٨ .
(٤٦) ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ١١٩ .
(٤٧) را : محمد المدني ، الانوار القدسية ، ص ١٢٢ .
(٤٨و٤٩)م. ع. ، ص ١٢٢ ، ١٢٦ .
(٥٠) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٧٦ ، ١٤٦ .
(٥١) را : المدني ، الانوار القدسية ، ص ١١٥ .
(٥٢) محمود ، ابو الحسن ، ص ١٣٤ .
(٥٣) را : اليشرطية ، رحلة الى الحق ، ص ٨٠ .
(٥٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص ٣٨ .
(٥٥) الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٣٢ ، ١١٠ .
(٥٦) م. ع. ، ص ٩٥ .
(٥٧) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ١٦ .
(٥٨) را : المدني ، الانوار القدسية ، ص ١٣٢ .
(٥٩) را : ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٥٥ .
(٦٠) را : ابو النظر ، درة الاسرار ، ص ٩٨ .
(٦١) را : يوسف النبهاني ، سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين (بيروت ، ١٣١٦ هـ) ، ص ٦٥٨ .
(٦٢) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٧٥ .
(٦٣) المنوفي ، جمهرة الأولياء ، ص ٢١٥ .
(٦٤) ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ١١٧ .
(٦٥) علي الجرجاني ، التعريفات ، ص ٧٨ .
(٦٦) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٧٦ .
(٦٧) را : المنوفي ، جمهرة الأولياء ، ص ٢٥٣ .
(٦٨) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٧٧ .
(٦٩) را : الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٩٥ .
(٧٠) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٢٣١ .
(٧١) الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ٩٩ .

(٧٢) م. ع. ، ص ١٠٩ .
(٧٣) م. ع ، ص ٩٦ .
(٧٤) م. ع. ، ص ٥٢ .
(٧٥) احمد الكمشخانلي ، جامع الاصول (القاهرة ، ١٣٢٨ هـ) ، ص ٢٨٧ .
(٧٦) م. ع. ، ص ٢٨٨ .
(٧٧) را : اسعد صاحب ، بغية الواجد (دمشق ، ١٣٣٤ هـ) ، ص ١٥٤—١٥٥ .
(٧٨) را : ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٦٤—٦٥ .
(٧٩) نادر ، التصوف الاسلامي ، ص ٨٢ .
(٨٠) الكمشخانلي ، جامع الاصول ، ص ٢٨١ .
(٨١) م. ع. ، ص ٢٨٢ .
(٨٢و٨٣)را : ابو المظفر ، درة الاسرار ، ص ١٣٠ ، ١٥٠ .
(٨٤) را : اسعد صاحب ، بغية الواجد ، ص ٣٥ .
(٨٥) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٣٦٠—٣٦٢ .
(٨٦) را : عبد اللطيف الطيباوي ، التصوف الاسلامي ، ص ١٦٧ .
(٨٧) كفافي ، جلال الدين ، ص ٦٠ .
(٨٨) م. ع. ، ص ٦١ .
(٨٩و٩٠)م. ع. ، ص ٦١ .
(٩١) م. ع. ، ص ٦٢ .
(٩٢) الندوي ، رجال الفكر ، ص ٣٣١ .
(٩٣) حميد مجيد هدو ، اقبال (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ٨٣ .
(٩٤) را : حسين الخطيب ، الدر اللطيف (حمص ، ١٣٢٤ هـ) ، ص ١٢٢ .
(٩٥) الخطيب ، الدر اللطيف ، ص ١٢٣ .
(٩٦) را : الكمشخانلي ، جامع الاصول ، ص ٢١٧ .
(٩٧) را : عبد الله الدهلوي ، منحة الرحمن (اللاذقية ، دون تاريخ) ، ص ٣٢ .
(٩٨) Javad Nourbackhch , le soufisme (cours) , Page 5-8 .
(٩٩) را : محمد سليمان ، الحديقة الندية في آداب النقشبندية (القاهرة ، ١٣١٣ هـ) ص ٨٣ .
(١٠٠) را : الندوي ، رجال الفكر ، ص ٢٤١ .
(١٠١) را : الجيلاني ، الفتح الرباني ، ص ١١٥ ، ١١٨ .
(١٠٢) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٢٨ ، ٧٠ .
(١٠٣) را : محمد جميل الخطيب ، كشف القناع المسدول (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٢٠٨—٢٠٩ .
(١٠٤) را : الوتري ، روضة الناظرين ، ص ٤٣ .
(١٠٥) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٢٨ .
(١٠٦) م. ع. ، ص ٥٩ .
(١٠٧) ابو الهدى الصيادي ، التاريخ الاوحد للغوث الرفاعي الامجد ، ص ٥٢ .
(١٠٨) را : نور الدين ، البدوي ، ص ٨٨ .
(١٠٩) عيسى ، حقائق عن التصوف ، ص ٤٥ .
(١١٠) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ١٣٧ ، ١٥٢ .
(١١١) را : توفيق الطويل ، الشعراني (الاسكندرية ، ١٩٤٥) ، ص ٧٧ .
(١١٢) را : سليمان ، الحديقة الندية ، ص ٨٥ .
(١١٣) را : سليمان ، الحديقة الندية ، ص ٩٧ .

(١١٤) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٧٨ .
(١١٥) المنوفي ، جمهرة الأولياء ، ص ٢٢٢ .
(١١٦) را : ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ٨١ .
(١١٧) يقصدون به تحقيق اوصاف المريد من فقر وضعف وذلة .
(١١٨) را : ابو النظر ، درة الاسرار ، ص ١٠١ .
(١١٩) ابن عياد ، المفاخر العلية ، ص ١٤٠ .
(١٢٠) را : الكمشخانلي ، جامع الأصول ، ص ١٣٩ ، ٢٧٤ .
(١٢١) را : صاحب ، بغية الواجد ، ص ١٥١ .
(١٢٢) را : سعيد عاشور ، السيد احمد البدوي (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ٢٠٦ .
(١٢٣) الفتح : آية ١٠ (٤٨ : ١٠) .
(١٢٤و١٢٥) محمد نوري عيش ، البسط في احكام الطريق ، (طرابلس ، دون تاريخ) ، ص ٣١ .
(١٢٦) الخرقة او المرقعة : لباس مصنوع من قطع مختلفة من القماش ، حل محل لباس الصوف الذي كان يلبسه اوائل الصوفية . ولبس المريد الخرقة علامة على قبوله الطريق . والمعنى الملحوظ في خلع الخرقة على المريد ، ان يد الشيخ تنوب عن يد النبي (نادر ، التصوف الاسلامي ، ص ٣٤) .
(١٢٧) الاستدراج هو ان تكون بعيداً من رحمة الله وقريباً الى العقاب (الجرجاني ، التعريفات ، ص ٩) .
(١٢٨) الجرجاني ، التعريفات ، ص ٨٥ .
(١٢٩) سعيد عاشور ، السيد البدوي ، ص ١٣٦ .
(١٣٠) م. ع. ، ص ١٣٨ .
(١٣١) را : عيسى ، حقائق عن التصوف ، ص ٢٤٣ .
(١٣٢) الاستقامة في اصطلاح اهل الحقيقة هي الوفاء بالعهود كلها ، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد الوسط في كل الامور (الجرجاني ، التعريفات ، ص ٨) .
(١٣٣) را : طهماز ، محمد الحامد ، ص ١٨٠ .
(١٣٤) عاشور ، السيد البدوي ، ص ١٤٠ .
(١٣٥) نادر ، التصوف الاسلامي ، ص ٣٦ . أيضاً القشيري ، الرسالة ، ص ١١٠ .
(١٣٦) را : المدني ، الانوار القدسية ، ص ٦٠ .
(١٣٧) را : ابو النظر ، درة الاسرار ، ص ١٤٨ .
(١٣٨) الورد يقرأ في اوقات منتظمة : فيقال اوراد الليل واوراد النهار وورد السحر وغير ذلك .
الحزب : ليس له وقت مخصوص ، بل يقرأه المريد متى شاء وكيفما اراد . (را : محمد ابراهيم الجيوشي ، بين التصوف والادب (القاهرة ، دون تاريخ) ، ص ١٠٢) .
(١٣٩) را : محمد نوري عيش الطرابلسي ، البسط في احكام الطريق ، ص ٣٩—٤١ .
(١٤٠) را : يوسف النبهاني ، سعادة الدارين ، ص ٢٦٤ .
(١٤١) را : الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٤٢ .
(١٤٢) را : الرفاعي ، اهل الحقيقة ، ص ٧٥ .
(١٤٣) ابو الفرج ، ترياق المحبين ، ص ٣٦ .
(١٤٤) را : المنوفي ، جمهرة الاولياء ، ص ١٠٨ .
(١٤٥) را : الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٥٧ .
(١٤٦) م. ع. ، ص ٦٠ .
(١٤٧) يونس السامرائي ، احمد الرفاعي ، ص ١٨ .
(١٤٨) را : احمد الرفاعي ، السير والمساعي ، تحقيق ابراهيم الرفاعي (حلب ، ١٣٠٩ هـ) ، ص ٦٢ .
(١٤٩) را : محمود ، السيد البدوي ، ص ١٠٢ .

(١٥٠) را : اليشرطية ، رحلة الى الحق ، ص ٢٤٢ .
(١٥١) المسبعات هي السور القرآنية السبع الواردة آنفاً .
(١٥٢) را : ابو النظر ، درة الاسرار ، ص ١٨٥ .
(١٥٣) را : محمود ، السيد البدوي ، ص ١١١ .
(١٥٤) محمد نور ، الصفا الانسي ، (القاهرة ، الطبعة الأولى) ، ص ٥٦ .
(١٥٥) را : المدني ، الانوار القدسية ، ص ٧٠ .
(١٥٦) را : محمد علي الزعبي وعلي زيعور ، البونية (بيروت ، ١٩٦٤) ، ص ١٣٧ .
(١٥٧) را : السامرائي ، احمد الرفاعي ، ص ٢٦ .
(١٥٨) را : نادر ، التصوف الاسلامي ، ص ٧٧ .
(١٥٩) را : الفاروثي ، ارشاد المسلمين ، ص ٣١ .
(١٦٠) را : احمد عياد ، التصوف الاسلامي (القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص ٢٩٨ .
(١٦١) المجذوب هو المنفعل بالجذب الالهي حيث يهيم فكره في العالم السماوي ، عالم الحقائق ، (Voir Dermenghem , vies des saints musulmans , p. 790) .
(١٦٢) را : سليمان ، الحديقة الندية ، ص ١٠٦ .
(١٦٣) م. ع. ، ص ١٠٧ .
(١٦٤) م. ع. ، ص ١٠٨ .
(١٦٥) الخطيب ، الدر اللطيف ، ص ١٢١ .
(١٦٦) م. ع. ، ص ٢٣ .
(١٦٧) را : صاحب ، بغية الواجد ، ص ١٤٧ .
(١٦٨) را : الخطيب ، الدر اللطيف ، ص ٩٧ .
(١٦٩) م. ع. ، ص ١٦١ .
(١٧٠) را : صاحب ، بغية الواجد ، ص ١٤٩ .
(١٧١) Javad Nourbackhch , le soufisme , pp. 10-11 .
(١٧٢) را : الخطيب ، الدر اللطيف ، ص ١٣ .
(١٧٣) را : سليمان ، الحديقة الندية ، ص ١١٠ .
(١٧٤) را : الخطيب ، الدر اللطيف ، ص ٢٠٠ .
(١٧٥) را : الخاني ، الحدائق الوردية ، ص ١١٢—١١٧ .
(١٧٦) الاحسان عند الصوفية أن تعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك (الجرجاني ، التعريفات ، ص ٥) .
(١٧٧) را : محمد نور ، الصفا الانسي ، ص ٧٠—٧١ .
(١٧٨) را : مجلة نور وحياة ، بيروت ، شباط ١٩٧٤ ، ص ٢٠ .
(١٧٩) محمد القاوقجي ، الذهب الابريز ، ص ٣٩٢ .
(١٨٠) را : عياد ، التصوف الاسلامي ، ص ٢٩٧ .

الفصل الرابع

القادرية في طرابلس

ا ــ في جوار طرابلس .

ب ــ في طرابلس :

١ ــ نجيب الزعبي .
٢ ــ محمد بدر الدين الزعبي .
٣ ــ احمد سلطان .
٤ ــ فتح الله الزعبي .
٥ ــ حسن الزعبي .
٦ ــ عبد الفتاح الزعبي .
٧ ــ عبد السلام الزعبي .
٨ ــ خليل الثمين .
٩ ــ عمر الذوق .
١٠ ــ يوسف الجبلاوي .
١١ ــ عبد الرحمن الصوفي .
١٢ ــ محمد رشيد درنيقة .
١٣ ــ مشايخ آل البيروتي .
١٤ ــ عبد اللطيف الحداد .
١٥ ــ نظيف المولوي .
١٦ ــ محمد خلف .

كلمة عامة :

الفصل الرابع

القادرية في طرابلس

أ ـــ اول من ادخل هذه الطريقة الى طرابلس وضواحيها اسرتا الكيلاني والزعبي . الاسرة الاولى يعود نسبها الى عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني . وكان عبد الرزاق قد نزل دمشق بعد وفاة والده . وقد توفي عبد الرزاق ودفن بتلك المدينة ؛ فتفرق ابناؤه في شتى انحاء سورية لا سيما في حماه . وقد توجه قسم منهم الى مصر .

وفي سير هذه الاسرة من سورية الى مصر حلَّ قسم منها بمنطقة عكار في شمال لبنان وقد عرف هذا الفرع بالكيلانية نسبة الى الجد الجيلاني (الكيلاني) ؛ وما لبث أن اعترف شعب عكار لهذه الاسرة بالعلم والرئاسة الدينية فرفعها منذ عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م الى منصب الافتاء لمنطقة عكار بكاملها . وتجدر الاشارة الى ان هذا المنصب انشيء بعكار في ذلك التاريخ وفي ايام الاسرة الكيلانية . واخذت هذه الاسرة تتناقل هذا المنصب حتى الآن ؛ وكان ابناؤها يؤسسون الزوايا حيث كان يجتمع المريدون لتلاوة القرآن وسماع الحديث والتفسير وقراءة صلوات الطريقة القادرية واذكارها .

ومن اشهر مؤسسي الزوايا وناشري الطريقة في تلك المنطقة خالد بن عمر الكيلاني ، مفتي عكار الاسبق ، الذي تلقى علومه في المدرسة الحميدية في قرية (مشحا) قرب حلبا ، قاعدة عكار الحالية . ثم اصبح مدرساً في تلك المدرسة . وقد تخرج على يديه عدد من العلماء والمشايخ في الشمال وطرابلس . وكان خالد عالماً بالمذاهب الاربعة مع تمسكه بمذهب الامام ابي حنيفة (توفي ١٥٠هـ/٧٦٧م) . وكانت لخالد زاوية قرب منزله في قرية (بيت الحاج) لا تزال آثارها قائمة الى الآن . وقد عرف بالنشاط وكثرة التنقل بين قرى عكار ، يخطب في المساجد داعياً الى الشريعة الاسلامية والتمسك بآدابها . . . ويدير حلقات الذكر في الزوايا العديدة التي انشأها في مختلف قرى عكار ، يربي المريدين ، ويأخذ العهد على السالكين .

وكانت حلقات الذكر ، في تلك الزوايا ، تفتتح بتلاوة القرآن ، ثم المدائح النبوية ، ثم الذكر بكلمة التوحيد (لا اله الا الله) وباسماء الله الحسنى ، تارة بالقلب وتارة باللسان حتى يجتمعا عليه ؛ ومرة بين القلب واللسان . كل ذلك وهم جلوس ، كل مريد

في مكان محدد له . وكثيراً ما كانوا يتمايلون يمنة ويسرة حتى اذا سيطر عليهم الوجد (١) وقفوا بشكل حلقة في وسطها شيخهم فيدورون حوله ويحركون رؤوسهم مع استمرار الذكر والحادي يحدوهم بالمدائح النبوية والاستغفاثات الالهية . وبعد ذلك يرتاح المريدون فيما يتولى شيخهم الدعاء لمن سبقه من مشايخ الطريقة القادرية ابتداء من الجيلاني الى شيخه هو . ثم يختتم الذكر بتلاوة فاتحة الكتاب لجميع المؤمنين . وتجري بعد ذلك مناقشات دينية ينصرف بعدها المريدون .

وللمفتي خالد كتاب مخطوط في المولد النبوي ، كذلك له قاموس للغة العربية مخطوط ايضاً . توفي خالد بعد ان جاوز التسعين فخلفه ابنه محمد بهاء الدين في منصب الافتاء ، فانصرف الى بناء المدارس الدينية ، والمساجد ، والاهتمام بالتدريس الديني في منطقة عكار ، حيث اخذ هذا التدريس يحل شيئاً فشيئاً محل حلقات الذكر ؛ الأمر الذي جعله يهمل الزاوية التي ما لبثت أن توقفت عن النشاط . توفي المفتي محمد بهاء الدين عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م.

وفي منطقة عكار زوايا عديدة للطريقة القادرية ، لا تزال تمارس الصلـــوات والاذكار ، من اشهرها :

١ — في قرية حيزوق ، القريبة من حلبا ، كانت للشيخ عبد الله الزعبي زاوية قادرية ، وكان عبد الله علماً من الاعلام في طريق القوم ، يجلونه جميعاً ويحترمونه ؛ وبفضله انتشرت القادرية في عدة قرى (٢) . ومن بعده استلم الزاوية احمد شاكر فأحمد الزعبي .
٢ — في قرية مشحا القريبة من حيزوق انتشر فرع من قادرية حيزوق ، ولا تزال الى الآن زاوية خالد الزعبي تقيم الذكر وتربي المريدين .
٣ — في قرية ببنين زاوية لعبد القادر المصري الذي نال اجازته من خالد الزعبي شيخ زاوية مشحا .
٤ — في قرية البيرة قرب القبيات زاوية قادرية لعبد المجيد الزعبي .
٥ — في القرنة كانت زاوية قادرية لمحمد خليل ومن بعده تسلمها اسماعيل زكريا .
٦ — في قرية فنيدق كانت زاوية قادرية لزكريا البكار ومن بعده تولى مشيختها محمود البكار ومن بعده اولاده . وفيها حالياً زاويتان : الاولى لسيف الدين البكار والثانية لعبد العزيز زكريا .
٧ — وفي قرية الزاوية ، من قرى عكار العتيقة ، زاوية لظافر القادري .
٨ — وفي قرية برقايل زاويتان للقادرية : الاولى لعبد القادر القرحاني والثانية لخالد عبد الجواد . الى غير ذلك من الزوايا المبثوثة في مختلفَ انحاء عكار .

وفي منطقة سير الضنية ، التابعة لقضاء طرابلس ، عدة زوايا قادرية من اهمها :
١ — في قرية سير ، قاعدة المنطقة ، زاوية محمد الزعبي .
٢ — في قرية تاران زاوية لاحمد طراد القادري .

٣ ــ في قرية قرصيته زاوية لمحمد مريم .
٤ ــ في قرية المنية زاويتان : الأولى قديمة العهد ، تولت مشيختها اسرة الدهيبي

وشيخها الحالي عبد الستار الدهيبي . والثانية لأحمد الحلاق .

ب ــ في طرابلس : يذكر ابن محاسن (يحيى بن ابي الصفا بن احمد المتوفي عام ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م) ، في كتابه « المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية » ؛ ص ٧٣ . انه اجتمع ابان رحلته الى طرابلس بالشيخ علاء الدين الشهير بابن طبيخ الذي كان شيخ الطريقة القادرية في طرابلس آنذاك ؛ وكانت له زاوية بأعلى الجبل يقال لها قبة النصر . وقد شاهد ابن محاسن عدداً من المريدين في تلك الزاوية . ويصف ابن محاسن شيخ الطريقة بالعفة والتدين وشرف النفس .

وفي طرابلس ، قامت الاسرة الزعبية بانشاء زوايا عديدة للقادرية . وهذه الاسرة من ابناء عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني ، وانتشر افرادها في شتى انحاء سورية وفلسطين ولبنان . ووصل الزعبيون الى طرابلس من منطقة عكار وحصن الاكراد وتلكلخ ، وكانوا فيما مضى اسياد تلك القرى والمناطق . وكانوا يتسمون بصفة علمية تميزهم على اقرانهم من رؤساء القرى ، ودرج مشايخهم على اضافة لفظ الكيلاني أو الجيلاني في نهاية اسمائهم ، اشارة منهم الى جدهم الاكبر عبد القادر . انتقل الزعبيون الى طرابلس منذ اكثر من اربعمائة سنة ، وسرعان ما اقبل عليهم اهالي المدينة ؛ ينهلون منهم العلم الديني ويدخلون في طريقتهم الصوفية . ولعل من اهم الاسباب التي دفعت الطرابلسيين الى تقدير هذه الاسرة ورفعها الى اعلى المناصب الدينية ورعها واتصال نسبها بالرسول (صلعم) . وتأكد ذلك النسب بعدة فرمانات صدرت عن عدد من سلاطين بني عثمان (٣) . فكانت المدينة تختار شيخاً من الزعبية لمنصب نقيب الاشراف ؛ وهو منصب احدث في العهد التركي ؛ حيث كانت الدولة العثمانية تعين ، في كل مدينة ، شخصاً من سلالة الرسول (ص) متمتعاً بالكفاءة العلمية وممتلكاً لعدة آثار من مؤلفات أو خطابة أو نبوغ ... وتطلق عليه اسم نقيب الاشراف ؛ وكانت تخصص له مرتباً شهرياً . ولم يكن هذا المنصب ليعطى جزافاً وانما بعد تحر وتدقيق . وبعد زوال الدولة العثمانية أخذت الدول العربية ــ لا سيما بعد الاستقلال ــ في الغاء هذا المنصب ؛ فعندما يتوفى أحد النقباء لا تعين الدولة مكانه شخصاً آخر فيفرغ المنصب ومع الزمن يلغى .

ومن اشهر مشايخ الزعبية الذين اهتموا بنشر الطريقة في طرابلس :

١ ــ **نجيب الزعبي** الذي يعتبر من علماء طرابلس في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر ميلادي . ولد في طرابلس وتلقى فيها علومه الابتدائية ، ثم سافر الى مصر والتحق بالجامع الازهر ، فاتقن العلوم الفقهية واللسانية على مختلف المذاهب . وبعد عدة اعوام رجع الى طرابلس حيث استلم الخطابة بالجامع المنصوري الكبير . كان

نجيب رحب الصدر ، عالي الهمة ، مرجعاً يرجع اليه في المعضلات ؛ فأقبل عليه الطلبة من سائر الجهات ، ونبغ عدد منهم ، كالشيخ عبد الغني الرافعي ، مفتي طرابلس قديماً ، وقاضي طرابلس احمد سلطان وشقيقه امين وغيرهم . للشيخ نجيب بعض الآثار المكتوبة من الشروح والحواشي والخطب (٤) .

وكانت للزعبية زاوية في منطقة البسويقة ، قرب نهر ابي علي ، يجتمعون فيها كل ليلة جمعة ؛ وفي بعض المناسبات الدينية يقيمون فيها الاذكار الخاصة بطريقتهم ؛ فكان نجيب يقيم حلقات الذكر فيها ويشرف على تربية المريدين . وقد حضر احدى هذه الحلقات الشيخ محمد الجسر الطرابلسي ، وكانت بينه وبين نجيب صداقة ، وكان نجيب لا يوافق على استعمال المزاهر وضرب السلاح ابان حلقات الذكر ، الأمر الذي كان يقوم به بعض اهل الطريقة ، فينكر نجيب عليهم ذلك تمسكا بقول العلماء بمنع استعمال الآلات في حلقات الذكر ؛ فنظر الجسر الى حائط الزاوية وقال له متنبئاً : « اني انظر في هذا الحائط مزاهر معلقة وشياشاً مصفوفة » (٥) يريد الجسر بأنه سوف تأتي فترة يستخدم فيها شيخ الزاوية هذه الآلات . فقال له نجيب « هذا محال ان يوجد في مدة حياتي ؛ ولكن اذا كان في مدة هذا (واشار الى ولده محمد بدر الدين وكان صغير السن يحضر الذكر عند والده) فلا مانع من ذلك » (٦) .

وصدق ظن الجسر فاذا بمحمد بدر الدين يكرس كل جهوده لنشر الطريقة القادرية ويأخذ في استعمال المزاهر والشياش في زاوية والده .

واستعمال الشيش في بعض الزوايا يقصد به الصوفية اظهار كرامات الشيخ ؛ ذلك انه اثناء حلقة الذكر يقوم شيخ الزاوية بضرب بعض المريدين بالشياش في خدودهم أو بطونهم دون أن يصيبهم ضرر أو سوء ؛ الأمر الذي يؤدي الى ايمان الحضور بكرامات الشيخ ، كما يعتقدون ، فيندفعون الى الانضواء تحت لواء طريقته ، مسلمين اليه زمام تربيتهم الروحية .

٢ ــ وقد برع محمد بدر الدين باستخدام هذه الآلات ، وصارت له شهرة واسعة ؛ فاقبل المريدون على زاويته اقبالا شديداً ، فتمكن بذلك من اعادة كثير من المنحرفين الى الشريعة ، فأدوا فرائضها وتأدبوا بآداب الصوفية . وكانت تعتري محمد حالات من الجذب فيسارع الى اماكن تواجد الصوفية ليقيم حلقات الذكر (٧) .

وقام محمد بدر الدين بوضع صلوات على الرسول (ص) مرتبة على حروف المعجم . وكان مريدو زاويته يداومون على تلاوتها وقت الذكر ؛ وقد اتبعها بمنظومة تشمل توسلات واستعطافات الهية ؛ استهل ابياتها باسم من اسماء الله الحسنى :

« وانت يا رحيم يا الهي فجد على	عبيدك بالغفران لا زلت محسنا
سألتك يا مولاي يا متكبر	ويا خالق بالفضل والجود عمنا
ويا رب يا رزاق رزقاً ميسراً	وبالفتح يا فتاح فافتح قلوبنا
ويا باسط الارزاق جئتك راجياً	بجودك يا ديان يسر امورنا

ويـا واحـد ربـي عليـك تـوكلي — ويـا صمـد فـرّج بحقـك كربنـا
باسمائـك الحسنـى دعونـاك نرتجي — باحسانك المعروف يـا رب عمنـا » (٨)

ولبدر الدين عدة استغاثات نظمها لتنشد في حلقات الذكر ، جاء في احداها :

« أغث يـا الـه العالمين تكرمـا — وجـد وتحنـن يـا كريـم ترحمـا
لعبـد فقيـر طـاف كعبـة فضلكـم — سحـيراً وفي ثـوب التذلـل احرمـا
ومـدّ لكـم كـف الضراعـة سائـلا — وقد نال من حسن الوسيلة مغنما » (٩)

ونظم للمريدين عدة قصائد يحثهم فيها على التمسك بالشريعة ، والسير على خطى جده الجيلاني ، واخلاص القلب لله ، والزهد في الدنيا ، ومداومة الذكر ، والتضرع الى المولى كي يفرج الهم ، ويبعد الغم ، ويثبت الاقدام على الطريقة القادرية :

« انهـج فـي السـير علـى نهـج — للبـاز (١٠) فتحظـى بالفـرج
وعليـك بسنتـه الغـر — تـرقى الفـردوس وتبتهـج
وارشـف مـن صـرف مدامتـه — ولحـان سـواه لا تعـج
واحـذر بالقلـب تميـل بـه — للغـير فتمسـي فـي حـرج
واتـرك اخـوان السـوء ولا — تصحـب مـن كـان علـى عـوج
واذا وافـاك الكـرب فقـل — اشتـدي ازمـة تنفـرجي
واشغـل اوقاتـك بالطاعـا — ت لتسمـو بالنـور البهـج
وازهـد فـي الدنيـا وزخرفهـا — للأمـن غـداً والفـوز نجـي
وأدم للذكـر مـلازمة — وأتـل القـرآن بصـوت شجـي
وارفـع كفـاً للمـولى وقـل — قـد ضـاق الحبـل على الودج (١١)
ولساحـة جـودك قـد جئنـا — ندعـوك بقلـب منزعـج
ثبـت يـا رب طريقتنـا — وبهـا يسـر لـي بالفـرج
اصلـح يـا رب لاخـواني — وابعدهـم عـن طـرق العوج » (١٢)

سافر بدر الدين الى استنبول حيث التقى بمشايخ القادرية هناك ، واثناء وجوده في عاصمة السلطنة اصابه مرض ، وما لبث ان توفي عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م . وكان آخر ما نظمه ابيات قالها في استنبول :

« ملجـأ النزيل ويا غوث الدخيل اغث — عبـداً ضعيفـاً بعـاد الـدار اعيـاه
كم ذا ينـاديـك في الظلمـاء يـا سنـداً — للمستجـير ويـا نـوراً لمـن تاهـوا
عيـاله قـد غـدوا في الهم مـع اسف — حزنـاً عليـه اذا مـا حـل منعـاه
يا رب مـالي سوى ابواب فضلـك لي — ملجأ بهـا العبـد قـد حطت مطايـاه
انا الفقـير الـذي استغنـى بسيـده — والآن مـالت عـن الدنيـا نوايـاه
انـا الفقـير الـذي لـم يتركـن الى — اطفالـه غـير مـولاهم ومـولاه
ولـي على الذكـر اخـوان تركتهـم — اليـك والذكـر عند القـوم (١٣) الله
نكـن لهم سيـدي واجمـع قلوبهـم — عليـك يـا ملجـأ الـراجي ومنجـاه

وهـــاك سلمت امـــري للـــذي خلق الـ وجـــود منتظراً ما انت ترضاه » (١٤)

٣ ــ **احمد سلطان** : هو من تلامذة نجيب الزعبي المشهورين ، ولد بطرابلس عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م . وبعد ان اتقن العلوم الشرعية على يديه ، نال منه الاجازة في الطريقة القادرية ، ثم توجه الى الاستانة ليأخذ عن علمائها . وفي عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م عينته الحكومة العثمانية قاضياً على طرابلس . بقي احمد في ذلك المنصب حتى عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م حيث جرى نقله قاضياً على اللاذقية ؛ فقدم استقالته وانصرف الى خدمة ابناء بلدته ؛ واهتم بنظم الشعر (١٥) .

ترك احمد شرحاً لمقامات الحريري وكتاباً في المعاني ومراسلات شتى جرت بينه وبين ادباء زمانه عدا ديوان من الشعر . ومن اوائل الاشعار التي نظمها قوله :

« لمـــا تعالت عـــن الاشباه صورتـــه اضحى بشرع الهـــوى قلبي يوحـــده
اراد قتلي بسيـــف اللحـــظ مـــن مقـــل اولا فاني علـــى الحالين احمده » (١٦)

ومن قوله تقريظاً لمجموعة من الشعر :

تبينـــت مـــا ابـــدت بدائـــع فـــارس مـــن النظـــم والنثـــر المصونين من در
كذلـــك مـــا يـــروى لاعـــلام عصرنـــا ســـراة بني الآداب بـــل بهجة العصر
على انهم غاصـــوا البحـــار واخرجـــوا لآليء آثـــار تعـــز علـــى الدهـــر

توفي احمد عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م (١٧) .

٤ ــ **فتح الله الزعبي** : ابن محمد بدر الدين يعتبر من علماء طرابلس في اوائل هذا القرن . ولد وتعلم في طرابلس ، وانقطع للتدريس والخطابة والامامة في جامع العطار ، داخل المدينة القديمة . توفي فتح الله عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م تاركاً عدة مؤلفات دينية مخطوطة وعدة شروح وتعاليق وابحاث في الفقه والحديث . وكان كثير التردد الى زاوية والده في السويقة .

٥ ــ **حسن الزعبي** : تلميذ نجيب ونسيبه . بعد اجازته درّس مدة في طرابلس ، لاسيما علم الفقه والآداب العربية . وقد اختاره بطرس البستاني استاذاً للآداب العربية في مدرسته الوطنية . توفي حسن ودفن ببيروت . وقد اشتهر بوعظه وبشعره الداعي الى الزهد ؛ وببعض المقالات التي كانت تنشرها له الجنان ، الجريدة التي انشأها بطرس البستاني (١٨) .

جاء في احدى قصائده :

احبتنـــا في روضـــة العلـــم فارسخـــوا فللعاشقين الشرق والغـــرب فـــرسخ
وكـــل صفـــات المـــرء تنـــأى وعلمـــه يلازمـــه لـــم يثنـــه عنـــه بـــرزخ
وكـــل مكـــان صالـــح لافـــادة وانيـــده مـــا كـــان كالماء ينضح (١٩) .

٦ ــ **عبد الفتاح الزعبي** : من اشهر مشايخ الزعبية في طرابلس ، والذين لعبوا دوراً مهماً في حياة المدينة . هو ابن محمد بدر الدين ؛ ولد بطرابلس ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م ،

وتلقى العلم فيها حيث درس الفقه والادب . ولما شب استلم زاوية الزعبية في السويقة ، والخطابة والتدريس والامامة في الجامع المنصوري الكبير . عينته الدولة العثمانية نقيباً للأشراف عن مدينة طرابلس وخصصت له مرتباً شهرياً . ومما لا شك فيه ان تعيينه في هذا المنصب لم يكن لو لم يتميز عبد الفتاح على اقرانه من الاشراف بالعلم والدين والأثر المشهود . كان عبد الفتاح جهوري الصوت ، سريع البديهة ، يتمتع بالحجج الدامغة . ترك عدة مؤلفات مخطوطة اشهرها « انساب عائلات طرابلس » وكان قد اتمه قبيل وفاته ؛ اذ كانت له شهرة واسعة في علم الانساب (٢٠) .

« مجموعة مباركة » وهو يضم ثلاثة اقسام :

القسم الأول : الورد الاسمى في الصلاة على الرحمة العظمى . وقد رتب هذا الورد حسب الحروف الابجدية ، واختار لكل ورد موضوعاً خاصاً : الوحي ، القرآن ، الايمان ، الاسلام ، النواهي ، الاخلاق ...

القسم الثاني : القلادة الحسنا في اسماء الله الحسنى . وهي منظومة تضم اكثر من ثمانين بيتاً في التوسل باسماء الله الحسنى (٢١) وقد ختمها بالدعاء التالي :

باسمائـك الحسنى لقـد جئت ضارعاً	ولي اعين تجـري من الدمـع اعينـا
الهـي وارحـم والـديّ واخـوتي	واصلح لي في نسلي ومـر شيوخنـا
والق علـى الاخـوان منـك محبـة	وثبت علـى النهـج القويـم طريقنا .

القسم الثالث : التنزلات العرشية في مزج الصلاة المشيشية (٢٢) .

ولعبد الفتاح نظم غزير في مدح الرسول ، ومدح ورثاء رجالات الطرق الصوفية عامة والقادرية خاصة . وخص جده الجيلاني بعدة قصائد أشهرها « الايجاز في مدح سيدنا الباز » وهي قصيدة طويلة استهلها على عادة الشعراء في ذكر الاحبة والاطلال والتغني بليلى قبل الوصول الى الغرض الرئيسي ، الا وهو مدح الجيلاني ، الذي يصفه بقطب الاقطاب ، وغوث الانام ، المشهود له بالولاية من الجميع ، المتحدر من سلالة الرسول ، صاحب الكرامات العديدة ، هادي الناس ، صاحب الكتب والتآليف (٢٣) .

ومدح رجال السلسلة القادرية وخص والده بكل ثناء ؛ وكان يضمن قصائده تلك بالتوسل بالحضرة الالهية :

سـر بـي بنهـج هـدى على آثارهم	لأنـال في نفحاتهـم منـك الارب
يـا ذا الجـلال وذا الجمال تجـلّ لي	بتجلـي محبـوب لـذي صـدق احب
أطفـي ببـرد الوصل لي حـرّ النوى	فالقلب مـن نـار البعاد قـد التهب
تـوج بتـاج الهـدى نفسي واكسنـي	حلـل الرشاد منطقـاً بحلـى القرب
واكشف عـن القلـب الحجاب وادننـا	من حضرة التقرب في اسنى الرحب (٢٤)

ويصف حالة مريديه بانهم هجروا الاغيار شوقاً لله ، وامضوا الليالي الطوال في ذكره . . . لذلك فهم يستحقون القرب من الله واللطف منه في الدنيا والآخرة (٢٥) .

وفي قصيدة نظمها في رثاء الشيخ محمد القاوقجي يقول :

آه على غوث المريد ومن به	صلحت لنا الاحوال والاطوار
كم كان يحيى ليلة في ختمة	في ركعتين ودمعة مدرار
بالله اقسم لست انسى ليلة	ما بيننا الا اقيم جدار
احيا دجاها خاضعاً متواضعاً	حتى غدا ليل ولاح نهار
لكن تركت لهم اجل فضائل	ومفاخر تسمو بها الآثار
تلك التآليف التي انشأتها	لهم وهاك على الفهوم تدار (٢٦)

واتباعه لطريقة جده الجيلاني لم يمنعه من محبة مشايخ بقية الطرق ، فنظم المطولات في اظهار مناقبهم وورعهم . ومن قصائده واحدة خصصها في مدح مشايخ النقشبندية . جاء فيها :

يا غوث من ناداه في اسمائه	وجفا سواه ومال عن اسمائه
والدمع من جفنيه شوقاً مرسل	ومسلسل قسماً لعظم بكائه
وانتقش بمرآة الفؤاد جماله	وبذاك منك افض على اجزائه
سار بنهج الصاحب المحمود (٢٧) من	ابدى طريق القوم بعد غفائه
قطب تدور عليه افلاك التقى	ويؤم سدته بنو عليائه
ورث المفاخر والولاية والهدى	والفضل والعليا وحسن ثنائه
عن شيخه وشقيقه غوث الخلا	ئق خالد من عم نور هدائه
هو ذو الجناحين الذي بهما علا	لحظيرة القربى انتهاء علائه (٢٨)

وقد جمعت مواعظه التي القاها في الجامع الكبير وفي الزاوية وغير ذلك من المحافل ، في كتاب سمي « المواعظ الحميدية » طبع في بيروت ١٣١٩هـ / ١٩٠١م . أي قبل وفاته بخمس وثلاثين سنة . وفي هذه الخطب كان الشيخ يستلهم مواعظ جده الجيلاني ، ومن شدة تعلق عبد الفتاح بطريقته الصوفية اطلق على نفسه لقب (خادم طريقة جده) .

وفي ايامه انتشرت في طرابلس دور اللهو وانتشر القمار ، وغيرها من الآفات الاجتماعية ، وبدات جموع الشباب بالانحراف عن الدين وارتياد هذه الاماكن ، والابتعاد عن مجالس الذكر . لذلك انبرى الشيخ لمنازلة هذه الآفات وهدمها بمعول الشرع المدعم بالمنطق . وكان يحث جمهور الطرابلسيين على حضور حلقات الذكر التي يقيمها في الزاوية ، لأن هذه المجالس ، في رأيه ، تبعدهم عن الشرور وتنمي فيهم حب الفضيلة (٢٩) . وفي ايامه ضاقت زاوية القادرية بالمريدين ، واقبلت جموع الطرابلسيين على تقديره والتقرب اليه واطاعة اوامره ؛ فكان يدرس ويعظ في الجامع الكبير ، ويقيم حلقات الذكر في الزاوية ، ويمنح الاجازة في الطريقة للمجلين من مريديه ، حاثاً اياهم

على الاكثار من الذكر : من تسبيح وتهليل وتكبير وصلوات على النبي ، لأنه يعتقد ان هذا الذكر يقرب المريد من الله .

وكان من عادة الطرابلسيين ان يكثروا من التكبير في اسبوع عيد الأضحى ؛ ولما اصابهم الفتور انبهم الشيخ مبيناً ان الصحابة ، أمثال ابي هريرة وابن عمر ، كانوا يخرجون الى السوق للتكبير ؛ فهو يعتقد ان الشيطان يفر عند سماع الذكر ، والجهر به في الاسواق ينبه الغافل ويجمع الفكر (٣٠) .

ولقد حارب الشيخ ادعياء التصوف ، الذين اتخذوا منه شعاراً يخفون تحته نفاقهم وضلالهم المتمثل بترك التكاليف الشرعية ، والتحلل من الشريعة الاسلامية ، فبين ان العمل بالكتاب والسنة اساس كل تصوف ، وترك العبادات اثم ، وجحدها كفر يخرج صاحبه من ملة الاسلام . ويتساءل الزعبي : كيف يعقل ان يكون من صوفية المسلمين (٣١) .

وكان عبد الفتاح الزعبي يحث الناس على الزهد في الدنيا والعمل للآخرة : « يا عباد الله ، من راى الدنيا وزوالها ، وابصر العوالم ومآلها ؛ نساءها ورجالها وشبانها واطفالها وعظماءها وعلماءها وعمالها ؛ وكيف سقاها الموت من كأسه ما مرّ لها ؛ لم يشتغل بها عن الآخرة ومالها ، ومحا من صحيفة قلبه تمثالها » (٣٢) . ويضرب الشيخ المثل بعبد عشق الدنيا ، فجمع من الحلال والحرام ، وفجأة غدرت به فتلقفه الموت مخلفاً وراءه ما جناه . ويتخيل الشيخ رغبة النفس في العودة الى الدنيا لتحسن افعالها ، لكن هيهات ان يتحقق ذلك . فعلى الانسان — في رايه — ان لا يعمر دنياه بخراب دينه ، وعليه ان يبادر الى التوبة النصوح ، وان يكبح عاديات النفس بلجام الشرع قبل فوات الاوان (٣٣) .

وفي استعماله للترغيب والترهيب جاء قوله في احدى خطبه المنبرية : « من كان الطين مبتداه فالقبر منتهاه . فوالهفي على من لا يتصف بطاعة مولاه . وواحزني على من لم ينهه عن المعصية نهاه ؛ وهو مغرور بعنفوان شبابه ، مسرور بحلة العز ، مفتخر بمراتب الجاه . حتى صرخ به داعي الموت فأجابه رغماً ولباه ، ففاضت عيون اهله وولده ، وعلا نحيبه وبكاه ، ثم يعجل بتجهيزه من كان في الدنيا حبه ومناه . ثم يوضع في حفرة لا يقوم منها الا حين عرضه على من خلقه وسوّاه » (٣٤) .

ويستمر عبد الفتاح في عرض ما يحصل للمرء يوم الحساب ، من نطق الجوارح ، فيدخل الجنة من اطاع الحق وعصى الهوى ، وتتقد النار لمن عصى الجبار . ففي ذلك اليوم ، يرى عبد الفتاح ، ان الوالدة تجهل ولدها ، ولا يعرف الولد أمه واباه و « ينادى اين فلان من طال اعتداده ، اين الظلمة واعوانهم ، اين الخونة واخوانهم ، اين من تكبر وعصى اوامر سيده ومولاه . اين من في المال الحرام لها وكاثر وفي اهله وعشيرته باهى وفاخر ؛ فويل له مما كسبه واجتناه » (٣٥) .

وعلى اثر هذه الخطب يندفع المصلون في طريق التوبة ، عاقدين العزم ، معاهدين الشيخ على الالتزام باوامر الشرع ونواهيه .

وفي ايامه ظهرت جماعة **تنكر الكرامات** وتدّعي بان اصحابها من المشعوذين وان الكرامات تتناقض مع ما جاء به الدين الاسلامي ؛ فانبرى الشيخ عبد الفتاح لهذه الفئة يقارعها بالحجج المستمدة من القرآن واحاديث الرسول وسيرة الصحابة ؛ فيذكرهم بقصة اهل الكهف التي ورد ذكرها في القرآن : « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، واذا غربت تقرضهم ذات الشمال . وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ؛ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً » (٣٦) .

ويذكرهم بهز مريم العذراء لجذع النخلة اليابس فاخضرت النخلة وتساقط رطبها الجني في غير اوانه : « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » (٣٧) .

يقول الشيخ عبد الفتاح : « اني ولله الحمد ممن جنح لكرامات اهل الطريقة وسلم لهم ما ظهروا به من اسرار الحقيقة ؛ كيف لا وانا الذي ترعرع جسمي في حضرة انسهم وانتشت روحي في روضة قدسهم :

بـــلاد بهـــــا نيطـــت علـــيَّ تمائمـــي ... واول ارض مس جسمـــي ترابهـــــا .

على اننا في زمن القال والقيل والتلبس بثوب النفاق والتضليل ودولة الانكار بجموعها مفتونة وسفينة الجاحدين بالرذائل مشحونة ، والعين لا تسلم بما ترى عناداً والأذن لا تصغي للناصح بما تسمع عناداً ، والفم يريد ان يطفيء نور الله ويأبى الله الا

ان يتم نوره وينشر في مظاهر اسماء وصفات ذاته العلية . فلا أبالي بعد هذا بمنكر او جحود أو منافق أو حسود قد تردى بالصفات الابليسية وغلبت عليه الانانية النفسية فتعاظم بكثافة طبعه وتعالى وما علم ان مظاهر الوجود بيده سبحانه وهو الذي ايد اولياءه بالكرامات ورفع الذين آمنوا الايمان الكامل درجات ، قد اركبهم مطايا الحب واسرى بهم على براق الشوق الى حرم الحرمة والقرب ثم عرج بهم على مراقي السعادة الى منازل الحسنى وزيادة ؛ ولما وصلوا وبحضرته اتصلوا كشف لهم الحجاب وروق لهم الشراب وفتح لهم الباب وقال لهم مرحباً بالاحباب وقدمهم في صفوف اهل الصفا وزف لهم عروس جماله الاقدس على منصة الاصطفا فخاطبهم وخاطبوه وشاهدوا حسنه بعدما راقبوه واخذ لسان القال يعرب ما بناه لسان الحال :

انـــا في حضـــرة القـــريب المجيـــب ... بـــين كــــأس يملـــي وبين حبيـــب
انـــا مـــا بينكـــم مقيـــم ولكـــن ... انـــا واللـــه عندكـــم كالغـــريب (٣٨)

وقد نظم الشيخ عبد الفتاح قصيدة (كرامة الكرامات) بين فيها ايمانه العميق بكرامات الشيخ محمد الجسر الطرابلسي ومسجلا اعجابه بالشيخ حسين الجسر جامع كرامات ومناقب والده ، وقد جاء فيها :

بينما كنت اعاني في الجسد ... المـا اورث احشائي النكد
جاءني خل وفي صادق ... بكتاب فيه سر ورشد
في كرامات الامام الجسر من ... قد حباه الله فضلا لا يحد
وكساه حلة الاخلاص مر ... توماً عليها (قل هو الله احد)
صحت من وجدي بها مع المي ... يا ابا الاحوال (٣٩) غوثاً ومدد
فحباني باريء عز شفا ... ودواء منها قد احيا الكبد
فهي حسبي من كرامات لها ... كم كرامات بنا ليست تعد
ولنعم الجامع الراوي لها ... نجله الشيخ حسين المعتقد
كل من شاهده قال به ... ان هذا الشبل من ذاك الاسد
دام محفوظاً برب الناس من ... معتد او حاسد اذا حسد (٤٠)

وكان الشيخ عبد الفتاح يتألم كثيراً من مهاجمة بعض الجهلة للاولياء والانتقاص من مكانتهم فأخذ يحذر المهاجمين من سوء العاقبة وان يتوبوا عن اعمالهم تلك وان لا يعودوا الى مثلها لأن الله سبحانه يعادي من يعادي اولياءه ؛ ويذكرهم بالآيات القرآنية التي تدعو الى احترام الاولياء .

وكان كجده يدعو العاصين المبتعدين الى التوبة والقيام بالاعمال والواجبات الدينية قبل فوات الاوان لأنها اي العبادات الباب الواسع الموصل الى خيري الدنيا والآخرة . وقد تمكن الشيخ عبد الفتاح من الوقوف بوجه التيارات الغريبة وتمكن من اصلاح بعض ما افسدته المادية الطاغية كما أنه اعاد الكثيرين الى حظيرة الدين مما كان له ابعد الأثر في التقليل من الموبقات والشرور . استمر الشيخ عبد الفتاح في التدريس والوعظ وادارة الزاوية حتى توفاه الله ١٩٣٥م / ١٣٥٤هـ فتسلم المشيخة ولده الشيخ علي المرتضى كما تسلم نقابة الاشراف . ولد الشيخ علي في طرابلس عام ١٨٧٦ م / ١٢٩٣هـ وتلقى العلم في قرية مشحا القريبة من حلبا حيث كان اولاد الكيلانية والزعبية يتلقون العلوم الدينية هناك .

والواقع ان والده الشيخ عبد الفتاح اسهم اسهاماً كبيراً في تربيته وتعليمه وهو الذي البسه خرقة الصوفية ومنحه الاجازة في الطريقة القادرية . وبعد وفاة ابيه اصبح الشيخ علي شيخ السجادة القادرية في الزاوية الزعبية فكان يقيم الاذكار كل ليلة جمعة .

وفي اواخر حياته انصرف الى التدريس والخطابة والوعظ في الجامع المنصوري الكبير فأهمل شؤون الزاوية ؛ ولعل من الاسباب التي دفعته الى هذا الاهمال تخفيض الرواتب التي كانت تدفعها الاوقاف الاسلامية لهذه الزاوية وامثالها .

توفي الشيخ علي عام ١٩٧٠م / ١٣٩٠هـ تاركاً عدة مؤلفات مخطوطة اغلبها خطب جمعية ، وله قصائد متنوعة من اهمها مرثيته التي نظمها عقب وفاة الشيخ عبد القادر الرافعي الطرابلسي الذي كان مفتياً للديار المصرية (٤٢) .

ولا تزال الزاوية الزعبية القادرية بيد الشيخ المعتصم بالله بن الشيخ علي ، وكان المعتصم قد تخرج من كلية الشريعة في الجامع الازهر وذلك بعد تخصصه في الدراسات الاسلامية ؛ فاستلم الخطابة والتدريس والامامة في المسجد المنصوري بالاضافة الى التدريس الديني في المعاهد العلمية والقاء المحاضرات ذلك ان التوجيه الاسلامي انتقل من الزاوية الى المسجد والمدرسة والمعهد والنادي .

ويذكر محمد كرد علي (٤٣) أن الشيخ سيف الدين كرناكي السيفي كان قد اسس المدرسة الزريقية عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م في محلة السويقة لتكون زاوية للقادرية كما يذكر ان لهذه الطريقة في طرابلس عدة زوايا (٤٤) . وكانت توجد بطرابلس تكية للقادرية في الطريق المتفرعة من سويقة النوري المؤدية الى السراي العتيقة . وعلى مدخلها لوحة كتب عليها :

« تكيــــــة القادريـــــة	اسرارهــــا مبديــــة
قـــد اتحفـــت بالتجلـــي	مــــن فضـل رب البريــة
محمـــد قـــد بناهــــا	الفستقـــي سنيـــة
ارخـــه جـــاء بنـــاه	تكيـــة القادريـــة .
سنة ١٢٠٤هـ/١٨٧٩م » (٤٥)	

وكانت في طرابلس المدرسة القادرية في المنطقة المعروفة بباب الحديد تتوسط الطريق بين جامع الاويسية وحمام عز الدين ؛ ومن المرجح ان اصحاب الطريقة القادرية كانوا يتخذون منها زاوية لهم يحيون فيها الاذكار ولذا عرفت بهم . وفي ايام المماليك كانت هناك مدرسة أخرى للقادرية في سوق العطارين تعتبر من اكبر مدارس المدينة . ولم يعرف السبب في انقطاع المدرستين عن التدريس واقامة اذكار الطريقة القادرية .

٧ ــ **عبد السلام الزعبي** : ومن زوايا القادرية في طرابلس والتي لا تزال تمارس الذكر الى الآن زاوية الشيخ عبد السلام الزعبي الكائنة في حي البعل من منطقة باب التبانة (الحي الشمالي في طرابلس) . ومما تجدر الاشارة اليه انه اذا توفي احد مشايخ الزعبية توافد ابناء الاسرة لتكريمه فتنتشر امام جنازته اعلام القادرية ويسير مشايخ الطريقة في المناطق المجاورة لطرابلس في مقـدمة المـوكب حـاملين طبولهم الصغيرة ومزاهرهم وصنوجهم يرتلون صلـوات خاصة حتى يصلـوا بالجنازة الى مثواهـا الاخير (٤٦) . وما لبثت هذه العادات ان انتقلت الى سائر مشايخ واتباع الطرق الاخرى فدرجت على تكريم مشايخها حسب المراسيم الزعبية .

٨ ــ **خليل الثمين** : ومن مشايخ القادرية في طرابلس قديماً خليـل بن ابراهيم الثمين ؛ ولد بطرابلس عام ١٢١٣هـ وتلقى علومـه الدينيـة والعقليـة على علمـاء عصره في الفيحاء (طرابلس) ثم سافر الى مصر ودخل الجامع الازهر ومكث فيه عدة اعوام كان بها موضع اعجاب علماء ذلك المعهد الديني . وبعد رجوعه الى مدينته نال

منصب نقابة الاشراف الأمر الذي يبين ان أسرته متفرعة من سلالة الرسول (ص) وانه اي الشيخ خليل كان من مشاهير المدينة الاعلام .

عين الشيخ خليل خطيباً واماماً ومدرساً في الجامع الشهير بالبرطاسي . وكان الامير شرف الدين عيسى بن عمر البرطاسي الكردي (٤٧) قد قام بانشاء هذا المسجد ليكون مدرسة للطلبة على المذهب الشافعي مع اقامة صلاة الجمعة لذلك فقد جمع بين المسجد والمدرسة . وتاريخ البناء يعود الى ما قبل سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م حيث أن ابن البرطاسي كان قد توفي في هذا التاريخ .

وقد بناه على حافة نهر ابي علي اليسرى في المنطقة التي تتوسط بين محلتي السويقة وباب الحديد شمالي شرقي القلعة . ونظراً لقربه من النهر كانت المياه تغمر بعض اجزائه ابان الفيضانات العديدة التي سببها نهر ابو علي (قاديشا) (٤٨) . وقد اتخذ الشيخ خليل من هذا المسجد زاوية للطريقة القادرية يدير حلقات ذكر الطريقة ويربي المريدين حتى وفاته عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م . له مؤلفات كثيرة منها ارجوزة في علم الفرائض الدينية وكتاب « السراج الوهاج لايضاح ما يلزم الحاج » وكتاب « الرحلة الحجازية » دون فيه انطباعاته ومشاهداته ابان ادائه لفريضة الحج وكتاب « شكاية اهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » (٤٩) .

وله تخميس لطيف للبردة :

اجفوة الحبّ انست لذة الحلم　　ام شدة الوجد ابدت حلة السقم
ام تلك لوعة صب بالغرام رمي　　ام من تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

واضرع لربك كي تبقى به علما　　واسأله فهو الذي بالسر قد علما
ايد لروحك واتبع سنة العلما　　وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهم

وقال في قصيدة اخرى :

هب النسيم فذكر المشتاقا　　ما قاسى من الم الصدود ولاقى
فالدمع صيبه كهطل سحابة　　والقلب من حر الجوى براقا
تذكي لهيب جوارحي بمدامعي　　ومن العجائب هاطلا حراقا
اني اسير محبة لا ابتغي　　من بعد رقي دائماً اعتاقا
لكن اروم العتق من نار الجفا　　فسعيرها أعظم به احراقا
واهدي الصلاة لخير مبعوث سما　　فوق البرق وجاوز الآفاقا (٥٠)

وقامت بين الشيخ خليل وغيره من مشايخ الطرق في الاقطار الاسلامية مراسلات ، تهدف الى تقريب وجهات النظر بين مختلف الطرق الصوفية ؛ وتدعو الى نبذ الغرور والفرار من البدع والانحرافات ، وترك الانهماك في الملذات ، والتمسك التام بآداب الطريقة والشريعة (٥١) . وقد رثاه صديقه الشيخ عبد الغني الرافعي بقصيدة مطولة

ذكر فيها مناقبه واعماله الجليلة في خدمة الطريقة والاخلاق . جاء فيها :

لهف قلبي على الخليل الجليل عزة الدهر درة الاكاليل
اي روح الى الجنان تسامت فوق هام التكريم والتبجيل
اي نفس الى اللقاء اجابت بلسان التحميد والتهليل
بوفاة الخليل علامة العصر وشيخ الحديث والتأويل
ليس رزء الانام فيه وان جل كرزئي وما له من مثيل
قسماً بالوفا وساعات انس سلفت بيننا على ترتيل
ومعان من غامض العلم كنا نجتليها من محكم التنزيل
وكؤوس من الحديث ادرنا بيننا من سلاف قول الرسول
غير اني اعلل النفس عنه بعلى (٥٢) الرضا اجل سليل
معدن اللطف والكمالات حقاً وكذاك الفروع شبه الاصول (٥٣)

٩ ـ **عمر الذوق** : ومن مشايخ القادرية في طرابلس قديماً ، يوسف عمر الذوق ، المولود بطرابلس ١١٢٥هـ / ١٧١٣م والذي يعتبر من علماء المدينة المعدودين في القرن الحادي عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي .

تتلمذ على يده عدة مشايخ في المدينة منهم : محمد التدمري ، عبد الحق المغربي . ثم قصد القاهرة طلباً للعلم وللاستزادة منه ؛ فالتحق بالازهر ونال شهادته ورجع الى طرابلس ينشر ثقافته فيها . وكان الذوق كثير النظم في التصوف عامة وفي مدح الطريقة القادرية ومؤسسها ومشايخها خاصة (٥٤) .

مما كان له ابعد الاثر في نشر الطريقة القادرية بين ابناء المدينة والضواحي .

ترك الشيخ يوسف عدة آثار تناولتها يد الضياع ؛ ومن غرر قصائده جاء قوله :

رويدك حادي اليعملات فما اقوى على حث نجب يممت طللا اقوى
لعل بريقاً عندما سح مدمعي وارعدني شوقي يلوح به رضوى
اساوق آمال الاماني به كما تساوقني وعداً وتسبقني عدوا

وفي قصيدة اخرى :

تجلت فجلت عن شبيه صفاتها وعزت علاء ان ترى لك ذاتها
فريدة حسن مهرها النفس هكذا روى عن علاها في التجلي رواتها
فمن لم يجد بالنفس لم يدر ما اللقا ولا عبقت في انفه نفحاتها
بروض تجليها لدى سحب وجودها بكى مزنها فاستضحكت زهراتها
بها عين تسنيم الحقائق مفرد وعن ذوقها يروي شذاها ثقاتها
فلا تخش بأساً ان سكرت بخمرها فقد حكمت بالحل فيه قضاتها (٥٥)

١٠ ـ **يوسف الجبلاوي** :

آل الجبلاوي (نسبة الى جبلة المدينة الساحلية السورية) . ذلك ان جد هذه

الاسرة (يوسف) قدم من مصر لزيارة ضريح ابراهيم بن ادهم (٥٦) المدفون في بلـــدة جبلة ، فلازم ضريحه مدة ثلاثين سنة ؛ رزق في اثنائها عدة ابناء ما لبث كبيرهم محمد ان ترك البلدة متوجهاً الى طرابلس حيث اتخذ منها موطناً . ولقد انجب محمد عدة ابناء من اشهرهم الشيخ يوسف الذي برع في العلوم الفقهية والادبية . وتصدر الشيخ لالقاء المواعظ في مختلف مساجد المدينة . وكان الشيخ يوسف من اجلاء مشايخ القادرية ، يدير حلقات الذكر ، ويربي المريدين ، ويجيز المجلين منهم ، ويشارك بقية الطرق في الاذكار الخاصة بها . توفي حوالي ١٩١٠م / ١٣٢٨هـ . ترك عدة آثار ادبية وشعرية تناولتها يد الضياع (٥٧) .

١١ ــ الشيخ عبد الرحمن الصوفي :

كان من علماء العربية وشعرائها المجيدين ، وقد برع في علم المنطق . ولد حوالي ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م في طرابلس حيث تلقى علـــومه على يد مشايخها . درس مدة في المدرسة الوطنية حيث تخرج عليه عدد كبير من علماء الفيحاء وادبائها مـــن مسلمـــين ونصارى . ولما اقفلت هذه المدرسة دخل الشيخ عبد الرحمن في سلك موظفي الحكومة وتقلد القضاء في جهات مختلفة ، ثم عين مديرا لاوقاف طرابلس . له مراسلات شعرية مع كبار شعراء عصره في طليعتهم الشيخ ناصيف اليازجي اذ قال له في قصيدة :

بلغـــت مقامـــاً لـــم تنلـــه الاوائــــل ... وحـــزت كمـــالا تبتغيـــــه الافاضــــل
ولســـت بـــراء غـــير فضلـــك يرتجى ... لكـــل ملـــم فيـــه تـــدمى الصياقـــل
ولـــولاك لـــم تـــدر العلـــوم بانهـــا ... تجـــل وان قـــد بـــان منهـــا دلائـــل
ويقصـــر بـــاع الدهر عـــن وصف سيد ... لـــه جمعت في المكرمـــات الفضائــــل

وقد اجابه عليها الشيخ ناصيف بقصيدة اثنى فيها على براعته قال في مطلعها :

منـــازل عسفـــان فدتـــك المنـــازل ... اراجعـــة تلـــك الليـــالي الاوائـــل .

ومن نظمه تقريظ لرواية الفها جرجي يني الطرابلسي صاحب كتاب تاريخ سورية .

نفيـــــس لآل النـــيرات الثـــواقب ... تنظـــم عقـــداً في نحـــور الكـــواعب
واسفـــر صبحـــاً جوهـــري نظامـــــه ... ولاح كبـــدر التـــم فـــوق تـــرايب
بديــــع معـــان نبهتنـــا رمـــوزه ... علـــى حسنـــه والحسن اعظـــم جاذب
تميس بـــه تيهـــاً نشـــاوى وتنثنـــي ... الـــى جـــرجس العليـــاء سامي المراتب
هـــو الدرة الغـــراء والســـدة التـــي ... تمســـك في اذيالهـــا كـــل خاطب (٥٨)

قام الشيخ عبد الرحمن بجمع صلوات الطريقة القادرية واضاف اليهـــا منظومـــة باسماء الله الحسنى واخرى في الاستغاثة . وكان يمنح الاجازات في الطريقة ويصادق على الاجازات الممنوحة لعدد من مشايخ الفيحاء كتلك التي منحهـــا الشيـــخ اعرابـــي الزيعلي للشيخ علي حمادة وكان ذلك عام ١٢٥٨ هـ/١٨٤٢م كما هـــو مدون على نص تلك الاجازة .

١٢ ــ **محمد رشيد درنيقة** : مريد الشيخ عبد الفتاح الزعبي . ولد بطرابلس ١٢٨٦ هـ/١٨٦٩م وفيها تلقى علومه الأولى . ولما شب لازم حلقة الزعبي حتى اجازه بالطريقة القادرية .

انشأ رشيد زاوية للقادرية في منطقة الزاهرية حيث كان يقيم حلقة الذكر كل ليلة اثنين ، على انه كان يخص ليلة النصف من شعبان بذكر خاص . اذ في تلك الليلة يجتمع عنده مشايخ الصوفية فيذكرون حتى طلوع الفجر . توفي رشيد عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م تاركا عدة قصائد في مدح رجال الطريقة القادرية وخاصة الزعبية . واشهرها القصيدة التي نظمها بمناسبة انشاء المدرسة الحميدية في قرية مشحا .

استهل قصيدته بمدح السلطان عبد الحميد الذي اطلق اسمه على المدرسة :

لسلطاننا عصر فاعظم به عصرا	طرابلس فيه لقد فاخرت مصرا
امام الهدى عبد الحميد الخليفة الـ	ذي هو ظل الله والآية الكبرى
حمى الشرع حامي عصبة الحق ناصر الـ	عدالة ماحي الظلم مستأصل الضرا

ويمتدح اقباله على فتح المدارس في مختلف انحاء العالم الاسلامي ليستأصل الجهل الذي استشرى امره بين الرعية .

ثم ينتقل الى محمد المحمد الذي قام ببناء المدرسة في قرية مشحا بعكار . وبتخصيص عدد كبير من الكتب لطلابها وتسليم تلك المدرسة الى الزعبية :

رعى الله شهماً حب اوطانه غدا	لعمرك طبعاً فيه لا يعرف العذرا
وفي نظري ما بالفتى من شمائل	فذلك عن آبائه ورث الامرا
لذلك حب المرء للمرء منهما	لنسلهما يسري فسبحان من اسرى
الا تنظرون الآن حب محمد (٥٩)	الى السادة الزعبية اليوم ما اجرى

ويعلن الشيخ ولاءه للزعبية ولطريقتهم الصوفية ذاكراً نسبهم الى آل البيت :

أحب بني باز الرجال وقطبهم	ابي صالح ابناء فاطمة الزهرا

ويذكرهم برعاية السلطان لهم :

فيا آل باز الله يا آل احمد	تهنوا بسلطان نعمتم به العمرا
فقوموا بآيات الدعاء ورتلوا	من الحمد فرقاناً ومن شكره ذكرا

وينهي قصيدته كما افتتحها بمدح السلطان :

ادام الـه العرش سلطان مجده	وابقاه في العيش الهنيء لنا الدهرا
وملكه كل الوجود بأسره	لتبقى ملوك الكون في كفه اسرى
بجاه ختام الانبياء وآله	واصحابه والتابعين لهم طرا » (٦٠)

وقام الشيخ رشيد بجمع صلوات بدر الدين الزعبي في كتاب ضم اليه عدة استغاثات .

١٢ ــ **مشايخ آل البيروتي** : وكانت لهم زاوية للطريقة القادرية منذ اكثر من مئتي سنة . وقد تداولها مشايخ الاسرة ونخص بالذكر منهم :

أ ــ **مصطفى بن حسن البيروتي** : توفي في مطلع القرن العشرين ، وعلى اثر وفاته تولى المشيخة شقيقه

ب ــ **سعيد** : المولود بطرابلس عام ١٢٨٧ هـ/١٨٧٠م. ولما شب تولى الاشراف على النوبة (مجموعة الآلات الموسيقية التي تستخدمها الزاوية) أيام اخيه مصطفى . اشترك الشيخ سعيد في الحرب العالمية الأولى ، بالرغم من تقدمه في السن . ولما وضعت الحرب اوزارها ، عاد الى طرابلس ليهتم بشؤون الزاوية ، وكانت تقع في حي النوري قرب الجامع الكبير . اشتهر الشيخ سعيد باستعمال النار والشيش ، ابان حلقات الذكر ، وكان يقوم بـ « الدوسة » . يأتي المريدون بالنوبة ، فيضربون الطبول والدفوف ، وينشرون الاعلام ؛ فيصلي الشيخ ركعتين بكل خشوع ويتضرع الى المولى بالبكاء والدعاء ، ثم تقدم له فرس مربوطة العينين ، ويمتد كل من حضر على الارض نياماً على وجوههم ، صفاً واحداً ، بحيث يكون راس احدهم عند قدمي الآخر ، وهكذا الى آخرهم . فيقوم احد المريدين بسحب الفرس التي يمتطيها الشيخ ويجبرها على السير فوق الاجساد . فمنهم من تدوسه فوق رأسه أو اذنه أو ظهره او يده او ... دون ان يلحق بهم ضرر ما . وكان الشيخ سعيد يذهب الى بيروت ، في بعض الاحيان ، لاقامة حلقات الذكر هناك ، مع ما يتخللها من استعمال للنار وللسلاح . وكثيراً ما كان يحضر حلقته في بيروت عدد من الاجانب أو المنكرين على المشايخ استعمال هذه الالوان . وفي ايامه ضمت الزاوية عدداً كبيراً من المريدين . توفي الشيخ عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ودفن بطرابلس بمقبرة باب الرمل . ومن بعده استلم الزاوية ولدا أخيه مصطفى:حسن ونوري .

ج ــ **نوري** : في الوقت الذي كان فيه شقيقه حسن يدير الذكر في الزاوية كان نوري المسؤول عن النوبة . ولد الشيخ نوري بطرابلس عام ١٣١٦م / ١٨٩٨م ؛ تلقى علومه الأولى عند الشيخ اشراقية في منطقة التربيعة ؛ فحفظ القرآن . ولما شب جند في الجيش العثماني ، واشترك في الحرب العالمية الأولى في منطقة الاناضول . وبعد انتهاء الحرب ، عاد الى طرابلس مع من بقي حياً من الطرابلسيين وفي الزاوية سلك على يد والده الطريقة ؛ وكان والده يعده كي يستلم الزاوية ؛ وبعد وفاة والده سلك الشيخ نوري الطريقة على يد الشيخ احمد شاكر ، شيخ القادرية في حيزوق بعكار . وآل الأمر اليه بادارة الزاوية واقامة الذكر واستعمال النوبة . وسلك على يديه عدد كبير من قادرية المدينة . وقد اشتهرت الزاوية ، في ايامه ، حتى دعي الزقاق بتلك المنطقة بـ « زقاق البيروتي » . كان الشيخ نوري يجري ، بعد الذكر ، حديثاً دينياً قصيراً ، يتناول فيه تفسير بعض آيات القرآن او شرح بعض الاحاديث النبوية ، ويتناول في حديثه بعضاً من سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني . توفي الشيخ نوري بطرابلس

ودفن الى جانب والده واخيه ؛ فاستلم الزاوية شقيقه الشيخ

د ــ جميل : الذي عاش حياة مشابهة لشقيقه نوري ، وظل الشيخ مسؤولا عن شؤون الزاوية حتى وفاته فانتقلت المسؤولية الى ابن شقيقه عبد القادر بن نوري .

هـ ــ عبد القادر : ولد في طرابلس ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، وتلقى علومه الأولى في مدرسة جمعية التعاون ، قرب سوق العطارين ، ثم مال الى التجارة لكنه ظل مواظباً على حضور حلقات الذكر التي كان يقيمها والده في زاويتهم ؛ فنشأ محبــاً للزهــاد والصالحين ، متتبعاً اخبارهم . وكان يجتمع ببعضهم ابان استضافة والده لهم في الزاوية ؛ فيأخذ عنهم . سلك الطريقة على يد والده الذي اجازه بعد ان لمس فيــه الاستعداد والرغبة الصادقة في تولي مشيخة الزاوية ؛ لكنه لم يتمكن من تحقيق هذه الرغبة الا في عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م وذلك على اثر وفاة عمه العقيم الشيخ جميل .

واول عمل قام بهالشيخ هو نقل الزاوية من حي النوري الى حي المهاترة على مقربة من قلعة طرابلس . ولا تزال هذه الزاوية حتى الآن تمارس الذكر ؛ وذلك كل يوم اثنين ، عقب صلاة العشاء : يجتمع المريدون في الزاوية ، فيقوم بعض المنشدين بانشاد المدائح النبوية ، ثم تبدأ النوبة ؛ وهي تقليد متبع حتى الآن في بعض الزوايا . والغاية من استعمال النوبة ــ كما يزعمون ــ تنبيه الجوار والمريدين الى أن الذكر سيبدأ فيهرع من تباطأ او نسي الموعد ؛ على ان هذه النوبة لا تستمر اكثر من نصف ساعة يتوافد خلالها جمهور المريدين والمشاهدين حيث يجلس كل منهم في المكان المخصص له : شيخ الزاوية يتصدر القاعة ، وبقربه النقيب ، فالمريدون بشكل حلقة . وهناك امكنة خاصة بالمشاهدين . يفتتح الشيخ الحلقة بطلب قراءة الفاتحة واهداء ثوابها للرسل والاقطاب .

ومن المعلوم ان مشايخ الطرق يضعون اهمية كبرى للفاتحة ، لانها مفروضة في كل ركعة من ركع الصلوات الخمس ، خلافاً لبقية سور القرآن . ويعتبر المشايخ ان في الفاتحة سر القرآن .

وباشارة من الشيخ يبدأ الجمع في تلاوة الصلوات على النبي ، ثم يذكرون بكلمة التوحيد وهم جلوس يتمايلون ، وبعد ذلك يقفون بشكل حلقة متابعين الذكر بهذه الكلمة التي هي عماد من عمد الاوراد الصوفية ، وبدونها لا يتحقق السلوك الى الله ــ كمــا يقولون ــ وقد حث الرسول جمهور المسلمين على تردادها بقلب خاشع فقال : « خير ما قلت انا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (٦١) . وقال ايضاً : « افضل الذكر لا اله الا الله » (٦٢) . ومما وصفت به هذه الكلمة انها : « كلمة التوحيد ، الاخلاص ، التقوى ، الكلمة الطيبة ، دعوة الحق ، العروة الوثقى ، ثمن الجنة ... » (٦٣) . وعندما يذكر بها المريد فكأنما يحطم الاصنام ، ويستعلي على الدنايا ، ويتخلى عن الحرص على الدنيا فيتخلص القلب من التعلق بغير الله ، ويتوجه بهذا الدعاء الى خالقه بكليته . وعندما يلاحظ شيخ الزاوية الارهاق على المريدين ، يشير عليهم بالذكر باسماء الله الحسنى : حي ، قيوم ، حق ،

تهار ... وهي ما تعرف في اصطلاحهم بالطبقات . ويتم الانتقال من طبقة الى أخرى باشارة معينة من الشيخ . وبعد الانتهاء يجلس الذاكرون للراحة ، ويستمعون الى فرقة المنشدين للمدائح النبوية وللاستغاثات الالهية . ثم تجري بين الجميع من مريدين ومشاهدين احاديث دينية صرفة ، حيث لا مجال هنـــاك للبحث في الامور السياسية مطلقاً ، ذلك أن الجمهور قد توافد لذكر الله وحده .

وفي المناقشات الدينية كان المشاهدون يشاركون جمهور المريدين في القاء الاسئلة ، والاستفسار عن امور العقيدة ، وعن الذكر وفضله والهدف منه ... فيجيبهم شيخ الزاوية أو من ينتدبه لذلك . فيصبح الامي على اطلاع لا بأس به في علـــوم الحديث والتفسير وفي أمور الحلال والحرام ... فللزاوية اثر واضح في تربية النفوس ، وتهذيب الطباع ، وحث المريدين على البحث عن معاني الحديث ، وعن افضل التفاسير ، ومنحهم القدرة على المناقشة في شؤون الدين ، وتأييد آرائهم ببراهين مستمدة مـــن الكتاب والسنة ؛ وبذلك يصبح المريد الأمي متفوقاً على زميله الذي لم ينخرط في زاوية تهذبه . وبالمناقشات يزداد عدد المريدين ، اذ يقتنع عدد من المشاهدين بتلك المعتقدات فينضوي تحت لواء الطريقة ساعياً لنيل اجازتها وتحصيل آدابها . وكانت زاوية البيروتي تجمع اعيان المدينة للمشاركة في حلقات الذكر ، كما انها استقطبت العدد الغفير من سكان المنطقة الذين دخلوها اشقياء منحرفين ثم تخرجوا منها انقياء بامور الشرع ؛ ذلك ان الطرق الصوفية ــ كما يقولون ــ باب الله وباب التوبة اليه ، ولا تستطيع هذه الطرق ان تغلق باب الله في وجه التائبين ، بل هي على العكس تشجعهم على ولوجه والاقبال عليه . فليس عيباً في الطرق وفي زواياها انها تضم بعض الذين كانوا منحرفين ؛ بل يجب ان تضم امثال هؤلاء لتمهد لهم سبيل العودة الى الحياة الصالحة ؛ ولا يمكن ان يعير ابن الطريقة بان له ماضياً أو سوابق في الفسوق أو انه قد صدر منه ما لا يليق ... ذلك ان مجرد انتسابه الى زاوية اعتراف منه بالحاجة الى الارشاد ، ورغبة صادقة منه في التلقي . ولا يأخذ شيخ الزاوية على عاتقه تربية مريد الا بعد ان يتأكد من اتباعه للكتاب والسنة . وبعد مرحلة الاختبار هذه يأخذ عليه العهد بالطاعة والاذعان .

ومما تجدر الاشارة اليه انه تنشأ بين الذاكرين مودة ، ذلك انهم يجلسون بالقرب من بعضهم البعض ، فهناك الفقير والغني ، العالم والجاهل ، الوجيه والوضيع ... فيشعرون بانهم اخوة في الله ؛ الأمر الذي يؤدي الى تعارفهم وبالتالي تبادلهم الزيارات والمساعدات والى تفقد بعضهم البعض ... وعن استلام الزاوية ، فان الشيخ يلاحظ احد النجباء الذين عندهم الاستعداد بما تهيأ لهم من تربية صوفية ، وتعليم ، فيتولاه الشيخ بالعناية والتدريب الشاق على قطع عقبات النفس ؛ كل ذلك يجري دون ان يشعر الشيخ مريده بما بيته له . وقبيل الوفاة يوصي الشيخ بتسليم ادارة شؤون الزاوية الى من اختاره جمهور المريدين . ومن شأن هذا النظام الا يرشح لمشيخة الزاوية الا من هو اهل لها ، الأمر الذي يضمن استمرارية العمل في تلك الزاوية .

١٤ ــ عبد اللطيف الحداد : ومن مشايخ القادرية في طرابلس حالياً ، عبد اللطيف الحداد الذي اتخذ من جامع البرطاسي زاوية له . والشيخ من خريجي ازهر لبنان ، دورة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م وقد نال الاجازة في الطريقة القادرية من الشيخ محمد عبد القادر الزعبي ، من قرية الحبالصة ، قرب حلبا ، الذي اخذ بدوره عن الشيخ احمد شاكر الزعبي ، شيخ الطريقة في حيزوق . والشيخ عبد اللطيف مؤسس جمعية الانصار الاسلامية بطرابلس . يقيم الشيخ حلقة الذكر كل ليلة جمعة ، عقب صلاة العشاء ، ولا تستعمل زاويته النوبة باستثناء المزهر (الدف) ، وذلك اثناء انشاد القصائد في مدح الرسول . يذكر مريدو الزاوية جهراً مع التمايل ؛ ويتضمن ذكرهم عدة طبقات تقل أو تزاد حسب نشاط المريدين . وبعد الذكر يشكل بعض المريدين حلقة صغيرة للذكر بالفتل ، لكنه فتل مغاير لفتل المولوية ؛ وتسمى هذه الحالة ، عندهم ، دروشة (٦٤) . ويجتمع الشيخ بمعظم مريديه كل يوم بعد صلاة المغرب في الزاوية ، حيث تجري ابحاث في التفسير : تفسير آية قرآنية أو حديث نبوي ، وفي التجويد ، وفي القضايا الصوفية والدينية ... وهكذا يجمع مريدو الزاوية بين الفرائض الدينية والتفقه في امور الدين والتصوف . ومريدو هذه الزاوية في ازدياد مستمر بفضل الجهود التي يبذلها الشيخ ؛ والواقع أن قسماً من هؤلاء كان من المبتعدين عن الدين ، وبفضل التوجيه السليم عادوا اتقياء ؛ ويرى الشيخ ان من اهم اهداف الذكر جذب المنحرفين الى السماع والمشاهدة

اولا ، ثم الى المشاركة فالى الالتزام بامور الشرع من تأدية الفرائض والاكثار من النوافل ؛ ذلك ان الاستماع الى القرآن كان ولا يزال سبباً مهماً في عودة المنغمسين في الشرور الى الطريق السليم ؛ فالفضيل بن عياض (٦٥) كان يتعاطى السرقة وقطع الطرق ، ثم استمع الى تلاوة القرآن صدفة ، فتاب وانصرف الى الاهتمام باحاديث الرسول ، واخذ يدعو الناس الى الزهد . وبشر الحافي (٦٦) الذي كان ــ في بعض الروايات ــ سكيراً ما لبث ان تحول الى صوفي ، اخذ على عاتقه الدعوة الى الورع ... (٦٧) وهكذا فان حادثة بسيطة ، الاستماع الى القرآن بخشوع مثلا ، كانت المؤثر الفعال في تغيير مجرى حياة الكثيرين .

وزاوية الشيخ عبد اللطيف تشبه الخلية ، فهناك شيخ الزاوية والنقيب (٦٨) والمريدون و خدم الزاوية . ويتناوب المريدون على خدمة الزاوية كل بدوره حتى يشعر المريد ــ كما يعتقدون ــ باهمية اخوانه في الطريقة والتضحية في سبيلهم .

يجمع الشيخ بين تربية المريدين والخطابة والتدريس والامامة في مساجد المدينة وله مهمات اخرى في المحكمة الشرعية بطرابلس .

١٥ ــ الشيخ نظيف المولوي : مريد الشيخ ظهير الدين الصوفي ، الذي كانت له زاوية للقادرية في منطقة القبة . وفي عام ١٣٦٢ هـ/١٩٤٣م نقل زاويته الى منطقة الصاغة القريبة من الجامع الكبير ، وقام بتربية عدد من المريدين في طليعتهم الشيخ نظيف الذي كان يتنقل بين زوايا المدينة ، بالاضافة الى تكية المولوية ، وبعد ان بلغ مرحلة التمييز

تخلى عن طريقة اجداده (المولوية) ، لأنه رأى فيها الكثير من المخالفات الشرعية ، واتصل بالشيخ ظهير ولازمه ونال منه الاجازة في الطريقة . وفي عام ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢م استلم الشيخ نظيف المدرسة الشمسية الملاصقة للجامع الكبير ، من جهته الشمالية في سويقة النوري ، وتنسب هذه المدرسة الى مؤسسها شمس الدين المولوي الذي بناها عام ٧٤٩ هـ/١٣٤٩م (٦٩) لتكون زاوية للطريقة المولوية ، ولا تزال تضم ضريحه الى جانب احد مشايخ المولوية . ولقد ادار فيها الشيخ ذو الفقار ذكر الطريقة النقشبندية الى أن آل الأمر في النهاية الى الشيخ نظيف .

تمتاز هذه الزاوية على غيرها من زوايا القادرية بانها لا تستعمل الآلات الموسيقية، بل تقتصر على قراءة الصلوات والاوراد والاذكار ، بين المغرب والعشاء من كل ليلة جمعة ، وفي كل نهار جمعة عقب الصلاة . ورواد هذه الزاوية من المتقدمين في السن الذين يذكرون جهراً وهم جلوس .

١٦ ـ محمد خلف : كان يتردد الى زوايا القادرية عامة وزاوية آل البيروتي خاصة ، وقد نال الاجازة من الزاوية الاخيرة . وفي عام ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م اسس زاوية للقادرية في جامع طينال اولا ثم انتقل الى منطقة قبر الزيني عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ولا تزال هذه الزاوية تمارس الاذكار حتى الآن ، كل يوم جمعة بعد صلاة العشاء . ولا تستعمل هذه الزاوية في ذكرها النوبة ، بل يجلس المريدون بشكل دائرة . وبعد صمت تام يتهيأ خلاله المريدون ، يبدأ الشيخ بترديد كلمة التوحيد ، مرة تلو المرة بشكل ايقاعي ، فيقوم المريدون بتقليده ، مدة ربع ساعة تقريبا ، يصبحون بعدها مستعدين للمرحلة التالية : يقف الجميع بشكل دائرة يتوسطهم شيخهم ، فيشدون الايدي ، ويلصقون الكتف بالكتف ، وبناء على اشارة من الشيخ يذكرون بلفظ الجلالة ، فيحني المريد ركبتيه ثم يعيدهما الى وضع الوقوف ، اما الشيخ فانه يراقب كل واحد من الذاكرين بدقة ، وكثيراً ما يؤدي الحركات على الشكل السليم وخاصة للمبتدئين الذين لم يتمكنوا بعد من اتقانها . وباشارة من الشيخ ينتقل الجمع الى ذكر معين تتوقف فيه حركة الركبتين لتبدأ حركة الصدر صعوداً وهبوطاً ، والمنشدون يصاحبون هذه المراحل بالمدائح النبوية . وبعد ذلك ينهي الشيخ الذكر بحركة خاصة ، فيجلس المريدون ليستمعوا الى تلاوة للقرآن وتفسير بعض الآيات والاحاديث ثم يقوم الشيخ بالدعاء الخاص بهذه الطريقة وينفض الجمع .

كلمة عامة

كانت الطريقة القادرية تستقطب عدداً كبيراً من الطرابلسيين ، فقد قدر عدد مريديها عام ١٣٣٣ هـ/١٩١٤م . بخمسة آلاف طرابلسي ، يوم كان سكان طرابلس لا يتعدون خمسين الفاً بين صغير وكبير ، ورجل وامرأة ، ومن مختلف الطوائف (٧٠) . والآن لا تزال هذه الطريقة منتشرة وبكثرة في طرابلس وضواحيها .

ومن اشهر زواياها الحالية بطرابلس :

١) زاوية آل البيروتي .
٢) زاوية الشيخ نظيف المولوي .
٣) زاوية الشيخ عبد السلام الزعبي .
٤) زاوية الشيخ عبد اللطيف الحداد .
٥) زاوية الشيخ محمد خلف .

اما زاوية الزعبية الرئيسية في السويقة ، فقد اهملت لأن احفاد الشيخ عبد الفتاح انصرفوا الى العلوم الشرعية ولم يهتموا بالطريقة .

هـــوامش

(١) الوجد حال من الشعور الخفي ، وهو بدء النشوة في نفس الصوفي للاقتراب من الله فتنصرف حواسه كلها الى التامل في الله الواحد ، ويدخل على القلب من اجل ذلك غبطة واسعة ، ويعتبر الصوفية ان ذلك لا يتم الا بارادة الله ، لأن البعد بين الانسان والله لا يمحوه الا الله نفسه لانه لا طاقة للانسان بعبور هذه الهوة السحيقة (را : البير نادر ، التصوف الاسلامي ، ص ٣٧) .

(٢) را : صبحي الصالح ، نثر اللآلي (طرابلس ، ١٩٥٦) ، ص ١١٩ .

(٣) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ (بيروت ، ١٩١٧) ، ص ٣٠٨ و ص ٢١٥ .

(٤) را : سميح الزين ، تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٥٠٠ .

(٥و٦) حسين الجسر ، نزهة الفكر (بيروت ، ١٣٠٦) ، ص ١٠٥ .

(٧) را : محمد رشدي الميقاتي ، الأثر الحميد (طرابلس ، ١٣٤١هـ) ، ص ٦٦ .

(٨) محمد بدر الدين الزعبي ، اوراد جليلة ، تحقيق رشيد درنيقة (طرابلس دون تاريخ) ، ص ١١–١٢ .

(٩) م. ع. ص ١٩ .

(١٠) لقب الجيلاني .

(١١) عرق في العنق ينتفخ عند الغضب .

(١٢) الزعبي ، اوراد جليلة ، ص ٢١–٢٢ .

(١٣) الصوفية .

(١٤) الزعبي ، اوراد جليلة ، ص ٢٣ .

(١٥) را : عبد الله نوفل ، تراجم علماء طرابلس (طرابلس ، ١٩٢٩) ، ص ٩٧ .

(١٦) تاريخ الاسرة الرافعية ، مخطوط ، كامل الرافعي (طرابلس دون تاريخ) ، ص ١٠ .

(١٧) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٩٨ .

(١٨) م. ع. ص ١٢٥ .

(١٩) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٢٥ .

(٢٠) را : محمد الحسيني ، فريدة الاصول (طرابلس ، ١٣١١ هـ) ، ص ٤٧ .

(٢١) را : عبد الفتاح الزعبي ، مجموعة مباركة (بيروت ، ١٣١٥ هـ) ص ٢ ، ٢٨ .

(٢٢) الزعبي ، مجموعة مباركة ، ص ٣٩ .

(٢٣) را : عبد الفتاح الزعبي ، الايجاز في مدح سيدنا الباز (طرابلس دون تاريخ) ، ص ٢ ، ٩ .

(٢٤) عبد الفتاح الزعبي ، صلوات (طرابلس دون تاريخ) ، ص ١١ .

(٢٥) م. ع. ، ص ١٢ .

(٢٦) عبد القادر الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين (بيروت ، ١٣٠٦ هـ) ، ص ٢٩–٣٠ .

(٢٧) محمود الصاحب شقيق الشيخ خالد ذي الجذاحين شيخ مشايخ النقشبندية في سورية .

(٢٨) اسعد صاحب ، بغية الواجد في مكتوبات خالد (دمشق ، ١٣٣٤هـ) ، ص٤٩–٥٠ .

(٢٩) را : عبد الفتاح الزعبي ، المواعظ الحميدية (بيروت ، ١٣١٩هـ) ، ص ١٦٢ .

(٣٠) را : الزعبي ، المواعظ ، ص ١٥٧ .

(٣١) م. ع. ص ٤ .

(٣٢) م. ع. ص ٥٩ .

(٣٣) م. ع. ص ٩٣ .
(٣٤) الزعبي ، المواعظ ، ص ٩٨ .
(٣٥) م. ع. ص ٩٨ .
(٣٦) سورة الكهف ، الآيات ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ .
(٣٧) سورة مريم ، آية ٢٥ .
(٣٨) حسين الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٢٥٨—٢٥٩ .
(٣٩) ابو الاحوال ، لقب الشيخ محمد الجسر الطرابلسي .
(٤٠) الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٢٦٠ .
(٤١) را : عبد الفتاح الزعبي ، المواعظ الحميدية ، ص ١٦٣ .
(٤٢) را : رشيد الرافعي ، ترجمة عبد القادر الرافعي ، (القاهرة ، ١٩٠٦) ، ص ١٦١ .
(٤٣) محمد كرد علي (١٨٧٦—١٩٥٣) من رجال الدولة والتاليف في سورية . رئيس المجمع العلمي الدمشقي (١٩٢٠—١٩٢٥) .
(٤٤) را : كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٢٩ و ص ١٥٧ .
(٤٥) عمر تدمري ، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس ، (طرابلس ، ١٩٧٤) ، ص ٥٤ .
(٤٦) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .
(٤٧) ابن البرطاسي (٦٦٥هـ / ١٢٦٦م — ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) كان اميناً للسر في دمشق ثم تولى الاشراف على الدواوين بطرابلس وبها توفي .
(٤٨) را : عمر تدمري ، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس ، ص ٢٠٧ .
(٤٩) را : عبد الله نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٢٥٨ .

(٥٠) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٢٥٩ .
(٥١) را : اسعد صاحب ، بغية الواجد في مكتوبات خالد ، ص ٢٦٨ .
(٥٢) هو علي بن خليل الثمين وخليفته في نقابة الاشراف وفي الطريقة القادرية .
(٥٣) يوبيل بلبل سورية ، مطبعة اللواء (طرابلس ، ١٩٣٠) ، ص ٥٠ .
(٥٤) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٩٢ .
(٥٥) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٣٣ ، ٢٦٣—٢٦٤ .

(٥٦) ابراهيم بن ادهم من اهل بلخ ، كان من ابناء الملوك ، خرج متصيداً فهتف به هاتف ايقظه من غفلته ، فترك طريقته في التزين بالدنيا ، ورجع الى طريقة اهل الزهد والورع . خرج الى مكة وصحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض ... ثم دخل الشام ؛ فكان يعمل فيه وياكل من عمل يده (السلمي ، الطبقات ، ص ٢٧) .

(٥٧) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٧٢ .
(٥٨) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٥٤—١٥٥ .
(٥٩) محمد المحمد باني المدرسة .
(٦٠) مطبعة البلاغة ، التحفة الادبية (طرابلس ، ١٣١٠ هـ) ، ص ٢٢—٢٣ .
(٦١و٦٢) عبد الحليم محمود ، فاذكروني اذكركم (القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص ١٠١ ، ١٠٤ .

(٦٣) م. ع. ، ص ١٠٢ .
(٦٤) لفظة درويش تعني الفقير .
(٦٥) الفضيل بن عياض : خراساني من ناحية مرو . صوفي مشهور ت ١٨٧هـ / ٨٠٢م. من اقواله : طوبى لمن استوحش من الناس ، وانس بربه وبكى على خطيئته . (السلمي ، الطبقات ، ص ٦) .

(٦٦) ولد في قرية مترسام ناحية مرو عام ١٥٠هـ / ٧٧٦م. عاش في بغداد حيث كان يدعو الناس الى التصوف ت ٢٢٦هـ / ٨٤١م .

(٦٧) Dermenghem , vies des saints musulmans , p.p. 70 , 71 , 89

(٦٨) النقيب : لكل زاوية عدد من النقباء ، ولكل نقيب عمل يختص به ويقوم بادائه . من امثلة النقباء : ساقي المياه ، نقيب السماط ، نقيب الزاوية الذي يستقبل الزائرين ...

(٦٩) را : عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ص ٤١٩ .

(٧٠) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

الفصل الخامس

الرفاعية في طرابلس

الفصل الخامس

الرفاعية في طرابلس

أ ـ الرفاعية في ضواحي طرابلس :

في الوقت الذي قام فيه ابناء الجيلاني وتلامذته بنشر طريقته ، قام ابناء الرفاعي واتباعه بنشر طريقتهم في كل مكان نزلوا فيه . وفي مقدمة هؤلاء الشيخ خير الله الرفاعي ، ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م نزيل حلب ، وهو ابن الشيخ ابي بكر المندلاوي (نسبة الى بلده مندلى العراقية) . ثم اتى متكين من اعمال معرة النعمان ؛ واخيراً استوطن بيروت ونشر الطريقة هناك (١) .

وفي حوالي عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م ، كانت الطريقة الرفاعية منتشرة في اغلب قرى عكار ، لا سيما في وادي خالد ، في اقصى شمال لبنان حيث لا تزال الى الآن . ومن اشهر القرى التي عرفت الطريقة الرفاعية :

١ ـ ببنين ، حيث توجد زاوية الشيخ عبد الرحمن الرفاعي وزاوية أخرى للشيخ عبد الواحد الرفاعي منذ عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
٢ ـ القرقف ، وهي قرية قريبة من ببنين ، وفيها زاوية الشيخ عمر الرفاعي ، منذ عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
٣ ـ عكار العتيقة ، وفيها زاوية الشيخ محمد الرفاعي ، وقد تولى ادارتها عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

اما في منطقة الضنية ، فان الطريقة الرفاعية تنتشر بقرية نمرين القريبة من قرية السَّفيرة ، شمالي مصيف سير ، وشيخ الزاوية هناك سعد الدين عربس الذي البس الخرقة الرفاعية لعدد كبير من مشايخ المنطقة . وقد تولى الشيخ عربس ادارة الزاوية منذ ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م .

ب ـ في طرابلس : اما في طرابلس ، فأول من نزل فيها من الرفاعية ، ووصلت اخباره الينا ، هو الشيخ ابراهيم بن ابي القاسم يوسف بن علي صدر الدين بن احمد عز الدين الملقب بالصياد . وللشيخ ابراهيم عدة ابناء اشهرهم : احمد الذي انجب مصطفى الذي انجب سليمان الملقب بابي البنين ؛ وهو مدفون بالغرباء بظاهر مدينة طرابلس . ومن اولاد سليمان : الشيخ عبد الله الزاهد المدفون في المدرسة الرفاعية

بطرابلس . والشيخ مصطفى الذي أعقب عبد الغني ، وهو اعقب عمر ، ومن الاخير تحدر المشايخ التالية اسماؤهم : محمد شريف ، خليل ، نعمان الصادق الذي كانت له زاوية بالقرب من قلعة طرابلس ، وقد سميت تلك المحلة بمحلة الشيخ احمد الرفاعي ، وتسميها العامة بـ (الرفاعية) ، نظراً لكثرة زوايا تلك الطريقة هناك . وكان لكل شيخ من السالفي الذكر زاوية في تلك المنطقة من طرابلس . وقد توالى ابناء الشيخ الصادق في ادارة حلقات الذكر في زاويته ، فتسلمها سليمان ومن بعده ابنه محمد ومن بعده ابنه الشيخ عبد الله الذي ما لبث ان سلمها الى دائرة الاوقاف الاسلامية قبيل وفاته (٢) . ولا تزال المعلومات ضئيلة عن هؤلاء المشايخ .

وكانت للرفاعية مدرسة تقع في الزقاق الفاصل بين ساحة السراي العتيقة والشارع المؤدي لسوق النحاسين ، وقد دفن فيها الشيخ عبد الله الزاهد . كانت تجري في هذه المدرسة دروس في التفسير واللغة بالاضافة الى صلوات الرفاعية واذكارها . وعلى أثر انتشار المدارس في المدينة تحولت هذه المدرسة الى مصلى ، وفي عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م جرى هدمها واقامة مسجد حديث مكانها في وسط المنطقة التجارية (٣) . وكانت هذه المدرسة قد بنيت عام ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م حيث حفر السلطان خشقدم (٤) كتابة على الجدار الشمالي جاء فيها :

« الحمد لله . بتاريخ مستهل ربيع الآخرة سنة سبعين وثمانماية / ١٤٦٥م ورد المرسوم الشريف السلطاني الملكي الظاهري ابو سعيد خشقدم ، نصره الله تعالى ، وخلد ملك مالكها ، وادام اقتداره ، الى المقر الاشرف الناصري محمد بن مبارك (٥) مولانا ملك الامراء ، كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة أعز الله انصاره . من مضمونه انه لا يؤخذ من التجار حماة (ضريبة) وغيرها من السمسرة والترجمة الا ما جرت به العادة القديمة ، وهي على الالف عشرة دراهم لا غير ، من غير زيادة على ذلك ، وان لا يتناول الاجرة الا من باشر العمل بنفسه من ابناء السبيل ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » (٦) . ولقد نقش على ضريح الشيخ عبد الله الزاهد فيها هذان البيتان :

بقارعة الطريق جعلت قبري ... لأحظى بالترحم من صديقي
فيا مولى الموالي انت اولى ... برحمة من يموت على الطريق (٧) .

توفي الشيخ عبد الله عام ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م .

والواقع ان طرابلس كانت في مختلف العصور زاخرة بزوايا الرفاعية ، فمنذ وصول الاسرة الرفاعية اليها ، قامت الزوايا بتربية المريدين وتسليكهم ومنحهم الاجازات . ومن اشهر مشايخ الطريقة :

١ ــ **محمد جمال الدين** الملقب بالنهري ، كانت له زاوية في جامع البرطاسي ، وكانت تستعمل النوبة تارة وتكتفي بالصلوات تارة اخرى .

٢ ــ **مصطفى العلماوية** : وكانت زاويته قرب المسجد المذكور ، في منطقة الشهداء القديمة . كانت هذه الزاوية تستعمل النوبة .

٣ ــ **عبد القادر الكوت** : الذي جعل من جامع الطحام ، وسط المدينة القديمة ، زاوية للرفاعية ؛ وكانت فيها فرقة خاصة للنوبة .

٤ ــ **سعيد المبيض** ، وكانت زاويته قرب الخان في ميناء طرابلس .

٥ ــ **مصباح سمنة** : وله زاوية قرب المدافن الى الجنوب من ميناء طرابلس .

٦ ــ **صالح الدبوسي** الملقب بابي ذراع : كانت له زاوية قرب جامع الاويسية ، الى الشمال الغربي من قلعة طرابلس . وقد لعبت هذه الزاوية دوراً بارزاً في نشر الطريقة الرفاعية . نال الشيخ صالح الاجازة من والده محمد الذي انشأ تلك الزاوية في مطلع القرن العشرين ، وذلك بعد ان سلك الرفاعية على يد الشيخ عبد.الواحد الرفاعي الشهير بالبستاني نزيل قرية ببنين . وكانت هذه الزاوية تستعمل النوبة لمدة وجيزة ، ثم يبدأ المريدون بتلاوة صلوات الطريقة ، وذلك بين صلاتي المغرب والعشاء ، وبعد صلاة العشاء يبدأون بذكر كلمة التوحيد وهم جلوس ، ثم يشكلون حلقة يذكرون فيها باسماء الله الحسنى حتى منتصف الليل . ولا يجلس المريدون الا باشارة من الشيخ ؛ وكثيراً ما كان يصيب بعض الذاكرين حال من الوجد ، فيصرخ او يقع على الارض مغشياً عليه . والعادة ان يترك المريد حتى يعود الى رشده من تلقاء نفسه . وعند الانتهاء يجلس المريدون ليستمعوا الى بعض الاحاديث النبوية ثم يقومون الى صلاة الفجر .

وكان يحضر ذكر هذه الزاوية كبار رجالات المدينة ومثقفيها ؛ ومن اشهر روادها الشيخ مصطفى وهيب البارودي ونجله الشيخ نصوح ؛ فقد كانا منشدا المدائح النبوية فيها ، والشيخ نظيف المولوي ... وغيرهم من الذين تخرجوا منها ليكونوا زوايا رفاعية جديدة .

وبعد وفاة الشيخ صالح اهملت الزاوية وتوقفت عن اقامة الذكر .

٧ ــ **احمد بن مصطفى الصيادي الرفاعي** : كان شيخ السجادة الرفاعية بطرابلس . وقد تولى نقابة الاشراف في تلك المدينة حوالي ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م . وضع الشيخ احمد تسعاً وعشرين صيغة للصلاة على الرسول ، سماها « الاسرار الوهبية في الصلاة على خير البرية » ؛ وقد رتبها على حروف المعجم ، واستهل كل صيغة بحديث نبوي ، تنتهي آخر كلمة فيه بالحرف الذي على اساسه رتبت الصيغة . ثم يخلص الى الصلاة على الرسول فالدعاء للمسلمين وللسلطان عبد الحميد ودولته (٨) .

ونظم الشيخ احمد قصيدة (اكثر من مئة بيت) في اسماء الله الحسنى تضم الشيء الكثير من التوسل والتضرع والاستغاثة ... ثم التوسل بالرسل ؛ ويخص الرسول العربي بعظيم توسله ثم ينتقل الى التوسل بالصحابة وبالأئمة وبمشايخ الطرق . وهنا

يخص الشيخ الرفاعي وسلالته :

وندعوك يا الله بالذات دائما كذلك بالاسما بهما نبلغ المنى
وغفار غافر كل ذنب وامحه وبيض سريعا يا الهي لصفحنا
ودود فاغرس في القلوب مودة من الخلق واشغلهم جميعاً بحبنا
ويا حي فاحي القلب بالذكر دائما وقيوم قوم بالهداية نهجنا .
فأنت الاله الواحد الأحد الذي قصدناه في كل الامور بسرنا
وتواب تب ربي علينا فلا نعد الى الذنب واصفح عن عظائم جرمنا (٩)
بابن الرفاعي شيخ عواجز فبالعلم والارشاد كان ممكنا
الهي توسلنا اليك بجاهم جميعاً فاتحفنا لديك بقربنا .

وينتهي الى مدح السلطان عبد الحميد فيقول :

وايد علا سلطان ذا العصر دائما مليك الورى ملجأ الانام امامنا
وايده بالاملاك وانصر جنوده وشيد به يا رب شرع نبينا
وصير جميع الخلق طوعاً لأمره وهبه طويل العمر بالعز والهنا (١٠) .

ولا ينسى الصيادي ابا الهدى (١١) زعيم الرفاعية آنذاك :

وشيد علا المولى الهمام ابي الهدى فمن فيض ذاك اليم كان فتوحنا
وكن حافظاً دوماً بعين عناية مراتبه العليا وزده تمكنا

٨ ـ **الشيخ مصطفى وهيب بن ابراهيم البارودي** : ولد عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٤م ؛ من عائلة مصرية الأصل . أتى بها المنصور قلاوون أو ابنه الاشرف خليل من قرية « بنها البارود » في مصر . وذلك ابان بنائه للجامع المنصوري في طرابلس على أثر استيلائه عليها . كانت مهمة جد هذه الاسرة خدمة الجامع واداء الاذان فيه ودفن اموات حاشية الملك . ولا يزال الأذان في الجامع المذكور يعرف باسم أذان البارودي حتى يومنا هذا .

حفظ الشيخ وهيب القرآن عن ظهر قلب . وآثر العزلة عن الناس فكان يهوى صيد السمك ورعي الماشية في الحقول والبراري حيث كان يخلو بنفسه يطالع ويستذكر القرآن وينشد بعض الاشعار . وقد الم الماماً عظيماً بتفاسير القرآن وحفظ الاحاديث النبوية وانصرف بعد ذلك الى التفقه بالدين ومذاهبه . والتعمق باللغة العربية وآدابها مع ما كان متيسراً من علوم الحساب والفلك والفلسفة الاسلامية . ومن اشهر مشايخه :

محمد شميسه ت حوالي ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م وقد حفظ على يديه القرآن واتقن تجويده .

حسين الجسر وأخذ عنه اصول الشريعة . محمد الحسيني وأخذ عنه آداب العربية وفنونها .

وكان ملازماً لزميله الشيخ رشيد رضا الذي ظل على اتصال به حتى آخر ايامه في القاهرة . كان الشيخ وهيب يقضي معظم الليل قائما يقرأ الاوراد بصوت هادر رصين أو يتلو القرآن بترتيل شجي رخيم . وغالباً ما كان يجتمع مع اخوان له في الطرق الصوفية

عامة والطريقة الرفاعية خاصة ، بعد صلاة العشاء ، يقرأون اوراد مشايخ الطرق . وكان يرافقه في حضور الحلقات ابنه الاكبر نصوح . في تلك الزوايا كان الشيخ وهيب ينظم الانشاد بفن رائع وايقاع منوع مدروس ؛ وكثيراً ما كان هذا الانشاد من تأليفه .

تنقل الشيخ في وظائف مختلفة : بين عامي ١٣٢٨ــ١٣٣٣هـ / ١٩١٠ــ١٩١٤م عمل استاذاً في معهد الفرير الفرنسي بطرابلس ؛ وقد تتلمذ على يديه في تلك الفترة المطران عبد ت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م وجورج صراف وسابا زريق وغيرهم من مشاهير الفيحاء . وقد امتاز هؤلاء التلاميذ بالتقرب من رجالات المسلمين واقامة اطيب العلاقات معهم . وذلك بفضل جهود وتربية استاذهم البارودي ، الذي اقام بدوره علاقات ودية وصداقات مع رجال الدين المسيحي ؛ وكان يرسل ابناءه لحضور احتفالات المسيحيين في الكنائس . وبين عامي ١٣٣٣ــ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ــ١٩١٨م وهي حقبة الحرب العالمية الأولى كان يدرس في المدرسة الرشدية . وبين سنتي ١٣٣٧ــ١٣٣٨هـ/١٩١٨ــ١٩١٩م وهي اول سني الاحتلال الفرنسي ، عمل مفتشاً لمدارس منطقة عكار شمالي طرابلس . وقد عرض عليه القضاء الشرعي في عكار ، علي ان يوقع عريضة تنص على تفضيل الانتداب الفرنسي على الانتدابين البريطاني والروسي . فلما رفض نقل الى ادارة مدرسة التهذيبية في اسكلة طرابلس حيث ظل حتى عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م ، فاستقال وتسلم ادارة المدرسة العلمية الشرعية بطرابلس ١٣٤٠ــ١٣٤٢هـ / ١٩٢١ــ١٩٢٣م. وهي مدرسة وطنية تخرج منها نخبة من شخصيات المدينة منهم : الشيخ رامز الملك امين فتوى طرابلس حالياً ، فضل المقدم رئيس دائرة التربية الوطنية في الشمال سابقاً ، الشيخ سلمان البارودي نجل المدير وشيخ مشايخ الطرق الصوفية حالياً ...

ومما تجدر الاشارة اليه ان الشيخ نصوح ، النجل الاكبر لوهيب ، كان ناظراً لهذه المدرسة في الفترة ذاتها . وفي عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م تأسست جمعية المقاصد الاسلامية الخيرية في بيروت ، وقررت افتتاح مدرسة لابناء المسلمين فاختارت الشيخ وهيب مسؤولا عن التوجيه الديني ، والارشاد الاجتماعي والتربوي ، وتدريس اللغة العربية وآدابها . قام الشيخ بعمله خير قيام بين عامي ١٣٤٣ــ١٣٤٦هـ/١٩٢٤ــ١٩٢٧م حيث شهدت هذه الفترة نتاج معظم مؤلفاته . وسرعان ما كرهت نفسه صخب المدينة ، والشهرة ، والترف ؛ فترك بيروت طوعاً واستقر في قرية سير الضنية ، يعلم اهلها العلوم الدنيوية والشرعية لقاء مرتب بسيط لما كان يتقاضاه في بيروت . وفي عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م نزل الى طرابلس حيث اسندت اليه عدة وظائف منها : الخطابة في الجامع الحميدي ، في اسكلة طرابلس ، ختم البخاري في جامع محمود بك السنجق في منطقة التبانة ، التدريس الديني في جامع قرطائي بك الملاصق للجامع المنصوري الكبير . وظل في هذه الوظائف حتى وفاته عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م .

مؤلفاته : ١) « الفوز الابدي في الهدي المحمدي » وهو كتاب جامع لكل اوامر الدين ، يشتمل على الف وخمسمائة حديث تؤخذ منها احكام الدين ، وهي مدرجة في

ثمانمائة مطلب من مطالب الشريعة . يستهل كتابه بتمهيد ، يبرهن فيه صحة البعثة المحمدية ، وكمال الشريعة الاسلامية .

فأكابر الفلاسفة ، مهما بلغوا في المعرفة والاحاطة في الفنون انما ينبغون في فن او فنين ؛ فجالينوس نبغ في السياسة ، وارسطو في الحكمة النظرية والالهيات ، وابقراط في الطب ، واقليدس في الهندسة . . . واما ان واحداً منهم احاط بكل فن او بمعرفة لكل ما هو صالح للبشر فهو شيء لم يكن البتة (١٢) . « اما الشريعة المحمدية فقد احاطت بكل ما يتكفل بخير البشر ، لم تغادر منه شيئاً ، فما كان امس حاجة واشد لزوماً فصلته وشرحته على اكمل بيان ؛ وما كان اقل في الاحتياج اليه وليس من الضروريات المعاشية او التهذيبية ، رمزت اليه واشارت الى طرق تعليمه من اربابه ، وسهلت السبيل اليه » (١٣) .

ويحذر الشيخ من بعض المنتسبين الى الاسلام ، والذين يخيل لهم ان الزمان قد صار محتاجاً لبعض القواعد خلاف قواعد الشريعة ، وضوابط خلاف ضوابطها ؛ فيلتجيء للأخذ ببعض قواعد اجنبية قاصرة المنفعة ، واهية الاحكام . وقد تكون هذه القواعد كاملة ؛ فهي والحالة هذه ذات اصل اسلامي البستها الامم حلة غير حلتها الاسلامية . فيظن الجاهل بالشريعة انها شيء جديد اخترعته تلك الامم وضمنته بدائع الحكم (١٤) . « ولو كان من اهل المعرفة في الشريعة التي انتسب اليها ، لظهر له ان في هذه الشريعة قواعد فاضلة ، كاملة ، وافية باحتياج هذا الزمان وكل زمان ؛ لا تذكر عندها تلك القواعد القاصرة ولا يعبأ بها عند مقابلتها ؛ أو لظهر له ان القواعد الكاملة عند اولئك الامم هي من جملة القواعد التي اشتملت عليها الشريعة المحمدية . واذا كانوا لم يأخذوها من الشريعة ، فقد صادف وصول عقولهم اليها لأنها من مستحسنات العقول ، مع ان الشريعة المحمدية تشتمل عليها ايضاً » (١٥) . فان قيل : كيف تقولون أن الشريعة المحمدية تقوم بمصالح البشر ، وتهذيبهم غاية التهذيب ، واننا نرى بعض من ينتسب اليها قد انغمسوا في الشرور ، وتراكمت عليهم انواع الشقاء ؟ يجيب الشيخ بقوله : « ان الشريعة لم تتكفل الا باصلاح من تمسك باحكامها ، وتخلق باخلاقها ، وجرى على آدابها ، كما صرح بذلك القرآن الكريم والاحاديث النبوية . وقد اخبرت الشريعة ان من خالفها في تلك الامور ، تتوارد عليه انواع الشقاء واصناف البلاء . حتى انه يجد من ذلك ما لا يجده غير اتباعها المنتسبين اليها » (١٦) .

ويهاجم الشيخ وهيب مدعي العلم ، الذي يتقن شيئاً من علوم اللغة العربية ، ثم يمر مروراً سريعاً على كتب الشريعة بمقاصد ساقطة ونية زائفة ، وهو مصمم على الاطلاع على ما للشريعة من احكام ليتوصل بها الى اكل الاموال وتحصيل الجاه . وقد حفظ من آداب الشريعة ومواعظها ما يزين به زخارف الكلام ليلبس امره على العوام ؛ وهذا أضر على اتباع الشريعة من الجهلاء ، بل هو لها من الد الاعداء (١٧) . « اما الذين يسمون في الشريعة علماء ، فهم الفضلاء الاتقياء ، قادة الحق ، وهداة الصدق المتصفون

بالصفات الكاملة ، المتخلقون بالاخلاق الفاضلة ، المحافظون على آداب الشريعة ، المتابعون رسولهم في كل ما سنة لهم من المناهج البديعة » (١٨) .

ثم ينتقل الشيخ وهيب الى تحديد الصفات الواجب توافرها فيمن يتصدر للاجتهاد :
اولها : ان يحوي علم القرآن ، لغة وشريعة ؛ اما لغة بأن يعرف معاني المفردات والمركبات . ويفتقر الى علم اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان . واما شريعة فبأن يعلم المعاني المؤثرة في الحكم ، وان يعلم اقسام ما اشتمل عليه القرآن من الدلالة كالخاص والعام والمشترك ، والمحمل والمفسر . والمطلق والمقيد ، والصريح والكناية ، والمتشابه والدال بعبارته أو باشارته أو باقتضائه او بدلالته ؛ وما يقتضيه الأمر والنهي ؛ وان يعلم بان هذا خاص وذاك عام ، وهذا ناسخ وذاك منسوخ ، وهذا يتوقف على معرفة تواريخ نزول النصوص . . .

ثانيها : علم السنة ؛ بان يعرف معاني الاحاديث لغة وشريعة ، كما مر في القرآن ، ويعرف اقسامها من الخاص والعام ، مما مر نظيره في القرآن ايضاً ؛ ويعرف مستندها اي معرفة احوال الرواة .

ثالثها : معرفة وجوه القياس ؛ اي الطريق الذي يتوصل به المجتهد الى استنباط الاحكام ، فيعرف شرائط تلك الوجوه واحكامها واقسامها ، والمقبول منها والمردود .

رابعها : ان يعلم المجمع عليه من علماء الدين ، الذين يعتبر اجماعهم لئلا يخالف اجماعهم في اجتهاده . ويشترط الشيخ ايمان المجتهد وعدالته .

فاذا كملت تلك الشروط في شخص جاز له أن يستنبط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة ؛ وجاز لغيره ممن ليس من اهل الاجتهاد ان يقلده . ويرى الشيخ ان هذه الشروط قد ادت الى نشأة المذاهب بين المسلمين . وينتقد الشيخ كل من يقصر احكامه الشرعية على القرآن فقط ؛ اي كل من لا يأخذ بما جاءت به الاحاديث النبوية الصحيحة ؛ فيبين ان هذا الراي فاسد ، لأن المسلم مأمور بالاخذ من القرآن وبالتمسك بما يرد في الاحاديث النبوية الثابتة . ويورد الشيخ الآيات القرآنية التي تثبت آراءه (١٩) .

٢) « الاعلام باحكام الصيام » وقد قدم له المؤلف بالتنبيه الى :
أ ـــ من وجبت عليه عبادة وجب عليه معرفة احكامها صحة وفساداً .
ب ـــ واجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه ، وتفرغ لفرض الكفاية ، ان يخرج الى من يجاور بلده ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ثم الى اهل البوادي وهكذا الى اقصى العالم ؛ فان قام بهذا العمل الادنى سقط عن الأبعد والا خرج به كل قادر عليه قريباً كان أو بعيداً . ولا يسقط الحرج ما بقي على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو بغيره .

٣) « الفوائد الجسام بشهر الصيام » جمع فيه بين الشرح لبعض الاحاديث النبوية والتوقيت لشهر رمضان لعام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م . وقد اشتمل على فقه الصوم على المذاهب الاربعة مع جملة من احكام زكاة الفطر وفوائد الصوم وصلاة العيد . وضمنه قواعد عامة في الطب العربي وحكماً نثرية وشعرية ذيل بها كل يوم من ايام الشهر .

وفي هذا الكتاب يحث الشيخ الصوفية على اعتكاف (٢٠) العشر الأواخر من رمضان ، لاعتقاده ببركتها واقتداء بالرسول . وكان هو نفسه يعتكف هذه الايام في المدرسة القرطائية ، بالقرب من الجامع الكبير ، فكان يجلس في غرفة ينصرف للعبادة من صيام وقيام وتلاوة للقرآن وللأوراد والاحزاب . . . ولا يخرج من المسجد الا عقب صلاة العيد .

٤) « اعلام وبيان في كمال الاسلام والايمان » وهو عبارة عن شرح لاربعين حديثاً نبوياً من الاحاديث الصحيحة والحسنة ، والتي تدل على كمال الاسلام والايمان . وقد قام بتأليفه عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م . وفيه يحث على الاكثار من الاخوان ، واستحباب المخالطة ؛ ويشترط لذلك صبر المريد على اذا هم ، فالصبر هنا من أفضل الاخلاق . لكن ذلك لا يمنع من اراد العزلة للعبادة والنسك ليسلم مما هو فيه . والكتاب يشمل الكثير من المبادىء الخلقية والآداب التي يجب ان يتحلى بها المريد (٢١) .

٥) « الحرز العظيم لما اشتبه من القرآن الحكيم » وهو كتاب مخطوط . اوضح المؤلف هدفه من تأليفه بانه رسالة في المتشابه لفظه من آيات القرآن ، تعين الراغب في استظهاره ، وتذكر التالي بما عساه ان يشكل عليه ، أو يغرب عن افكاره .

٦) « شرح القراءات السبع » وهو كتاب مخطوط .

٧) « اربعون حديثاً في الايمان » .

٨) « الفوائد الحسنة في شرح الفاظ دارت على الالسنة » .

٩) « ارشاد وبيان في ان الاسراء والمعراج من جائز الامكان » وهو كراس مخطوط .

١٠) « وازدادوا تسعاً » .

١١) « واجب الاهتمام فيما وصى به الاسلام » .

١٢) « خلاصة البهجة في سيرة صادق اللهجة » وهو مؤلف في السيرة النبوية ، قسمه الشيخ الى ثلاثة اقسام : يبحث القسم الأول في تلخيص السيرة النبوية . اما القسم الثاني فانه يبحث في اسماء الرسول وخصائصه ومعجزاته . ويبحث القسم الثالث في شمائله وفضائله واقواله وافعاله في جميع احواله (٢٢) .

١٣) مجلة « البيان » اصدرها بالاشتراك مع الشيخ جميل عدرة ، وهي مجلة دينية علمية تاريخية ادبية . كانت تصدر في مطلع كل شهر . وقد لعبت تلك المجلة دوراً مهماً في نهضة المدينة في مطلع هذا القرن ، بما كانت تنشره من مقالات وابحاث تنير الطريق للكثيرين . كان الشيخ وهيب يكتب فيها العديد من المقالات التي نالت شهرة واسعة ؛ ومن اهمها : القصد من الانسان فعل الخير ، الاخلاق ، نظرة اجمالية في العلم ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مجمل ما جاء في الدين . . . الى غير ذلك من

الموضوعات التي تدل على ثقافته الواسعة والمامه بفلسفة الدين الاسلامي .

١٤) ديوان شعر مخطوط ، اكثره في مدح الرسول ، وفي التصوف والزهد ، والرثاء لبعض اصدقائه ولزوجته الأولى ولاولاده الثلاثة عشر الذين توفاهم الله في حياته .

وفي عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م أشرف الشيخ وهيب على طبع « حزب التضرع » للشيخ عبد المالك التفلاتي التيجاني .

وفي عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م قام بتصحيح قصيدة مطولة « الثمانية » نظمها الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا في مدح الصحابة الذين شاركوا في معركة بدر (٢٣) .

راي الشيخ وهيب في الايمان : يبين الشيخ ان الايمان الشرعي هو تصديق القلب بما جاء به الرسول ؛ وعندما يقوم الانسان بتوجيه الحواس الى ما هو حق يقع نور في القلب ، يلقيه المولى . وهذا هو الايمان الذي تخالط بشاشته القلوب ولا يتصور في حق صاحبه شك لأن الشك لا يجد محلا . اما اذا كان الايمان من توجيه ذهن وتحديد فكر وتصويب نظر وبحث في دليل وبرهان ، فلا يوثق بثباته ، لدورانه مع النظرات وخواطر الافكار واختلاف الادلة ؛ ومثل هذا لا يخالط بشاشة القلوب نوره ، لان صاحبه لا ينظر الا من وراء حجاب دليله ؛ وما من دليل من ادلة اصحاب النظر الا وهو معرض للتغيير ، والتبديل ولو بعد حين . فالدليل محل للشك ، ولهذا لا يمكن للباحث فيه ان يخالط الايمان ببشاشة قلبه (٢٤) . « نحن لا نحط من ايمان المستدل ، ولا نمدح المتقاعد عن النظر في تثبيت ايمانه وتقوية يقينه على وجه الاطلاق ؛ وانما نريد ان ندعو الى الايمان والاستدلال عليه بالادلة التي جاء بها القرآن ، والى سلوك طريق الاعتبار بما ارشد اليه ؛ لانه ليس بعد بيان الله بيان . .

فان الشارع لم يكلف باكثر من التصديق الجازم بظواهر عقائده ، وما جاء في كتابه . وليس الطريق في تقوية هذا الايمان واثباته ، الا الاشتغال في تلاوة القرآن والعمل بما تضمنه ؛ وقراءة الحديث الصحيح وتفهم معانيه ؛ والاشتغال بوظائف العبادات وبما يسري الى القلب من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ، ومشاهدة هيآتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة اليه » (٢٥) . ولا يقبل الشيخ ايمان من نشأ بين قوم سمع منهم اسم الله والآخرة ؛ وسلّم بان له الهاً ، وان هناك يوماً آخراً يسمى القيامة ، وان اهل دينه هم من سائر اهل الاديان ؛ فايمان هذا غير كاف في نجاته ، ان لم يكن جرى في قلبه مجرى الروح منه او مجرى الدم في الجسد . ويذم الشيخ ايضاً تكلف الباحث نظم الادلة ، على اصطلاح المناطقة واهل الجدل ، اذ تنتج عنها اضرار في الاعتقاد الحق اكثر من النفع ؛ لكنه يبيح للانسان ان يستخدم هذه الاساليب اذا وجد في بلد ، أو زمن ظهرت فيه الشبهات وانواع البدع ، والتعصبات ؛ فيكون ذلك من واجبات الكفاية . ولا يرخص به الا لمن قوي ايمانه واستحكم يقينه ، وثبت عنده دليله ؛ ومع ذلك يشترط الشيخ عليه ان لا يبث من تلك المباحث الاصطلاحية شيئاً بين من لم

يعرف طرق الاستدلال ودحض الشبهات . ويضرب الشيخ المثل بالقرآن الذي يراه من اوله الى آخره محاجة مع الكفار (٢٦) .

ويخلص الشيخ الى القول :

« الايمان المطلوب : أ ــ معرفة حقيقته تملك العقل وتذهب بهوى النفس حتى يكون الله ورسوله احب اليه من كل شيء .

ب ــ معرفة تنعش بها القلوب وتحيا بها النفوس . وتخنس معها الوساوس . وتبعد معها عن النفس الهواجس . فلا تبطر صاحبها النعمة ولا تضجره النقمة .

ج ــ معرفة تتمثل للمؤمن اذا عرضت له دواعي الشر . واسباب المعاصي . فاذا نسي فاصاب الذنب بادر الى التوبة والانابة .

د ــ معرفة ترفع النفس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء اصحاب الأثرة والاستبداد . الذين يستذلون البشر ويسيطرون عليهم بالسلطة والقهر .

هـ ــ معرفة تعلم الانسان ان له حياة في عالم غيبي اعلى من هذا العالم . فلا يرضى لنفسه ان يكون سعيه وعمله لأجل خدمة هذا الجسد خاصة . لأن ذلك يجعله لا يبالي بالامور البهيمية .

و ــ واخيراً يدفع الايمان المطلوب صاحبه لحماية دينه ووطنه وسد ثغرة » (٢٧) .

انجب الشيخ وهيب اربعاً وعشرين ولداً . توفي منهم ثلاثة عشر . ومن بقي منهم . من الذكور والاناث . فانه سار على نهج والده من الانصراف الى العلوم الشرعية وحلقات الصوفية . ولئن لمع اسم نجليه نصوح وسلمان في ميدان التصوف . فان بقية اولاده جعلوا من منازلهم زوايا للصوفية يتلون فيها مع ابنائهم اوراد واحزاب مختلف الطرق الصوفية .

٩ ــ الشيخ نصوح البارودي : ابن الشيخ وهيب الاكبر . وشيخ قراء طرابلس . استلم وظائف والده وناب عنه في القيام بادارة اذكار الرفاعية .

ولد الشيخ عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م في طرابلس وقرأ العلوم الفقهية على والده ؛ واخذ عن الشيخ محمد الحكيم (ت حوالي ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) شيخ الجامع المنصوري آنذاك . وقد نال الشيخ نصوح اجازات في مختلف الطرق الصوفية التي عرفتها طرابلس ؛ وذلك يدل على رغبته الصادقة في اتباع تعاليم مشايخ المدينة وتحصيل اكبر قدر من الخير على يد هؤلاء . كما ان ذلك يدل على ان معظم اوقاته كان يقضيها في ذكر وفكر . ولما شب عمل في مجال التدريس في مدارس طرابلس : السلطانية (الجديدة الرسمية حالياً) ــ القلمون ــ باب التبانة ــ النموذج القديمة (مكان مدرسة الفيحاء الرسمية حالياً) . وقد إمضى في الاخيرة ما يقرب ثلاثين سنة . ثم تولى امامة المدرسة الخاتونية الى الجنوب من الجامع المنصوري وذلك لمدة اثني عشر عاماً ؛ كما انه درّس بالقسم الشرعي في كلية التربية والتعليم الاسلامية بطرابلس . ومن اشهر تلامذته : صبحي الصالح ، طه الصابونجي ، نور الدين البكري ، عبد اللطيف زيادة ، علي

شلق وغيرهم . وهو الآن مدرس وامام المدرسة القرطائية المجاورة للجامع المنصوري . وخطيب جامع السيد عبد الواحد . وبالرغم من تقدمه في السن . فانه لا يزال يقوم بواجباته الدينية على نحو يبعث على الاحترام والتقدير لروحه الشابة ؛ وللشيخ نصوح اياد كريمة على التعليم والحركة الصوفية في المدينة . يشتهر الشيخ بين ابناء بلدته بانه من المواظبين على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، في المدرسة القرطائية . حيث يلازم المسجد لتلاوة الاذكار والاوراد وللقيام بالشعائر الدينية ... ولا يخرج الا صبيحة عيد الفطر .

١٠ ــ **الشيخ سلمان البارودي** : ابن الشيخ وهيب ؛ تلقى دروسه الأولى على يد والده ، ونال منه الاجازة في الطريقة الرفاعية .

انشأ الشيخ سلمان زاوية للرفاعية . تقع الى الجهة الجنوبية للمسجد المنصوري ، وقبالة المدرسة القرطائية . تجري حلقات الذكر في هذه الزاوية ليل الجمعة من كل اسبوع . وذلك عقب صلاة العشاء ؛ وتستخدم هذه الزاوية الآلات الموسيقية بشكل ايقاعي . وخلال الذكر يقوم بعض المشايخ باستعمال الشيش اي بطعن بعض المريدين ، والقبض على الجمر ... الى غير ذلك من الاعمال التي يشتهر بها اتباع الطريقة الرفاعية . ومنذ عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م اصبح الشيخ سلمان « شيخ مشايخ الطرق الصوفية في طرابلس » فاصبحت زاويته تعرف بـ « الزاوية العلية والخلية الاجتماعية الدينية لشيخ مشايخ الطرق الصوفية » . والواقع ان تاريخ انشاء هذا المنصب ، في طرابلس ، يعود الى عشرات السنين . ومن اشهر الذين تولوا هذا المنصب حديثاً الشيخ محمد منير ملك . ولعل الهدف من انشائه تكوين رابطة لمشايخ الطرق تنظم عملهم ، وتجمع كلمتهم . وتشرف على شؤونهم . وتحافظ على زواياهم ، واصلاحها ، وتساهم في تنشيط الحركة الصوفية . وقد يكون انشاء هذا المنصب على غرار ما حصل في بعض البلاد الاسلامية . مثل مصر . حيث انشئت مشيخة للطرق تهتم بشؤون الصوفية من مشايخ ومريدين وزوايا ... وهذه المشيخة هي المسؤولة عن تعيين المشايخ وعزلهم ونقلهم من مكان الى آخر ؛ وهي صلة الوصل بين المشايخ والسلطة . وتقوم مشيخة مصر باصدار مجلة اسبوعية تهتم بكل ما يتعلق بالتصوف من دراسات وابحاث وتحركات المشايخ وندواتهم ، وتذكر جماهير الصوفية والمواطنين بامكنة وازمنة الاذكار والاحتفالات بالموالد ... وقد سار الشيخ سلمان على الخطة ذاتها فكان يتفقد زوايا الصوفية ، ويطلع على اجازات المشايخ ويصادق عليها ، ويراقب طريقة الذكر في كل زاوية ، ويسدي النصائح لمشايخ الطرق ويدعوهم الى اقامة الاذكار في زاويته ... ولعله بصدد انشاء مجلة شهرية على غرار المجلة المصرية .

١١ ــ **الشيخ احمد الرافعي** : كانت له زاوية تقع بالقرب من سوق الصاغة . وكانت تستعمل في الذكر النوبة ، والسلاح (الشيش) ، والنار .

١٢ ـــ **الشيخ عبد الحميد الرافعي** (بلبل سورية) : ابن عبد الغني بن احمد السالف الذكر ؛ ولد بطرابلس عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م ، نشأ في حجر والده ، مهد العلم والتقوى ؛ تعلم في مدارس طرابلس لا سيما الرشدية ، حيث نال شهادتها ؛ ثم لازم دروس العلم عند الشيخ حسين الجسر مدة اربع سنوات . وحضر علوم البلاغة عند الشيخ محمود نشابة لمدة سنة . ثم رحل الى مصر ، حيث تلقى عن علماء الازهر ، مدة خمس سنوات ؛ فبرع بالعربية والادب . سافر بعد ذلك الى الاستانة ليتابع دراسته في كلية الحقوق . واثناء وجوده هناك كان يحرر بعض المقالات والقصائد وينشرها في جريدة « الاعتدال » العربية التى كانت تصدر هناك . بعد تخرجه عين مستنطقاً لمدينة طرابلس ؛ فقضى في هذا المنصب عشر سنوات متتالية الى ان صدر اليه الأمر بالانتقال الى بنغازي ؛ لكنه رفض تسلم المركز الجديد . وقصد الاستانة حيث دخل الامتحان في السلك الاداري . عين بعد ذلك قائمقاماً لقضاء الناصرة بفلسطين ؛ وظل عشرين سنة ينتقل من قضاء الى آخر في اراضي الدولة العثمانية . وفي اوائل الحرب العالمية الأولى احيل الى التقاعد ، فعاد الى مدينته طرابلس ليستقر فيها . وفي نيسان ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م اقيمت له حفلة تكريمية شاركت فيها الحكومة اللبنانية ومنحته وسام الاستحقاق اللبناني . واشترك في هذه الحفلة عدد كبير من الادباء والشعراء العرب ؛ ومن لم يتمكن من الحضور ارسل بقصائد المدح أو مقالة التعظيم لهذا الشاعر .

اشتهر عبد الحميد بلقب بلبل سورية لما عرف في شعره من رقة وفصاحة اسلوب . وله « ديوان شعر في مدائح مشايخ الرفاعية » و « ديوان آخر في مدح البيت الصيادي » وديوان ثالث سماه « المنهل الأصفى في خواطر المنفى » . وله شعر صوفي رقيق يتغنى به المنشدون في زواياهم (٢٨) . وفي اثناء رحلة الشاعر الأولى الى الاستانة اتصل بابي الهدى الصيادي ، وكان يحضر مجلسه الذي يجمع بين الادب والتصوف على الطريقة الرفاعية (٢٩) ؛ فمال عبد الحميد الى الطريقة الرفاعية التي كان يحمل ابو الهدى لواء الدعوة اليها ؛ فسلك هذه الطريقة على يد الشيخ حسن وادي الصيادي شيخ الطريقة في حلب (ت ١٣١٢هـ/١٨٩٤م) . وقد رثاه عبد الحميد بقصيدة جاء فيها :

المرشد الكامل المشهور من ورث الـ	غوث الرفاعي في اسرار علياه
وقام في الناس للارشاد منقطعاً	على اجل طريق قد سلكناه
شربت كأس حميا الرشد من يده	فانعش القلب مني طيب رياه
هيهات قلبي يا شيخاه بعدك أن	يقرّ أو يتمنى عنك سلواه (٣٠) .

ولقد خص عبد الحميد ابا الهدى وجده الرفاعي وغيرهما من مشايخ الرفاعية بقسم كبير من مدائحه ومراثيه ، وكان يكثر من الزيارات لضريح مؤسس الرفاعية في جنوب العراق للتبرك . فكان يقضي هناك فترة من الزمن يمضيها في حضور الاذكار وقراءة الاوراد ؛ والاجتماع بمشايخ الرفاعية الذين يقصدون المزار من كافة انحاء العالم الاسلامي . وكثيراً ما الهمته هذه الزيارات نظم القصائد في آل الرفاعي . ويغلو عبد

الحميد في مدح ابي الهدى ، فهو شمس اهل الرشد التي اشرقت من سماء شيخون فملأت اشعتها الشهباء (حلب) و . . .

ويذكر بان ابا الهدى قد عمر الزوايا والتكايا في العراق والشام وان الورى تحيا بمدد منه ، ومن قصده طالباً الهداية اهتدى ، ومن قصده طالباً الندى وجد ضالته . . . الى ان يصف تعلقه به :

صار حبي فيك وجداً وغراما	وعرفت السر فازددت هياما
كشفت عن عين قلبي غشوة	آية الحق فابصرت المقاما
قسماً بالحب حلفاً صادقاً	حبكم مازج لحمي والعظاما (٣١) .

ولئن اكثر عبد الحميد من القصائد في مدح ابي الهدى ، فان هذا الأخير كان من اركان الدولة العثمانية في منصبه الديني الكبير ، وربما اختاره السلطان عبد الحميد في هذا المنصب الرفيع حتى يستميل العرب الى جانب الاتراك ، في كل نزاع بين الدولة العثمانية وبين الدول الاجنبية . ومهما يكن من امر فان ابا الهدى كان مرجعاً للقاصدين من ابناء العرب ، فلا يتمكن عربي من ان يحوز المناصب الرفيعة في الدولة الا باسترضاء ابي الهدى ؛ يضاف الى ذلك ان ابا الهدى كان قد غضب على عبد الحميد الرافعي فعزله عن اعمال الحكومة ، فرحل الأخير الى الاستانة يستعطفه ويسترضيه عسى ان يعود الى عمله (٣٢) . ولما كان الرافعي رفاعي الطريقة ، الأمر الذي سهل له الوصول الى قلب ابي الهدى فتوثقت عرى الصداقة بينهما . وظل الرافعي وفياً لأبي الهدى حتى بعد وفاة الأخير ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م حيث رثاه بقصيدة مطولة (٣٣) .

وفي اثناء الحرب العالمية الأولى ، القي القبض على الرافعي وسجن بدمشق ، وذلك لفرار احد اولاده من الخدمة في الجيش العثماني والتحاقه بجيش الثورة العربية ، فنظم القصائد في بث شكواه وتألمه ؛ ووصف ما ذاقه من فنون التعذيب والذل والهوان ما تنبو عنه المسامع . ونتيجة لهذا الظلم والتنكيل والنفي الذي ذاق مرارته ، ولما كان يراه من استبداد ببني قومه ، اخذ يحث العرب على التخلص من نير الاتراك . لا سيما ان العرب كانوا يحرصون على ارضائهم والتودد اليهم ، الامر الذي لم يزدهم الا امعاناً في الظلم والتحكم والاستبداد ببقية العناصر الداخلة ضمن مملكتهم وخاصة العرب (٣٤) . ويقرع آذان العرب ويذكرهم بماضيهم المجيد ، وبما آل اليه امرهم من ذل وضعف :

بل اين ابطال بني يعرب	واين اقيال بني تبع
اين الكماة الحمس من طفلهم	يحبو الى الحرب اذا ما دعي
اين الألي كان بايمانهم	ينتخر السيف على المدفع

ويجيب نفسه :

طوتهم الارض ولم يخلفوا	كما ارى اليوم سوى الهلع
من طأطأوا للظلم هاماتهم	واستلأموا الذل عن الاذرع

ويصف ما حل بوجهاء العرب :

حتى غدت اعيانهم شردا ... كل امريء ينفى الى بلقع

وينتقل الى وصف حسرته :

ويحك يا صبح لقد زدتني ... توجعاً في لومك الموجع

وينظر الى المستقبل بأمل :

قد كان ما قلت ولكننا ... لم نرتض الظلم ولم نجزع
ان لنا عذراً وثيق العرى ... يقبل عند المنصف الالمعي (٣٥) .

ولا يكتفي الشاعر بدعوة العرب الى انتزاع السيادة من الاتراك . بل كان يشجع قومه على الأخذ باسباب الرقي والمدنية . وذلك باحياء العلوم والاقبال على الاختراع والاكتشاف . وادخال البحث العلمي في الحسبان . واقامة المصانع . وانشاء الشركات . للقيام بكل ما يعجز عنه الافراد . ويحث الاغنياء على الاسهام في هذه المشايع لانها تعود عليهم بالربح وتزيل اسباب الفقر في البلاد . ويحذر من تكديس الاموال وعدم استعمالها في الصالح العام (٣٦) . وخص مدينته طرابلس بكل توجيه وارشاد ؛ وكان يتألم من انتشار الفساد واماكن اللهو فيها . الامر الذي دعا الشباب الى الانصراف عن حلقات دروس الوعظ في المساجد والزوايا . والى ترك الفروض الدينية . والانحراف عن السلوك السليم ؛ فأخذ الشاعر يرسل الحسرات والعبرات . عبر قصائد تبين مقدار حزنه على ماضي المدينة حيث كان الاقبال على العلم ومجالس الذكر . وكان التقوى في صدور ابنائها . وفجأة تغيرت الاحوال . فاذا باماكن اللهو تنتشر بين جنباتها . فزاد عدد المنحرفين . وكثرت المفاسد ؛ وانصرف المشايخ عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . لازالة هذه الانحرافات (٣٧) .

كانت مدينتنا الفيحاء جامعة ... من الفضائل ما لم يحوه بلد
فضل ودين وايمان ومعرفة ... بالله جاد بهن العلم والرشد
والحزم والعزم فيها كان عزهما ... بقومنا كذا العرفان والمدد
والعطف والجود والايثار شيمتهم ... والكل عما سوى الاخلاص مبتعد
وهكذا الأمر بالمعروف كان بهم ... كالنهي عن منكر الاعمال يعتمد
واخجلتنا اننا نعزى لهم ونرى ... اخلاقهم بيننا تجفى وتفتقد
ولت مع القوم اذ ولوا كما سقطت ... دمالج قد هوى من بينها العضد
فلو توارثها الابناء ما طويت ... وقد يجدد مجد الوالد الولد (٣٨) .

ولعبد الحميد قصيدة مطولة في الآداب التي يجب ان يلتزمها مريد الرفاعية . فمن تسليم لقضاء الله وقدره الى عبادته على الوجه الصحيح . وعدم الذلة الا له . وترك المطامع وايتاء زكاة الاموال . واستعمال المال والجاه والمركز ... باعمال ترضي الله . وكان ينصح المريد بالاقبال على التواضع وترك الكبر والحسد والحقد ... وسرعان ما اخذت زوايا الرفاعية تتناقل اشعاره في مدح الرسول والاسرة الرفاعية وتنشدها في حلقات الذكر وتعلمها لجمهور المريدين (٣٩) .

توفي الشيخ عبد الحميد عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ودفن بطرابلس ؛ وقد تهافت

الشعراء والادباء على ذكر مناقبه . ونظموا فيه المطولات . وقد قيل في رثائه على لسان احدهم :

ليس في المسلمين أو في النصارى من بغيض له ولا في اليهود (٤٠) .

١٣ ـ عبد الحفيظ المهتدي : ولد بطرابلس . وتلقى العلم في معاهدها . ثم ارتحل الى حلب حيث سلك الطريقة الرفاعية على يد ابي الهدى الصيادي . نقيب الاشراف بحلب وشيخ الرفاعية فيها ، وذلك قبل ان يصبح مفتياً للدولة العثمانية (٤١) . وجاء في الاجازة التي منحها له أبو الهدى عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م « اذنته وخلفته واجزته ان يسلك هذه الطريقة العلية ويأخذ العهد على المريدين ويسلك السالكين ويأذن لمن كان فيه اهلية ؛ والبسته هذه الخرقة كما لبستها من عدة مشايخ » (٤٢) . وقام الشيخ عبد الحفيظ بوضع كتاب يحوي بعض التفاصيل عن احوال الصوفية . سماه « الاسرار القدسية » وفيه يعرض رأيه في الشريعة والطريقة فيقول : « لما كان مبنى طريق القوم على اساس قواعد الشريعة واحوالها السنية . سلمت اعمالهم في سائر احوالهم من الشك والاشتباه ، لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وليس على المريد أن يخرج بالحقيقة في شيء من الاحوال عن نظام الشريعة . وان اختلفت احوال المريدين فالمقصد واحد . وهو الاخلاص في العبادة . ولا ارشاد للسالك غير التقوى ومراقبته سبحانه بالسر والنجوى وفي سائر الاحوال . فالرجل الكامل هو الذي يقول ان الطريقة على تقوى الله واتباع ما أمر به تعالى على لسان نبيه » (٤٣) .

ويعتبر الشيخ المهتدي ان من يدعو الى الله . بغير ما دعا به الرسول . فدعوته مرفوضة ؛ وليس هناك من كرامة اعظم من كرامة الايمان ومتابعة السنة . ومن اعطيهما وجعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطأ في العلم بالصواب ؛ ولذلك فان الشيخ لا يعبأ بمريد غير مواظب على حضور الصلوات الخمس المفروضة في الجماعة .

ويخلص الشيخ الى القول : « التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لاحكام الربوبية . وروح الاسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة والصالحين من العباد » (٤٤) . لذلك فلا بد للمريد من شيخ ينهض به ويوجهه الوجهة الصحيحة ؛ ويجب على هذا الشيخ ان يكون اهلا لتجلي الاسرار القدسية ، مكتسباً للعلوم الدينية . متبحراً في المعارف الالهية ، كاملا في سياسة التربية (٤٥) . ويجب على المريد ان يصاحب مرشده : « بنية صادقة وعزيمة ناجحة ، وان يعتقد كماله ، ويسلك منواله ويلازم اعتابه . ويقرع بابه . ويتعرض في الحضرات لنفحاته ويستمطر الفيوضات ؛ ويستعد لامداد الله في سائر الاوقات ؛ ويجتهد في تصفية باطنه وضبط لسانه واصلاح ظاهره ؛ ويعطي العبودية حقها ويتزود بالتقوى ، ويعامل الله بذلك في السر والنجوى . ويروض نفسه على الطاعات ، ويتخذ الصدق انيساً والذكر جليساً والزهد والورع وعدم الطمع والاستقامة والاخلاص ، فهذا سبيل الوصول » (٤٦) .

١٤ ــ **الشيخ احمد الصيادي الرفاعي** : وله زاوية قرب الجامع المعلق ، عند مدخل زقاق العوينات ، وقد تسلمها من ابيه الشيخ عمر الصيادي الذي عاش اكثر من مئة وعشرين سنة ، وهو من ابيه الشيخ محمد وهو من ابيه الشيخ رجب ويعود تاريخ هذه الزاوية الى حوالي عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م ولا يزال الذكر يمارس فيها حتى الآن : ففي ليلة الجمعة من كل اسبوع ، يجلس كل مريد في المكان المخصص له ؛ وتبدأ الحلقة بتلاوة جزء من القرآن ، ثم باهداء الفاتحة للرسل وللانبياء وللأولياء ، ثم بطلب المدد من الله والتوسل بالرسول وبالصالحين من الصوفية ، لا سيما الشيخ احمد الرفاعي . وبعد فترة من السكون (عدة دقائق) ، يبدأ المريدون بذكر كلمة التوحيد ، وهم جلوس ، حتى اذا اخذهم الوجد وقفوا بشكل دائرة متمايلين ، ويستمرون في ذكرهم حتى يلاحظ شيخهم علامات التعب والارهاق فيأمرهم بالجلوس ، وعندها يدعو الشيخ لمن سبقه من مشايخ الطريقة الرفاعية ، ولجمهور المؤمنين ؛ ثم يتلو عليهم احد المريدين ، من ذوي الصوت الحسن ، بعض سور من القرآن .

اما بقية ايام الاسبوع ، فتجري اجتماعات في الزاوية لشرح الاحاديث النبوية ، ولتفسير بعض آيات وسور القرآن لجمهور المريدين ، وذلك في الفترة الواقعة بين صلاتي المغرب والعشاء . والذكر في هذه الزاوية يمر بمراحل ثلاث : اولا باللسان وحده ؛ ثانياً باللسان مع حضور القلب ، ثالثاً بجميع جوارح المريد . ولا بد لمريد هذه الزاوية من استيفاء عدة شروط منها قبل الذكر ومنها اثناءه ومنها بعده ؛ وهي ما يعبر عنه بآداب الذكر حتى يتوصل المريد الى مرتبة الفتح (٤٧) .

فمن شروط قبل البدء : التوبة والغسل والوضوء والسكون والاستمداد من الرسول .

ومن شروط اثناء الذكر : طهارة المكان تطيب ثياب الذاكر ومجلسه ، تعتيم المكان ، اغماض العينين ، الصدق في الذكر ، الاخلاص والاقبال على ذكر كلمة التوحيد بكل قوة وبكل الجوارح ، حتى لا يبقى في القلب سوى الله .

ومن شروط ما بعد الذكر : السكون والخشوع وعدم شرب الماء حتى لا تخف الحرارة القلبية التي يولدها الذكر .

ولا تستخدم هذه الزاوية في ذكرها الآلات من مزهر (دف) أو طبلة ... لأن هذه الآلات لم تعد تنسجم مع العصر لا سيما انها كانت تستعمل في الماضي ، في القرى والاماكن القليلة السكان ، مع تباعد البيوت عن بعضها ، فكانت هذه الآلات ــ في رأيهم ــ وسيلة لتجميع الناس من اجل اقامة الذكر . ومن المعلوم ان الشيخ احمد الرفاعي كان يستخدم الطبل لتنبيه جمهور المريدين الى ان الذكر سيبدأ . ويوضح شيخ الزاوية بانه ليس هناك من ضرورة لمثل هذه الآلات في وقتنا الحاضر وفي منطقة الزاوية المكتظة بالسكان ، الأمر الذي يسبب لهم ازعاجاً ، لا سيما ان الذكر يبدأ ، عادة ، بعد صلاة العشاء ويستمر الى ساعة متأخرة من الليل . فاستعمال المزاهر والطبول يولد مضايقات

شديدة لسكان الحي ؛ وبدل ان تكون الزاوية رحمة لهم تصبح نقمة ؛ اضف الى ذلك بان مريدي الزاوية يعرفون وقت الذكر مسبقاً ، فيفدون الى الزاوية قبل الشروع فيه .

ومريدو هذه الزاوية ملتزمون بآداب . يعتبرها شيخ الزاوية من الامور التي توصل المريد الى ما يبغيه من الصلاح والكشف والفتح . والادب الصوفي — عموماً — ينقسم الى ثلاثة اقسام :

١) **ادب المريد مع نفسه** : ويتضمن التمسك بالـدين فيقف عند اوامره ويجتنب نواهيه . متأدباً بآداب السنة . متتبعاً لمكارم الاخلاق . ويتولد عن هذا الادب رضاء الله ورضاء الناس .

٢) **ادب المريد مع شيخه** : ويتضمن تعظيم الشيخ وتوقيره ظاهراً وباطناً ، كما يتضمن عدم الاعتراض عليه وتقديمه على غيره ، وان لا يقعد المريد وشيخه واقف ، وان لا ينام بحضرته الا باذنه ، ولا يتكلم المريد بحضور شيخه الا بعد اذنه ايضاً ، ومريد تلك الزاوية مطيع لاوامر شيخه ولا يقوم بأي عمل الا بعد اشارة من الشيخ . وكثيراً ما يردد الشيخ احمد امام مريديه ما كان يطلبه الرفاعي الكبير من المريد بان لا يرهق شيخه في تربيته . وان يسمع كلامه . وينفذ وصاياه ، وان لا يفخر المريد بشيخه امام بقية المشايخ بل ان شيخه هو الذي يفتخر به امام الآخرين (٤٨) . وهذه الآداب واجبة على المريد نحو شيخ الطريقة أو خليفة هذا الشيخ والذي ينوب عنه أو المقدم الذي ينوب عن الخليفة . ومما تجدر الاشارة اليه انه في الطريقة الرفاعية دور مهم للخليفة الذي ينوب عن شيخ الطريقة) فهو الذي يوصل للمريدين جميع المعارف والاسرار والاذكار ، ويدخلهم الخلوة تماماً كما يفعل شيخ الطريقة الاكبر . اما المقدم فهو الذي يلقن الاوراد اللازمة (٤٩) .

وعندما يحضر المريد الى الزاوية يجد الشيخ في صدر المجلس . فيقف متأدباً ، باسطاً كفيه ، واضعاً قدمه اليمنى فوق اليسرى . يتلو فاتحة الكتاب ؛ وبعد الانتهاء ينحني ليقبل يد الشيخ الذي يسارع الى تقبيله ، ويومىء الشيخ اليه ان اجلس ، فينصاع المريد لأوامر شيخه ؛ ولا يغادر مكانه الا بعد الاستئذان من شيخه . ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه الزاوية تختص بهذا النوع من الادب .

٣) **ادب المريد مع اخوانه** : ويتضمن المصافحة عند اللقاء وعند الافتراق ؛ ومنها عدم التدابر والتقاطع ، فعلى كبيرهم ان يحب صغيرهم ويعطف عليه . ويوصي شيخ الزاوية بالتواضع بين المريدين ، وان يعودوا بعضهم بعضاً ، اذا مرضوا ، ويسأل المريد عن اخوانه اذا غابوا ، وان يخصهم بالدعاء ، وان لا يخص نفسه بشيء من دونهم ، وان يحب لهم ما يحب لنفسه . وان يوسع عليهم اذا افاض الله عليه من رزق ، وان يخدمهم وان يكون بشوشاً لهم في مخاطبته ومحاورته .

ومن الآداب التي يجب ان يتحلى بها المريد — في رأي الشيخ احمد — التعاون مع اخوانه على حب الله وذكره وعدم منافستهم على امر دنيوي ، والكف عن متابعة

عيوبهم ، وان يسامحهم فيما وقع منهم ، وان يحب من يحبهم ويعادي من يعاديهم ، وان يرشدهم الى الصواب ان كان كبيراً وان يتعلم منهم ان كان صغيراً . . . وبالجملة يجب عليه ان يراعي حقوق اخوانه . ذلك ان درجة الصحبة والاخوة درجة سامية منيفة (٥٠) .

وقد تمكنت هذه الزاوية بفضل توجيهها ، من اعادة كثير من المنحرفين الى حظيرة الدين : فاقبلوا على اداء الفروض الدينية فتحسنت اخلاقهم وانتظمت احوالهم . والواقع ان للصلة الوثيقة بين شيخ الزاوية والمريدين اهمية كبرى في صلاح نفوسهم . وهذا امر معروف من الناحيتين : النفسية والاخلاقية : « لأن جوهر العلاج النفسي انما يقوم على الصلة بين المريض والطبيب النفساني ، صلة تؤدي الى ان يكشف المريض نفسه بكل ما فيها للطبيب ؛ وهذا الانكشاف ، وهذا التحليل النفسي هو في ذاته علاج للمريض ، لأن المرض النفسي نتيجة كبت المريض لامور في باطن نفسه ، لا يستطيع ان يظهرها ، سواء أكانت علتها مخاوف قديمة أو اسباب نفسية ؛ واتصال المريد بالشيخ ، بحيث يلقي اليه زمامه ويكشف له حاله ، يجعله يفضي اليه بكل ما يخطر بباله وما يكمن في جوانح نفسه ؛ وعندئذ ، اي بعد أن يكشف نفسه ، يستقيم امره من الناحيتين النفسية والاخلاقية » (٥١) .

١٥ — **الشيخ علي بن محمود الزاهد** : وله زاوية تقع بالقرب من جامع البرطاسي ، عند عقبة الزاهد ، المؤدية الى منطقة القبة من داخل المدينة القديمة . ولا تزال حتى الآن تقيم حلقات الذكر .

سلك الشيخ علي الطريقة الرفاعية على يد ابن عمه الشيخ عبد الرحمن السبسبي الرفاعي بحماه . وآل الزاهد في طرابلس من السلالة الرفاعية ، كما هي الحال بالنسبة للحريري والصيادي والرواس والسبسبي . . الى غير ذلك من الفروع التي تفرعت عن الاسرة الرفاعية . وقد لقب جد هذا الفرع بالزاهد لما اشتهر به في هذا الميدان .

وفي عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م نال الشيخ علي اجازته من شيخه السالف الذكر ؛ وهي اجازة تسمح لصاحبها بأخذ العهد على المريدين وتسليكهم ، والباس الخرقة الرفاعية لمن كان اهلا لها من الطالبين . كما ان في حيثياتها الأذن للشيخ علي بدق المزهر والطبل ، وبرقية المريض والملسوع . مما يدل على ان الشيخ كان قد تدرب ، في زوايا الرفاعية بحماه ، على استعمال هذه الآلات ، لأن مشايخ الطريقة درجوا على ان لا يأذنوا لأي كان باستعمالها ، الا بعد اتقانه لهذا الاستعمال الذي يعتبرونه فناً قائما بذاته ، وذلك خوفاً من عدم تأدية الغرض المتوخى منه والذي ينحصر — في رأيهم — بزيادة الخشوع .

وقد صادق على اجازة الشيخ علي في عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م عدد كبير من المشايخ في طليعتهم : محمد نجيب عثمان البرازي ، شيخ الرفاعية بحماه آنذاك ، حسن ياسين الصيادي ، محمد نجيب المراد ، احمد شاكر الزعبي نقيب اشراف عكار ، احمد عبد

الغني الزعبي شيخ مشايخ الطرق الصوفية في عكار . وفي عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م منحه الشيخ سلمان البارودي ، شيخ مشايخ الطرق بطرابلس ، اجازة في الطريقة الرفاعية .

تقيم هذه الزاوية اذكار الرفاعية ليلة الجمعة من كل اسبوع . ويتميز الذكر فيها باستعمال النوبة كنداء لجمهور المريدين . وعندما يلتئم الجمع تتوقف الموسيقى ويبدأ الذكر . وعند الانتهاء تجري في الزاوية مناقشات دينية بين شيخ الزاوية والمشاهدين . وتشمل هذه المناقشات : الاحاديث النبوية وتفسير الآيات القرآنيـــة . والعبادات . واتجاهات التصوف . . . وفي بعض الاحيان يقتنع احد المشاهدين ويطلب من الشيخ ان يصبح مريداً ؛ فتبدأ مراسيم جديدة « اخذ العهد » فيبدأ الشيخ بتلاوة الفاتحة سراً . ثلاث مرات ، ثم يقرأ آية المبايعة بصوت جهوري ، امام الجماهير المحتشدة في الزاوية ؛ ثم يستغفر الله ويتوب اليه ؛ ثم يمسك بيده اليمنى يد المريد ويلقنه الذكر ثم يقول : اشهد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وانبيائه والحاضرين من خلقه انني تائب الى الله ورسوله من جميع الخطايا ، راغباً في امتثال اوامره ارسوله . مجتنباً محارمه . مجتهداً في طاعته منيباً اليه . مواظباً على خدمة الفقراء والمساكين على حسب الطاقة . وان سيدنا وقدوتنا الى الله تعالى السيد احمد الرفاعي والله على ما نقول وكيل » (٥٢) .

ويردد المريد تلك الاقوال . ثم يقول الشيخ : العهد عهد الله واليد يد الله ويد شيخنا الرفاعي . ويجلس الشيخ على ركبتيه ويغمض عينيه واضعاً يديه على ركبتيه . ويلقن المريد كلمة التوحيد (لا اله الا الله) ثلاثاً وفي الرابعة يضيف اليها محمد رسول الله . فيتابعه المريد بمثل ما يقول . ويقرأ الجميع الفاتحة مهداة الى جميع المؤمنين . وتنتهي حفلة المبايعة (٥٣) . وبهذه الطريقة تمكنت الزاوية من مساعدة عدد كبير من المنحرفين الى العودة الى الدين والتمسك بالسنة النبوية .

١٦ ــ الشيخ علي تاج الدين : الذي اتخذ من المدرسة الخاتونية . قرب مسجد ارغون شاه ، زاوية للطريقة الرفاعية . وقد بنى هذه المدرسة نائب السلطنة بطرابلس الامير « عز الدين ايدمر الأشرفي » بالاشتراك مع زوجته ارغـــون . وسبب تسميتها بالخاتونية يعود الى ان المماليك كانوا يطلقون على الزوجة لقب خاتون . وقد اوصت ارغون بان تدفن فيها غير انها توفيت ودفنت بمصر . ولا تضم هذه الزاوية اي ضريح . ويعود بناء هذه المدرسة الى عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م كما هو مذكور في الكتابات الموجودة عند مدخلها ؛ وقد سجل في هذه الكتابات اسمـــاء العقارات الموقوفة عليهـــا وشروط الواقفة (٥٤) من اجل صرف ريع هذه الاوقاف (٥٥) .

ولقد توقفت هذه الزاوية عن تلاوة الاذكار واقامة حلقات الدراسة وانصرف عنها المريدون الى زوايا اخرى .

١٧ ــ محيي الدين سلطب : ولد بطرابلس ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م . درس في الفيحاء ثم تابع الدراسة في الاستانة . تقلد بعد ذلك عدة مناصب في المناطق التالية : عكار . حصن الاكراد . الناصرة . حيفا . . . ثم عين اميناً للفتوى في طرابلس ؛ وظل في منصبه

الاخير حتى وفاته . اشتهر محيى الدين بمدح الشيخ الرفاعي مؤسس الطريقة التي انتسب اليها :

على مدد القطب الرفاعي احمد شؤون جميع الأولياء تدار
ولا مدد في الكون يوجد في الورى لعمرك الا من سناه يعار

ويصف سلهب ما الم به من هموم وكيف تخلص منها :

لقد بت يوماً والخطوب تنوبني وفي القلب من عظم الكروب اوار
فناديت يا شيخ العريجا اغث فتى له في هواكم ذمة وجوار
ونمت فوافاني لدى سنة الكرى وقد ادهشتني هيبة ووقار
وانشدني ذا البيت وهو الذي يلي وفيه لتفريج الكروب يشار
ومن كان للقطب الرفاعي ينتمي فلا يخش ضيماً وليس يضار
وقمت واقداح المسرة والصفاء على بسر ابن البتول تدار (٥٦) .

وهكذا فان محيى الدين ينتمي للقطب الرفاعي ، الذي يساعده على التخلص من الكروب . وقد حارب رشيد رضا ، وغيره من علماء المسلمين ، هذه النزعة عند رجال الصوفية ، وبين بان هؤلاء الموتى ، ولو كانوا من الصالحين ، عاجزون كلهم ، عما يظنه الجاهلون فيهم ، من التصرف في عالم الغيب . ولو كان هؤلاء المتوسلون ، في رأي رشيد رضا ، يفقهون معنى كلمة الصمد ، لتركوا بدعة عبادة القبور ، والتوسل باصحابها ، وبقدرة بعض الموتى من الصالحين على جلب المنافع ودفع الضرر . فاتخاذ هؤلاء كوسطاء وشفعاء يوصل الى الشرك (٥٧) .

كلمة عامة :

لقد مرت الطريقة الرفاعية ، في طرابلس ، بمراحل عديدة ؛ لكنها لم تعرف التقهقر ، ولا تزال حتى الآن تستقطب عدداً لا بأس به من صوفية المدينة ولا سيما في منطقة ببنين في عكار . واشهر زواياها في طرابلس والتي لا تزال تمارس الذكر :

١) زاوية الشيخ احمد الصيادي .
٢) زاوية الشيخ علي الزاهد .
٣) زاوية الشيخ سلمان البارودي .
٤) زاوية الشيخ مصباح سمنة .
٥) زاوية الشيخ سعيد المبيض .

ومما تجدر الاشارة اليه ان طريقة اذكار الرفاعية تشبه الى حد بعيد طريقة اذكار القادرية ؛ ولعل السبب في ذلك يرجع الى تأثير البيئة العراقية التي نشأت فيها الطريقتان .

هـــوامش

(١) را : المعاني ، قاموس العاشقين (بيروت ، ١٣٠٢هـ) ، ص ٥ .
(٢) را : شجرة عائلة الرفاعي ، لدى الشيخ محمد عبد الله الرفاعي بطرابلس ، تاريخ ١١١٧هـ .
(٣) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٢٩ .
(٤) سلطان مصر (٨٦٥–٨٧٢هـ / ١٤٦٠–١٤٦٧م) .
(٥) حاكم طرابلس (٨٦٩–٨٧٠هـ / ١٤٦٤–١٤٦٥م) .
(٦) بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
(٧) تدمري ، تاريخ وآثار ، ص ٣٢٢ .
(٨) را : احمد الصيادي ، الاسرار الوهبية في الصلاة على خير البرية (طرابلس ، ١٣١١هـ) ، ص ٢ .
(٩) الصيادي ، الاسرار الوهبية ، ص ١٧–١٨ .
(١٠) الصيادي ، الاسرار الوهبية ، ص ٢٠ .
(١١) هو محمد بن حسن وادي الصيادي الشهير بابي الهدى (١٢٦٦–١٣٣٧هـ / ١٨٤٩–١٩١٨م) ولد بشيخون من قرى معرة النعمان . قرأ القرآن ثم اخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية ، ثم لبس الخرقة الرفاعية من ابن عمه الشيخ علي خير الله (ت ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م) شيخ مشايخ حلب ، حيث كانت له زاوية قرب قلعتها . وبعد ذلك قدم ابو الهدى الى دمشق لتكملة العلوم الشرعية والصوفية على يد الشيخ محمد بهاء الدين مهدي الصيادي الرواس (ت ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) الذي البسه الخرقة الرفاعية ايضاً . ثم رحل ابو الهدى الى القسطنطينية حيث قام بنشر الطريقة هناك ؛ وظل يترقى حتى عينه السلطان عبد الحميد شيخاً لمشايخ دار السلطنة . انشأ ابو الهدى زاوية بحلب عرفت بالزاوية الرفاعية (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م) وبدأ بانشاء زاوية أخرى في مدينة حمص لكنها لم تتم . ترك ابو الهدى تآليف كثيرة :
١) « ضوء الشمس »
٢) « قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر » .
٣) « فرحة الاحباب » .
٤) « حديقة الفتح في ذكر الشطاحين والشطح » .
٥) « هداية الساعي في سلوك طريقة الغوث الرفاعي » .
٦) « التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الامجد » ... (را : كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٥١–١٥٧) .
(١٢) را : البارودي ، الفوز الابدي في الهدي المحمدي (بيروت ، ١٣٤٣هـ) ، ص ٨ .
(١٣) البارودي ، الفوز الابدي ، ص ٩ .
(١٤) م. ع. ، ص ٩ .
(١٥) م. ع. ، ص ١٠ .
(١٦) م. ع. ، ص ١٠ .
(١٧) را : البارودي ، الفوز الابدي ، ص ١١ .
(١٨) م. ع. ، ص ١١ .
(١٩) را : البارودي ، الفوز الابدي ، ص ٢٨–٣٠ .

(٢٠) الاعتكاف في اللغة المقام والاحتباس ، وفي الشرع لبث صائم في مسجد جماعة بنية . وهو تفريغ القلب عن شغل الدنيا وتسليم النفس الى المولى . وقيل الاعتكاف والعكوف والاقامة معناه لا أبرح عن بابك حتى تغفر لي (الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٤) .
(٢١) را : وهيب البارودي ، اعلام وبيان (طرابلس ، ١٣٢٢هـ) ، ص ١٤ .
(٢٢) را : وهيب البارودي ، خلاصة البهجة (القاهرة ، ١٣١٥هـ) ، ص ٣—٤ .
(٢٣) حسين الدجاني ، الشافية (طرابلس ، ١٣١٧هـ) ، ص ٨٦ .
(٢٤) را : وهيب البارودي ، مجلة البيان ، ج ٤ (طرابلس ، ١٣٢٠هـ) ، ص ٩٧—٩٨ .
(٢٥) م. ع. ، ص ٩٩ .
(٢٦) را : البارودي ، مجلة البيان ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .
(٢٧) م. ع. ، ص ١٠١—١٠٢ .
(٢٨) را : يوبيل بلبل سورية ، ص ٥٤—٥٥ . ايضاً زركلي ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .
(٢٩) را : عبد الحميد الرافعي ، ديوان عبد الحميد (بغداد ، ١٩٧٤) ، ص ٧ .
(٣٠) م. ع. ، ص ٢١٠ .
(٣١) م. ع. ، ص ١٨٨ .
(٣٢) را : يوسف ايبش ، رحلات الامام محمد رشيد رضا (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٠٠ .
(٣٣) را : الرافعي ، ديوان عبد الحميد ، ص ٢٢٢ .
(٣٤) را : م. ع. ، ص ١٥٤ .
(٣٥) احمد عارف الزين ، العرفان ، م ١١ (صيدا ، ١٣٤٤هـ) ، ص ٢٤٥—٢٤٦ .
(٣٦) را : الرافعي ، ديوان عبد الحميد ، ص ٢٢ .
(٣٧) را : الرافعي ، ديوان عبد الحميد ، ص ٢٤ .
(٣٨) م. ع. ، ص ٢٥ .
(٣٩) م. ع. ، ص ٥١ .
(٤٠) يوبيل ، ص ٧٣ .
(٤١) را : عبد الحفيظ المهتدي ، الاسرار القدسية ، ص ١٩ .
(٤٢) م. ع. ، ص ٢٠ .
(٤٣) م. ع. ، ص ٣ ، ٦ .
(٤٤) م. ع. ، ص ١١ .
(٤٥) را : المهتدي ، ص ٧
(٤٦) م. ع. ، ص ٤٠ .
(٤٧) الفتح والفتوح عبارة عن حصول شيء مما لم يتوقع ذلك منه (الجرجاني ، التعريفات ، ص ٧٥) .
(٤٨) را : المنوفي ، جمهرة الأولياء ، ص ٢٠٧ .
(٤٩) را : الطصفاوي ، الفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التيجاني (القاهرة ، ١٩٤٨) ، ص ٣٨ .
(٥٠) را : الطصفاوي ، الفتح الرباني ، ص ٣٩ .
(٥١) محمد علوان ، مجلة الاسلام والتصوف ، عدد ٣ (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص ٢٨ .
(٥٢) محمد نوري عيش ، البسط في احكام الطريق ، ص ٢١ .
(٥٣) م. ع. ، ص ٣١ .
(٥٤) اي ارغون .
(٥٥) را : كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٢٩ ، ١٥٧ .
(٥٦) نوفل ، تراجم علماء ، ص ١٥٦ .
(٥٧) را : رشيد رضا ، منار ٣٤ ، ص ٥١٨ .

الفصل السادس

الشاذلية في طرابلس

الفصل السادس

الشاذلية في طرابلس

لقد عرفت طرابلس الطريقة الشاذلية عن طريق المشايخ الطرابلسيين الذين كانوا يتخصصون في الجامع الازهر ؛ وعن طريق الشيخ علي نور الدين اليشرطي في عكا . واول ما نعلمه من الطرابلسيين الذين سلكوا هذه الطريقة :

١ ـ **الشيخ درويش مصطفى بن قاسم** بن عبد الكريم بن قاسم بن محيى الدين الحلبي الشافعي ، وينتهي نسبه الى محمد بن الحنفية . ولد بمدينة طرابلس عام ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م ونشأ بها وتأدب على الشيخ عبد النافع الحموي مفتي الحنفية والشيخ محمد الحق الشافعي والشيخ عبد الخالق المصري وغيرهم . دخل دمشق عام ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م فحضر مجالس العلم وحاضر فيها ؛ ثم دخل مصر فأخذ الفقه والنحو عن الشيخ نور الدين الزيادي والشيخ ابي بكر الشنواني وغيرهما . واخذ المنطق عن الشيخ سالم التستري والكلام عن الشيخ احمد الغنيمي والشيخ ابراهيم اللقاني . ثم رحل الى الاستانة وأخذ عن صدر الدين زاده وعن الشيخ العالم محمد المفتي . ونال الاجازة في الطريقة الوفائية (١) من الشيخ ابي الاسعاد بن وفا الشاذلي المصري وذلك ابان دراسته في مصر .

وفي عام ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م تدم المدينة المنورة وادى الفريضة . وفي عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م انتظم في سلك المجاورين في المدينة ؛ وتأهل هناك وتقيد بنشر العلم والتدريس في المسجد النبوي . واخيراً لزم منزله للعبادة والتأليف . من تصانيفه :

أ ــ « نزهة الابصار في السير فيما يحدث للمسافر من الخبر » .

ب ــ « هتك الاستار في وصف العذار » .

ج ــ « شرح تائية ابن حبيب الصفدي » .

د ــ « الدر الملتقط من بحر الصفا في مناقب سيدي ابي الاسعاد بن وفا » .

وله تخميس لتائية عمر بن الفارض ؛ وديوان شعر يشتمل قصائد في مدح الرسول واستغاثات (٢) . وله عدة قصائد في مدح شيخه ابي الاسعاد الشاذلي :

ففي قصيدة مطولة في مدح الرسول (ص) جاء قوله :

« يا من به كل الشدائد تفرج   وبذكره كل العوالم تلهج

وعليه املاك السماء تنزلت وبمدحه لله حقاً تعرج
واليه ينهي كل راج سؤاله والسائلون على حماه عرجوا
يا قطب دائرة الوجود باسره يا من لعلياه البرايا قد لجوا
يا سيد السادات يا غوث الورى يا من بدليل الحوادث ابلج
قد جئتكم ارجو الوفاء تكرما لكنني للعفو منه احوج
وحططت احمال الرجاء لديكم فعساكم ان تنعموا وتفرجوا » (٣) .

واشتهر بقصائد التأريخ . مثال ذلك تأريخ ايوان بناه شيخ حرم المدينة المنورة عبد الكريم المصاحب . وعندما زار الشريف زيد بن محسن سلطان مكة المدينة المنورة ، حيث يقيم الشيخ درويش مجاوراً . انشده الشيخ :

قد سرت من مكة لغزو والله بالفتح قد امدك
وطالع السعد حين وافى لقمع اعداك قد اعدك
تاريخ درويش جاد فيه بالنصر يا زيد زرت جدك (٤) .

٢ ــ **الشيخ محمد القاوقجي (ابو المحاسن) الطرابلسي** : هو محمد بن خليل ابن ابراهيم بن محمد بن علي ابن محمد الشهير بالقصيباتي ، ويتصل نسبه بعبد السلام ابن مشيش فالحسن سبط الرسول .

كان جده القصيباتي يقيم في قرية القلمون ، القريبة من طرابلس ، على شاطىء البحر ؛ فلما توفي هذا الجد قصد ولده علي ابو قورة (٥) طرابلس واقام بها يحترف عمل القاووق ؛ وهو ما يلبس على الراس مثل التاج ولفظه عجمي ؛ وهاجر ابو قورة الى الاستانة . وعمل تيجاناً واهداها للسلطان العثماني الذي انعم عليه واعطاه قرية « ذكرون » من اعمال طرابلس ، وتبعد عنها ساعتين سيراً على الاقدام ؛ فصار يدعى بالقاوقجي ؛ وهي نسبة تركية الى عمل القاووق على غير القياس العربي ، اذ القياس فيه قاووقي ، والاتراك يجعلون لفظة جي للنسبة في الحرف والصنائع . ومن بعد هذا الانعام رجع القاوقجي الى طرابلس واقام فيها على حرفته ، وتفرع اولاده من بعده واحترفوا حرفته . على أن صاحب الترجمة كان يلقب نفسه بالمشيشي نسبة الى جده الأعلى عبد السلام بن مشيش شيخ الشاذليةومؤسس الطريقة الشاذلية ؛ لكن لفظ القاوقجي غلب (٦) . وكان يكنى بابي الهدى وبأبي المكارم وبأبي المعارف وبعلم الطرائق ، لكنه اشتهر بابي المحاسن .

ولد ابو المحاسن في الثاني عشر من ربيع الأول ١٢٢٤هـ / ١٨١٠م في منزل خاله الشيخ محمد الحامدي قبالة الجامع العطار الشهير بطرابلس . وقد تفاءل اهله من تاريخ مولده الذي يوافق احتفال العالم الاسلامي بالمولد النبوي الشريف ؛ لا سيما ان ولادته كانت بين المغرب والعشاء ، ابان تلاوة قصة المولد ، فسمي المولود الجديد محمداً تيمنا بالرسول (٧) . توفي والده وهو طفل فربي يتيماً في كنف اخواله من آل الحامدي . تلقى

ابو المحاسن علومه الابتدائية في طرابلس ، وقد اظهر ميلا للرياضة الروحية وتعلقاً بسلوك الطريق في سن مبكرة ؛ فاقبل على اداء الفروض وقيام الليل متهجداً ؛ وكان يحضر حلقات المشايخ في طرابلس حتى بلغ الخامسة عشرة . فهاجر الى مصر بقصد متابعة العلم والتحصيل في الجامع الازهر ؛ وقد لبث هناك سبعاً وعشرين سنة ، يقرأ الفنون ، ويتلقى العلوم عن جماعة من العلماء المحققين امثال : ابراهيم البيجوري (٨) محمد بن احمد الخليلي مفتي الديار المصرية آنذاك ، محمد البهي الطنطاوي شيخ الطريقة البدوية ، محمد عابد الانصاري ، محمد العدوي ، احمد الصعيدي (٩) . وقد ذكر ابو المحاسن مشايخه وما حضر على كل منهم من التصانيف وما اجازه فيه من الكتب والتآليف وذلك في كتابه المسمى « معدن اللآلي في الاسانيد العوالي » .

وسلك طريق التصوف على ايدي مرشدين عديدين في طليعتهم حسين الدجاني ، الذي سلك على يديه الطريقة الشاذلية ، ابراهيم الرشيد ، محمدجان السليماني وغيرهم كثر . وقد جاء ذكرهم في كتابه « شوارق الانوار الجلية » . ولما لبس خرقة الصوفية اصبح امام اهل الطريق ومعتمد اهل العرفان والتحقيق (١٠) .

كان القاوقجي ماهراً في العلوم العقلية والنقلية ، واكثر ما اشتهر به علم الحديث والرواية ، كما انه كان خطيباً يطيب السامعون لوعظه ، وتلين قاسيات القلوب لزواجر لفظه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يصدع بأمر الله ويغضب لانتهاك حرمات الشرع .

تفقه على مذهب ابي حنيفة كأغلب علماء سورية فكان من أئمة هذا المذهب الذين يعتمد عليهم ويرجع اليهم في الأصول والفروع . وبعد ان اتم تحصيله في الجامع الازهر عاد الى مدينته طرابلس وهو في الثانية والاربعين من عمره ؛ وظل في طرابلس مدة ست وثلاثين سنة ، كان خلالها يدرس ويعلم ويقيم حلقات الذكر ، في مختلف مناطق المدينة ومساجدها . وكان من عادته أنه يقرأ الدرس ثلاثة ايام في البلدة (طرابلس) وفي الميناء (اسكلة طرابلس) ثلاثة اخرى ؛ فيوزع الاسبوع بينهما ؛ وكان عند انتهاء الايام الثلاثة يدير حلقات الذكر ويقوم بنفسه ذاكراً لله كأنه في شرخ صباه مع انه قد ناهز الثمانين (١١) . وكان القاوقجي يربي المريدين ويجيز المجلين منهم ويحثهم على تلاوة كتاب « دلائل الخيرات » للامام الجزولي (١٢) واحزاب الشاذلي ؛ ويحبب اليهم الرياضة والترقي في منازل المعرفة ، حتى قيل عنه انه « مظنة ولاية » لشدة ورعه (١٣) .

يذكر رشيد رضا بانه تلقى الاجازة من ابي المحاسن بعد تلاوة « دلائل الخيرات » وغيره من الاحزاب والاوراد ، ثم تاقت نفسه الى اعمق من ذلك فقال : « وقد طلبت من اعبد عباد شيوخ الطريق في عصرنا ابي المحاسن محمد القاوقجي ان يسلكني الطريق على اصولهم في الرياضة والخلوة والترقي في منازل المعرفة ، وصرحت له بانه لا يعجبني ان اسلك طريقة الشاذلية الصورية ، بقراءة اورادها وحضور أجتماع اذكارها ، وكنت قد حضرت هذا عنده مراراً أو حفظت حزب البر بقراءته معهم . فاعتذر الي وقال :

يا بني انني لست اهلا لما تطلب ، فهذا بساط قد طوي وانقرض اهله » (١٤) . وفي ذلك اشارة الى تواضع الشيخ .

وقد انشأ ابو المحاسن ثلاث زوايا : الأولى في منطقة الدفتردار (وسط المدينة) حيث افرد غرفة واسعة في منزله الكائن في تلك المنطقة ، والتي دعيت فيما بعد بمنطقة القاوقجي حيث لا تزال تعرف بذلك حتى الآن .

الثانية في جامع الطحام الذي يقع ايضاً وسط المدينة القديمة . ويعود تاريخ بنائه الى اواخر عهد المماليك ، ولا يزال الى الآن تقام فيه الشعائر الدينية . وكان ابو المحاسن خطيب وامام ومدرس هذا الجامع . وقد جعل من احدى الغرف مركزاً له كي يكون على مقربة من تلامذته العديدين الذين كانوا ينامون في ذلك المسجد . يقول احد تلامذته ــ رشيد رضا ــ واصفاً ورع شيخه وتقواه : « كنا اذا نمنا عند شيخنا الناسك ابي المحاسن القاوقجي ، نزداد رغبة في العبادة من صيام وقيام . اذ نرى ذلك الشيخ الكبير في السن والقدر يصوم الايام الفاضلة ، ويقوم طائفة من الليل لا يجيء الثلث الأخير منه الا ونستيقظ ونحن رقود في حجرة بجانب حجرته على صوت تكبيره وقراءته وبكائه » (١٥) .

الثالثة : زاوية الميناء (اسكلة طرابلس) .

وكان ابو المحاسن يتردد الى الديار المصرية حيث انشأ هناك فرعاً للطريقة الشاذلية يتبعه عدد كبير من المريدين ، وكان قد عهد الى احد ابنائه بادارة تلك الزاوية بمصر . ولقد انتشر له في كل قطر تلامذة ومريدون عجماً وعرباً ؛ ومن جملة التعظيم الذي كان يكنه له المريدون أنهم كانوا يخرجون لاستقباله بمواكب ضخمة رافعة له اعــلام الطرق الصوفية كافة معترفة بفضله في نشر التصوف (١٦) . ولعل من اهم الاسباب التي جعلت لأبي المحاسن هذا العدد الضخم من المريدين والمحبين تقواه واخلاصه في الانقطاع الى الله ، وحبه للفقراء وعدم ركونه الى الولاة والرؤساء ، بل كان هؤلاء يسعون للتبرك به ونيل رضاه .

وفي ايام ابي المحاسن انتشرت اليشرطية الشاذلية بطرابلس ، فقد كان بعض شاذلية حلب ودير الزور وحمص وغيرها من المدن الداخلية ، يذهبون الى عكا بواسطة البحر عن طريق طرابلس . وقد اسهم هؤلاء في نشر هذا الفرع الشاذلي في كافة المناطق التي حلوا فيها . ونال بعض مشايخ آل منقارة الطرابلسيون الاجازات من الشيخ علي نور الدين اليشرطي وانشأوا زاوية لليشرطية في باب التبانة (١٧) . وقد انقسم مفكرو المدينة حول اليشرطية بين مؤيد ومعارض . يقول امين الصوفي السكري الطرابلسي : « ان هذه الطائفة ظهرت حديثاً ، ومن عقائدهم انهم يبيحون الزنا (يقصد الجمع في الذكر بين النساء والرجال) . وكانت عقائد هذه الطائفة قد سرت في عروق شرذمة من جهال شبان طرابلس ، فتداركت افاضل العلماء هذا الأمر بعزم صارم ، ورفعوا ما احاط به علمهم لجانب الحكومة ، فسعت بعقد مجلس وجلبت افراد جمعيتهم وزجوا في

السجن ؛ وبعد التعمق في التحقيق وانكشاف الحقائق نفي بعضهم واخلي سبيل من اناب (١٨) .

واخذ بعض الناس ، في انحاء العالم الاسلامي ، يتساءلون عن شعائر هذه الطريقة المتمثلة بالاجتماع صباحاً ومساء على تلاوة الاوراد والاذكار ، وعن مختلف اعمال مريديها في حال الذكر ، واخذت الرسائل ترد الى رشيد رضا مستفسرة عن ذلك وعن شيخ الطريقة اليشرطي ، فجاء قول رشيد رضا : « ظهرت هذه الطريقة في اوائل هذا القرن في بلاد سورية واخذها خلق كثير عن شيخ مغربي ، كان في عكا اسمه الشيخ علي نور الدين فقامت عليه وعليهم قيامة العلماء ونسبوا اليهم القول بالحلول والاتحاد وبعض المنكرات العملية كالجمع بين النساء والرجال ، بل قيل ان بعضهم مرقوا من الدين وصاروا اباحيين وجعلوا شيخهم علي نور الدين اليشرطي مثار هذه الضلالات كلها . ولكنني (رشيد رضا) رأيت بعض الشيوخ الصالحين يثني على شيخهم ويقول انه بريء من كل ما خالفوا الشرع به ؛ ومن هؤلاء المبرئين لـه شيخنا الشيخ محمد القاوقجي الشهير .

ولقد نشر هذه الطريقة (اليشرطية الشاذلية) في طرابلس الشيخ نجيب الحفار أحد علمائها المشهورين ، فلم نر من تلاميذه من الفسق ولم نسمع عنه او عنهم القول بالحلول والاتحاد . فالظاهر ان هذه الطريقة ، كغيرها من الطرائق المشهورة ، يتبع تأثيرها حال المشايخ الذين يتصدون لنشرها . فان كانوا جاهلين ضالين ، اضلوا العامة بها ؛ وان كانوا على علم وهدى نفعوا مـن ينتمي اليهم بقدر مـا يصل اليـه علمهم واخلاصهم . وقلما تسلم طريقة في هذا العصر من البدع » (١٩) . ولقد أتي الشيخ علي اليشرطي الى طرابلس ونزل ضيفاً في زاوية ابي المحاسن القاوقجي الذي طلب اليه التوجه الى الاستانة وعرض احوال طريقته ، التي اثارت الجدل ، ولقد نصحه القاوقجي بترك الجمع بين الجنسين في حلقات الذكر ، لأن ذلك ليس معهوداً في اية طريقة . وقد عمل اليشرطي بنصيحة ابي المحاسن فتمكن من نيل رضاء الدولة العثمانية . وبفضل جهود أبي المحاسن خف الهجوم على الطريقة اليشرطية الشاذلية . وظـل ابو المحاسن يعظ ويرشد ويربي ويمنح الاجازات في الطريقة حتى عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، حيث ترر اداء فريضة الحج ؛ فصحبته وفود غفيرة من سائر الاقطار الاسلامية . وكان من عادة رجال الطرق ، اذا اراد احدهم اداء الفريضة ، ان يخبر اتباعه ومريديه بقصده ؛ فمن اراد منهم السفر اعد نفسه لمصاحبة شيخه او ملاقاته هناك . توجه ابو المحاسن مع مريديه الى القاهرة ثم الى بور سعيد فجدة فمكة . وبعد ان طاف وسعى وادى مناسك الحج ، واحل من احرامه مرض مرضاً شديداً ، وذلك من الارهاق الذي اصابه في تلك الرحلة ونظراً لتقدمه في السن . وما لبث ان توفي عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م . وقد شيع جنازته كبار اهل مكة وجم غفير من الحجاج ، ودفن بالقرب من ضريح السيدة خديجة زوج الرسول . وقام بمراسيم الدفن تلامذته ومريدوه الطرابلسيون الذين توجهوا معه لاداء الفريضة . وما ان وصل نعيه الى اسماع الطرابلسيين وغيرهم من اتباعه

حتى قام خطباؤهم وشعراؤهم يرثونه بالخطب والقصائد المؤثرة ، ويذكرون فضائله في مجالات العلم والتصوف ... ومن هؤلاء حسين الجسر ، محمد ابو الهدى العمري الشاذلي ... (٢٠) . وغير هؤلاء كثير وكلهم يثني عليه ويبين جهاده في نشر الشاذلية ، وما صادفته هذه الطريقة على يديه ، من قبول لدى صوفية الشام والعراق والحجاز ومصر ... وقد اجاز عدداً كبيراً من المشايخ (٢١) .

كان القاوقجي ينظر الى سائر المخلوقات بعين المحبة التي بنى طريقته عليها ، فكان يدعو الى المحبة والالفة واجتماع القلوب على اقامة شعائر الدين ؛ وكان يوصي اتباعه بكثرة الذكر لأنه « افضل الحمد والشكر واس‍ّ الاصول وعلامة المحبة ، وباب الوصول ؛ فهو يقوي القلب والبدن ويصلح السر والعلن ؛ ومجالس الذكر رياض الجنان ، فيجب ان تكون فيه الموافقة والقلوب النقية والالسن الصادقة » (٢٢) .

لقد اشتهر القاوقجي بغزارة انتاجه ، فقد كان منشئاً بارعاً ، الف نحو مئتي مصنف ما بين كبير وصغير ، مطبوع وغير مطبوع . وتتناول مؤلفاته موضوعات مختلفة كالتصوف الذي خصه باغلب هذه التآليف ، والتفسير والحديث واللغة ... ومن هذه التآليف والتصانيف :

١ ـ « ربيع الجنان في تفسير القرآن » .
٢ ـ « مسرة العينين على تفسير الجلالين » .
٣ ـ « جمال الرقص في قراءة حفص » .
٤ ـ « تنوير القلوب » .
٥ ـ « الجامع الفياح » .
٦ ـ « تسهيل المسالك مختصر موطأ مالك » .
٧ ـ « الاحاديث المسلسلة » .
٨ ـ « اللؤلؤ المرصوع فيما لا اصل له او بأصله موضوع » . وقد كشف فيه النقاب عن الاحاديث الموضوعة والاكاذيب المنتشرة لدى بعض الجهلة والعامة والتي تنسبها خطأ الى الرسول . وقد وضعه على الطف اسلوب واحسن ترتيب حتى تسهل مراجعته ويقرب ضبطه .
٩ ـ « ينبوع الحياة على سفينة النجاة » .
١٠ ـ « عناية المهتدي على كفاية المبتدي » .
١١ ـ « تحفة الناسك في المناسك » .
١٢ ـ « المقاصد السنية في اداب الصوفية » .
١٣ ـ « ريحانة القلوب في خلوة المحبوب » .
١٤ ـ « قواعد التحقيق في اصول اهل الطريق » .
١٥ ـ « نسيم الشجي الاواه في فضائل لا اله الا الله » وقد جمع فيه الآثار والآيات التي تبين فضائل الذكر ومنزلة الذاكرين . ومن المعلوم ان الطرق الصوفية كافة تضع اهمية كبرى للذكر (٢٣) .

١٦ — « الغنية النتية في سلوك الطريقة الخلوتية » .
١٧ — « البرقة الدمشقية في لبس الخرقة الصوفية » .
١٨ — « وصية الاخوان والاصحاب » .
١٩ — « البدر المنير على حزب الشاذلي الكبير » .
٢٠ — « فتح القدير على الحزب المنير » .
٢١ — « خلاصة الزهر على حزب البحر » . يبين فيه القاوقجي ان شيخ الطريقة ابا الحسن الشاذلي كان في سفر بحري نحو الحجاز ، لاداء فريضة الحج ، فسكنت الريح اياماً لم يتمكن خلالها المركب الشراعي التقدم نحو هدفه . وبينما كان ابو الحسن نائماً ، رأى في منامه النبي وهو يلقنه هذا الحزب . فلما استيقظ ابو الحسن تلاه بنية صادقة وتوجه صحيح الى الله ، فاذا بالريح — والقول لابي المحاسن — تحرك المركب نحو مقصده . وما لبث ابو الحسن ان امر مريديه بتعلمه وتعليمه لاولادهم . وقد اتفقوا على قراءته عند شروق الشمس . ولما كان لهذا الحزب اهمية كبرى عند الشاذلية لاعتقادهم بكثرة بركاته وخيراته ، وضع له القاوقجي شرحا يحل فيه ما يصعب على حفاظه وقرائه (٢٤) . وفي هذا الكتاب ينتقد القاوقجي ابن تيمية لأن هذا الاخير لا يأبه لاهمية الاحزاب والاوراد والدعاء . فبين أن « الاذكار والاوراد لا تبدل قدرا ولا تغير قضاء وانما هي عبودية اقترنت بسبب كاقتران الصلاة بوقتها ، ورتب عليها الاجابة على رتب ثواب الصلاة عليها ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما ان الترس سبب لرد السهم . وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى « خذوا حذركم » ، فربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التقدير والتدريج هو القدر ؛ والذي قدر الخير قدره بسبب ، وكذلك الشر قدر لرفعه سبباً فلا تناقض عند من انفتحت بصيرته » (٢٥) . ومن اجل ذلك الف القاوقجي رسالة :
٢٢ — « الوسيلة في كشف الكروب الى الله علام الغيوب » . جمع فيها بعض آيات القرآن والاحاديث النبوية بالاضافة الى ادعية وابتهالات ، وقد طلب من مريديه تلاوتها لأنها ، في رأيه ، تدفع كل ملمة وشدة ، ويستعان بهما على تخفيف وقع المصائب (٢٦) .
٢٣ — « الطور الأغلى على حزب الدور الأعلى » .
٢٤ — « الرياض القدسية على التوجهات الدمرداشية » .
٢٥ — « نفائس التفتيش على صلاة ابن مشيش » .
٢٦ — « شوارق الانوار الجلية في اسانيد الشاذلية » وقد ذكر فيه الاجازات التي نالها في الشريعة والطريقة من مشايخ الازهر ومشايخ الطرق الصوفية المختلفة . وقام القاوقجي بتدوين اسانيد هؤلاء المشايخ بالتفصيل . ثم وضع كتيبا « الانوار المضية في الاسانيد العلية » اختصر فيه هذه الاسانيد .

وفي هذا الكتيب يبين الشيخ انه أخذ الاجازة في الطريقة الشاذلية عن عدة مشايخ

منهم : محمد البهي ، محمد المغربي الفاسي الشهير بالودّي .

واجازته في الطريقة البدوية نالها من شيخ مصري هو علي سلطان البيومي .

اما اجازته في الرفاعية فقد نالها . كما يذكر . عن الشيخ علي شاهين الطرابلسي وهو عن خليل الطيلاني (نسبة الى جامع طيلان في طرابلس) وهو عن علي القطريب عن مصطفى بن الشيخ سليمان الرفاعي الطرابلسي عن علي بن عبد الله الرفاعي عن محمد الرفاعي الطرابلسي .

ويذكر القاوقجي بانه نال الاجازة في الدسوقية (٢٧) (البرهمانية) عن شيخ والده محمود الدسوقي دفين طرابلس . الذي ينتمي الى اسرة مصرية استوطنت طرابلس حوالي ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م مما يدل ان طرابلس قد عرفت هذه الطريقة الصوفية . لكنه لم يشتهر احد من افرادها (٢٨) .

٢٧ ــ « رسالة في المولد النبوي » .
٢٨ ــ « مواهب الرحمن في خصائص القرآن » .
٢٩ ــ « تحفة الملوك » .
٣٠ ــ « الغرر الغالية على الاسانيد العالية » .
٣١ ــ « روح البيان في خواص النباتات والحيوان » .
٣٢ ــ « رحلة » ذكر فيها سياحته في الاقطار المصرية والحجازية والشامية (٢٩) .
٣٣ ــ « مفتاح الكنز الافخر لمن اراد ان يصل الى الغني الاكبر » . وهو كتاب وضعه في فضائل الصلاة على الرسول . كما فعل النبهاني في كتابه « سعادة الدارين » . يقول القاوقجي : « لما كان نبينا عين الرحمة والجمال . كان الاشتغال بالصلاة عليه من اعظم المنة واشرف الاعمال . اذ هي من اوضح المناهج المقربة لقضاء المصالح والحوائج . مع ما ورد فيها من مضاعفة الثواب . وانها ــ والقول للقاوقجي ــ افضل من انفاق الذهب والفضة واعظم من عتق الرقاب . وقد صنف فيها الجم الغفير ما بين طويل وقصير وقليل وكثير ؛ وقد زاحمتهم في مواكبهم وتطفلت بالجلوس على موائدهم . والآن عن لي ان اجمع لكل يوم ورداً ؛ وقفيت بكل ورد حزباً يناسب ذلك اليوم . وابتدأت ذلك التأليف ببيت الله الحرام تجاه الكعبة » (٣٠) .

وفي هذا المجال وضع ابو المحاسن صلاة خاصة به وبطريقته الشاذلية . وكان تلامذته ومريدوه يثابرون على تلاوتها ؛ وقد سماها صلاة الترضي : « اللهم صل على سيدنا محمد صلاة الرضا . وارض عن سيدي علي بن عبد الله ابي الحسن الشاذلي رضاء الرضا . واغمره بالرحمة والنور . واقرّ عينه يوم الحشر والنشور . واوضح لنا طريقته . وانظمنا في سلك حقيقته . وانزل عليه روحا من عندك . وبلغه سلاما منا . وجازه افضل الجزاء عنا واجعلنا في كفالته ومن حزبه . واحشرنا معه تحت لواء جده (٣١) مع من انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (٣٢) .

٣٤ — « تخميس للقصيدة المضرية » وقد كان تلامذته يحرصون على قراءتها عقب صلاة العشاء . وقد طبع هذا الكتاب بطرطوس . وهو كسابقه يجمع الصلوات على الرسول والدعاء لابي الحسن ولمشايخ الطريقة .

٣٥ — « كفاية الصبيان فيما يجب من عقائد الايمان وعمل الاركان » . ويتعرض فيه القاوقجي لعدة قضايا تهم المسلم منها : ا — قدم الله وحدوث العالم . ب — صفات الله . ج — صفات الانبياء والرسل . د — عقائد المسلم من ايمان بالله وملائكته ورسله والكتب السماوية . هـ — الحث على اقامة شعائر الدين . . . الى غير ذلك من الامور التي تسهم في التربية الاسلامية الصحيحة (٣٣) .

٣٦ — « الاعتماد في الاعتقاد » . وهو كتاب في التوحيد الخالص . لذلك يحتاج اليه كل مريد ليتخلص من ربقة التقليد ؛ وقد دفعه الى وضع هذا الكتاب ان المقلد في التوحيد قد أختلف في ايمانــه. وقد سار فيه القاوقجي على طريق الحوار ، من سؤال الى جواب تسهيلا للمتعلم وتقريباً للفهم كما يرى (٣٤) .

فاذا سئل المريد عن الدليل على وجود الله ، فعليه ان يقول : « ان هذه السماء بكواكبها ، وافلاكها ، وهذه الارض بفجاجها ومياهها ، وهذه النباتات بتنوع اشجارها وثمارها ، وهذه الحيوانات باختلاف اشكالها وافعالها ، كلها تدل على وجود خالقها ووحدانيته وقدمه وقدرته . فان قيل كيف دلت عليه . فقل : انها ممكنة قابلة للزوال ؛ وكل ما كان كذلك فهو حادث . واذا كانت حادثة افتقرت الى محدث يوجدها ؛ أو قل انها موجودة بعد عدم ; وكل موجود بعد عدم لا بد له من موجد . فهذه المخلوقات لا بد لها من موجد يوجدها وهو الله سبحانه » (٣٥) . فالدليل على حدوث هذه الملخوقات ، في نظره ، هو اتصافها بالاعراض المتغيرة من عدم الى وجود ، ومن وجود الى عدم . وكل متغير حادث .

واذا سئل عن ذات الله ، فانه سبحانه ليس بجسم او عرض وليس مركباً أو غير مركب وكل ما خطر ببال الانسان . فالله ليس كمثله شيء (٣٦) .

واذا سئل المريد : اين الله ؟ فعليه ان يقول : « مع كل احد بعلمه ، وفوق كل احد بقدرته ، وظاهر في كل شيء بآثار صفاته ، وباطن بحقيقة ذاته ، منزه عن الجهة والجسمية والقبلية والبعدية ، فلا يقال له يمين ولا شمال ولا خلف ولا امام ولا فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا داخل في العالم ولا خارج عنه ؛ ولا يقال لا يعلم مكانه الا هو . ومن قال لا أعرف : الله أفي السماء هو ام في الارض كفر ؛ فاذا قال لك ما دليلك على ذلك . فقل : لأنه لو كان له جهة أو هو في جهة لكان متحيزاً ، وكل متحيز حادث ، والحدوث عليه محال » (٣٧) .

ثم يستعرض القاوقجي الصفات الالهية من حياة وسمع وبصرٌ وكــلام وعلــم وقدرة ؛ ويدلي دلوه في جواز رؤيته سبحانه في الآخرة . . . وهو في هذا يسير على

خطوات الاشعري (٣٨) .

٣٧ ــ « الذهب الابريز على المعجم الوجيز » وهو شرح للاحاديث النبوية . وقد الفه القاوقجي في زاويته بجامع الطحام ؛ وكان الانتهاء من تأليفه عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م .

جاء في مقدمته : « وضعت عليه (٣٩) شرحاً لطيفاً بعبارات نبوية رائقة ، تعلل الروح بروح الجنان . واشارات مصطفوية شائقة تؤثر في القلوب كلمح القيـان ، فتصفحت الصحف المعتبرة من الاحاديث والتفاسير ، وتفصحت ما يناسبه من انـواع الكتب المشاهير . حتى استخرجت درر العبـارات من كنوزهـا ، واستجليت غرر الاشارات من معادن لغوزها ، وسميته الذهب الابريز على المعجم الوجيز » (٤٠) . وفيه يبسط القاوقجي آراءه التي يدعمها باقوال شيخ الشاذلية ابي الحسن .

أ ــ **فالزاهد** : من قنع بما يحتاج اليه ، ثم انصرف الى خدمة مولاه ، بصدق نية ، فاستراح قلبه (٤١) .

ب ــ **الذكر** : ترديد اسم المذكور باللسان . سواء في ذلك ذكر الاسماء أو الصفات أو الاحكام او الاستدلال على فعل من الافعال . فالداعي والقاريء ذاكر . والمتفقه

والمدرس . في رأيه . ذاكر والمتفكر في عظمة الله ذاكر ايضا (٤٢) . « والذكر منشور الولاية وعلم على كمال المحبة . وشرف الشيء بحسب الحاجة اليه . وليست حالة الارواح بشيء اعظم من ذكر ربها والابتهاج به . وينبغي أن يكون الذكر بشدة وهمة لأنه اشد تأثيراً في تمزيق الحجب الظلمانية ؛ ولذلك جعل العارفون حلق الذكر والجهر به » (٤٣) . فعلى المريد ان يتحلى بقلب شاكر ولسان ذاكر . وافضل الذكر عند القاوقجي النفي والاثبات (كلمة التوحيد) مع حضور القلب مع الله : « يا هذا اذا تأنست بغيرنا فلسنا لك ولست منا . وما دمت مقبلا على غيرنا لم تدخل حضرتنا . ابذل النفس وتدع المهجة . اما نحن واما انت . نفسك حجابك وما لم يرتفع فلا نحن ولا انت .

ولا يجب عليك ان تترك الذكر لعدم الاستحضار لأن المداومة تسوق اليه وتقوي الانوار » (٤٤) .

والذكر ، في نظر القاوقجي . نوعان : الخفي وهو ذكر الجنان أي ما اخفاه الذاكر عن الناس . والجلي وهو ذكر اللسان . والخفي افضل اذا خاف الذاكر الرياء أو تأذى به مصل ؛ والجلي أفضل اذا أمن ذلك . وخير الذكر ما كان صاحبه بعيداً عن الناس وخالياً قلبه من الادناس ؛ فاذا ذكر الله باي صفة من صفاته أو اسمائه فاضت عيناه من خشية الله (٤٥) .

وهذا ما كان يفعله القاوقجي في زاويته بجامع الطحام ؛ فقد كان يذكر منفرداً في جوف الليل ويجهش بالبكاء ، حتى ان تلامذته كانوا يستيقظون ، في بعض الاحيان . على صوت بكائه .

ولا يطلب القاوقجي من مريده أن يخصص كل اوقاته للذكر والفكر . ويتخلى عن الأهل والعمل وبذل الجهد في سبيل تعمير الارض . بل كان يحثه على تقسيم اوقاته الى ثلاثة اقسام : « قسم يشتغل فيه بالذكر والفكر والعبادة . وقسم لملاحظة اهله وتأليفهم . وقسم لنفسه يفعل فيه ما يعود اليها من المنافع الدنيوية » (٤٦) .

ونظم القاوقجي عدة قصائد . في كتابه المذكور . يبين فيها ما يناله الذاكر المخلص . جاء في بعضها :

لله قوم اخلصوا في ذكره	فسقاهم كأس المحبة والهنا
اعطاهمو فوق الذي يرجونه	من حكمة ومعارف وتفننا
كشف اللثام عن الجمال تمننا	أحيا لقلب مات من حر الفنا
ناداهمو فتمتعوا بجمالنا	فانا المحب وانتمو احبابنا
فذي خزائن حكمتي فتحكموا	فيها بما يرضيكمو في ملكنا (٤٧) .

ج ـ **التوبة** : يرى القاوقجي ان الله يقبل رجوع العبد اليه من المخالفة الى الطاعة . ما لم تصل روحه حلقومه . لأنه لم ييأس من الحياة بعد . فاذا وصلت لذلك لم يعتد بها ليأسه . ومن شروط التوبة عنده . العزم على عدم المعاودة . والتوبة . في رأيه . تغفر ذنوب التائب . لأن ندمه وذله وانكساره ... تطهره من هذه الذنوب . ولا بد للاستغفار ان يصدر من قلب متعلق بالله (٤٨) .

د ـ **الحياء** : يفرض القاوقجي على المريد ان يتحلى بالحياء . والحياء . عنده . على نوعين : نفساني وايماني . فالأول ما خلقه الله في النفوس كلها . كالحياء من كشف العورة ...

والثاني ما يمنع المؤمن من فعل المعاصي . خوفاً من الله وخجلا منه . فالحياء . عنده . خلق باعث على ترك القبيح (٤٩) .

هـ ـ **العلم اللدني** : يعتبر القاوقجي ان العلم اللدني هو العلم الذي لا كسب للعبد فيه . وهو نور يودعه الله في خاصته . فاذا انبسط في الصدر شعاعه . تبين للصوفي كل شيء . « ويكشف للقلب قناعه فيباشر ما علم لحقيقة قلبه . وبابه الوهب . وادراكه شهوده تجتمع فيه الحواس الباطنة والظاهرة ويتحد ادراكها بوصف واحد . وموجب اتحادها نور من جناب المشهود . يمحو قواها ويقوم مقامها . فاذا استولى خوف الله على القلوب قطع منها العلائق وشق الجيوب وكشف عنها المحجوب » (٥٠) .

وقد ترك القاوقجي عدة شروح على بعض الكتب منها :

١ ـ شرح صلاة الشاذلي .
٢ ـ شرح صلاة البكري الخلوتي .
٣ ـ شرح صلاة الدسوقي .
٤ ـ شرح وظيفة أحمد زروق الشاذلي .

٥ ــ شرح حزب السيد البدوي .

٦ ــ شرح الاجرومية على لسان اهل التصوف .

٧ ــ شرح حزب النووي (٥١، ٥٢) الذي جاء في مقدمته : « الحمد لله الذي افاض بحر الامداد على اهل الاوراد . وخص اهل الوداد بوافر الاسعاد . لما كان حزب العارف النبوي ابي زكريا يحيى بن شرف النووي . كثير المنافع وحصنا عظيما من المكاره والقواطع ... ولما سار هذا الحزب واشتهرت منافعه وضعت عليه شرحا احل به الفاظه » (٥٣) . وفي هذا الشرح يظهر القاوقجي عالما باللغة . واقفا على مختلف الاتجاهات النحوية ، كما تظهر مقدرته الفائقة في العلوم الشرعية حيث يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية لتأكيد فكرة أو نفيها . ويظهر اطلاعه على آراء كبار الصوفية امثال ابن عربي والبسطامي بالاضافة الى الاقطاب الاربعة : الجيلاني . الرفاعي . الشاذلي . البدوي ... ويختم القاوقجي شرحه بقصيدة نظمها في مدح الامام النووى والاشادة باهمية هذا الحزب (٥٤) .

٨ ــ الدر الغالي على بدء الامالي . وهو شرح لقصيدة نظمها القاضي سراج الدين علي بن عثمان الاوشي ويضم الكتاب عدة قصائد في مدح القاوقجي (٥٥) .

وللقاوقجي قصائد عديدة نظمها في مدح ابي الحسن الشاذلي ومشايخ الطريقة الشاذلية . وفي مدح ابراهيم الدسوقي . صاحب الطريقة الابراعيمية الدسوقية . والشيخ احمد البدوي وخليفته محمد العدوي الذي منح القاوقجي اجازة في البدوية ... هذا بالاضافة الى استغاثات عذبة واستعطافات الهية تعبر عن احوال هذا الصوفي (٥٦) .

يا سامع الاصوات يا وهاب يا ... من قد تنزه في عطاه عن الريب
اسمع نداء بما سمعت نداء من ... احببته واجبته فيما طلب
وأذهب لحزني واقض ديني واشفني ... من كل داء عن شهودك قد حجب
واشرح لصدري باليقين وهب لنا ... فيضا قويا بالمواهب قد سكب
واقد مدى الايام كوكب بهجتي ... بالنور والاسرار واللطف العجب
وامنح فؤادي جذبة قدسية ... ادرك بها اعلى مقام من انجذب
واغمسن في بحر الشهود وأولني ... كشف الستور وحلني حلى الادب
وافتح لنا ابواب فضلك سيدي ... وانشر علينا من خزائنك الوهب
انت الغني عن الخلائق كلهم ... تعطي وتمنح من تشاء بلا سبب
امنن علينا بما مننت على الألى ... خصصتهم بالقرب منك بلا نصب
وارحم جماعتنا واصلح شأنهم ... جنبهمو طرق الغواية والغضب
وجد على العاصين منك بتوبة ... واقل عثار المعثرين من الخطب
بالشاذلي غوث الورى بحر الندى ... انعم علينا بالوصال وبالرغب
وبجده المختار طه كن لنا ... في هذه الدنيا ويوم المنقلب (٥٧) .

ولما البسه محمد العدوي ، شيخ البدوية في الازهر آنذاك ، خرقة الطريقة ، نظم القاوقجي قصيدة في القطب البدوي ، يذكر فيها نسبه ؛ وهي اشبه بالقصائد التي ينشدها مريدو الزوايا :

قـــم واقصـــد شيـــخ العربـــان	البـــدوي بـــاب الاحســـان
مـــن خمـــرة البـــدوي	بكاســـات العـــدوي
وصـــل ربـــي سرمـــد	علـــى النبـــي طـــه احمـــد
وآلـــه مـــا غـــرد	حمـــام علـــي الاغصـــان (٥٨) .

ترك القاوقجي عدة ابناء ، ما لبثوا ان اسسوا زوايا للطريقة الشاذلية ؛ ففي القاهرة تولى مشيخة الطريقة ابنه محمد ابو الفتح ، ومن بعده ابنه (ابن ابو الفتح) الشيخ محمد رضا . وقد اصبحت القاوقجية هناك فرعاً مهما في الطريقة الشاذلية .

٣ ــ **ابو النصر** : اما في طرابلس ، فقد تولى مشيخة الطريقة من بعد ابي المحاسن ابنه محمد ابو النصر ، كبير ابنائه ، ذلك ان ابا المحاسن ، ابان مروره بمصر ، لاداء فريضة الحج ، وكان متقدماً في السن ، طلب من ابنه ابي النصر أن يذهب الى مدينة طرابلس ويخلفه في اهله هناك ؛ فامتثل ابو النصر اوامر والده ؛ وتلك اشارة من ابي المحاسن في تنصيب ابنه خليفة له في الطريقة ورعاية الاسرة .

وعندما وصل نعي ابي المحاسن توجه وفد طرابلسي يضم نائب طرابلس آنذاك ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م مصطفى نوري والمفتي مصطفى لطفي والشيخ عبد الفتاح الزعبي شيخ القادرية ونقيب الاشراف ، والشيخ احمد قاسم شيخ مشايخ الطرق في طرابلس ، والشيخ علي رشيد الميقاتي ، الى دار القاوقجي ، فقدموا التعازي واحتفلوا بالشيخ ابي النصر ، وقبلوا به على سجادة الارشاد في الطريقة الشاذلية مكان والده (٥٩) .

اشتهر ابو النصر بمدائحه النبوية وبالعمل على طبع كثير من مؤلفات والده (٦٠) . وبعد وفاة ابي النصر تولى مشيخة الطريقة اخوه محمد جمال الدين صاحب الشرح على كتاب والده « الكنز الافخر » . ثم من بعده قام اخوه الشيخ بهاء الدين الذي نال الاجازة من والده ابي المحاسن .

٤ ــ **الشيخ فخر** : وآخر من تولى مشيخة القاوقجية الشاذلية من اسرة القاوقجي هو الشيخ فخر الدين بن ابي المحاسن . فقد كان طفلا عندما توفي والده فقام اخوه بهاء الدين (ابو النهى) بتربيته ومنحه الاجازة في الطريقة وجعله خليفة من بعده . تولى الشيخ فخر الامامة والتدريس والخطابة ، واقامة حلقات الذكر ، وتربية المريدين ، ومنح الاجازات في الطريقة . وقد اتخذ من جامع الطحام مركزا لهذه التربية . توفي الشيخ فخر عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م . وبوفاته شغر هذا المنصب ؛ ذلك ان اولاده لم يهتموا بسلوك الطريق .

ومن اشهر مريدي ابي المحاسن :

٥ ـــ عبد القادر الادهمي الحسيني : (ت ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م) . نسبة الى الصوفي ابراهيم بن ادهم . والحسيني نسبة الى الحسين سبط الرسول . أخذ العلوم العقلية والنقلية عن الشيخين محمود عبد الدائم نشابة وعبد الرزاق الرافعي . ونال الاجازة في الطريقة الشاذلية من الشيخ ابي المحاسن (٦١) . الف الادهمي عدة كتب اشهرها :

١ ـــ « تذكرة اولي البصائر في الكبائر والصغائر » درج فيه على ذكر المسائل المخالفة للشرع والتنبيه من ارتكابها . وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م وهو يحمل تقريظاً من شيخه ابي المحاسن القاوقجي .

٢ ـــ « ارشاد المريد للمنهج السديد » في التصوف . وقد استقى فيه آراء شيخه القاوقجي (٦٢) .

يعتبر الادهمي ، في هذا الكتاب ، العقل الاداة التي توصل الى طريق الهدى وتتحكم في القوى الروحانية ، لذلك فهو يدعو المريد الى الاعتدال في القوى الشهوانية والغضبية ، وصرف الاخلاق الذميمة بالمجاهدة والرياضة ، وبحمل النفس على كل عمل يوجب حسن الاخلاق ويعارض سوء طوياتها وطبائعها وحظوظها العاجلة ، حتى ترتقي الى عالم الملكوت . ولا يحصل هذا الترقي الا بالذكر والخشية والمحبة والدعاء والعزلة والرغبة والسلوك على يد مرشد خبير . هذا المرشد ، في نظر الادهمي ، يربي الروح بينما الاب يربي الجسد . ومهما كان المرشد عارفاً باحوال الطريق ، فانه لا يتمكن من ايصال المريد اذا لم يكن هذا الاخير متحلياً بالصدق وبصفاء السريرة .

ويرى الادهمي أن الصوفية قد اختلفوا في الطريقة الموصلة الى الفتوح ، لكنهم اتفقوا في السلوك مطلباً وقصداً ؛ فقصدهم الذات الالهية والصفات المنزهة . ويضع الادهمي خمسة امور ، يعتبرها اصول الطريقة الشاذلية وهي :

أ ـــ تقوى الله في السر والعلن .
ب ـــ اتباع السنة في الاقوال والاعمال .
ج ـــ الاعراض عن الخلق .
د ـــ الرضا عن الله في القليل والكثير .
هـ ـــ الرجوع اليه تعالى في السراء والضراء (٦٣) .

ويفرض على المريد آداباً معينة مـــع شيخه كاتبـــاع اوامره واجتناب نواهيه ، والحفاظ على حرمة الشيخ في غيابه وحضوره ؛ وعليه القيام بحقوق شيخه حسب الامكان وبلا تقصير . . . وآدابه مع اخوانه تنحصر في المعاملة الحسنة ، وبذل النصيحة ، وصدق المحبة والتسامح وبذل المعونة في كل ضرورة ، ودوام الصلة بينه وبينهم . . . وعلى الشيخ المربي ان يتحلى ـــ كما يرى الادهمي ـــ بآداب خاصة ، من علم صحيح وذوق صريح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة . . .

ويضع الادهمي عدة امور اذا فعل احداها شيخ فهو كذاب مدع : ارسال الجوارح في معاصي الله ، التصنع بطاعته ، الطمع في خلقه ، الوقيعة في اهل الله والجهل بالدين (٦٤) .

ويفرض الادهمي على المريد السالك ان يحقق خمسة اشياء :
أ ـ التوبة التي هي أول منزل من منازل السالكين ، واول مقام من مقامات الطالبين . ولهذه التوبة ثلاثة اركان :
١ ـ الندم على ما عمل من المخالفات .
٢ ـ ترك الزلة في الحال .
٣ ـ العزم على ان لا يعود الى مثل ما عمل من المعاصي .
ب ـ رد المظالم : وهو اول منازل الاعراض عن الخلق ، واول مراتب الخروج عن النفس والاقبال على الحق . واركانها ثلاثة ايضاً :
١ ـ اداء الحقوق بالذات .
٢ ـ التحلل منها بارضاء اصحابها .
٣ ـ الاستغفار والدعاء لاهلها ، اذا تعذر عليه اداء ذلك .
ج ـ التبرؤ من النفس : وهو اول منزل يطويه المحب للترقي منه الى العلاء . واركانه ثلاثة ايضاً :
١ ـ الخروج عن الارادة .
٢ ـ الارتباط مع الله في كل حال .
٣ ـ الثبات اذا عرض عارض يصد عن الله .
د ـ استعمال الذكر الذي هو اول منزل يتوجه فيه العبد الى دخول الحضرة الالهية ، وهو غذاء الارواح ومطية الاسفار ونقطة مركز دائرة فلك الاسرار . وقد فرضته الآيات والآثار وامتلأت بفضائله بطون الكتب والاسفار . والمراد بالحضرة ، عند الصوفية ، شهود العبد بين يدي الله فما دام هذا مشهده فهو في حضرته ، فاذا حجب عن هذا المشهد فهو خارج عنها . وبمداومة الذكر يرتفع المريد ويرتقي من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع يقظة ، ومنه الى ذكر حضور ومنه الى ذكر مع وجود ومنه الى ذكر مع استغراق ومنه الى ذكر مع غيبة ومنه الى ذكر مع شهود . ويضع الادهمي عدة مراتب للذكر : ذكر اللسان ، ذكر النفس ، ذكر القلب ، ذكر الروح ، ذكر السر ، ذكر الخفي ، ذكر الأخفى . . .

وللذكر ، عنده ، عدة اصول أو طبقات ـ كما يسميها المتصوفة ـ : لا اله الا الله ، الله ، هو ، حق ، حي ، قيوم ، قهار . . . ولكل منها فروع وشروط مضبوطة مذكورة في المطولات .

هـ ـ الأخذ عن شيخ : وهو اول منازل الارتباط مع الحق ؛ فان نفس الشيخ له تأثير عظيم لاتصال سلسلته وتلقيه عن الرسول الواسطة العظمى بين الحق والخلق .

وبدون التلقي لا يحصل الترقي .

ويذكر الادهمي في هذا المجال نصيحة ابي الحسن الشاذلي : لا ترق قبل أن يرق بك فتزل قدمك (٦٥) ؛ وفي ذلك اشارة الى دور المرشد في بلوغ المريد ما يتمناه من فتوح وكشف .

ونعود الى تآليف الشيخ الادهمي :
٣ ــ « غرر الائتناس ودرر الاقتباس » .
٤ ــ « هداية الناسك وهداية السالك في المناسك » .
٥ ــ « وسيلة النجاة والاسعاد في معرفة ما يجب من التوحيد والاعتقاد » .
٦ ــ « كشف الاسرار المددية » .
٧ ــ « معارضة الارتقيات » .
٨ ــ « تقطير الوجود بمدح صاحب المقام المحمود » .
٩ ــ « الدر النظيم بمدح النبي الكريم » .
١٠ ــ « ترجمان الضمير بمدح البشير النذير » وقد قام بشرحها الشيخ محمد بدر الدين الرافعي الخلوتي .

١١ ــ « مورد الصفا ومصدر الوفا » ديوان شعر .
١٢ ــ « خير الكلام في مدح خير الانام » ديوان شعر ايضاً (٦٦) .
١٣ ــ « تبييت البردة » . وقد بين المؤلف ان الشعراء المسلمين لم يتركوا في كنانة الاصابة لغيرهم سهماً في تسجيع أو تخميس او تشطير هذه القصيدة الشهيرة ؛ ولكن الله من عليه بان يسلك نهجاً لم يسلكوه ، وباباً فسيحاً لم يطرقوه ، فاخذ بتبييت القصيدة أي تذييل كل بيت من الأصل ببيت آخر مع حسن الارتباط والمماثلة :

طــه الرسول هــو المرســول لــلامم غيث مغيث أتانــا كاشف الغمم (٦٧) .

وللادهمي قصائد عديدة مبثوثة في الكتب التي قام بتقريظها . وقد خص شيخه القاوقجي بقصائد عدة بين فيها فضله على الطريقة وتربية المريدين :

مــن للطريقـــة هاديـــاً بسلوكهــا يدعــو العبــاد الــى الالــه ويرشــد
فلنــا التــأسي بالألــى مـــن قبلنــا عبث الفنــاء بشملهــم فتبددوا (٦٨) .

٦ ــ **الشيخ عبد المجيد المغربي** : ابن الشيخ محمود (امين فتوى طرابلس لمدة ٤٥ سنة) ، ابن الشيخ احمد (قاضي طرابلس) ، ابن الشيخ عبد القادر (قاضي طرابلس ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م) ... وهكذا تذهب هذه السلسلة ما بين المفتي والقاضي الى الجد الأعلى الشيخ محمد التونسي ، الذي لجأ الى طرابلس بعد مرض اصابه ، عقب اداء فريضة الحج ؛ ثم نقه من هذا المرض وطاب له المقام فيها . وتشتهر هذه العائلة بتونس بآل « دارغوث » (٦٩) .

ولد الشيخ عبد المجيد بطرابلس عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م . تتلمذ على يد والده اولا ثم على يد الشيخ حسين الجسر في المدرسة الرجبية ، قرب الجامع المعلق . فتفوق المغربي في العلوم الفقهية والشرعية والمنطق حيث كان يقرأ متن ايساغوجي للطلاب المبتدئين بتلك المدرسة ، وذلك بموافقة الشيخ الجسر (٧٠) . وقد مال الى الادب وقرض الشعر ؛ ثم لازم حلقة الشيخ ابي المحاسن القاوقجي ، فكان من خواص تلاميذه ؛ وقد اعتنى به شيخه وقدمه على سائر السالكين . وكان ابو المحاسن يطلب من تلميذه المغربي تلخيص ما دار في حلقات درسه من شروح وتفسير ومناقشات . وبعد أن نال الاجازة من شيخه سافر الى الاستانة حيث التحق بحلقة جمال الدين الافغاني .

وهناك تقرب اليه ولي العهد التركي ، لكن اراءه الجريئة في الاصلاحين الديني والسياسي خلال العهد الحميدي اكسبته البقاء في السجن لمدة سنة كاملة دون محاكمة . وبعد خروجه من السجن انصرف الى التدريس في مساجد طرابلس ومدارسها : جامع العطار ، المسجد الكبير ، المدرسة القرطائية التابعة لهـذا المسجد ، وفي المدرسة السقرقية . وظل حتى جلاء الاتراك عن لبنان وسورية حيث انتدب ليكون ممثلا لطرابلس في المؤتمر السوري المنعقد بدمشق . كان الشيخ عبد المجيد يجيد الكتابة والتكلم بعدة لغات غير العربية ، كالتركية والفارسية والفرنسية والانكليزية . وقد عين اميناً للفتوى ، لكن ذلك لم يمنعه من مقارعة الفرنسيين ابان الانتداب ، وتأليب الجماهير عليهم فأقيل من منصبه . توفي عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م (٧١) .

ترك الشيخ عبد المجيد عدة مؤلفات منها :

١ ــ « الكواكب » في الطبيعيات .

٢ ــ « شرح نظرية لابلاس وما فيها من اخطاء » ولهذا المؤلف قيمته العلمية لما تضمنه من اراء .

٣ ــ « المنهل الفائض في علم الفرائض » .

٤ ــ « مرآة الاكوان » .

٥ ــ « النضار في دعوى وضع اليد على العقار » وهو شرح لمسألة شرعية الفها والده الشيخ محمود .

٦ ــ « الفرائد الجماعية في النفقات » .

٧ ــ « المنهاج في المعراج » (٧٢) . وفيه يتعرض المغربي الى مسألة الكرامات عند الصوفية ، ولذلك فقد مهد بمقدمة بين فيها الايمان بالخوارق والمعجزات ؛ وضمنها تعجبه من ان الناس تطالب مدعي النبوة باعمال لا يقدر عليها الا من ارسله (الله) ، ليتيقنوا صدق دعواه بانه رسول من عند الله ؛ وهذا انما يحصل بخرق النواميس .

ثم ينكر هؤلاء على الرسول أن يأتيهم بما يخالف الناموس (٧٣) .

ثم يأخذ المغربي في شرح مسألة الاسراء والمعراج ، ويخلص الى الحكم بالكفر على منكر الاسراء لأن الآيات القرآنية تنص على ذلك بصورة جلية . ويحكم بالفسوق

على منكر المعراج ، لأن هذه المسألة ليست من المعتقدات الاسلامية الاساسية (٧٤) .

٨ ـ « البرهان في العقائد » وفيه يتعرض الى ضرورة وجود المرشد للمريد ؛ فيبين ان الله ميز الانسان عن الحيوان بالعقل الذي هو واسطة المعارف ، واعطاه قوة التفكير ؛ وجعل لهذه القوة حداً تقف عنده ، من حيث هي مفكرة لا تستطيع اجتيازه . لكن العقل ، في راي المغربي ، غير كاف وحده اذ يجعل الانسان مستعداً للعلم ، ولا بد من اسباب خارجية اما مرشد او دلائل . والمرشد اما الهي من كتاب أو رسول واما بشري . وللدلائل اما قطعية او ظنية . ولا يبعد العقل عن الخطأ ــ في رايه ــ الا بالانصياع الى اوامر المرشد الالهي والدليل القطعي . وعندما انفرد الانسان بعقله عن المرشد اندفع الى القول بان الطبيعة هي الفعالة المدبرة لشؤون هذه الكائنات ، وعبد الكواكب والاحجار والاصنام والنيران ... (٧٥) .

وفي هذا الكتاب ينتقد المغربي احتفالات صوفية طرابلس بالمولد النبوي ، حيث يكثرون من اقامة حلقات الذكر ، وتخرج نوباتهم وراياتهم الى الشوارع محدثة صخباً ، ويتبارى شيوخهم باستعمال السلاح والنار والقيام بالدوسة .. فيقول : « يا ليت قومي يتخذونها فرصة من اجتماع العوام والاحداث ، لقراءة شيء من تاريخ حياة هذا النبي الاكمل ، وهاتيك الشمائل السامية . وخطيئة كبرى ان يجهل معظم الامة سيرة هذا الانسان الكامل ، الذي جعل في الارض انقلاباً عظيماً لم يعرفه التاريخ في كل ادواره » (٧٦) .

ويتعجب المغربي ممن يدعي حب الرسول ولا يطلب معرفة احواله واوصافه وسيرته . ولا يخفي تألمه من انصراف عدد لا بأس به من اهالي المدينة الى المقاهي عن مجالس العلم والوعظ ، فيحثهم الى العودة الى تلك المجالس واقتناء الكتب الدينية وكتب السيرة وكتب اخبار الصالحين ... (٧٧) .

٩ ــ ديوان شعر . والعديد من المساجلات الشعرية التي كانت تجري بينه وبين شعراء الفيحاء ، لا سيما عبد اللطيف سلطان وسليم غنطوس . وكان ينشر المقالات على صفحات مجلة العرفان (٧٨) . وفي ديوانه الزاخر بالقصائد لم ينس شيخه القاوقجي ، فقد رثاه بعدة قصائد ، جاء في احداها :

فؤادي عندهم والصبر فاني	فكيف تجلدي فيما اعاني
تناءوا مسرعين وخلفوني	اقاسي فيهم نوب الزمان
ابيت بليلة ظلماء ثكلى	تناءى البدر عنها بالتفاني
فكفا اللوم عني واتركاني	امزق ثوب عيشي بالطعان
الا ايها الركب اليماني	اخذت احبتي لم ترث شاني
لقد جاز الزمان على وحيد	سلوه هل يجيء لنا بثاني
الهي ارتجيك بحسن ظن	فلا تحرمني من نيل الاماني (٧٩) .

٧ ـ **الشيخ عبد الحميد الخطيب** : ولد بطرابلس عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م تلقى علومه الاولى على يد مشايخها ثم رحل الى الازهر حيث اتم الدراسة ؛ وعاد الى طرابلس مجازاً بالطريقة الشاذلية ، وقد تخرج عليه كثيرون . اشتهر الشيخ عبد الحميد برجاحة عقله ورقة اخلاقه ؛ وكان شاعراً وعالماً (٨٠) . من شعره قصيدة نظمها في مدح محمد باشا المحمد لانشائه مكتبة ومدرسة في قرية (مشحا) بعكار . وبعد ان اجاد الخطيب في مدح الباشا المذكور مبيناً اعماله في سبيل التربية ونشر العلم ، انتقل الى مدح السلطان عبد الحميد موضحاً بعضاً من مكرمات هذا السلطان ؛ ولا ينسى الخطيب ان يذكر بانه قد اطلق على تلك المدرسة اسم الحميدية ، نسبة الى السلطان عبد الحميد (٨١) .

ملكت الفضل في جد وجد	فحزت السبق في يوم الرهان
روى عن خلقكم زهر الروابي	كما روت البحار عن الجمان
فأنتم بين اهل العصر حقاً	كاوقات الربيع من الزمان
عشقت صنائع المعروف حتى	بنيت مدارساً فوق الرعان
بظل مليك هذا العصر مولا	له في كل مكرمة يدان
لقد عم البسيطة من نداه	لذا تلقى الرعية في تهان
بناء تم مبناه وفيه	صباح الفتح للطلاب بان
تسمى بالحميدية فأمست	به ثمر المعارف في تدان (٨٢) .

وقد وصفه حسين الجسر بالمرشد الكامل وبمربي المريدين في طريقة ابي الحسن الشاذلي (٨٣) .

٨ـ **محيي الدين الخطيب** : ولد بطرابلس عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م ، تلقى علومه على يد مجموعة من علماء طرابلس كأبي المحاسن وعبد الحميد الخطيب وعبد الغني الرافعي ومحمود نشابة ... ولما نال اجازاته استلم المدرسة الحميدية في قرية (مشحا) . ثم عاد الى مدينته للتدريس في مساجدها وفي المدرسة الخيرية الاسلامية ؛ وكانت دروسه تشمل العلوم الفقهية والتفسير والحديث واللغة العربية والتصوف ، لا سيما شرح حكم ابن عطاء الله (٨٤) السكندري الشاذلي .

تولى الشيخ الخطيب الخطابة والتدريس في جامع الاويسية القريب من قلعة طرابلس . توفي عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م تاركاً عدة آثار اهمها : مؤلف في الفقه وعدة رسائل صغيرة في الفرائض والتوحيد وغير ذلك من الموضوعات . وقد تتلمذ على يديه عدد من مشايخ طرابلس وعكار والساحل السوري منهم : عبد القادر الشلبي الطرابلسي الذي ما لبث ـ بعد نيله الاجازة ـ ان جاور بالمدينة المنورة . عارف المولوي ، فخر الدين القاوقجي ابن شيخه ابي المحاسن ، بدر الدين الزعبي ، محمد مرحبا واخيه رشيد ، مفتي عكار السابق خالد الكيلاني ، نور الدين الامام مفتي اللاذقية سابقاً ، كامل البابا ، رامز الملك امين فتوى طرابلس حالياً . وغيرهم (٨٥) .

٩ ـ **الشيخ عبد الكريم عويضة** الذي يعتبر من اشهر تلاميذ ابي المحاسن القاوقجي ؛ ولد عبد الكريم بطرابلس عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م فقرأ القرآن على الشيخ عبد الدائم نشابة ؛ وفي العاشرة من عمره التحق بمكتب الشيخ محمد الميقاتي ، ولما تخرج من هذا المكتب اخذ يعمل في التجارة . وظل ميله للعلم يدفعه الى متابعة التحصيل الى جانب التجارة ، فالتحق عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م بالمدرسة الوطنية التي انشأها الشيخ حسين الجسر في طرابلس ؛ فدرس العلم الديني واللغتين التركية والفرنسية . وفي نهاية عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م اقفلت هذه المدرسة ابوابها فالتحق الشيخ عبد الكريم بمدرسة الدولة الرشدية . وعندما رجع الشيخ الجسر الى طرابلس وافتتح فيها المدرسة الرجبية ، انتقل اليها الشيخ عبد الكريم ليكمل التحصيل على يد استاذه القديم . وفي تلك الفترة التقى بالشيخ رشيد رضا ، فتوطدت بينهما اواصر الصداقة . وفي عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م انشأ الشيخ عبد الكريم مجلة اسبوعية « روضة الادب » ؛ وكانت تضم تلخيصات للدروس الاسبوعية على طريقة السؤال والجواب ، وانشاء بعض المقالات الادبية والعلمية لممارسة الكتابة البليغة والبيان الرفيع . وسرعان ما صدر الأمر بالكف عن طباعتها . وبعد ان اكمل الدراسة على يد الجسر ، توجه الى مصر ، حيث ظل في الأزهر مدة خمس سنوات ، تتلمذ فيها على شيخ رواق الشام بالجامع المذكور وهو الشيخ عبد القادر الرافعي ، فنال لديه حظوة كبرى . وفي الازهر اخذ الشيخ عبد الكريم ايضاً عن عدة مشايخ : مسعود النابلسي ، حسن البولاقي ، محمد البحيري ، محمد النواوي ، عبد الرحمن السويسي ، حسن الطويل الملقب بفيلسوف الاسلام وغيرهم (٨٦) . وفي مصر « سلك الشيخ عبد الكريم الطريقة الشاذلية على يد الشيخ علي الجربي ، شيخ مختار باشا الغازي ، سفير الدولة العثمانية في مصر ، وكان الجربي فياضاً اذا تكلم يخيل الى سامعه ان الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي هو الذي يتكلم ، مع انه كان لا يتجاوز الثلاثين من عمره . وكان الباشاوات والبكوات والاعيان في مصر يدعونه لمنازلهم ويفيض عليهم في مجالسه مما علمه الله وآتاه من الحكمة ، حتى ان اكابر علماء الازهر وشيوخهم الطاعنين في السن كانوا يحضرون مجالسه ، ويحرصون على معرفة مواعيدها لكي لا تفوتهم » (٨٧) . وكان الشيخ من الحريصين على حضور مجلس الجربي . وبناء على رغبة شيخه قام عويضة بتخميس قصيدة الصوفي المغربي ابي مدين (٨٨) ؛ وقد جاء فيها :

« نهيم بذكراكم اذا ليلنا جنا ويطربنا صوت الحمام اذا غنى
يميناً بمن في الحب قد قرح الجفنا تضيق بنا الدنيا اذا غبتم عنا
وتزهق بالاشواق ارواحنا منا
شربنا فغبنا في الهوى عن وجودنا وذقنا لذيذ الوصل حال سعودنا
خليلي لا تبدي معاني شهودنا وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا
وان انكرت عيناك شيئاً فسامحنا
واياك من جحد الغرام ونكره وكن دائماً طوعاً لنافذ سره

وان عربدت منا القلوب بخمره فلا تلم السكران في حال سكره
لقد رفع التكليف في سكرنا عنا » (٨٩) .

وبعد ان أتم الشيخ عبد الكريم جميع ما يلزمه من العلوم النقلية وما يحتاج اليه من الفنون العقلية ، نال الاجازة العامة بالفتوى والتدريس عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م . وقد صادق على هذه الاجازة ما يربو على العشرين من مشايخ الازهر (٩٠) . وقد برع الشيخ عبد الكريم بالفقه والادب ؛ وفي ذلك يقول تلميذه الشيخ صبحي الصالح : « ومن الغريب ان يجتمع لاستاذنا الامران ، فيجلي فيهما ويبدع لأنه يندر ان يكون الفقيه المتعمق اديباً أو الاديب المتفنن فقيهاً . فاذا اتجهت لقراءة شعره أو حضرت مجالسه الادبية ايقنت انك في حضرة اديب كبير اشرب في قلبه حب الادب واولع بدراسته ؛ ورايت من حضور بديهته وقوة ذاكرته وسحر بيانه وجزالة الفاظه ؛ ما تحسب انه معه خلق للادب وخلق الادب له . حتى اذا حضرت عليه درساً خاصاً أو عاماً واستفتيته في مشكلة عويصة واستوضحته معاني القرآن والسنة ، واستطلعته آراء الفلاسفة والمتكلمين ، ادهشك وبهرك ان تراه كالبحر الزاخر في سعة اطلاعه وسعة معارفه ومقدرته الفائقة في ابراز المعاني وتصويرها بدقة عجيبة ، تحل المعضلات وتكشف غوامض الامور » (٩١) .

ولقد اراد الشيخ عبد الكريم الاستمرار في المجاورة بالازهر ، وذلك بعد نيله الاجازات ، لكن ظهور الوباء في مصر وخصوصاً في الازهر ، أدى الى عودته الى طرابلس . وقد أغلق رواق الشوام سنة كاملة وتعطلت الدراسة في الجامع الازهر آنذاك . وكان يوم عودته مشهوداً لدى جماهير المدينة ؛ فقد استقبله العلماء والوجهاء والطلبة بما يليق به من التجلة والاحترام .

وفي طرابلس اتخذ الشيخ عبد الكريم المدرسة الخاتونية مقراً لتدريس الوان العلوم من عقلية ونقلية . واقبل عليه الطلبة ، فكان عدد المواظبين منهم يزيد على الستين ، وكان يلقي درساً عاماً للجمهور في الجامع الحميدي أولا ثم في الجامع البرطاسي ؛ وقد اهتدى على يديه خلق كثير ممن كانوا في المعاصي والشهوات يتخبطون . وقد انتدب الشيخ عبد الكريم للتدريس في مدرسة الشيخ سليم المغربل ببيروت فقام بالعمل لمدة ستة أشهر كان فيها مثال الجد والتضحية ؛ وكان عقب كل درس يلقيه على التلاميذ ، وعقب الصلوات يذكرهم ويعظهم ويبث فيهم الاخلاق الفاضلة ويشجعهم على بر الوالدين وحسن المعاملة مع الأهل والاقارب وكل الناس .

ثم عاد الى مدينته للتدريس في مدرسة « برهان الترقي » التي اسسها الشيخ صالح الصيداوي ؛ ثم انتقل الى المدرسة الوطنية التي انشأتها جمعية من وجهاء طرابلس ، وكانت تقع بالقرب من دار العجم . وقد تمكنت هذه المدرسة من منافسة مدرسة الرهبان « الفرير » .

وكان الشيخ عبد الكريم يغتنم الفرص لاداء فريضة الحج وللمجاورة في الديار المقدسة لعدة اشهر (٩٢) .

وفي اثناء الحرب العالمية الأولى ، انتدبه جمال باشا في بعثة الى تركية ، للاطلاع على مجرى الامور فيها ، ونقل الصورة واضحة الى شعوب الدولة العثمانية . وكانت هذه البعثة تضم عدداً من علماء الشام في طليعتهم : مصطفى نجا مفتي بيروت ، محمد مرادي مفتي حيفا ، محمد العبيسي مفتي حلب وغيرهم من رجال الدين . وفي الاستانة قابلت البعثة السلطان رشاد والصدر الاعظم وشيخ الاسلام . وقام افراد البعثة بالقاء الخطب في مساجد العاصمة ، وكان للشيخ عبد الكريم نصيب الاسد في هذه اللقاءات والمناقشات (٩٣) . وبينما كانت البعثة تزور الجنود العثمانيين المرابطين عند الدردنيل جرت معركة بحرية بين غواصات الحلفاء والقطع البحرية العثمانية ، مما الهب حماسة الشيخ عبد الكريم فنظم قصيدة القاها أمام الجنود ، وذلك بمناسبة عيد الأضحى ، مطلعها :

ايهــــا الجيــــش المظفـــــر	ضــــح في الاعــــداء وانحــــر
ان هــــذا اليـــــوم عيــــد	وهـــو فـــي الاعيـــاد اكبـــر

وقد حث فيها المقاتلين على الصمود ، والالتفاف حول السلطان والتضحية في سبيل الدولة العثمانية بالغالي والنفيس (٩٤) .

ونظم الشيخ عدة قصائد في مدح الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ؛ كما نظم قصيدة في مدح مصطفى كمال بعد ان سمع الكثير عن بطولاته وتضحياته :

« كمـــال العلـــى والمرء بالفعـــل يذكر	لذكـــرك طـــول الدهـــر يتلى ويشكـــر
اعـــدت الى الاوطـــان سالف مجدهـــا	فحـــق لنـــا انـــا بمثلـــك نفخـــر
فنكســـت بجيـــش المعتديـــن مهلـــلا	وسيفـــك في هـــام العـــداة مكبـــر
رددت جيــــوش المعتديـــن بعزمــــة	جديـــر بهـــا انشـاد مـــا قال عنتـــر
سلوا صرف هذا الدهر كم شن غـــارة	ففرجتهـــا والمـــوت فيهـــا مشمـــر
بصـــارم عـــزم لـــو ضـــربت بحـــده	دجـــى الليـــل ولى وهـــو بالنجم يعثر
لئـــن كـــان هندبـــرغ أول قائـــد	فمـــا انـــت عنـــه يـــا كمـــال مؤخـــر
فيـــا مصطفى القـــواد دمـــت مظفـــراً	وسيفـــك في الاعـــداء مـــاض مشهـــر
سيبقى لـــك التاريـــخ ذكـــراً مخلـــداً	باحـــرف نـــور بالثنـــاء تسطـــر
فـــلا زلـــت في ظـــل الهـــلال موفقـــاً	ووجهـــك بالنصر المؤزر أنور » (٩٥) .

ولقد سر مصطفى كمال بهذه القصيدة ، فاهدى الشيخ بندقية بتسع عشرة طلقة ، كما اهداه مدالية الجهاد وغير ذلك من الاوسمة العثمانية ؛ وذلك تقديراً لوقوف الشيخ الى جانب رجال الاتحاد .

وعندما رجع الشيخ عبد الكريم الى طرابلس ، كلفته الحكومة المحلية القاء الخطب امام جمهور الطرابلسيين وان يتحدث فيها عما شاهده في الدردنيل ، وعن انتصارات الجيش العثماني ، وامكانياته وقدراته ومعنوياته العالية ... فأخذ الشيخ عبد الكريم ينتقل من مسجد الى آخر ، من مساجد الفيحاء ، يلهب صدور مواطنيه حماساً لانتزاع تأييدهم للدولة العثمانية في حربها ، ولاعادة الثقة الى نفوسهم . ولم تقتصر خطب الشيخ على ابناء مدينته ، بل انتقل الى الاقضية المجاورة (حلبا ، تلكلخ ...) يؤدي المهمة ذاتها (٩٦) .

فكان الشيخ من الداعين الى الاتحاد الكامل بين شعوب الدولة العثمانية . ففي هذا الاتحاد سلامة البلاد وكرامتها وازدهارها . ويؤيد الشيخ الاتحاديين العثمانيين الى اقصى الدرجات ويمتدحهم في قصائده ؛ فهم الذين بذلوا النفوس وكل غال ليحرروا الوطن من كل رق وعبودية ، وهم اولو الشهامة ، وهم الذين ساسوا الامور بالعدل وحسن الادارة والاستقامة ، حتى حققوا لشعوب الدولة العثمانية ما تصبو اليه من عدالة ومساواة وتقدم ؛ ويطلب الشيخ من الجميع ان يحافظوا على تلك المكتسبات لأن فيها العزة ، ولأن من تمسك بالاتحاد فقد نال المنى ديناً ودنيا :

هم بذلوا النفس وكل غال — وجدوا بالثبات بلا سآمة
اياديهم على الاوطان اضحى — لها فضل ولا صوب الغمامة
لهم في ذمة الاوطان حق — على الاهلين ان يرعوا ذمامه
اليكم يا بني وطني وديني — نصيحة من يرى التقوى لزامه
بحبل الله فاعتصموا جميعاً — فبالله ما اقوى اعتصامه (٩٧) .

ولعل من اشهر مدائحه لرجالات العثمانيين القصيدة التي القاها امام ضريح السلطان محمد الفاتح والتي اشاد فيها بفتحه للقسطنطينية وقد جاء فيها :

« يا فاتحاً تلك الفتوحات التي — يفتر ثغر الدين حين تعدد
جددت للاسلام فيها عهده — ولكل عصر في الانام مجدد
ورعيت للشرع الشريف حقوقه — فالشرع يشكر ما رعيت ويحمد
ايدت دين المصطفى ونصرته — نصراً به سرّ النبي محمد
شهدت لك الاعداء انك أوحد ال — دنيا وانك في العزائم مفرد
حفظت لك الايام في صفحاتها — ذكراً على طول الزمان يجدد
اظهرت للاسلام تربة خالد — من بعد ما كادت تزول وتفقد
وبنيتها خير البناء كرامة — لمحمد فازدان فيها المسجد
هذا ابو ايوب (٩٨) وسط ضريحه — طول المدى يثني عليك ويحمد
اني على بصر الزمان وسمعه — أتلو مآثرك الحسان وانشد » (٩٩) .

وفي عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م انتدب الشيخ للتدريس في كلية التربية والتعليم الاسلامية بطرابلس ؛ فقام بعمله خير قيام ، فكان يلقي دروساً في الفقه والنحو والتفسير

والتوحيد والحديث والمنطق والاخلاق . وقد امتاز الشيخ بالمعاملة الطيبة لتلاميذه ، وكان يشجعهم على حرية الراي ؛ فكان مرشداً وموجهاً لمئات الطلاب الذين تعهدهم بالعناية والتربية الاسلامية ؛ فتخرجوا ينشرون الثقافة ويدعون الى دين الله (١٠٠) . ويذكر الشيخ صبحي الصالح ان بين طلاب الشيخ عبد الكريم عدداً من النوابغ غير قليل « كالشيخ كمال الادهمي (١٠١) ، الذي كان موظفاً في ديوان الملك فاروق بمصر ، وله من التآليف ما يربو على الخمسين في موضوعات شتى ، والشيخ محيى الدين الملاح قاضي يافا سابقاً ، والشيخ رفعت الضناوي مدرس جامع التوبة ، وهو من الشعراء البارعين والعلماء الاتقياء الصالحين . والشيخ رامز الملك امين فتــوى الشريعة في طرابلس وله جملة تآليف ويعد من علماء طرابلس وفقهائها المدققين وله رسالتان : صغرى وكبرى في مصطلح الحديث ، كما ان له كتباً تشرح قضية الاوقاف وتتعرض لكل ما يتصل بها حتى كانت سبباً في مناظرة بينه وبين علماء الشام » (١٠٢) .

وليس في الفيحاء ذو عمامة بيضاء من كبير وصغير الا حضر عليه وتلقى عنه ، مما يدل على مقدار ما بذل من وقته في تعليم هؤلاء واعدادهم ليكونوا علماء المستقبل (١٠٣) .

ولقد تولى الشيخ عبد الكريم عدة مناصب ، فبعد عودته من الاستانة عين عضوا في مجلس المعارف . وفي بدء الاحتلال الفرنسي عين مديراً للمدرسة العلمية بطرابلس ، ومكث يدير شؤونها مدة تزيد على السنتين بدون مقابل . وفي عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م كان قد عين عضواً في دائرة الاوقاف الاسلامية بطرابلس ؛ فمكث فيها مدة تزيد على اربعين سنة . ونظراً لمكانته ومنزلته العلمية ليس في نطاق الفيحاء فحسب بل في عموم انحاء لبنان ، اختاره مفتي الجمهورية اللبنانية ليكــون عضواً في المجلس الاسلامي الاعلى . لكن الشيخ عبد الكريم اعتذر عن قبول هذا المنصب لكبر سنه . ولما جاوز التسعين آثر الاعتزال في داره يتعبد لربه ويفيد الناس ، ويرشد طلبة العلم الى الصراط المستقيم ، دون ان يكف عن مذاكرة العلم مع اهله الحريصين عليــه ، وقيامه بافتاء السائلين . وتنويهاً بفضله اهداه رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري وسام الارز (١٠٤) .

سلوكه الطريقة الشاذلية : نشأ الشيخ عبد الكريم مولعاً بالعبادة . فكان يتردد الى المساجد ، يؤدي الصلوات في اوقاتها ، ويستمع الى الدروس الدينية والمواعظ الاخلاقية ؛ وكان مشغوفاً بحضور مجالس العلماء والصالحين . ولما سمع بالشيخ القاوقجي ، قصد مسجد الطحام الذي كان القاوقجي امامه وخطيبه ومدرسه ، فالفى هناك الشيخ كمال بن محمد القاوقجي ، وكانت تربطه به صداقة من ايام الدراسة عند الشيخ الجسر ، فأسر الشيخ عبد الكريم لزميله القديم برغبته في سلــوك الطريقــة الشاذلية على يد والده . وذهبا الى مجلس ابي المحاسن حيث كان يقرأ الحديث لجماعة من تلاميذه ومريديه ، وكان قد جاوز الثمانين . وظل الشيخ عبد الكريم يواظب على حضور مجالس القاوقجي حتى أخذ عليه العهد ، واجازه بجميع مروياته وتآليفه اجازة

عامة (١٠٥) . وعلى اثر وفاة شيخه رثاه الشيخ عبد الكريم بقصيدة مطولة (١٠٦) ؛ واصبح بالتالي من مشاهير مشايخ الشاذلية في طرابلس . والذي يدل على ميل الشيخ عبد الكريم الى الطريقة الشاذلية انه اتصل ، بمصر ، بالشيخ علي الجربي الشاذلي وتتلمذ على يديه . وفي طرابلس قامت بينه وبين مشايخ الشاذلية علاقات متينة ، لا سيما بينه وبين الشيخ علي العمري الطرابلسي الشاذلي وصاحب الكرامات . ولنترك احد تلامذته ــ الشيخ صبحي الصالح ــ يعبر عن هذه الناحية في حياة الشيخ عبد الكريم فيقول : « واذا نظرنا الى هذه النشأة الدينية التي كان فيها شيخنا مثال المؤمن المصدق بالاولياء وكراماتهم ، امكننا ان نعرف سر اقباله على العبادة وشغفه بذكر الله واقام الصلاة ، والمحافظة عليها في اوقاتها ، مع التنفل والتهجد ما استطاع الى ذلك سبيلا . وكثيراً ما كان يحيي بعض الليالي الفضلى بذكر الله وتلاوة كتابه والصلاة على رسوله ، والترضي عن السلف الصالح والعلماء الاخيار » .

الف الشيخ عبد الكريم قصائد عديدة في مختلف الاغراض الشعرية ، ولئن كان انشغاله بالتدريس لم يترك له الوقت الكافي لتدوين المصنفات ، وتأليف الكتب فانه خلف

عدة مقالات ورسائل صغيرة في موضوعات شتى اشهرها المقدمة في الادب الروحي . يرى الشيخ في هذه المقدمة ان منبع التصوف الاسلامي كتاب الله وسنة الرسول ؛ وذلك قبل ان يصبح علماً كثير المباحث ، متعدد الابواب ؛ وقبل ان تجري على السنة المتصوفين اصطلاحات اليونان والفرس والهنود . ويعتبر الشيخ عبد الكريم ان الحياة الروحية ، عند متصوفي الاسلام الأوائل ، تميل الى الاعتدال والتوسط ، وتبعد عن كل افراط وتفريط . اما انحرافات بعض الصوفية فيرجعها الشيخ الى العناصر الاجنبية الدخيلة على الاسلام ، فهي التي جعلت بعض المتصوفين يذهبون مذاهب تنافي الدين الحنيف ، لأن الثقافات المختلفة والعقائد المتباينة طبعت على قلوب المطلعين عليها من الصوفية طابعاً تقليدياً غير أصيل ؛ كان مزيجاً من اراء ونظريات وشطحات .

ويستعرض الشيخ عبد الكريم اصطلاحات الصوفية ذاكراً نبذات عن فلسفتهم ومناجاتهم مبينا ترحيبه بالادب الشعري الذي يتناول مناجاة الاله او الرسول ، اذ فيه ، كما يرى الشيخ ، صفاء الروح في عصر غلبت فيه المادة . فقد كان دأبه ان يخفف من غلواء المادة المسيطرة على النفوس ، وان يذكر الناس بمعاني الحق والخير والجمال التي تجري بها عيون الاذواق وتلوح بها مكاشفات الارواح (١٠٧) . وهذا ما اشربه لتلاميذه ومريديه .

وللشيخ عبد الكريم تخميس بديع في مديح الرسول ؛ فقد كان في حالة يرثى لها من الهم والكرب ؛ وما ان شرع في هذا التخميس حتى زا لهمه وانحسر كربه ، وكشف الله عن بصيرته كما يدعي . من اجل ذلك سماه « نوال الشفا في مديح المصطفى » (١٠٨) . نقتطف منه الابيات التالية :

« اذا ما عدت دهم الكروب العواضل علي وعادتني صروف النوازل
وعز نصيري في الخطوب الغوائل توسلت بالمختار أرجى الوسائل
نبي لمثلي خير كاف وكافل
هو المرتجى في كل دهماء حلت وعزت لها الانصار منا وقلت
هو المنة الكبرى بنص الادلة هو الرحمة العظمى هو النعمة التي
غدا شكرها فرضاً على كل عاقل .
هو الغوث ان صال الزمان بغضبه واصمى صميم القلب فادح خطبه
ومذ ضاق بي صدر القضا برحبه دعوتك يا الله مستشفعاً به
فكن منجدي يا منتهى كل آمل .
وهل يرتجى الا ك في مدلهمة دهتني عواديها بدهماء غمة
ولم ترع لي الا ولا حفظ ذمة الهي تدارك ضعف حالي برحمة
ولطف خفي عاجل غير آجل
لبست من الاسقام اسبغ خلعة وطلقت طيب النوم من غير رجعة
ومن عظم وجدي كم شرقت بدمعة ومن فرط ما بي من نحول ولوعة
بكت رحمة لي حسدي وعواذلي
لقد كنت بالآثام من قبل مبتلى فاصبحت في قيد البلاء مسلسلا
فان لم تجد بالعفو ربي تفضلا فمن لأسير الذنوب من ورطة البلا
بفك قيود او بقد سلاسل » (١٠٩) .

١٠ ـ **الشيخ محيى الدين الملاح** : من اشهر مريدي الشيخ عبد الكريم عويضة ، اشتهر الملاح بكتابه « الغرر البهية في نظم متن الحكم السكندرية » اي حكم ابن عطاء الله السكندري الشاذلي . وقام الشيخ محيى الدين باهداء هذا الكتاب لشيخه عبد الكريم اعترافاً منه بجميل فضله . والكتاب عبارة عن ارجوزة مطلعها :

لو تجوز الصلاة منا بآي غير آيات احكم الحكماء
لاجيزت بابلغ الحكم الغر كلام الرسول وابن عطاء (١١٠) .

والسبب الذي دفع الشيخ محيى الدين الى نظم هذه الحكم انها ـ في رأيه ـ تحوي على التوحيد والتصوف والاخلاق الفاضلة وبالتالي كل ما يحتاج اليه المريد . أضف الى ذلك ان الناس تنظر بعين الاجلال والتعظيم لكل ما يقال شعراً ، فكيف بحكم ابن عطاء اذا نظمت :

فالدر يزداد بهاء منتظم وليس في منثوره نقص القيم (١١١) .

وتضم هذه الارجوزة اكثر من ستمائة بيت ، ويمتاز اسلوبها بالبساطة وبقصر العبارات .

وللشيخ محيى الدين نظم غزير في الاخلاق والحكم والامثال والتوسلات الالهية والمواعظ والمدائح النبوية .

فمن غرر نظمه في التوسل :

على اعتابك العبد الذليل ... ترامى عل يشمله القبول
واعينه تفيض دماً مشوباً ... بدمع من محاجرها يسيل
اطاع هواه والدنيا ونفساً ... لها الشيطان والهفي كفيل
وحملها كبائر موبقات ... من الآثام أصغرها ثقيل
اتاك يجر سربال المعاصي ... واوزار الذنوب له ذيول
لي الويلات ان لم تعف عني ... بفضلك يوم لا وزر يقيل
الهي ان اسأت فان ظني ... بعفوك عن اساءتي جميل
خلقت موحداً ما شاب قلبي ... نفاق في صفاتك او نكول
ولم اشرك بك اللهم شيئاً ... فعفوك عن ذنوبي يا وكيل

ويدلي برأيه في ذات الله وصفاته كما فعل المتكلمون :

بديع الذات ليس له شبيه ... بديع الوصف ليس له مثيل
على العرش استوى من غير كيف ... يكيفه نزول أو حلول
وكان ولم يكن عرش وارض ... وكرسي وافلاك تزول
برئت اليه من عملي وعلمي ... وما تجني يداي وما اقول
ولذت بخير من يرجى لديه ... شفيع المذنبين هو الرسول
وسيلتنا وباب الله يرجى ... لقاصد عفوه منه الدخول (١١٢) .

وكان الملاح من الصوفية الذين لا يستدلون على وجود الله من آثاره ، لأن هذه الآثار مفتقرة اليه ، لذلك فهو يستهزيء بالذين يجهدون انفسهم لايجاد الادلة على وجوده سبحانه :

« الهي كيف يستدل بالأثر ... عليك وهو اليك مفتقر
وهل لغيرك من الظهور ما ... ليس لك حتى يكون المنعما » (١١٣) .

يدعو الملاح في قصائده المريد الى اعلان التوبة من كافة الذنوب ، ويبين بان عفو الله كبير وانه يقبل توبة التائبين ، فلا يجب على الانسان أن ييأس من رحمة الله . ويرى الملاح ان الايمان بيوم الحساب يجب ان يدفع المرء الى عمل الخير والابتعاد عن الظلم ؛ لأنه في ذلك اليوم سوف يرى كتاباً بما كسبت يداه ، ويتقرر مصيره حسب فعاله ، فاما الى نعيم واما الى جحيم (١١٤) .

وينصح الملاح المريد ، اذا لم يجد شيخاً مرشداً يوجهه في الطريق السليم ، بالتمسك بتسعة امور : الجوع والسهد والصمت والعزلة والصدق والعزيمة الصحيحة واليقين مع التوكل والاخلاص . فهذه الامور توصل المريد الى ما يبتغيه من الخير والفلاح (١١٥) . وكانت للملاح آراء صريحة في الحث على التزام الاداب الشرعية ، وصيانة الاخلاق من كل شبهة أو دنية . وقد حمل لواء الدعوة الى تعليم البنات ، وتثقيفهن الثقافة العصرية التي تكفل تقدم المجتمع ، وذلك بتدبير المنزل تدبيراً متقناً

وتربية الاطفال احسن التربية :

علمـوا البنـت مـا يفيـد لتغـدو خـير ام تهـذب الاطفـالا
وتربـي علـى الفضيلـة والفضـل بنيكم لكي يكونـوا رجالا (١١٦) .

وكان ينظم المطولات في الحث على هذا التعليم مبيناً الآثار الضارة التي تنجم عن جهل الأم .

وخلاصة آرائه في هذا الميدان تنحصر في هذا البيت :

اريـد للبنـت تعليمـاً يهذبهـا ديناً ودنيا واخـلاقاً وآدابـا (١١٧) .

وفي ايامه ، برزت على مسرح الفكر مشكلة التخلف الشرقي تجاه التقدم الصناعي والتكنولوجي في الغرب ، الأمر الذي دفع ببعض المفكرين الى حث الشعب العربي لتقليد الغرب في كل شيء ، بينما وقف البعض الآخر في وجه هذا التيار معارضاً . ولقد اتخذ محيى الدين موقفاً وسطاً ، فهو يدعو الشرقيين الى اخذ العلوم والصنائع المفيدة عن الغرب مع الاحتفاظ بالاخلاق الشرقية والآداب الاسلامية . فليس في الغرب اخـلاق تناسب اهل الشرق ، كما يزعم ، وليس في الشرق علم متقدم ينافس تقدم الغرب في النواحي الاقتصادية (١١٨) .

وعندما تولى الملاح افتاء مدينة يافا في الثلاثينات (١١٩) ؛ وبحكم منصبه رأى ما يحاك لهذه المنطقة من مؤامرات وضعتها الصهيونية العالمية ، وذلك بقصد طرد السكان الاصليين وجعل هذه المنطقة مركزاً لتجمع يهود العالم ، واعادة دولة اسرائيل الكبرى ، من الفرات الى النيل . فأخذ ينظم القصائد ويلقي الخطب ، محذراً مـن هذا الخطر الداهم ، مهاجماً اندفاع الاعيان واولي الأمر الى تفضيل حب المال على البلاد ، ويصفهم بانهم سماسرة . لكن وقوفه ضد الصهيونية ، واطلاعه على اطماعها ، لم يدفعه الى التعصب الأعمى نحو اليهود ، فهو يعتبر ان دين الانبياء واحد ، اذ انهم يدعون لله الواحد ، وان اختلفوا في الظاهر ، فالملاح مؤمن بما جاءت به الرسل جميعاً (١٢٠) .

وكان الملاح يدعو العرب الى توحيد جهودهم في وجه اعدائهم ، وفي سبيل تقدم اوطانهم ، فالذليل ، في رايه ، من لم يجد من ينصره ، والامة الضعيفة هي المنقسمة على نفسها احزاباً متعددة :

فـان بالاتحـاد الفـوز حتمـاً وان الخـزي في المتفرقينـا (١٢١) .

وكان الملاح يحث المريد على الطاعة التامة للشيخ المرشد ، وهو نفسه قد خص شيخه عويضة ، ابا المعالي ، بقصائد عديدة تبين فضل المرشد على المريد ، وتوضح ما يكنه لشيخه من تعظيم . ففي قصيدة نظمها في الموازنة بين فضل الأب وفضل المربي جاء قوله :

ومعلمـي بالعلـم اكبـر منـزلا منه فان به حيـاتي الباقيـة (١٢٢) .

واعترافاً منه بايادي شيخه في تربيته ، صدر ديوانه بقصيدة في مدحه :

سمــوت بالعلــم لا بالمــال والنســب يــا صاحب العلم يــا ذا المال والحسب
وكنــت والفضــل في برديــك مؤتــزر الــى المعــالي كمــا كنــت خــير اب
يــا سيــدي سنــدي مــولاي معتمدي شيخي مــلاذي استاذي امــامي ابــي
هــذي عــروسة افكــاري اقدمهــا اليــك تختــال في اثوابهــا القشــب
قــد زينتها الــدراري مــن شمائلكــم وصدرت مثل بسم الله في الكتب (١٢٣) .

ويفتح الملاح ، امام المريد ، باب التوبة على مصراعيه ، ليلجه كل مذنب :

عجبــاً لمــن يعصي الاله ولــم يخــف حــال الذنــوب مــن الالــه رقيبــا
اوليــس يعلــم ان سيلــزم طائــراً في عنقــه يــوم الجــزاء رهيبــا
ويــرى كتابــاً جــاء منشــوراً بمــا كسبــت يــداه ويقــرأ المكتوبــا
هــذي فعالــك كلهــا احصيتهــا وكفى بنفسك يــا ظلوم حسيبا (١٢٤) .

ويدعو الملاح الى تفويض الأمر لله وحده :

يــا مــن عليــك اتكــالي دومــا بســري وجهــري
كــن لــي وكيــلا فــاني اليــك فــوضت أمــري
ولا تكلنــي لنفســي وارحــم بفضلــك فقــري
واستــر جميــع عيــوبي واغفــر لــي يــا رب وزري (١٢٥) .

١١ ــ **الشيخ علي بن مصطفى العمري** ، المولود بدمشق ، في سوق ساروجا عام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م ؛ وقد رباه والده الشيخ مصطفى الذي كان يعتبر من اولياء دمشق المشهورين بالكرامات ؛ لكن الشيخ علي لم يظهر ميلا للعلم . فكان يعوض عن ذلك باداء الفروض ، والاكثار من النوافل ، والتردد الى حلقات الشاذلية بدمشق . وفي العشرين من عمره توجه الى بيروت ومنها الى طرابلس فاللاذقية حيث ظل سبع سنوات في خلوة داخل الجامع العويني هناك مشتغلا بالعبادات والطاعات وتلاوة اذكار الشاذلية . ولما غلبه الحال خرج هائماً على وجهه في القفار عدة سنوات ايضاً . ثم عاد الى اللاذقية وتزوج منها . وبعد ذلك انتقل بعائلته الى طرابلس . وفي طرابلس ظهرت على يديه كرامات عديدة ، كما يذكر المؤرخون . فترك المدينة وتوجه الى بغداد سيراً على الاقدام ، لزيارة اضرحة الاولياء . وهناك نزل في الزاوية القادرية المشيدة فوق ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني (١٢٦) .

ولما رجع الى طرابلس اخذ يدير حلقات ذكر الشاذلية في منزله ، بساحة الدفتردار ، ثم في منطقة القبة من طرابلس ، حيث لا يزال يطلق على الشارع الذي كانت فيه الزاوية ، اسم الشيخ علي العمري . وكانت تنتاب الشيخ العمري ، اثناء الذكر ، حالات من الوجد .

كان الشيخ امياً لا يقرأ ولا يكتب (١٢٧) ومع ذلك فقد ذكروا أن كراماته اعجزت العلماء في كل مكان نزل فيه . فحيثما حل ، فتح الله عليه باب الخوارق ، التي تأخذ بالالباب ، وتجعل الاطباء والعلماء يعلنون : بان هذه الاعمال فوق العلم ؛ والى مثل هذا

ذهب علماء طرابلس والاستانة واللاذقية . وفي بيروت اشاد بكراماته كل من المشايخ : عبد الرحمن الانسي ، يوسف النبهاني ، ابراهيم الطيارة ... وفي حمص مشايخ آل الاتاسي ...

وقد اختبر شكيب ارسلان بنفسه هذه الخوارق فقال : « اما ما سمعته من كرامات العمري وخوارق افعاله ومن افواه اناس ثقاة لا يمكن اتفاقهم على الكذب فشيء كثير ومن انــواع شتى . ولكني حصــرت الحــديث فيمــا شاهدتــه بعيني واختبــرته بنفسي » (١٢٨) .

وقد ذكر رشيد رضا ان المشير العثماني احمد مختار باشا الغازي حدثه ببعض الكرامات التي حصلت معه ، وذلك اثناء اقامة الشيخ العمري في قصر القبة ، ضيفاً عند الخديوي محمد توفيق باشا الذي استحضره خصيصاً من طرابلس لأجل استشفاء بنت له مريضة ، وذلك بعد عجز الاطباء عن مداواتها . وقد شفيت تلك الابنة مما زاد في شهرة العمري (١٢٩) .

وذكر الشيخ صبحي الصالح انه سمع استاذه عبد الكريم عويضة ، يقص عليه عدة وقائع وكرامات شاهدها بأم عينه ، مما يدل دلالة واضحة على أن الشيخ العمري كان من اولياء الله (١٣٠) .

وقد قام الشيخ محمد كامل البابا الطرابلسي بجمع هذه الكرامات في كتاب اسماه « كرامات الشيخ علي العمري » . وقد استهله بتفنيد ادعاءات منكري الكرامات . وكان البابا حريصاً على أن لا يذكر كرامة للعمري الا بعد أن يتأكد من صدق راويها . اما الذين لا يثق برواياتهم فقد ضرب عنهم صفحاً ولم ينقل شيئاً من احاديثهم . وقد صدر الكتاب بالعبارة التالية : « جاهد في الله حق جهاده ، فأكرمه الله بكرامات كثيرة ضاعت فيها السببية باصطلاحنا ، وكانت تأتيه الدنيا مطواعة باذن ربها . وهذا الكتاب يضيء لك الطريق ليرشدك الى وجود سر خفي في ضمير الكون مما وراء عالم الطبيعة » (١٣١) .

لقد شغلت شخصية العمري الاذهان الطرابلسية لفترة طويلة ؛ وتناقلت الالسن مناقبه وتحدثت باسهاب عن كراماته . ومما لا شك فيه أن الشيخ استطاع جلب قلوب الناس اليه ، الأمر الذي جعل له المكانة العظمى . واجمع القوم ان شخصية العمري كانت محترمة من جميع الطبقات والطوائف . وكان ذلك يتجلى في اقبال الجماهير على تقبيل يديه كلما خرج من بيته ، يتساوى في ذلك المسلمون والمسيحيون (١٣٢) . وكانت شهرة العمري منتشرة في تركيا ومصر ولبنان وسورية الداخلية فضلا عن الساحــل السوري وفلسطين . وكانت تأتيه اعانات كثيرة من هذه المناطق تكفي لنفقته وتزيد ، لكن الشيخ كان يوزع للفقراء القسم الاكبر منها ؛ ولهذا فانه لم يترك شيئاً من المال بعد وفاته (١٣٣) .

كانت للشيخ زاويتان : الأولى في ساحة الدفتردار والثانية في باب التبانة (١٣٤) .

وفي اواخر ايامه اصيب بالهيضة (الكوليرا) التي كانت تفتك بالطرابلسيين آنذاك ؛ ، وابان مرضه كان لسانه لا يفتر عن ذكر الله حتى ادركه الموت فصرخ (الله) بصوت عال واسلم الروح عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م . ومشى وراء جنازته معظم الطرابلسيين يودعونها بالدموع ، ودفن في التربة القريبة من باب التبانة ، حيث لا يزال ضريحه الى الآن يقصده البعض للتبرك (١٣٥) .

وبعد وفاته انقسم اهالي طرابلس بين مؤيد لهذه الخوارق التي ظهرت على يديه ، وبين منكر لا يعترف بصدق صاحبها وولايته .

ترك الشيخ علي عدة ابناء انصرف بعضهم الى التصوف .

١٢ ــ **الشيخ مصطفى بن علي العمري** : استلم زاوية والده ، لكنه لم يعمر طويلا ، فقد توفي بعد وفاة والده بفترة وجيزة ودفن ببيروت .

١٣ ــ **الشيخ عمر بن مصطفى بن علي العمري** : ولد عام١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م . نشأ في حجر والده ؛ وبعد وفاة الأخير أخذ الشيخ عمر يدير حلقات الذكر في منزله على فترات متقطعة . ثم انتقل الى زاوية في منطقة العوينات ، قرب الجامع المعلق .

ونشأت بين الشيخ عمر ومشايخ الطرق في المنطقة علاقات طيبة لا سيما مع الشيخ التركي مصطفى الذي كان يتردد لزيارة العمري في زاويته . يذكر البعض القليل من الكرامات للشيخ عمر ؛ لكن الجميع يذكر له اندفاعه من اجل خدمة الناس . توفي الشيخ عمر ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

١٤ ــ **الشيخعبد الرؤوف بن عمر العمري** : ولد في طرابلس عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م . تعلم في مكتب الشيخ نور الدين الحداد ، في منطقة الحديد ، القراءة والكتابة والقرآن والاحاديث . مال الشيخ عبد الرؤوف ، منذ نعومة اظفاره ، الى التصوف ، لا سيما انه قد نشأ في جو عائلي ديني يهتم بالزهاد والصالحين ويتتبع احوالهم . فقد كان يأتي الى منزل العمري كبار مشايخ الطرق الصوفية ، فكان الشيخ عبد الرؤوف يتقرب اليهم بالخدمة ، ويستمع الى احاديثهم ويعجب باخلاصهم وصدقهم ، ولم يكن ليعاشر الأقران ، بل يفضل صحبة المشايخ والعلماء غير مكترث بلهو الأولاد ولعبهم . ولما كبر استلم زاوية جده في القبة وادار فيها الاذكار لمدة طويلة . ثم انتقل الى زاوية العمري في باب التبانة ، قرب ضريح جده ولا يزال حتى الآن . يجمع الشيخ عبد الرؤوف بين الشريعة والتصوف ، ولا يقبل من المريد القيام باعمال مخالفة للشرع ؛ وقد ربى عشرات المريدين فخرجوا من زاويته صلاحاً وما لبثوا ان استلموا زوايا في عكار وطرابلس .

يؤم زاويته بين الفترة والأخرى بعض مشايخ الطرق من انحاء العالم العربي لحضور الاذكار وارشاد المريدين وتوجيههم . يجتمع مريدو هذه الزاوية . عقب صلاة العصر ، من كل يوم جمعة فيبداون بتلاوة جزء من القرآن ، ثم صلوات على الرسول .

فالاستغفار ، ثم قراءة قصيدة في الاستغاثة باسماء الله الحسنى ، وهي من نظم الشيخ يوسف النبهاني الشاذلي . ثم يتلون الصلاة الشاذلية فبعض الموشحات والقصائد في مدح الرسول . وباشارة من الشيخ يبدأ الجمع بالذكر بكلمة التوحيد . وفي الختام يتلو احد المقرئين عشراً من القرآن ؛ ويختتم الذكر بالدعاء لرجالات الطريقة ولسائر الأولياء والصالحين .

ولا تستعمل هذه الزاوية الآلات الموسيقية ، وقلما يذكر افرادها وقوفاً ؛ انطلاقاً من انكار رشيد رضا على من يدعي انتسابه للشاذلية ويذكر بالرقص والتواجد ؛ فقد قال جواباً على سؤال عن اقوام يذكرون الله بالرقص ثم يزعمون ان هذه طريقة شاذلية : « اننا رأينا كما رأيتم اقواماً ، يأتون ما ذكرتم واكثر مما ذكرتم من البدع ، وينسبون انفسهم الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي ، ولو رآهم ابو الحسن لتبرأ منهم . ولقد سبق لنا ــ رشيد رضا ــ انكار هذه البدع مراراً كثيرة ؛ وهذا ما دفع علماء الازهر الى الانكار الشديد لذلك » (١٣٦) . يريد رشيد رضا ان يبين ان ابا الحسن كان بعيداً عن البدع ، وان بعض جهلة المتصوفة انحرفوا بتعاليمه .

ومن اوراد الشيخ عبد الرؤوف : يا مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم . فانه يعتبر ان في هذه الآيات سر القرآن ، وان فيها ما يحتاجه كل شيخ ومريد . وهذا الورد كان مفضلا عند جده الشيخ علي العمري (١٣٧) ؛ فان اياك نعبد تبرؤ من الشرك وكل ما يمت اليه بصلة . واياك نستعين تبرؤ من الحول والقوة وتفويض الامر الى الله .

١٥ ــ **الشيخ حسين تاج الدين** : تلميذ ابي النهى القاوقجي ، نال الاجازة منه عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م . ولما انتقل الى بيروت ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م تابع السلوك على يد الشيخ زكريا رمضان البيروتي . وفي بيروت انشأ الشيخ حسين زاوية للشاذلية . ولما رجع الى طرابلس استلم زاوية ابي المحاسن القاوقجي ، في ساحة الدفتردار ، وبعد مدة استلم الزاوية المحمودية عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م . ولا يزال فيها حتى الآن . تقع هذه الزاوية شرقي الجامع المعلق ، في منطقة الحدادين ، ويعود بناؤها الى عصر المماليك . وقد سميت بالمحمودية نسبة الى محمود لطفي الزعيم ، الذي بنى الجامع المعلق « الزعيم » عام ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م (١٣٨) . وقد نقش على باب الزاوية الشمالي سطران نصهما : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله محيي الرمم ومنشئها من بعد العدم ، جدد المسجد المبارك الفقير علي آغا ناظر المحمودية في شهر ربيع الأول ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م » .

وقد تسلم الشيخ حسين الخطابة والامامة والتدريس في جامع السيد عبد الواحد ؛ ولا يزال حتى الآن يمارس مهامه بعد أن نيف على الثمانين .

١٦ ــ **الشيخ محمد خليل صادق** : ولد في طرابلس عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م تلقى علومه الأولى في المدينة ، ثم رحل الى الازهر لمتابعة التحصيل هناك . جاور مدة طويلة ،

وأجيز من تسعة علماء اشهرهم : الشيخ محمد الانباري الذي سلك على يديه الطريقة الشاذلية . وبعد رجوعه الى طرابلس اجازه فيها ثلاثة من علمائها : الشيخ محمود نشابة ، والشيخ درويش التدمري والشيخ عبد الرزاق الرافعي . ونال الاجازة في الطريقة من الشيخ ابي المحاسن القاوقجي وذلك عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م . وفي عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م سافر الى الحجاز لاداء الفريضة فاجتمع بالعلامة الطرابلسي الشيخ عبد القادر الخطيب المجاور في المدينة المنورة ، فنال منه الاجازة في العلوم الدينية ، ونال مثل تلك الاجازة من الشيخ محمد الخاني من علماء دمشق .

كان الشيخ خليل يلقي الدروس الدينية في المدرسة الشمسية القريبة من الجامع المنصوري ، وقد تسلم الخطابة والامامة والتدريس في جامع محمود بك السنجق ، بباب التبانة . وقد اخذ على عاتقه نشر الطريقة الشاذلية في طرابلس . وقد سلك الطريقة على يديه عدد من اهالي المدينة . كان الشيخ خليل قليل الاختلاط بالناس ، بعيداً عن طلب المناصب وعن التزلف ، يؤثر العزلة للذكر والفكر ، ويفضل الاشتغال بالتدريس والتأليف . توفي عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م ودفن بمقبرة باب الرمل بطرابلس ؛ وقد رثاه ابنه الشيخ سامي بالابيات التالية التي نقشت على ضريحه :

انثــر الدمــع كمنظــوم الجمــان	وابـك مـن ليس لـه بالفضل ثـان
لغــة العــرب بكـت لمـا قضــى	وهـي تشكـو فقـده طـول الزمـان
والتقـــي لا تنقضــي احزانــه	مـا تـلا زواره السبـع المثـان
وعلــوم الديــن انـّـت بعــده	انـة الثكلـى بمفطـور الجنـان
ودعتــه الحــور في تاريخــه	يـا خليـلا صادقـاً يرقى الجنـان .

ورثاه ، غير نجله ، عدد كبير من شعراء المدينة كالقاضي الشيخ امين عز الدين والشيخ عبد الفتاح الزعبي (١٣٩) .

ترك الشيخ خليل عدة تآليف اشهرها :

١) « مناداة الخليل في مناجاة الجليل » .

٢) « منح البر على حزب البر » وهو شرح لحزب البر للامام ابي الحسن الشاذلي

٣) « منحة الخليل في مدحة الجليل » وهي قصيدة مطولة في مدح الرسول ، كان الشيخ صادق يتلوها مع المريدين . ومن خصائصها ان كل شطر فيها يبدأ باسم الرسول الكريم ؛مطلعها :

محمــد حامــد المحمــود مــن قــدم	محمــد احمــد الســاري علــى قــدم
محمــد حمــدت فــي الخلــق سيرتــه	محمد حسن في الخلق والشيم (١٤٠) .

وللشيخ خليل قصيدة أخرى في مدح الرسول مطلعها :

ببــاب رســول اللــه انــى واقــع	وامري لـه في رفع شكواي واقـع .

٤) « ورد الاسرار في ورد الاذكار » ويضم عدة ادعية واوراد كان يتلوها مريدو زاويته قبل الفجر ؛ ويضم بالاضافة الى ذلك قصيدة حكمية مطلعها :

قم واعبد ربك في السحر والنوم اهجره اخا السهر
واركع واسجد مع من سجدوا في جنح الليل المستتر (١٤١) .

ويشمل هذا الكتاب العديد من النصائح للمريد ، وقد استنبطها الشيخ صادق من تعاليم الشاذلي ومن القرآن .

٥) « حسن المبنى في اسماء الله الحسنى » .
٦) « كنز الصلات في صيغ الصلوات » .
٧) « الهداية في البداية » وهو كتاب في النحو .
٨) « نظم القلائد في نظم القصائد » وهو ديوان شعر .
٩) « ثلاث رسائل في علم الانساب » .

وله عدة تآليف غير مطبوعة اشهرها : « سنن الاخيار المسلسلة في سند الاخبار المسلسلة » بالاضافة الى العديد من المقالات .

وتجدر الاشارة الى ان الشيخ خليل كان لغوياً مدققاً وفقيهاً محققا لا سيما في المذهب الحنفي (١٤٢) .

ومن غرر قصائده تلك التي خصها لرثاء شيخه القاوقجي . وقد جاء فيها :

« فما حادث يبدو كفقد محمد وحيد الزمان القطب من طاب عنصرا
وذلكم الركن العظيم لديننا وكان لأهل العلم والطرق مصدرا
وما مثله في الناس من متصوف صفا سره بالله ان يتكدرا
واوراده عم البرية نفعها وموردها يلقاه ذو الورد كوثرا
وهمته بالذكر اعظم همة تهيج قلب الذاكرين الى السرى
مربي المريدين الكثيرين عدة وافرادهم لن تحصى جمعاً وتحصرا
واني خليل من مريديه صادق ولن أنكث العهد الوثيق بلا مرا » (١٤٣)

١٧ ــ **الشيخ محمد شفيق الملك** : تلميذ الشيخ خليل صادق ، وصاحب كتاب « التدريب لما في التهذيب » وقد الفه في المنطق . ومنه يظهر ان الشيخ الملك كان واسع الاطلاع على اقوال الاشاعرة والمعتزلة ، فضلا على اراء واضع هذا العلم ارسطو وغيره ممن كتب في هذا الموضوع . يسمي الملك المنطق بالميزان وبمعيار العلوم ، ويرى انه علم يستمد من العقل ويبحث في القضايا والاقيسة وما يتعلق بهما . والاشتغال به فرض كفاية على اهل كل اقليم لأنه يتوقف عليه رد الشكوك في علم الكلام (١٤٤) .

١٨ ــ **الشيخ سامي صادق** : ابن الشيخ خليل صادق الشاذلي ، ولد بطرابلس عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م وتلقى فيها علومه الابتدائية ، ثم درس على والده العلوم الشرعية والعربية والمنطق والكلام . ولما بلغ مبلغ الشباب اجازه والده بالطريقة الشاذلية ، فقصد مصر وانتظم في الجامع الازهر ومكث هناك بضع سنوات ، درس خلالها كثيراً من الكتب العلمية والدينية والفلسفية والقانونية . ولم يمض عليه زمن حتى برع في النثر

والنظم وفي كثير من العلوم ؛ فأخذ ينشر المقالات الدينية والسياسية والاجتماعية ؛ متخذاً توقيع « ابن الحقيقة » . ولما اعلن الدستور العثماني في البلدان العربية ، عاد الشيخ سامي الى وطنه بناء على رغبة ابيه . انشأ في طرابلس جريدة « الوجدان » التي كان لها المكانة الرفيعة بين القراء لجرأتها وحسن بيانها . وحمل فيها على رجال الحكومة الاتحادية وانصارها . ثم اشترك مع المحامي أحمد سلطان في اصدار هذه الجريدة ؛ الى ان صدر قرار بتعطيلها من مجلس الوكلاء .

نال الشيخ الشهادة العلمية من لجنة امتحان طلاب العلوم في الازهر ، ثم اجازه عدد من العلماء . وقد عين مدرساً عاماً بعد ثبوت اهليته في امتحان المسابقة . تعاطى الشيخ سامي المحاماة منذ الخامسة والعشرين من عمره ، فبرز في المواد الشرعية والحقوقية . وقد اختير نقيباً للمحامين بطرابلس وشمال لبنان وذلك على مرحلتين : الأولى بالتعيين والثانية بالانتخاب (١٤٥) . توفي الشيخ سامي عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

اشتهر الشيخ سامي باطلاعه الواسع على مختلف الموضوعات القديمة والمعاصرة . ولقد تجلى ذلك في المقالات التي كان ينشرها في جريدته وفي المحافل ، ومن اشهرها : « الفضيلة والرذيلة » ، « الانسان » ، « الالحاد واسبابه وعلاجه » ، « من هو العالم الديني » ، « التعصب والمتعصبون » ... (١٤٦) .

وامتاز نظمه بالاسلوب الرائق ، وحسن البيان ، ومتانة السبك وفصاحة الالفاظ .

آراؤه :

أ ـ رايه في نظرية النشوء والارتقاء :

يبين الشيخ سامي ان من ظن ان المناظرة في ابطال هذه النظرية من الدين فقد جنى عليه وضعف امره . فهذه النظرية لا تزال ظنية وقابلة للأخذ والرد والجدال ، ولا علاقة لها بالدين . للمرء أن يعتقدها أو ينكرها أو يقف منها موقف المتردد .

وبعد اطلاعه على مختلف الاتجاهات والفرق التي اتخذت موقفاً معيناً ازاء هذه النظرية قسم سامي علماء العصر الى ثلاث فرق .

١ ـ فرقة قد وصلت من الاعجاب بفكرة النشوء والارتقاء الى حد يكاد يفوق الوصف . ورأس هذه الفرقة شبلي شميل (١٢٧٧ـ١٣٣٦هـ / ١٨٦٠ـ١٩١٧م) . وقد انتقد سامي حملات شبلي على الاديان جميعها ، وانتقد ايضاً زعمه ، ان القائلين بهذه النظرية مضطرون الى انكار الصانع ، في حين ان دارون نفسه يعلن بانه يرجح بان اصل كل الاحياء ، التي عاشت على الارض ، صورة واحدة اولية نفخ الخالق فيها نسمة الحياة .

٢ ـ فرقة قد حملت على القائلين بهذه الفكرة حملة عنيفة ، وصورتهم بصورة شنعاء . ورأس هذه الفرقة جمال الدين الافغاني ، ويظهر ذلك في رسالته « الرد على

الدهريين » . وقد انتقد سامي موقف الافغاني مبيناً انه يغلو في الرد على خصومه ، حتى انه يخيل للقارىء ان النشوئيين وفي مقدمتهم دارون قد خلقوا لافساد الانسانية ، واذاعة الاباحة المطلقة بين افرادها .

٣ ــ فرقة بين الفرقتين السابقتين ، بحثت في هذه الفكرة ، بحث المدقق المجرد عن كل ما يسمى تعصباً . وراس هذه الفرقة يعقوب صروف (ت ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م) الذي زادته هذه الفكرة ايماناً بالصانع وبآياته الباهرة . مما يدل على اعتقاد راسخ بالقوة المدبرة لهذا الكون . وكما يبدو فان الشيخ يؤيد هذه الفرقة لأنها تمكنت ، في رايه ، من الجمع بين نظرية دارون والايمان بالخالق (١٤٧) .

ب ــ رايه في ظاهرة الالحاد :

يعتقد سامي ان من يبحث في هذا الموضوع فانما يؤدي واجبين : واجباً دينياً وواجباً وطنياً . فالكثير من الشباب المتعلمين ، في رايه ، يدينون بالمادة وقوتها ، وينكرون كل ما يسمى بما وراء الطبيعة ، لانهم لم يروه ولم يلمسوه ، كما لاحظ ان موجة الالحاد قويت عن طريق التقليد الأعمى . وللالحاد عنده معنيان : لغوي يتمثل في البعد عن الدين (الحيود) ، يقال الحد في دين الله اي حاد عنه وعدل ، واصطلاحي يتمثل في انكار الصانع ، واعتقاد أن هذه الكائنات جامدها ومائعها وغازها ... موجودة بنوعها ازلا ، باقية ابداً وانه لا قديسين ولا اولياء ولا رسل ولا انبياء ولا شرائع الهية ولا كتب سماوية ولا ثواب ولا عقاب ولا نعيم ولا جحيم ... وقد اصبح من ينكر هذه الامور ويستهزيء بالمعتقدين بها يعد من المتمدنين المنورين العصريين . ومن يؤمن بها يعتبر من الاغبياء المتعصبين . انتشرت هذه الفكرة (الالحاد) بفضل تعاليم فئة يعتبرها البعض منورة مثقفة ؛ وما لبث ان استفحل امر الالحاد فانتشر بين مختلف الطبقات الأمر الذي شكل ويشكل خطراً كبيراً على الروابط الدينية (١٤٨) .

يذكر سامي انه مر بتجربة فيقول : « انني لا اخفي عليكم انه مر علي زمن قصير كنت مرتاباً فيــه في كــل شيء حتى في وجودي ، وذلــك بعد اطــلاعي على المذهب السوفسطائي المنقرض ، في بعض الكتب الفلسفية القديمة ، ايــام دراستي في الجامعة الازهرية » (١٤٩) .

وهذه الحالة المضطربة ، حالة الحيرة والشك ، كثيراً ما تعتري الناظر في المباحث العقلية ، فتجعله حائراً متردداً ولا يلبث ان يصبح من اللاادريين .

ويرى سامي ان شك الانسان بوجوده يجره الى الشك في كل شيء ، حتى يصل به الأمر الى الشك بوجود الله . ومتى بلغ المرء في ارتيابه هذا الحد خرج من الايمان وكان من الملحدين . ويعود سامي ويؤكد حالة الشك التي مر بها : « نعم ان هذه الفكرة كانت تتسرب الي يوماً بعد آخر ، ولكن بشكل يشبه الخيال لأنني كنت اذ ذاك اقوم ، كمتدين ، بواجباتي ونوافلي من صلاة وصوم وتسبيح وتهليل واستغفار وما اشبه .

وما ذلك الا لأنني كنت ارجح فكرة التدين ذاهباً الى ان تلك الهواجس كانت ضرباً من الوهم » (١٥٠) .

يؤمن سامي ان كثيراً ممن ينتسب الى دين معين ، لا ينتحل ذلك الدين لاقتناعه بصحته ، وانما الذي جعله كذلك ما الفه في البيئة التي كان يعيش فيها ، والمرء على دين ابويه ، فلا مجال للتأمل والتفكير . فقد يكون المرء عالماً بعيد النظر في اكتناه الحقائق ، وعندما تسأله عن عقيدته الدينية تراه متمسكاً بها دون ان يقيم دليلا على صحتها . ويقسم سامي هؤلاء المقلدين الى قسمين :

أ ــ **الاحداث** الذين يتلقون علومهم على يد اساتذة ينكرون كل ما يسمى ديناً . ذلك أن العلماء لا يقررون فكرة الا وفي جانبها الدليل على صحتها . فقد تعود علماء الطبيعة أن يعللوا آراءهم الطبيعية تعليلا علمياً معقولا . فاذا رأى التلميذ ان العلم الذي يدرسه مبني على التعليل العلمي ، وتعود ذلك ردحاً من الزمن ، أخذ عقله يتلون يوماً فيوماً بهذا اللون العلمي المخالف كل المخالفة لما تعود عليه في نشأته الأولى . عندما كان يتلقى عقيدته الدينية بصورة التسليم الأعمى . وعند ذلك يضطر التلميذ ، في راي الشيخ ، ان ينبذ كل ما يتعلق بالروحانيات ، ويحصر ذهنه في الماديات ، فيعلن بان ما يسمى باللاهوت هو كل ما لا يراه ولا يسمعه ولا يلمسه ... فيأخذ هذا المتعلم في التملص مما استسلم له في حداثته ، ويدرك انه كان في عمايات بعضها فوق بعض ، فينفر من معتقداته . وتذهب به الظنون الى ان كل مسألة اعتقادية قد ابتدعها الزعماء المسيطرون على الشعوب ، لمآرب متنوعة تختلف باختلاف ما يرمي اليه كل واحد منهم .

ب ــ **الفريق الثاني** من المقلدين وقد سرت اليهم شبهات الملحدين من معاشرة افراد الفريق الأول . فعندما يرى المرء آراء وبراهين الفريق الأول المناهض للدين ، لا يستطيع ان يفحمهم أو يقنعهم لقصوره عن الاقناع ، لأنه ، بدوره ، اعتاد ان يعتقد اتباعاً للتعاليم الدينية التي كان يتلقاها وهو خالي البال مما يسمى تعليلا . ولا ينس الشيخ من ذكر دور المقالات العلمية التي تسهم في ذرع الشبهات بين القراء . عند ذلك يقف افراد الفريق الثاني حائرين مرتابين فيما كانوا به موقنين . فتأخذ نفوسهم تتلون بالوان مختلفة قد تنتهي بالحادهم ثم باستهزائهم بالمؤمنين .

ويخلص الشيخ الى ان كل مقلد في ايمانه معرض دائماً للشك الموصل الى الالحاد ، وان كل من كان منتحلا ديناً من غير تفقه في ذلك الدين ، معرض دائماً لشبهات الملحدين . ويهاجم الشيخ بعض علماء الدين الذين يجيبون على اسئلة المترددين بالردع والتأنيب والتفسيق والتضليل والتكفير ... فالاولى بهم ان يزيلوا حيرة السائلين ويكشفوا غمتهم بنور من الدليل (١٥١) .

وبعد ان بيّن سامي اسباب الالحاد ، أخذ يفند اقوال الملحدين وشبهاتهم وادعاءاتهم ومنها :

أ ــ ان الانسان المادي لا يدرك الا الماديات وبذلك لا يستطيع ادراك الروحانيات .
ب ــ ان المرء يشاهد ما يسميه الملحدون مادة لا تفنى وانما تتحول من شكل الى آخر .
ج ــ لا يرون وجود شيء من لا شيء .
د ــ سنن النشوء والارتقاء التي تشمل النبات والحيوان والتي ، في نظرهم ، تدعو الى انكار كل ما يسمى بما وراء الطبيعة ... (١٥٢) .

ويخلص الشيخ الى ان علائم الحكمة ظاهرة في جميع الكائنات ، غير أنها لا تظهر تمام الظهور الا لمن ينظر في الغايات والمقاصد . واذا جهل الانسان بعض مقاصد الله فلا يجوز ان يكون ذلك داعياً الى انكارها جميعها . ويبين ان من حاول ادراك الذات الالهية أخفق كل الاخفاق لقصوره عن ادراك نفسه بل عن ادراك كثير من حقائق الكائنات المادية كالضوء والكهرباء والمغنطيس ... (١٥٣) .

ج ــ الحرب على الرذيلة :

يبين الشيخ سامي بانه لو كنا ، معشر الشرقيين ، متخلقين بالاخلاق الفاضلة ، وخاصة فيما يتعلق بحياتنا الاجتماعية ، لكان لنا شأن غير الشأن الذي نحن فيه . ولو كانت قلوبنا وآراؤنا متجهة الى ناحية واحدة فيها الخير لافرادنا وجماعاتنا ، لما كنا مشتتين في كل حال من احوالنا ، ومزلزلين في كل موقف من مواقفنا . لذلك فهو يعتبر ان حالة المجتمع تدعو الى النفور . وكلما حاول المصلحون التفتيش عن السبب ، برز امامهم فساد الاخلاق واعوجاجها . ومما زاد في مشاكل الشرق ان هذه الاخلاق السيئة تأصلت في نفوس الافراد ، واصبحت تشبه الغرائز التي يتعسر استئصالها والقضاء عليها (١٥٤) . وبعد ان يحدد الشيخ معاني الفضيلة والرذيلة يبين ان الانسان الفاضل من تمسك بالاعتدال .

ثم ينبري لمعالجة بعض الامراض الاجتماعية التي استشرت آنذاك في المجتمع الطرابلسي ، كالحسد ، والكذب ... فيبين اسباب الحسد وبواعثه وانواعه وموقف الشرائع منه والوسائل التي يجب ان يتبعها المصاب بهذا المرض للتخلص منه والعودة الى الصراط المستقيم .

واذا انتقلنا الى الكذب ، فنجد ان الشيخ يبيحه في حالتي الحرب واصلاح ذات البين (١٥٥) .

واستمر سامي يبين الأضرار الناجمة عن هذه الآفات الاجتماعية . ويوضح أن اقتلاع الرذائل من النفوس ليس بالأمر الهين ، لانها تصبح طبيعة ثانية في الإنسان . وبالمقابل فان الانسان يمتلك قوة الارادة التي لا يقف امامها شيء كما يرى .

ويخلص الى ان مجتمعنا في امس الحاجة الى ان يكون موحد الراي ، لأن الشقاق الذي تفاقم بين افراده وجماعاته كان له تأثيره السيء ، فتنافرت القلــوب وتناكرت

الوجوه . فاصبح المجتمع في فاقة الى تآلف يجمع ما تفرق من اجزائه : « فنحن في عهد يجب فيه على كل جماعة من جماعاتنا بل كل طبقة من طبقاتنا أن تكون كتلة واحدة ، فلا تدع مجالا للقيل والقال ، ولا يمكنها ذلك الا اذا تجرد افرادها عن أثرتهم ، وضحى كل منهم بمصلحته في سبيل المصلحة العامة التي ينشدها العقلاء المخلصون » (١٥٦) .

١٩ ــ الشيخ محمد عادل ابو شنب : ولد بطرابلس عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، ينتسب الى عائلة اشتهرت بتقدير العلم والعلماء . كان يجمع بين العمل والاختلاف الى كتاتيب المدينة فتعلم القراءة والكتابة ، وقرأ القرآن على عدد من مشايخ طرابلس ؛ ثم سافر الى افريقيا للعمل هناك . وبعد سنتين رجع الى مدينته مقبلا على العبادة والزهد بهمة عالية . وقد اجتمع حوله عدد كبير من المريدين يلازمونه في اداء العبادات ، ويأخذون عنه الآداب الصوفية ، فتخرجوا بصحبته رجالا معروفين بحسن اخلاقهم . واقبل الشيخ عادل الى اداء فريضة الحج مع اتباعه عدة سنوات متواصلة ؛ وفي كل سنة كان يجاور معهم في الحرم المكي أو في المدينة عدة اشهر . وفي عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ترك طرابلس ليجاور بالمدينة ، حتى يكون في خلوة تامة ، قرب قبر الرسول . وفي عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م رجع الشيخ عادل الى طرابلس فعاد مريدوه الى حلقة وعظه .

والشيخ عادل قليل الكلام مع تلاميذه ومع الناس ، حتى انه لقب بالاخرس ، فهو يكتفي بتلقين المريد بواسطة الايماء والاشارة فقط ، والقيام بآداب الصوفية امام اعين المريدين حتى يلتزموا بها .

ومن كلماته المشهورة لمريديه : انا لا آخذ عن النبي لفظ الحديث فقط بل اتخلق به واعمل بفحواه .

يرى الشيخ عادل أن التصوف هو نظام الصفوة المختارة ، الذين وهبهم الله حساً مرهفاً وذكاء حاداً ، وفطرة روحانية ، وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة ، وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من نور ؛ انظارهم متجهة الى الملأ الأعلى ، مترفعين عن الصغائر والدنايا .

وكان يحث مريديه على العمل ، لأن التعطل ، في رايه ، باسم التوكل ليس من صفات النبيين والصحابة ، الذين هم السلف الصالح لهذه الامة . وكان هو نفسه يعمل في التجارة . فليس التصوف ، في نظره ، عزلة او خلوة مطلقة ، او سياحة دائمة ، أو تعويقاً عن تعمير الارض ، او تفرغاً تاماً للعبادات والزيارات ، أو انه زهد يشبه الخمول ... لكن التصوف يدعو الى البناء والعمل وبذل الجهد من اجل خير الانسانية .

ويرفض الشيخ ان يكون بين مريديه كسول لا يسعى حثيثاً في طلب الرزق ، لأنه لا يريد ان يضم الى حلقته دعي خامل . وكثيراً ما يعرض لمريديه سعي الصحابة وكبار رجال التصوف ، حتى يحثهم على الكسب الحلال .

٢٠ ــ **الشيخ وجيه الزاهد** : ولد بطرابلس عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م وهو من اسرة السبسبي التي تنتسب الى الشيخ احمد الرفاعي . ولقب جده بالزاهد لكثرة زهده . ولقد شب الشيخ وجيه في زوايا اسرته الرفاعية ، لكن نفسه تاقت الى افضل من النوبة

وضرب السلاح واطفاء النار ، فأخذ يطوف على زوايا المدينة ، حتى اتصل بالشيخ محمود الشاهرلي الشاذلي الحمصي الذي اوصله الى شيخه بشير القهوجي الشاذلي . فسلك الشيخ وجيه على يدي الأخير ونال منه الاجازة في الشاذلية . انشأ الشيخ وجيه زاوية للشاذلية قرب مسجد محمود بك السنجق ، في باب التبانة ، ويدير الذكر فيها ، حتى الآن ، ليلتي الجمعة والأثنين من كل اسبوع . ويؤم زاويته عدد كبير من المريدين الصغار والكبار .

الذكر فيزاوية الشيخ وجيه : عقب صلاة العشاء ، يجلس المريدون في صفوف ، مستقبلين القبلة ، يتلون الوظيفة الشاذلية التي توزع عليهم بكراسات ؛ وبعد الانتهاء ، يشير عليهم شيخهم بالوقوف فيقفون ويذكرون بكلمة التوحيد (لا اله الا الله) . ثم بالاسم المفرد (الله) ؛ وتصاحبهم فرقة من المنشدين بتنسيق دقيق . يقوم المريدون بالذكر يميناً وشمالا والى الامام والخلف ؛ بينما يدور شيخهم وسط تلك الحلقة . وباشارة من الشيخ يجلس المريدون مرة ثانية ليستمعوا الى تلاوة القرآن وموعظة الشيخ . وعند الانتهاء يقف الشيخ في ركن من الزاوية ، ويصطف المريدون ويتقدم كل واحد منهم بدوره ليقبل يد الشيخ الذي يبادله بتقبيل يده ؛ ثم يقوم كل مريد بتقبيل ايادي المريدين الذين يعاملونه بالمثل .

لا تستعمل هذه الزاوية الآلات الموسيقية أو السلاح في اي مرحلة من مراحل الذكر . وخلال ايام الاسبوع يقوم الشيخ وجيه بتعليم القرآن للاميين وللنشء الجديد ، وذلك عقب صلاة المغرب من كل يوم .

وقد اشتهر الشيخ وجيه بحسن صوته في تلاوة القرآن والمدائح النبوية .

كلمة عامة عن الشاذلية في طرابلس

ما تبقى من زوايا الشاذلية في طرابلس حالياً ، ينحصر في :

١) زاوية الشيخ عبد الرؤوف العمري في باب التبانة .
٢) زاوية الشيخ حسين تاج الدين ، قرب الجامع المعلق .
٣) زاوية الشيخ عادل ابو شنب في ابي سمراء .
٤) زاوية الشيخ وجيه الزاهد الملاصقة لجامع التوبة .

وتشهد الطريقة الشاذلية اقبالا من جموع الطرابلسيين ، لا سيما زاوية الشيخ وجيه الزاهد وزاوية الشيخ عادل والزاوية العمرية . فابان حلقة الذكر تغص الزاوية

بعشرات المريدين والمشاهدين . وتأتيها وفود شاذلية من سورية (حمص ، حلب ، دمشق) لتشاركها في الذكر وتلقي في زواياها بعض المحاضرات . ومما تجدر الاشارة اليه ان الشاذلية منتشرة حالياً انتشاراً كبيراً في المناطق السورية .

هــــوامش

(١) الوفائية فرع من الشاذلية (البستاني ، دائرة المعارف ، م ١١ ، ص ٢٩٧) .

(٢) را : علي المدني ، سلافة العصر في محاسن الشعر بكل مصر (القاهرة ، ١٣٢٤هـ) ، ص ٢٨٦ .

(٣) علي المدني ، سلافة العصر ، ص ٢٨٨ .

(٤) علي المدني ، سلافة العصر ، ص ٢٨٨ .

(٥) لقب بذلك لارتفاع جبهته .

(٦) را : محمد القاوقجي ، اللؤلؤ المرصوع (القاهرة ، ١٣٠٥هـ) ، ص ٤ـ٥ .

(٧) را : عبد القادر الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين (بيروت ، ١٣٠٦هـ) ، ص ٧ .

(٨) ابراهيم البيجوري : ولد بقرية بيجور المصرية عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م . تخرج من الازهر ثم تقلد رئاسته عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م . توفي عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م . ترك مؤلفات عديدة « فتح الخبير اللطيف » « فتح القريب المجيد شرح بداية المريد » « رسالة في فن الكلام » رسالة في « لا اله الا الله » وعدة حواشي على : البردة ، بانت سعاد ، الجوهرة في التوحيد ، مولد المصطفى ، مختصر السنوسي ، كفاية العوام ، في فقه مذهب الشافعي ... كان ديدنه التعلم والاستفادة والتعليم والافادة (را : البيجوري ، حاشية على الشمائل المحمدية (القاهرة ، ١٣٠٥هـ) ، ص ١) .

(٩) را : نوفل ، تراجم ادباء طرابلس ، ص ٥٨ .

(١٠) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ١٠ .

(١١) را : صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ١١٨ .

(١٢) الامام الجزولي : ابو عبد الله محمد الجزولي ، متصوف مراكشي من قبيلة بربرية . تلقى علومه بمدرسة الصفارين بفاس . وبعد ذلك رحل الى طنجة ومنها الى مكة والمدينة وبيت المقدس . ورجع الى فاس حيث قضى نحواً من اربعة عشر عاماً في خلوة . اخذ الطريقة الشاذلية عن عبد الله محمد امغار . استقر الجزولي بناحية اسفي في المغرب وسرعان ما تبعه خلق كثير وقد اسس فرعاً في الطريقة الشاذلية (الجزولية) ، توفي في ابي غال بالمغرب عام ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م . ثم نقلت رفاته الى مراكش حيث دفن برياض العروس . من اهم مصنفاته : « دلائل الخيرات » و « حزب الفلاح » والحزب المسمى باسمه « حزب الجزولي » . را : غربال ، الموسوعة العربية (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ٦٣٢ .

(١٣) را : شكيب ارسلان ، رشيد رضا (دمشق ، ١٩٣٧) ، ص ٤١ .

(١٤) م. ع. ، ص ٥٠ .

(١٥) رشيد رضا ، فتاوى ج ٣ ، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ١٠١٣ .

(١٦) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ١٣ .

(١٧) را : اليشرطية ، رحلة الى الحق ، ص ١٣٨ .

(١٨) امين الصوفي ، سمير الليالي ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(١٩) رضا ، فتاوى ، ج ٣ ، ص ٨٨٢ .
(٢٠) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ٢٦–٢٧ .
(٢١) اشهرهم سليم بن خليل المسوتي الدمشقي الارناؤطي الأصل (١٢٤٨–١٣٢٤هـ / ١٨٣٢–١٩٠٦م) قرأ العلوم العقلية والنقلية على مشايخ كثيرين . واخذ الشاذلية عن ابي المحاسن . وما لبث ان اسهم في نشرها بدمشق . كان للشيخ سليم درس عام بجامع التوبة بدمشق . را : رياض المالح ، محمد سعيد البرهاني (دمشق ، ١٩٦٧) ، ص ٣٣ .
(٢٢) الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ٥٢ .
(٢٣) را : الادهمي ، ارشاد المريد (طرابلس ، ١٣٠١هـ) ، ص ٢١ .
(٢٤) را : محمد القاوقجي ، خلاصة الزهر على حزب البحر (القاهرة ، ١٣٠٤هـ) ، ص ٣–٤ .
(٢٥) را : القاوقجي ، خلاصة الزهر ، ص ٤ .
(٢٦) را : محمد القاوقجي ، مفتاح الكنز الافخر (القاهرة ، ١٣٩٤هـ) ، ص ٤٠ .
(٢٧) الدسوقية نسبة الى ابراهيم الدسوقي (٦٣٣–٦٧٦هـ / ١٢٣٥–١٢٧٧م) من دسوق بمصر وبها قبره . يعتبر احد الاقطاب الاربعة . وقد نسبوا اليه الكثير من الكرامات . اعتكف عشر سنوات في خلوة بدسوق . ثم اخذ يدعو الى طريقته التي يحصرها بالاوامر الشرعية وبوصاياه لمريديه التي يحض فيها على ترك الدنيا واتباع الشيخ . (را : محمود المغربي ، تحفة السالكين ، ص ٩) .
(٢٨) را : محمد القاوقجي ، شرح حزب الدسوقي (مصر ، ١٣٠٢هـ) ، ص ٦ .
(٢٩) را : نوفل ، تراجم ادباء طرابلس ، ص ٥٨ .
(٣٠) القاوقجي ، مفتاح الكنز ، ص ٣٢ .
(٣١) الرسول .
(٣٢) القاوقجي ، مفتاح الكنز الافخر ، ص ١٠٨ .
(٣٣) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ١٦ .
(٣٤) را : محمد القاوقجي ، الاعتماد في الاعتقاد (القاهرة ، ١٩٢٦) ، ص ٣ .
(٣٥) القاوقجي ، الاعتماد في الاعتقاد ، ص ٧–٨ .
(٣٦) م. ع. ، ص ٦ .
(٣٧) م. ع. ، ص ١٠–١١ .
(٣٨) م. ع. ، ص ٣٢ .
(٣٩) المعجم الوجيز .
(٤٠) محمد القاوقجي ، الذهب الأبريز (بيروت ، ١٣١٠هـ) ، ص ٢ .
(٤١) م. ع. ، ص ١٠ .
(٤٢) م. ع. ، ص ٢١ .
(٤٣) م. ع. ، ص ٢٨ .
(٤٤) م. ع. ، ص ٨٩ .
(٤٥) م. ع. ، ص ١٠٤ ، ١٣٦ .
(٤٦) القاوقجي ، الذهب الابريز ، ص ٢٥٥ .
(٤٧) م. ع. ، ص ٣٣٤ .
(٤٨) م. ع. ، ص ٣٨ .
(٤٩) م. ع. ، ص ٥٨ .
(٥٠) القاوقجي ، الذهب الابريز ، ص ٢٩٠ .
(٥١) النووي : فقيه توفي عام ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م . ودفن قرب دمشق في قرية (نوى) .
(٥٢) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ١٦ .
(٥٣) القاوقجي ، شرح حزب النووي ، ص ٢ .

(٥٤) م. ع. ، ص ٣٢ .
(٥٥) القاوقجي ، الدر الغالي (القاهرة ، ١٢١٧هـ) ، ص ٣٢ .
(٥٦) را : القاوقجي ، الكنز الافخر ، ص ٣٢ .
(٥٧) القاوقجي ، مفتاح الكنز ، ص ٣٠ ، ٣٢ .
(٥٨) م. ع. ، ص ٦٨ .
(٥٩) را : الاهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ٢١—٢٣ .
(٦٠) را : بدر الدين الرافعي ، بديع التحبير (القاهرة ، ١٣١٢هـ) ، ص ١٣ .
(٦١) را : الرافعي ، بديع التحبير ، ص ١٠٥—١٠٦ .
(٦٢) را : عبد القادر الادهمي ، ارشاد المريد ، ص ٤ .
(٦٣) را : الادهمي ، ارشاد المريد ، ص ٤ .
(٦٤) م. ع. ، ص ١٩—٢٠ .
(٦٥) را : الادهمي ، ارشاد المريد ، ص ٢٠—٢٣ .
(٦٦) را : عبد القادر الادهمي ، تبييت البردة (الاسكندرية ، ١٣١٣هـ) ، ص ٢٠ .
(٦٧) م. ع. ، ص ٣ .
(٦٨) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ٤٦ .
(٦٩) را : عبد المجيد المغربي ، النضار (طرابلس ، ١٣٣١هـ) ، ص ٥—٧ .
(٧٠) را : شكيب ارسلان ، رشيد ضا ، ص ٤٥ .
(٧١) را : عمر تدمري ، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس ، ٢٠٤—٢٠٥ .
(٧٢) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٦٧ .
(٧٣) را : عبد المجيد المغربي ، المنهاج في المعراج (طرابلس ، ١٣٤٤هـ) ، ص ١٤ .
(٧٤) را : المغربي ، المنهاج في المعراج ، ص ١٨ .
(٧٥) م. ع. ، ص ٢٥ .
(٧٦) م. ع. ، ص ٣٢ .
(٧٧) م. ع. ، ص ٣٣ .
(٧٨) را : احمد عارف الزين ، مجلة العرفان ، مج ١١ (صيدا ، ١٣٤٤هـ) ، ص ٢٤٨ .
(٧٩) الادهمي : ترجمة قطب الواصلين ، ص ٤٠—٤١ .
(٨٠) را : نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٩٧ .
(٨١) را : التحفة الادبية (طرابلس ، ١٣١١هـ) ، ص ١١ .
(٨٢) م. ع. ، ص ١٢ .
(٨٣) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٢٦١ .
(٨٤) تاج الدين احمد بن محمد بن عطاء الله (٦٥٨—٧٠٩هـ / ١٢٥٩—١٣٠٩م) أحد اقطاب الطريقة الشاذلية . تلقى علومه في الاسكندرية على عدة مشايخ اشهرهم : ناصر الدين بن المنير (ت ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) ، شمس الدين الاصفهاني (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) برع في علوم الكلام والفلسفة . كان معارضاً للتصوف وكان يناقش الصوفية ؛ وفجاة تحول الى مريد لابي العباس المرسي ، تلميذ الشاذلي ، وكان ابن عطاء الله يدرس في الازهر الفقه والتصوف . ترك عدة مصنفات في التصوف اشهرها : « الحكم العطائية » ويضم مبادىء الطريقة الشاذلية ، « لطائف المنن » في مناقب ابي العباس المرسي وشيخ الطريقة ابي الحسن « المرقى في القدس الابقى » ، « تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس » ، « القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد » ، « مفتاح الفلاح ومصباح الارواح » و « التنوير في اسقاط التدبير . را : ابن عطاء ، التنوير في اسقاط التدبير (القاهرة ، ١٣٤٦هـ) ، ص ٤٤ . أيضاً
N. Wyia , Iben Atà Allah (Beyrouth , 1971) , pp. 18-23 .

(٨٥) را : تدمري ، تاريخ وآثار مساجد ، ص ٢٢٤—٢٢٥ .
(٨٦) صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٧—٣١ .
(٨٧و٨٨) صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٥٨ .
(٨٩) م. ع. ، ص ٥٩ .
(٩٠) را : صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٦٧ .
(٩١) م. ع. ، ص ٣ .
(٩٢) را : صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٧١—٨٤ .
(٩٣) را : محمد كرد علي ، البعثة العلمية (بيروت ، ١٩١٦) ، ص ٨ .
(٩٤) الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٩٥.
(٩٥) محمد كرد علي ، البعثة العلمية ، ص ١٤٠ .
(٩٦) را : الصالح ، نثر اللآلي ، ص ١٠٠ .
(٩٧) محمد كرد علي ، البعثة العلمية ، ص ١٨٢ .
(٩٨) ابو أيوب الانصاري الصحابي ، استشهد ودفن عند اسوار القسطنطينية .
(٩٩) كرد علي ، البعثة العلمية ، ص ١٥٥—١٥٦ .
(١٠٠) را : الصالح ، نثر اللآلي ، ص ١٠٤ .
(١٠١) كمال الدين محمد بن محمد بن عبد القادر الادهمي ، ولد بطرابلس ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م . تلقى علومه فيها وعين مدرساً للغة العربية في المدارس السلطانية في استنبول (را : فؤاد منقارة ، تخميسان (القاهرة ، ١٣٤٥هـ) ، ص ٣) .
(١٠٢) صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٧٧ .
(١٠٣) م. ع. ، ص ٥ .
(١٠٤) را : الصالح نثر اللآلي ، ص ١٠٧ ، ١١٣ .
(١٠٥) م. ع. ، ص ١١٤ ، ١١٨ .
(١٠٦) را : الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ٣٨ .
(١٠٧) را : عبد الكريم عويضة ، مقدمة في الادب الروحي (طرابلس ، ١٣٧١هـ) ، ص ١ .
(١٠٨) را : عبد الكريم عويضة ، نوال الشفا (طرابلس ، ١٣٦٨هـ) ، ص ٢ .
(١٠٩) عبد الكريم عويضة ، نوال الشفا ، ص ٢—٦ .
(١١٠) ورد مثل هذا القول على لسان احمد عجيبة الشاذلي (ت في منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) وصاحب شرح ابن عطاء .

N. Wyia , Iben Ata , p. 3 .

(١١١) را : محيى الدين الملاح ، الغرر البهية في نظم الحكم السكندرية (حيفاء ، ١٣٣٥هـ) ، ص ١—٣ .
(١١٢) محيى الدين الملاح ، نظم اللؤلؤ المنثور ، (طرابلس دون تاريخ) ، ص ٩٧ .
(١١٣) الملاح ، الغرر البهية ، ص ٤١ .
(١١٤) را : محيى الدين الملاح ، نظم اللؤلؤ المنثور (طرابلس ، دون تاريخ) ، ص ٩٩ .
(١١٥) م. ع. ، ص ٩٩ .
(١١٦و١١٧) م. ع. ، ص ٣٢ .
(١١٨) را : الملاح ، نظم اللؤلؤ ، ص ٤٩ .
(١١٩) را : الصالح ، نثر اللآلي ، ص ٧٧ .
(١٢٠) را : الملاح ، نظم اللؤلؤ ، ص ٥٩ ، ٩١ .
(١٢١) م. ع. ، ص ٨٣ .

(١٢٢ و ١٢٣) الملاح ، نظم اللؤلؤ المنثور ، ص ٣ ، ٨٢ .
(١٢٤) م. ع. ، ص ٩٩ .
(١٢٥) م. ع. ، ص ١٠٤ .
(١٢٦) را : محمد كامل البابا ، كرامات الشيخ علي العمري (طرابلس ، ١٩٥٨) ، ص ٦٢–٦٧ .
(١٢٧) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ص ٢٤٢ .
(١٢٨) را : شكيب ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٥٧ .
(١٢٩) م. ع. ، ص ٥٧ .
(١٣٠) را : صبحي الصالح ، نثر اللآلي ، ص ١٢٠ .
(١٣١) البابا ، كرامات الشيخ علي العمري ، ص ١ .
(١٣٢) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ص ٢٤١ .
(١٣٣) م. ع. ، ص ٢٤٢ .
(١٣٤) را : البابا ، كرامات العمري ، ص ١٦١ .
(١٣٥) م. ع. ، ص ٢٧٤ .
(١٣٦) رشيد رضا ، فتاوى ، ج ٣ ، تحقيق صلاح المنجد ، ص ٨٥٦ .
(١٣٧) را : البابا ، كرامات الشيخ علي ، ص ١٩١ .
(١٣٨) را : تدمري ، تاريخ وآثار مساجد ، ص ٣٢٥ .
(١٣٩) را : نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٨٨–١٨٩ .
(١٤٠) خليل صادق ، منحة الخليل في مدحة الجليل (بيروت ، ١٣٠٨هـ) ، ص ٤ ، ١٢ .
(١٤١) خليل صادق ، ورد الاسرار في ورد الاذكار (طرابلس ، ١٣١٦هـ) ، ص ٢١ .
(١٤٢) را : نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٨٩ .
(١٤٣) الادهمي ، ترجمة قطب الواصلين ، ص ٣٢ .
(١٤٤) را : شفيق الملك ، التدريب لما في التهذيب (طرابلس ، ١٣١١هـ) ، ص ١٤ .
(١٤٥) را : سامي صادق ، المحاضرات الثلاث ، تحقيق محمد صادق (طرابلس ، دون تاريخ) ، ص ٥ .
(١٤٦) م. ع. ، ص ٨ .
(١٤٧) را : سامي صادق ، المحاضرات الثلاث ، ص ٤٢–٤٥ .
(١٤٨) را : صادق ، المحاضرات الثلاث ، ص ٦١–٦٢ .
(١٤٩) م. ع. ، ص ٦٤ .
(١٥٠) م. ع. ، ص ٦٥ .
(١٥١) را : صادق ، المحاضرات الثلاث ، ص ٦٥–٦٩ .
(١٥٢) را : صادق ، المحاضرات الثلاث ، ص ٩٦ .
(١٥٣) م. ع. ، ص ٩٧ .
(١٥٤) م. ع. ، ص ١٦ .
(١٥٥) را : صادق ، المحاضرات الثلاث ، ص ٢٨ .
(١٥٦) م. ع. ، ص ٢٩ .

الفصل السابع

البدوية في طرابلس

١ ــ عز الدين .
٢ ــ مصطفى سلهب .
٣ ــ صلاح الدين سلهب .
٤ ــ كامل سلهب .
٥ ــ مصباح سلهب .
٦ ــ حسن القدوسي .
٧ ــ محمد فؤاد صادق .
٨ ــ عبد الرحمن صادق .
٩ ــ صبري الفندور .
١٠ ــ رشاد اللوزي .
كلمة عامة .

الفصل السابع

البدوية في طرابلس

ان المتتبع لانتشار الطريقة البدوية في العالم الاسلامي، يلاحظ أنها تكاد تكون محصورة في القطر المصري، فقلما تخلو مدينة أو قرية مصرية من زاوية بدوية. هذا الانتشار المكثف في مصر، صحبه فتور في استقبال هذه الطريقة، في بقية الاقطار الاسلامية. ولعل ذلك يعود الى ان البدوية جاءت بعد ظهور الطرق الصوفية الكبرى، وان كل طريقة اصبح لها مريدوها وزواياها الخاصة. ومن المعروف ان الانسان قلما يتخلى عن معتقداته الموروثة ليحل محلها الافكار والمعتقدات الجديدة.

من هذا المنطلق لم تصادف البدوية اقبالا في العراق والجزيرة وما وراء النهر وفي الشمال الافريقي. كذلك كان اقبال الطرابلسيين عليها ضعيفاً.

ومن اشهر مشايخ هذه الطريقة في طرابلس:

١ ــ الشيخ عز الدين:

نائب طرابلس، توجه الى البدوي عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م ولازمه في مدرسته السطوحية، وسلك على يديه طريقته الصوفية. وقد طلب منه البدوي التوجه الى بلاد الموصل، فانصاع عز الدين لاوامره. وظل هناك ينشر البدوية حتى وفاته. وقد اشتهر باسم الشيخ عز الدين الموصلي (١).

ولعل الشيخ محمد القاوقجي الطرابلسي هو أول من ادخل الطريقة البدوية الى طرابلس. وبالرغم من كونه شاذلياً فقد حصل عدة اجازات ومنها اجازة في الطريقة البدوية. وهذا نص اجازته: « لبست الخرقة الحمراء (٢) من المفتي الدجاني وهو من شيخه صالح العلاري، نسبة الى علار، قرية من قرى جبل الخليل، عن محمد العنابي عن عبد الكريم الخليفة في المقام الاحمدي، عن شهاب الدين الاحمدي عن ابيه عبد الكريم عن عبد المجيد الخليفة المتوفى ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م عن ابيه عبد الكريم المدفون بدرب الكافور، تجاه المدرسة القادرية بمصر القاهرة ٩٦١هـ / ١٥٥٣م عن ابيه سيدي محمد عن ابيه سالم عن الخليفة عبد الكريم الشهيد في صفر ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م عن عمه الشهاب احمد عن ابيه محمد المتوفى ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م عن نور الدين علي الانصاري عن اخيه

زين الدين عبد الرحيم المتوفى ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م عن اخيه صاحب الحال والقال القطب الكبير عبد العال المتوفى ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م عن سيدي احمد البدوي » (٣) .

وقد سلك بعض تلامذة القاوقجي الطريقة البدوية ، ويعود السبب في ذلك الى رغبة هؤلاء في التأدب بآدابها او الى الفتوح الذي نالوه بتلاوة اورادها .

٢ ــ مصطفى بن سعيد سلهب : توفي حوالي ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م :

التميمي المقدسي الأصل . سلك على يد القاوقجي . وبعد نيله الاجازة اخذ بدوره يسلك هذه الطريقة . فكان يجيز المجلين من مريديه بادارة الاذكار ، وتلاوة اوراد الطريقة وحزب البدوي ، وبالباس الخرقة الحمراء . وكان يشترط على المريد : الوفاء بالحقوق والعهود ، واقامة الذكر في المساجد والاماكن المناسبة ، وحفظ الحدود الشرعية ، وتقييد ظاهره بالكتاب والسنة ، وباطنه بحفظ الحرمة وشهود المنة . ويبين الشيخ مصطفى بان خمس خصال تبعد المرء عن مشيخة الطريق ، فلا يمنح الاجازة ولا يصح الاقتداء به . وهي :

الجهل بالدين ، اسقاط حرمة المسلمين ، دخول ما لا يعني ، اتباع الهوى ، سوء الخلق .

واوجب على المريدين ، مراقبة الله بالخلوات والجلوات ، والاكتساب من الحلال ، واجتناب الشبهات ، وحفظ حرمات المشايخ واهل الطريق ، والنصيحة لكل انسان ، وملازمة الاوراد لاتمام كمال الامداد . وكان يوصي مريديه بكثرة الاستغفار وبالصلوات على النبي وبالذكر بكلمة التوحيد (٤) .

وللشيخ مصطفى كتاب « في الطرق الصوفية » مخطوط . استهله بمقدمة عن الاقطاب والنقباء . ثم ذكر اجازات شيخه واوراد وفروع البدوية .

٣ ــ محمد صلاح الدين سلهب : ابن الشيخ مصطفى . سلك الطريقة على يد والده .

٤ ــ محمد كامل سلهب : ابن شقيق الشيخ مصطفى ، نال الاجازة في الطريقة من عمه .

٥ ــ محمد مصباح سلهب :

صاحب كتاب « الكرامات » وهو مخطوط . قام بتأليفه عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م يذكر فيه مقامات واحوال الطريق ، ويحث فيه على الخلوة . ويعقد مقارنة بين النبوة والولاية . وخصص القسم الاكبر منه للبحث في الكرامات .

ولعل اشهر تلميذ للقاوقجي في الطريقة البدوية هو :

٦ ــ الشيخ حسن بن عبد القدوس الشهير بالقدوسي :

ولد بطرابلس حوالي ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م وفيها تلقى علومه على عدة مشايخ حتى

اتصل بابي المحاسن القاوقجي فلازمه مدة ثلاثين سنة . نال منه الاجازة في الطريقة البدوية ، واختص القدوسي بلبس الخرقة الحمراء في طرابلس . وانشأ زاوية للبدوية بالقرب من منزل شيخه وفي الزقاق المسمى بزقاق القاوقجي بساحة الدفتردار . وهي من اولى زوايا البدوية في طرابلس .

كان القدوسي يجمع مريديه كل يوم عقب صلاة المغرب فيذكرون ويقيمون صلوات البدوية ويتلون حزب البدوي . وقد تتلمذ على يديه عدد من مشايخ طرابلس منهم احمد الاحدب (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ، حسن الطبال ، هاني المملوك ، مصطفى الاشقر واخيه هاشم الذي انشأ زاوية بدوية قرب الجامع المعلق . ومن تلامذة القدوسي الذين لعبوا دوراً مهماً في نشر البدوية في طرابلس :

٧ ـ **الشيخ محمد فؤاد صادق** : ابن عمر بن محمد قاسم . . . ولد بطرابلس عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م . في منطقة باب الحديد ، القريبة من نهر ابي علي . تلقى علوم القرآن عند الشيخ علي المؤذن بجامع البرطاسي في محلة الحديد . وتعلم العربية عند الشيخ عبد القادر الحداد ، ثم دخل المدرسة الرشدية الاعدادية حيث تعلم اللغة الفرنسية ، وبقية المواد الدراسية المقررة . ثم تابع التحصيل العلمي في مدينة بيروت مدة ثماني سنوات ، توجه بعدها الى استنبول حيث التحق بالكلية البحرية . وتخرج منها قبيل الحرب العالمية الأولى . وبعد مشاركته في الحرب عاد الى طرابلس عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م . حيث عين كاتباً في محكمة بداية طرابلس . وظل في هذا المنصب حتى سن التقاعد .

كان الشيخ فؤاد منذ نعومة اظفاره يميل الى التعبد والتصوف ، يساعده على ذلك الجو العائلي المتميز بالتدين ، فقد كان والده تلميذاً لابي المحاسن وزميلا للقدوسي . وكان عمه الشيخ خليل صادق شاذلي الطريقة وصاحب مؤلفات دينية كثيرة .

وبعد وفاة والده تتلمذ فؤاد على يد القدوسي ، فكان يواظب على اوراد الطريقة وصلواتها ويطالع كتب الصوفية ليتأدب بأدبهم . ولما احس شيخه هذا الاندفاع منه ، شجعه على ادارة ذكر البدوية في زاويته . وما لبث ان اجازه بالطريقة ، واذن لـــه بتسليكها واعطاء الاجازات لمن تتوفر فيه الشروط من المريدين .

وقد اتصل فؤاد بعدد كبير من مشايخ سورية ومصر في مقدمتهم : عبد الرحمن السبسبي شيخ الطريقة الرفاعية بحمـــاه ، عبـــد الكريم القـــاوي الشاذلي ، محمد القصيباتي النقشبندي واخذ عنهم ، لكنه آثر اتباع طريقة شيخه القدوسي . وكان فؤاد يزور ضريح الشيخ البدوي مراراً ويجتمع بمشايخ البدوية بطنطا وبالخليفة الاحمدي (البدوي) هناك .

وبعد وفاة شيخه القدوسي ، انشأ فؤاد زاوية قرب المدرسة الرفاعية أولا . ومنذ عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م نقل الشيخ فؤاد زاويته الى منطقة ابي سمراء حيث لا تزال الى الآن . كان الشيخ يدير حلقات الذكر ليلة الاربعاء ، من كل اسبوع ، بعد صلاة العشاء .

فكان يجتمع مريدو الزاوية ويبدأ ذكرهم بتلاوة جزء من القرآن ثم ادعية وابتهالات وقراءة حزب البدوي ... يتلوها جمعهم جهراً . ثم يقرأون صلوات على النبي . وبعد اشارة من الشيخ يذكر الجمع بـ (لا اله الا الله) . ثم يتحلقون وقوفاً ليذكروا الله . وبناء على اشارة من الشيخ يذكرون بـ (حق ، هو ، حي ، قيوم) وهي مـــا تعرف عندهم باسم الطبقات . وينتهي الذكر بتلاوة عشر مـــن القرآن وادعية لكـــافة الانبيـــاء والاولياء والمؤمنين . ثم تجري مناقشات دينية بين جمهور المريدين تستمر حتى منتصف الليل .

ولا تستخدم هذه الزاوية الآلات الموسيقية ، كما انها لا تستعمل السلاح أو النار أو غير ذلك من الامور التي يعتبرها الشيخ بانها ليست من التصوف في شيء .

وكانت تضم حلقات ذكر الزاوية ، ابان الحرب العالمية الثانية ، عدداً من الجنود المغاربة ، الذين أخذوا يترددون الى الزاوية ، فنشأت بينهم وبين الشيخ صداقة ، وما لبثوا أن انخرطوا في سلك المريدين وأجيز بعضهم كالشيخ حمزة المغربي الذي اشتهر بالكرامات ، فكان سبباً لنشر الطريقة البدوية بين زملائه الجنود .

وقد تمكن فؤاد بفضل توجيهه وارشاده ، من اعادة عدد من المنحرفين الى الصراط المستقيم ، ومن تثبيت الصالحين على طريق الخير والهداية .

ومن اشهر تلامذته ومريديه : هاشم الحداد واخيه سالم ، ديب اسعد العبد ، محمد الحلبي ، سعيد الحموي ... توفي الشيخ فؤاد عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

للشيخ فؤاد كتاب مخطوط في آداب الطريقة البدوية . وكتاب آخر يضم مجموعة الاوراد والاحزاب والصلوات التي يتلوها مريدو هذه الزاوية .

٨ ــ الشيخ عبد الرحمن بن فؤاد صادق :

ولد بطرابلس عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م تلقى علومه الاولى على يد والده . ثم اكمل دراسته في كلية التربية والتعليم الاسلامية بطرابلس . ولما تخرج منها سلك الطريقة على يد والده الذي اجازه وسمح له بادارة الذكر ابتداء من عام ١٣٩٥هـ / ١٩٦٥م .

٩ ــ الشيخ صبري الغندور :

من مواليد اسكلة طرابلس ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م . سلك الطريقة على والده وعمه الشيخ علي الغندور . وعندما اشتهر الشيخ القدوسي بهذه الطريقة ، انتسب صبري الى زاويته . وظل يتتبع خطوات الطريقة حتى نال الاجازة فيها فتسلم ادارة زاويـــة ابيه الكائنة في شارع الاندلس بالاسكلة .

وكان صبري يدير الذكر كل ليلة احد . وكانت زاويته تستعمل الآلات الموسيقية في الذكر خلافاً لذكر شيخه القدوسي . توفي صبري عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م . تاركاً عدداً من المريدين والمشايخ منهم : عبد القادر الغندور ، محمد الترك ، محمد الدبوسي ، محمد

اليسير ، محمد السلال ، رشاد اللوزي بالاضافة الى ولديه حسن وسعيد .

اما حسن فهو من مواليد الاسكلة عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م . تربى على يد والده الذي شجعه على حضور اذكار الطريقة . ولما كبر اخذ يساعد والده في ادارة الذكر . ولما توفي والده تسلم شؤون الزاوية ، اصيب بمرض منعه من القيام بواجبهــا ، فتسلمها شقيقه سعيد الذي كان قد نال الاجازة من والده . ولا يزال الشيخ سعيد الى الآن يدير حلقات الذكر كل ليلة احد وفق الاصول التي كان يتبعها والده .

١٠ ــ رشاد اللوزي :

من مواليد طرابلس عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م . مال الى الطريقة البدوية ، منذ نعومة اظفاره ، اذ كان يشاهد ذكرها وآداب الصوفية في منزل اخواله حيث كان خاله قدور اللوزي مجازاً بهذه الطريقــة . ولمــا شب رشاد التحق بزاوية صبري الغندور بالاسكلة . وفي عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م نال الاجازة فيها واسس لنفسه زاوية بدوية قرب قلعة طرابلس لا تزال الى الآن تدير الذكر كل ليلة خميس . والذكر في هذه الزاوية شبيه بذكر زاوية الشيخ فؤاد الا أن النوبة تدخل في بعض مراحله .

٦ ــ كلمة عامة :

اصاب الطريقة البدوية ما اصاب بقيــة الطرق الصوفية ؛ ولقــد خف اقبــال الطرابلسيين على الانخراط في الطرق الصوفية لاسباب عديدة منها ما يعود الى الطرق ذاتها وما دخلها من بدع وانحرافات ؛ ومنها ما يعود الى طبيعة العصر والانفتاح العلمي الذي اخذ يغزو المجتمع الطرابلسي .

اضف الى ذلك ان من جملة اسباب تقهقر الطريقة البدوية في طرابلس ان ممثليها الحاليين ــ باستثناء قلة صغيرة جداً ــ ليسوا على درجــة عاليــة مــن العلم الديني والدنيوي ، ولا يتمتعون بما كان عليه مشايخ الطريقة قبلا من مزايا .

وبكلمة ، فان معظم ممثلي البدوية حالياً لا يعرفون من التصوف الا ادارة اذكار الطريقة .

هـــــوامش

(١) را : محمود ، السيد احمد البدوي ، ص ٨٠ .

(٢) شعار البدوية .

(٣) مصطفى سلهب ، في الطرق الصوفية ، مخطوط ، الشيخ عصام الرافعي ، ص ١٦–١٧ .

(٤) م. ع. ، ص ٥–٦ .

الفصل الثامن

النقشبندية في طرابلس

١ ــ ابراهيم الميقاتي .
٢ ــ احمد بن سليمان .
٣ ــ الكمشخانوي .
٤ ــ احمد المنيني .
٥ ــ حسن النعنعي .
٦ ــ علي المقدم .
٧ ــ عبد الله الدبها .
٨ ــ محمد ذو الفقار .
٩ ــ عبد الله البخاري .
١٠ ــ رشيد الحسن .
١١ ــ الياس كرم .
١٢ ــ سعيد الحموي .
١٣ ــ مصطفى الايوبي .
١٤ ــ محمد السويسي .
١٥ ــ يوسف العمري .
١٦ ــ علي المقدم .
١٧ ــ عمر الرافعي .
١٨ ــ عصام الرافعي .
١٩ ــ زهير الرافعي .
٢٠ ــ محمد سعيد منقارة .
٢١ ــ محمد ناظم القبرصي .

كلمة عامة .

الفصل الثامن

النقشبندية في طرابلس

اول شيخ طرابلسي اشتهر بهذه الطريقة هو :

١ ــ ابراهيم الميقاتي :

ولد بطرابلس وتلقى فيها علومه على ايدي علماء المدينة . وقد التقى به الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي (ت ١١٤٤هـ / ١٧٣١م) ابان رحلته الى طرابلس عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م . وجرت بينهما ابحاث صوفية ومطارحات ادبية . وذكروا انه كانت للشيخ ابراهيم خلوة في المسجد المنصوري الكبير يقيم فيهـا الختم النقشبندي كـل ليلة (١) . وهكذا فان النقشبندية كانت معروفة في طرابلس قبل ذلك التاريخ بكثير .

وبعد أن ظهر خالد ضياء الدين ، الشهير بذي الجناحين ، في الشام استقطب جماهير الصوفية . فانطلق بعض صوفية طرابلس نحو دمشق يتتلمذون على يديه ، ويسلكون طريقته ، ثم يعودون الى مدينتهم يسهمون في نشر النقشبندية . ومن هؤلاء :

٢ ــ احمد بن سليمان بن عثمان الطرابلسي : (ت ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م) .

رحل الى دمشق بعد حلول الشيخ خالد فيها . وسلك على يديه الطريقة ، ونال الخلافة المطلقة والاذن بالارشاد والتسليك . اشتهر احمد بالعلم والحلم ، فكان شاعراً ، وله تاريخ كبير ، والفية في علوم الادب ، وله كتاب « التبر المسبوك في نهاية السلوك » و « مرآة العرفان » وله رسالة في الخلود ، واوراد وصلوات وتآليف بلغت اكثر من مئة . وقد ذكرها الشيخ في احدى الاجازات التي منحها لبعض مريديه . ولم أقف على شيء مخطوط أو مطبوع منها .

لقب الشيخ أحمد بقطب السواحل الشامية ، وكان يقيم حلقات الذكر النقشبندي في جامع الدبها (الدبا) . وظل يدير الحلقات ، ويمنح الاجازات ، ويقوم بتأليف الكتب والرسائل حتى وفاته عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م . ودفن بالمسجد المذكور بالقرب من حائطه القبلي . وقد درج مشايخ النقشبندية الذين كانوا يؤمون طرابلس على زيارة ضريحه .

ومن اشهر الذين سلكوا النقشبندية على يديه ونالوا الاجازة فيها :

٣ ــ احمد بن مصطفى ضياء الدين الكمشخانوي (الكمشخانلي) نزيل القسطنطينية ، وصاحب كتاب « جامع الأصول » (٢) .

وكان الشيخ احمد بن سليمان متتبعاً لمنهج وتعاليم خالد ذي الجناحين . فكان لا يمنح الاجازة لأحد الا بعد تحليه بعدة شروط :

اولها : عدم التردد على رجال الدولة ووزرائها ومن بيدهم زمام الامور .
ثانيها : عدم طلب الوساطة او التعيين أو المعاش .
ثالثها : ان لا يتأهل على زوجته المرافقة له ، خشية الانهماك في الامور الدنيوية التي تعوق الوصول الى ثمرة السلوك .
رابعها : أن لا يتوغل في شؤون المريدين والمترددين عليه ، المتعلقة فيما بينهم وبين الناس .

خامسها :ا ن لا يدع مجالا لتردد الناس على زاويته بداعي اخذ الطريقة ، فاذا اجتاز المريد مراحل الطريقة ألنقشبندية والتزم بشروطها ، منحه الشيخ الاجازة (٣) .

٤ ــ الشيخ احمد بن علي بن عمر المنيني :

ولد بطرابلس عام ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م . قرأ القرآن على مشايخ المدينة ، ثم توجه الى دمشق حيث قطن بحجرة داخل السمياطية ، عند اخيه عبد الرحمن ، الذي عهد اليه بقراءة بعض المقدمات كالسنوسية والاجرومية . وبعد ذلك تتلمذ على عدة مشايخ من دمشق منهم : ابو المواهب المفتي الحنبلي ، يونس المصري ، عبد الغني النابلسي النقشبندي وغيرهم من علماء دمشق . وبعد ان برع في العلوم الشرعية تصدر للوعظ والتدريس في العادلية الكبرى ، والجامع الاموي بدمشق . وقد انتفع به خلق كثير ، وكثر تلاميذه ومريدوه ، لأنه كان دمث الاخلاق متواضعاً . سافر أحمد الى استنبول مرتين ، فكانت له هناك شهرة بسبب شرحه تاريخ العتبي . عاد الى دمشق وتسلم الخطابة في الجامع الأموي . من تآليفه :

« شرح رسالة قاسم بن قطلوبغا » في اصول الفقه . « شرح تاريخ العتبي » في نحو اربعين كراساً .

« النسمات السحرية في مدح خير البرية » وهو تسع وعشرون قصيدة على الحروف المعجمة .
« العقد المنظم في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم » .
« القول الموجز في حل الملغز » .
« الاعلام في فضائل الشام » .
« شرح صحيح البخاري » .
« الفوائد السنية في الفوائد النحوية » .
وله شعر كثير توفي ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م (٤) .

٥ ـ الشيخ حسن بن محمد النعنعي : (ت حوالي ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) .

سلك الطريقة النقشبندية على يد مشايخ طرابلس . وقامت شهرته على كتابه « سعادة الدارين في بر الوالدين » وهو شرح للآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، التي تحث المؤمنين على بر الوالدين . ينقسم هذا الكتاب الى قسمين :

القسم الأول يذكر ما اعده الله سبحانه من النعيم للبار . والقسم الثاني يبين فيه ما ينتظر العاق من العذاب المقيم .

فالحكمة الالهية اقتضت تكليف الابناء بر آبائهم لثلاثة اسباب اصلية :

اولها : الاحساس والشعور ، فان الاطفال يدركون من صغر سنهم بادراك غريزي اعتناء والديهم بشؤونهم ، وتعهد احوالهم واطوارهم ، ومعاناة آبائهم وامهاتهم حسن تربيتهم ، فيرتسم في ذهن الاطفال هذه التربية . فيصبح حب الآباء والتعلق بهم امراً طبيعياً . ويتعود الابناء على ذلك حتى يصير من جملة الوجدانيات .

ثانيها : ان العدل والانصاف في طبيعة الانسان ، فالطفل متى استشعر من ابويه تعهد شؤونه لمحبتهما له ، عاملهما بالمثل سيراً على قانون العدل والانصاف . فلهذا نجد الاطفال يعاملون آباءهم بمثل ما عاملوهم به ، بل يجب عليهم ان يعوضوهم جزاء تربيتهم ونظير ما انفقوه عليهم من الاموال في صباهم ، فبرهم واجب .

ثالثها : بقطع النظر عن البنوة ، فان المصلحة الخصوصية للآباء تقتضي حسن معاملة الابناء ، لأن ذلك يدعو الى محبة ابنائهم لهم وبرهم لا سيما في حال الشيخوخة (٥) .

٦ ـ الشيخ علي بن محمد بن احمد :

الجد الأعلى لآل المقدم . كان نقشبندي الطريقة ، أتى الى طرابلس من قلعة المرقب ، فاتخذ الفيحاء وطناً له ثم سافر الى الحجاز لأداء الفريضة . وتعرف هناك الى رجل من آل الاشرفي ، وتزوج ابنته ورزق منها بمحمد الذي سافر الى الاستانة ، واكب على تحصيل العلم فبرع فيه . وقد عينته الدولة العثمانية نقيباً للاشراف في طرابلس ، ومن بعده استلمها ابنه الشيخ علي الذي اشتهر بعلمه وتقواه وورعه (٦) .

ومن سلالة الشيخ علي مصطفى الذي كان نقشبندي الطريقة ، كاسلافه : وقد التف حوله عدد من صوفية المدينة في طليعتهم الشيخ احمد العلبي (٧) .

٧ ـ الشيخ عبد الله الدبها الحلبي :

بنى زاوية للنقشبندية عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م . قريباً من سوق الصاغة ، ووقف عليها اوقافاً عديدة . وقد دفن فيها . ولا تزال الى الآن تقام فيها الصلوات . وكان عبد الله من المساهمين في نشر الطريقة النقشبندية في مدينة طرابلس (٨) .

٨ ــ محمد ذو الفقار :

كردي الأصل ، ولد في قرية بالقرب من دمشق . التحق بالجيش التركي ورقي الى رتبة ضابط ، اثناء الحرب العالمية الأولى . سلك النقشبندية على يد مشايخ دمشق ، وقد اجازوه فيها .

وعلى اثر انتهاء الحرب ترك الجندية وعمل كاتباً في كلية التربية والتعليم بطرابلس . استلم الزاوية الشمسية الملحقة بالجامع المنصوري . واخذ يدير فيها حلقات الذكر النقشبندي . كذلك استلم الزاوية النقشبندية في الدبها ، وساعده ابناء سير الضنية في اقامة زاوية للنقشبندية في ظهر الكيف القريبة من سير . فكان ذو الفقار كثير التنقل لمراقبة سير الاذكار في هذه الزوايا المتباعدة ، ولمنح الاجازات لمستحقيها من الطالبين . وقد لعب ذو الفقار دوراً مهماً في نشر النقشبندية في طرابلس ، وتجديدها وزيادة عدد اتباعها . فان نقشبندية طرابلس حتى الآن مدينون لهذا الشيخ في توجههم نحو هذه الطريقة دون سواها .

كان للشيخ المام واسع بالطب العربي ، وكان يطالع كثيراً ، لكنه لم يؤلف كتباً . وعندما كان يسأل عن ذلك يجيب بان تلاميذه ومريديه هم تآليفه وتصانيفه .

وفي ايامه كانت زوايا النقشبندية تغص بجمهور المريدين والحضور الذين يستمعون الى الذكر وسرعان ما ينخرطون في سلك المريدين . ولقد منح الشيخ ذو الفقار الاجازات لعدد كبير من مشايخ المدينة ، فانتعشت النقشبندية وكثر اتباعها واصبحت تقف الى جانب الطرق المشهورة بالمدينة .

وظل الشيخ يتنقل من زاوية الى أخرى الى ان توفي بدمشق عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م ودفن هناك في جبانة الاكراد ، قرب ضريح الشيخ خالد ذي الجناحين ، مجدد النقشبندية في سورية .

٩ ــ الشيخ عبد الله البخاري :

اصله من بخارى ، اشتهر بورعه . فلما شب اقبل نحو الديار المقدسة لأداء الفريضة ، جاور بالمدينة سنوات عديدة . ثم تزوج باحدى الحاجات الطرابلسيات وعاد معها الى طرابلس حيث اشتغل بالتجارة . ولما اقبل الشيخ ذو الفقار ، الى هذه المدينة ، لازمه البخاري وأخذ عنه طريقته .

وكان البخاري من المقربين الى شيخه . ادار حلقات الذكر بعد وفاة شيخه في زاوية بالقرب من سوق العطارين . وبقي مثابراً على حضور اذكار النقشبندية عند زملائه ، وعلى ادارة الحلقات في زاويته حتى وفاته عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

١٠ ــ الشيخ رشيد ابراهيم الحسن :

ولد في بلدة بتوراتيج ، في منطقة الكورة القريبة من طرابلس عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

تلقى علومه الأولى في قريته . ومال الشيخ رشيد منذ صغره الى الزهد والاكثار من العبادات والنوافل . وفي العشرين من عمره اصيب بحادث افقده البصر . هذه الحادثة دفعته الى الاقبال على العلم الديني . فارتحل الى طرابلس واقام فيها مقبلا الى مجالس مشايخها وحلقات الصوفية فيها حتى اتصل بالشيخ ذي الفقار فمال الى الطريقة النقشبندية . وظل رشيد ملازماً لشيخه حتى وفاة الأخير ، فاستلم ادارة حلقات الذكر في المدرسة القرطائية ، الملحقة بالمسجد المنصوري ، وذلك كل يوم عقب صلاة المغرب . ولم يغير الشيخ رشيد شيئاً من ذكر شيخه الذي كان يمارسه في المدرسة الشمسية .

وفي عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م نقل الزاوية الى جامع طينال بظاهر المدينة . وظل يدير حلقات الذكر حتى وفاته عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م . وقد دفن بمسقط راسه بتوراتيج بعد ان ربى عدداً كبيراً من مريدي النقشبندية في طرابلس ومنطقة الكورة .

١١ ــ الشيخ الياس كرم :

اخذ الطريقة عن الشيخ ذي الفقار . ادار الاذكار بعد وفاة شيخه . كان غزير النظم لا سيما في المناجاة الالهية وفي مدح الرسول . توفي عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

للشيخ الياس كرم ديوان شعر تناولته يد الضياع خلا قصيدة احتفظ بها احد معاصريه ، وهي قصيدة في مدح شيخه ذي الفقار النقشبندي .

استهل الشيخ الياس قصيدته تلك على عادة الشعراء بالتغني بالحب والشوق لرؤية الجمال :

وحق الهوى اني بحبك مغرم   وفي القلب اشواق وفيه تضرم
اعالج نفسي بالسكون وانما   اكاد ولا أبدي الذي تعلم
ولو قيل ما تبغي لقلت زيادة   من الحب او مما به اتألم
تلذ لي الشكوى من الحب والرضى   به فاعجبوا من شاكر يتظلم
مشوق لذياك الجمال وانني   أسام به نفسي ومالي واعدم

ويشرح حالته النفسية قبل الاتصال بشيخه ويتعجب من هذا التبدل الذي حل به ويتساءل أهو في حلم أم في يقظة :

وما أنا ممن يرهبون الغنا   ولكنني ممن به يتنعم
وارجو اذا ما نلت شيئاً من الغنى   ومرً بي العشاق يوماً ترحموا
وجودي موجود وقلبي مظلم   فكيف تغشاني الهوى لست اعلم
فداخلني في الحب سكر وانني   خلي فمالي قد اصوغ وانظم
وها أنا يقظان ولست بنائم   وهذا ضياء الشمس لا لست احلم

وتأتيه المفاجأة التي يقف امامها حائراً لا يدري ما يفعل :

وفاجأني هذا الغرام وانني   فقير وفي شرع الهوى لست اعلم

ويذكر كيف سلك الطريقة النقشبندية ذاكراً فضل الشيخ خالد النقشبندي الشهير بذي الجناحين الذي ادخل هذه الطريقة الى سورية ؛ ويخص بالمدح كل مشايخ النقشبندية ويبين أنها طريق الوصول لمن اراد السلوك :

وما هو الا أن سلكت طريقة ... ادلاؤها كل شموس وانجم
طريقتنا للنقشبند وخالد ... طريق وصول لا كما يتوهم

وينتقل بعد ذلك الى مدح شيخه ذي الفقار ناشر الطريقة النقشبندية في طرابلس وشمال لبنان :

يمهد فيها ذو الفقار بجدّه ... الا قل لمن باراه لا شك تندم
امام هدى قطب الزمان وغوثه ... وفرد من الافراد طود معظم
له خلق طلق ونفس رضية ... عفيف طريف دائماً يتبسم
وهمته فوق التوهم قد علت ... وتحسبه من زهده الناس يخدم
يعالج امراض القلوب وحوله ... كثير ولا من يشتكيه ويألم
وكيف يئن المشتكون وعنده ... ببسمته واللطف طب ومرهم
واعرف اقواماً وانيَّ منهم ... اذا جعلوا ارضاً له لتنعموا
واني لافدّيه بنفسي وانما ... افدّي ثميناً من رخيص يذمم

ويقارنه بالشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي وبمؤسس الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني وبابي الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية وغيرهم من مشايخ الطرق المشهورين ، فشيخه ذو الفقار لا يقل عنهم بالقدر والمنزلة وهو يقسم على ذلك :

اذا قيل محيي الدين أو عبد قادر ... أو الشاذلي الغوث فالشيخ منهم
وان الذي يدعى الفقار لاعظم ... وانيَّ في هذا صدوق واقسم

قد يؤخذ على الشيخ الياس أنه بالغ كثيراً في مدح شيخه ورفعه الى مقامات عظام المشايخ ؛ لكن هذا المأخذ يزول اذا علمنا ان المريد ينظر الى شيخه نظرة اجلال وتعظيم ؛ فالشيخ عند الصوفية وسيط المريد الى ربه ؛ ومن هنا وجبت محبة المريد لشيخه . ومن هنا ايضاً كان على المريد ان يؤمن بان شيخه اقدر الناس جميعاً على تربيته .

وفي قصيدة الشيخ الياس اشارة لطيفة الى ثقل لسان شيخه في النطق بالعربية لأن ذا الفقار كان كردياً ؛ فبين الشيخ الياس ان ذلك لا يعيبه ويحذر زملاءه المريدين من الركون الى ذلك :

فاياك لا يخدعك منه تجاهل ... وحمحمة في نطقه وتلعثم
فما هو الا البحر بل هو فوقه ... ولكنه من صدقه يتكتم

ثم يذكر الشيخ الياس كيفية الاتصال بشيخه وكيف انه توسم فيه الخير وكيف خلصه من شرور نفسه ومن آفاتها ومن جهله ؛ وذلك بفضل حلم هذا الشيخ وتواضعه ومعرفته بامراض القلوب :

بنعمة ربي قد عرفت مقامه ولله عندي قبل ذلك انعم
توسمت فيه الخير لما رايته وقلت به للمستنيرين موسم
فصاحبته حيناً وبي الف علة فما هو الا طب قلب وبلسم
فيعرض عن نقصي بخلق مبارك ويصلح لي جهلي بسر ويكتم
وكم مرة ابديت من جهلي الجفا لنقصي من طبع غليظ فيحلم
يسابقني ان رمت لثم يمينه فيسبقني نحو اليمين فيلثم
ويزعم ان الشر طراً بنفسه وما نفسه الا الهدى يتجسم
اذا خاطب الاطفال طفلا حسبته وشيخاً لدى جميع الشيوخ يقدم
يسايرنا في حالنا كي نطيقه ومن حاله شم الجبال تهدَّم
شعرت بدائي مذ خدمت جنابه وأنَّ فؤادي بالجهالات مفعم
وقد كنت بين الناس في زيٍّ صالح وما أنا الا في الحقيقة ارقم
فخادعني في غسل بعض نجاستي واطمعني في كلها حين افطم .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان مشايخ الطرق يتهمون انفسهم بالتقصير كما كانت تفعل ذلك فرقة الملامتية .

ثم يذكر الشيخ ما حصل له نتيجة هذا الاتصال والسلوك واصفاً ذلك وصفاً رائعاً :

فشاهدت انواراً وحزت معارفاً وملت عن الدارين ان ثم أكرم
فاصبحت ذا شوق لربي ولم اكن كذاك فاين المنكرون لقد عموا

ويختتم هذه القصيدة بالعودة الى مدح شيخه وذكر صفاته وبانه قد جمع بين علمي الظاهر والباطن فاصبح لذلك محط انظار جميع السالكين :

فقل للذي يبغي التيمم قاصداً لترب فعند الماء لا يتيمم
هلمَّ فهذا البحر طهر مطهر وليس به ملح النفوس ولا الدم
وتلقاه مما فيه من حال هيبة كارض الهدى فيها حطيم وزمزم
بمظهره كل الصفات تحققت وفي قلبه سر الصفات يخيم
له نسب للهاشمي مسلسل وان سيل عن هذا الفخار يغمغم
حسيب نسيب من ابيه وامه اليه تناهى المجد فهو المفخم
اعظمه من اجل ربي وانني شهدت عبيداً للملوك تعظم
ويمنعني عن مدحه كل ساعة واني في هذا عصي ومرغم
ويأبى لساني غير مدح صفاته كذلك تأبى الروح والقلب والدم .

١٢ ــ الشيخ سعيد الحموي :

يعتبر هذا الشيخ من اهل الكشف في المدينة ، كما يسميه اقرانه . عاش حياة تقشف . فكان يوزع معظم ما يكسبه على الفقراء ويكتفي بالقليل . كان قليل الكلام ،

كثير الذكر . سلك على يديه الطريقة النقشبندية عدد من صوفية المدينة . توفي ودفن بطرابلس عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

١٣ ــ الشيخ مصطفى الايوبي :

ولد بقرية دده ، الى الجنوب من طرابلس ، وهي احدى قرى الكورة . وكانت ولادته عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م في بيت اشتهر بالورع والاقبال على الزهد والتصوف . مال مصطفى منذ صغره ، الى اداء العبادات والطاعات والاكثار من النوافل . وكان يحضر حلقات الدروس التي كان يقيمها مشايخ القرية للناشئة .

ولما استوطن اهله اسكلة طرابلس ، تتلمذ على يد الشيخ محمود الرافعي (٩١) الذي كان اماماً لجامع التل . وظل مصطفى ملازماً لهذا الشيخ حتى اتصل بذي الفقار النقشبندي حيث اصبح في عداد مريديه المقربين . ونال الايوبي حظوة عند شيخه لما لاحظه الاخير من اخلاص مريده واقباله على اتقان آداب واوراد واحزاب الطريقة . فكان يطلب منه ادارة ختم الخواجكان (الذكر النقشبندي) والقيام بتسليك المريدين واخذ العهد . وبعد وفاة ذي الفقار قام مصطفى بادارة ذكر النقشبندية في منطقة حارة الجديدة ، من اسكلة طرابلس حتى عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م حيث استلم ادارة الزاوية النقشبندية في الدبها .

وظل مواظباً على اقامة الاذكار مساء كل يوم عقب صلاة المغرب حتى عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م حيث انتقل الى منطقة ابي سمراء ، فلازم منزله مشتغلا باوراد الطريقة حتى وفاته عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م . ودفن في مسقط رأسه في قرية ددة .

١٤ ــ الشيخ محمد السويسي :

ولد بطرابلس ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م . تلقى دروسه الأولى بمكاتب طرابلس . ولما بلغ السادسة عشرة من عمره سلك الطريقة النقشبندية على يد ذي الفقار ، في المدرسة الشمسية . وكان محمد يصاحب شيخه في العديد من تنقلاته بين طرابلس وسير ودمشق . وبعد وفاة الشيخ ذي الفقار ، ادار محمد الذكر النقشبندي في زاوية شيخه (المدرسة الشمسية) . ثم انتقل الى زاوية في باب الحديد حتى عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م ومنذ ذلك الحين انتقل الى ابي سمراء حيث ادار ختم الخواجكان مرتين في الاسبوع ، وذلك يومي الجمعة والأحد عقب صلاة المغرب .

ولقد اندفع محمد الىا لتصوف بتشجيع من والده الشيخ رشيد الذي عاش اكثر من مئة سنة ، وكان مشتهراً بميله الى التصوف وذكر الله . وصادفت رغبة الوالد اندفاع الولد فاصبح الشيخ محمد من المشايخ المشهورين في طرابلس . وحتى زوجته فانها تدير الختم النقشبندي للنساء ، حتى الآن ، في زاويته بابي سمراء ، ولكن في اوقات مغايرة لاوقات الرجال .

اشتهر محمد بالطب العربي الذي اخذ معظمه عن شيخه ذي الفقار .

تخرج من زاويته عدد كبير من مشايخ النقشبندية . ورغم تقدمه في السن فقد كان يشرف بنفسه على ادارة الذكر . يرى الشيخ ان طريقته النقشبندية خالية من البدع السيئة . يجتمع أهلها على ذكر الله بقلوبهم ، وليس هناك من حركات أو رقص يؤديه المريد . كما هي الحال عند بقية الطرق ، ولا يسمح للمريد باداء شيء من ذلك الا عندما تغلبه الحال فيضطرب من قوة الواردات على قلبه ، كما يقولون ، فلا يعتد باقواله ولا بحركاته .

الذكر في زاوية الشيخ محمد السويسي : يوجب مشايخ النقشبندية على المريد أن لا يتعدى في ذكره عدداً معيناً من المرات . فلا ينقص هذا العدد أو يزيد . فهم يعتبرون ان العدد في الاذكار كالاسنان في المفتاح . اذا زاد فيه سن أو نقص بطل نفع ذلك المفتاح . ولأجل ضبط العدد في ورد الختم الخواجكاني ، وضع رجال الطريقة مئة حصاة من صغار الحصى وعشرة من كبارها . وبعد ان يجتمع مريدو الزاوية ، وذلك بعد صلاة المغرب ، يجلس كل مريد في المكان المخصص له متربعاً ثم يأخذ الشيخ ، مدير الختم ، الحصى الكبيرة مع احدى وعشرين من الصغيرة ، ويوزع بقية المئة على الحاضرين في حلقته بالتساوي . وتطفأ الانوار حتى لا ينشغل المريد برؤية الاشياء ، ويغمض المريد عينيه . يفتتح الختم بدعاء خاص جاء فيه : اللهم يا مفتح الابواب ، ويا مسبب الاسباب ، ويا مقلب القلوب والابصار ، ويا خالق الليل والنهار ويا دليل المتحيرين ، ويا غياث المستغيثين اغثنا . توكلنا عليك يا ارحم الراحمين . ونفوض امورنا الى الله . ان الله بصير بالعباد . بألف الف لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم يقول الشيخ جهراً : استغفر الله ، ويستغفر بعد ذلك هو ومن حضر سراً خمساً وعشرين مرة .

ثم يقول : الرابطة الشريفة ، وتستغرق خمس دقائق يستحضر فيها المريد صورة شيخه ليستمد من روحانيته . والمقصود من الرابطة ، عندهم ، الزيادة في التأدب .

ثم يوزع الشيخ سبعاً من الحصى الكبيرة على سبعة من المريدين الذين يجلسون عن يمينه ، ويأمرهم بتلاوة الفاتحة . فمن وصلت اليه حصاة يقرأ الفاتحة ثم يرد الحصاة الى الشيخ . وعند قول الشيخ : صلوات شريفة يصلي كل من حضر على الرسول بعدد ما في يده من الحصى . وليس عندهم من صيغة محددة لهذه الصلوات ، بل يترك المجال للمريد باستعمال الصيغة التي يرتضيها . كل ذلك جهراً بحيث يسمع كل نفسه فقط .

ثم يقول الشيخ : ألم نشرح شريف . فيقرأ كل مريد تلك السورة بعدد ما في يده من الحصى ويبلغ مجموع تلاوتها تسعاً وسبعين مرة . ثم يقول الشيخ : اخلاص شريف . فيقوم كل مريد بتلاوة سورة الاخلاص بعدد ما معه من الحصى . وبعد انتهاء الجميع يرفع الشيخ حصاة من الحصى الكبيرة التي امامه ويستأنف قوله : اخلاص شريف . مرة ثانية ، فيعيد المريدون الكرة ... ويعرف الشيخ ان الجميع قد انتهى من تلاوتها وذلك عندما يخيم السكون التام لأن المريد ينقل حصاة صغيرة عند تلاوة

هذه السورة . فعندما يتوقف صوت الحصى يعلم الشيخ ان الكل قد انتهى من التلاوة . وهكذا حتى يبلغ مجموع تلاوة تلك السورة الف مرة . ويتلوها بعد ذلك الشيخ مرة واحدة للدلالة على معنى الاحدية .

ويرجع النقشبندية سبب تركيزهم على تلاوة سورة الاخلاص لأن الرسول قد اعتبرها تعادل ثلث تلاوة القرآن (١٠) .

ثم يقوم المريدون بتلاوة الفاتحة والصلوات كما فعلوا في البدء . ويقوم الشيخ بالدعاء المأثور اي باهداء ثواب ذلك الختم لرجال السلسلة النقشبندية الذين يذكرهم الشيخ فرداً فرداً .

ويتلو احد المريدين ما تيسر من القرآن . وعند الانتهاء تضاء الانوار وتجري بعض الاحاديث الدينية . ثم يقوم الجميع باداء صلاة العشاء وينصرف بعدها كل مريد الى منزله .

اما تسليك المريد ، عندهم ، فيتم بحفل خاص يحضره بقية المريدين : يضع شيخ الزاوية يده بيد السالك ويتلو آية المبايعة والمعاهدة على متابعة تعاليم الطريقة .

وبعد اعلان المريد عن قبوله بذلك يطلب منه الشيخ ان يداوم على حضور حلقات الذكر الجماعية وأن يذكر باسم من اسماء الله الحسنى نحو خمسة آلاف مرة على الاقل في اليوم .

ولهذا الذكر الفردي آداب خاصة منها : أن يبتديء المريد بالاستغفار ، ثم بالصلاة على النبي ثم يتلو السور التالية : الفاتحة ، الاخلاص ، المعوذتين . ويسكن المريد قليلا يستمنح الله فضله وفيض نعمته وايناسه للقلب .

وعلى المريد ان يمر برابطة الموت ، باستحضار النزع للروح ، والتغسيل والتكفين وسؤال الملكين عن العقيدة الايمانية ، في القبر .

ومن هذه الآداب : ان يستقبل المريد القبلة متوضئاً مغمضاً عينيه ومطبقاً فمه اطباقاً تاماً واضعاً يده اليمنى بالمسبحة على القلب . ويقول بقلبه لا بلسانه : الله . . . الله . مئة مرة . فاذا اتمها قال بلسانه : الهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي . ثم يعود الى الذكر من جديد على هذا الترتيب حتى يتم خمسة آلاف مرة .

ولعل تركيز مشايخ النقشبندية على العدد يرجع الى ما اثر عن الرسول من تحديده للاستغفار مثلا بثلاث وثلاثين مرة . . .

١٥ ــ الشيخ يوسف بن الشيخ علي العمري :

كان يلقب بضياء الدين . وهو ابن الصوفي الشهير بالعمري . سلك الطريقة النقشبندية على يد الشيخ ذي الفقار . وظل يوسف مواظباً على ادارة الاذكار وتربية

المريدين حتى وفاته حيث دفن بمقبرة آل العمري في منطقة باب التبانة بطرابلس .

١٦ ــ الشيخ علي المقدم :

ابن محمد . ولد بطرابلس ومال الى العلم فبرع فيه . تولى منصب والده في نقابة الاشراف . كما تسلم مشيخة النقشبندية بطرابلس حتى وفاتــه حوالي (١٣١٠هـ / ١٨٩٠م) (١١) .

١٧ ــ الشيخ عمر الرافعي الفاروقي (١٢) :

ابن عبد الغني الرافعي . ولد عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م في مدينة صنعاء باليمن حيث كان والده بها رئيساً لمحكمة استئناف الحقوق . تلقى عمر علومه الابتدائية والاعدادية في طرابلس . ثم دخل اعدادية بيروت فاكمل بها مدة دراسته . وأخذ شهادتها ورحل الى استنبول . فدخل مدرسة الحقوق لكنه لم يتم دراسته هناك . فسافر الى مصر . وفيها اخذ عن بعض رجال العلم والدين في الازهر . كالامام محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) الذي كان يتلقى عنه دروس تفسير القرآن مدة اقامته في مصر . والشيخ بخيت والشيخ حسين المرصفي وغيرهم من علماء مصر . يضاف الى هذا العدد علماء طرابلس الذين شاركوا في تعليمه . أول عمل اراد أن يقوم به عمر كان في ميدان الصحافة . فقد حاول أن ينشيء جريدة باسم باب النصر . في مدينة حلب سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م . واعد لها العدة . لكن السعاية به . في عاصمة السلطنة العثمانية . حالت دونه ودون الاذن باصدارها . فعاد الى مدينته طرابلس ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ليعمل بمهنة المحاماة . فكان له الظهور على المحامين . مع كثرتهم بتلك المدينة . وذلك لما اتصف به من الصدق . وفي سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م في عهد الانقلاب العثماني . حيث شكلت نظارة العدلية محاكمها في سورية . تاقت نفسه للانتظام في سلك موظفيها . ظناً منه أن الحكومة . في هذا العهد . تقدر رجال العدل حق قدرهم . وتضمن لهم حقوقهم في وظائفهم . فقبل أن يكون عضواً ملازما في محكمة بداية نابلس . ولم يمكث بها غير بضعة اشهر حتى نقل الى مثلها في محكمة بداية الجزاء الثانية في بيروت . ثم نقل منها بعد عام ونصف الى مثلها في مدينته طرابلس . لكنه مخافة ان يتأثر وجدانه . وهو في بلده . وبين اهله واصحابه . وقد اصبحت له صفة الحاكمية . آثر العودة الى مركزه السابق في محكمة بيروت . وقد اجيب طلبه . وبعد أن قررت النظارة نقل هذه المحكمة الى دمشق . لانجاز الوف القضايا المتراكمة فيها . فانتقل عمر مع بقية اعضاء المحكمة الى دمشق . لكن سرعان ما تقرر الغاؤها . وتوزيع موظفيها على المحاكم في المدن السورية المختلفة . فكلف عمر ان يكون عضواً في محكمة بداية حماه لكنه ابى وانصرف عن خدمة الحكومة . وذلك بعد أن تأكد له عدم تقديرها للعاملين المخلصين حق قدرهم . فعاد الى سلك المحاماة بدمشق عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م .

وكان عمر . الى جانب هذه الوظائف . يمارس التدريس تارة في المدرسة العصرية وتارة في الكلية العثمانية في بيروت وفي دمشق . ودرّس آداب اللغة العربية في مدرسة

الاتحاد والترقي التجارية في دمشق . ولما جاءت الحرب العالمية الأولى بنكباتها ، اصابه ما اصاب امثاله من الاحرار من اضطهاد وتعذيب وسجن . فقد نسب اليه تقديم داره بدمشق لاجتماع الجمعية الثورية العربية التي كانت غايتها ، كما يقولون ، اقتطاع بعض اجزاء الممتلكات العثمانية ، واقامة حكومة عربية في هذه الاجزاء . وقد أتهم بأنه كان يدعو الى اعتناق هذا المبدأ ، وانه هو الذي كتب بيان الثورة بقلمه ، وانه حمل اوراق هذا الحزب الى بيروت والى طرابلس ، وانه الف فروعاً للحزب ، وانه استفتى فريقاً من رجال العلم والدين في هذا الأمر . وقد ظهرت الفتوى وشهد عليه عدد كبير من الوشاة ، كما نسبت اليه امور عديدة اقامت قيامة جمال باشا . ففي تموز ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م القي القبض عليه في احدى ضواحي طرابلس (١٣) . وكان عمر قد اختبأ بدار الشيخ علي العمري بطرابلس مدة شهر تقريباً ، ثم ارسله الشيخ عمر العمري ليختبيء في قرية علما التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن طرابلس شرقاً . اذ كان الوالي التركي عزمي بك يلاحقه ملاحقة شديدة . وكان الوالي يستعمل الشدة مع اهله من اجل العثور عليه . وكان في نية الشيخ أن يفر الى جزيرة ارواد ومنها الى مصر فالمدينة المنورة . لكن الاتراك حالوا دون هذه الغاية والقوا القبض عليه . وجيء به مكبلا الى بيروت ثم ارسل الى دمشق (١٤) حيث حكم عليه بالاعدام ، لكن هذا الحكم خفف الى السجن المؤبد ، وسجن بدمشق . وقد ذكر الشيخ انواع التعذيب التي لاقاها على يد الاتحاديين : ضرب مبرح ، تصفيد بالحديد ، منع من كل راحة ، منع من الاختلاط ، سوء تغذية ، حمل السلاسل والسير بها زمنا طويلا ، انواع الاهانة ، منع من النوم زماناً ليس بقليل ، المنع من الجلوس على الارض ، كذلك استعمال انواع المخوفات والمزعجات والتهديدات ، وقد ذكر الشيخ انواع الامراض التي انتابته : حمى تيفوس ، اكزما ، جرب ، غدد لمفاوية . . . وقد امضى ٣٣ يوماً في مستشفى باب توما الانكليزي ومستشفيات المزة . وفوق هذا كله الحكم بالاعدام (١٥) . والواقع ان الشيخ عمر كان ينتقد الاتحاديين ويعتبرهم من الملاحدة الذين وصلوا الى الحكم بواسطة يهود سلانيك . وكان يعلن بان هؤلاء الاتحاديين نشروا الفساد والخراب في الدولة العثمانية ، واضاعوا ممتلكاتهم في آسية واوروبة وافريقيا لذلك كانت معاملتهم للشيخ معاملة قاسية جداً (١٦) .

وبعد هزيمة الجيش العثماني في الجبهة السورية الفلسطينية ، وقيام الجيش العربي مع الحلفاء بدخول دمشق ، اطلق سراحه مع بقية المساجين وذلك عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م . وقد حاول الشيخ ان يتصل بالحكم الجديد بدمشق مرشداً وناصحاً ، لكنه وجد أن هؤلاء الحكام الجدد لا يقيمون وزناً للمخلصين المضطهدين . فيئس وعاد الى طرابلس ، حيث بقي فيها اكثر من عام دون ان يطلب لنفسه عملا من الاعمال ، او يطلب تعويضاً من الحكومة العربية عما خسره من الاموال ، مدة اضطهاده وسجنه .

وفي اواخر عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م عين معاوناً للمدعي العام بطرابلس . ثم رقي الى وظيفة المدعي العام في صافيتا ثم اعيد الى بيروت قاضياً للتحقيق . وبعد ذلك نقل

الى صيدا فالبترون فجزين فزغرتا واميون حتى احيل الى التقاعد عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م فانصرف الرافعي الى المطالعة في الكتب لا سيما كتب الصوفية ، والى العزلة عن الناس ، والتفكير في العمل على مصلحة امته (١٧) . ومال عمر الى سلوك الطريق ، فاذا باحد اصحابه ينصحه بسلوك النقشبندية . وقد ذكر كيفية سلوكه ، بقصيدة طويلة جاء فيها :

واخ لـي فـي اللـه لمـا رآنـي	خاليـاً مـن مشاغلـي الكسبيـة
قـال لـي غـيرة مقالـة حـق	اشتغـل بالطريقـة النقشبيـة
أيّ شغـل للعبـد مـن دون ذ	كـر اللـه يعليـه للسمـاء العليـة
كـن مـع الحـق لا مـع الخلق ترقى	كن مـع الله في خـير معيـة (١٨) .

فاتصل الرافعي بذي الفقار النقشبندي وسلك على يديه الطريقة في الزاوية الشمسية . وداوم الرافعي على الاوراد الخاصة بهذه الطريقة حتى نال الاجازة من شيخه . وقد نظم الرافعي في شيخه عدة قصائد جاء في بعضها :

الى ذي الفقـار الخالدي (١٩) شيخنـا الكـردي	**تقـرَّب ولـذ بالمرشـد الكامـل الفـرد**
وايقـن بـان الشيـخ قطـب زمانـه	**كمـا كـان شيـخ الجـد محمـودنا الكـردي**
فيـا بـارك الرحمـن فـي الكـرد كلهـم	**اذا كان قطب الوقت مـن افقهـم يهـدي (٢٠) .**

وفي ذلك اشارة الى اصل الشيخ ذي الفقار وفضل الاكراد في نشر النقشبندية .
ولقد أثر عن الشيخ عمر قوله عن شيخه : الشيخ ذو الفقار مربي الصغار والكبار بالانظار .

وظل الشيخ يرتقي في سلم الروح وترتفع مكانته ، فتوجهت اليه انظار الخاصة والعامة في وطنه طرابلس ، واراده الجميع ان يكون مفتياً في البلدة ، وقد رشح نفسه لذلك يوم ١٠ آذار ١٩٤٨م / ١٣٦٨هـ ، فجرى انتخابه ، لكنه لم ينل المنصب رسمياً فانطلقت جماهير البلدة والميناء تهتف : لا مفتي الا عمر . فاعترف به الناس مفتياً شعبياً جرى تتويجه في دار احد الوجهاء الطرابلسيين .

مكانة الرافعي :

لو انصرف الرافعي الى الحياة العلمية ، ولم يعان الوظائف لكان له متسع لاظهار مواهبه كلها . ومع ذلك فانه لم يقصر في هذا المضمار . للرافعي مؤلفات لم يطبع منها سوى « مناجاة الحبيب » الذي جمع فيه قصائد طويلة في مدح الرسول وآل بيته واصحابه . ومن مؤلفاته : « اساليب العرب في الشعر والرسائل والخطب » .

« الغضبة المضرية في القضية العربية » .

وله شعر جيد غزير في موضوعات مختلفة يزيد على اثني عشر الف بيت .

وكان الشيخ ينشر بعض قصائده في جرائد طرابلس وبيروت وصيدا والاسكندرية .

ويمتاز شعره بالسلاسة والانسجام . وكان ينظمه في الاغراض الشريفة ، كما يقول ،

فلا يتزلف به الى ذي جاه أو الى ذي دنيا ، ولا يصرفه في مدح ولا هجاء ولا رثاء فشعره صورة من صور اخلاقه العالية ، كما يروون عنه (٢١) .

فقد قصر الرافعي شعره على مدح الرسول ، معبرا عن خالص محبته لهذا الرسول ، داعيا الناس الى الفناء في محبته ، لأن من صحة المحبة اقتفاء أثر المحبوب واللوذ به وطلب شفاعته ... من اجل ذلك لا يعجب المرء اذا علم ان اشعار الرافعي في مدح الرسول بلغت عدة آلاف بيت . واندفاع الشيخ نحو هذا اللون من الشعر يعود الى الازمة النفسية التي عصفت به ، والتي اعجزت الاطباء ، كما يعلن . لكنه خرج منها زاهداً ، متصوفا شغوفاً بحب الرسول ، معتبراً ان مدحه دليل الايمان ، وعنوان اليقين ، واثر من آثار السعادة وسبيل من سبل الهداية ، وسبب لغفران الذنوب ، لأن الرسول في رأيه ، ورأي الصوفية جميعاً ، باب الله وصاحب الشفاعة ، ولأن في رضاه رضاء الله وفي طاعته طاعة الله (٢٢) .

محمد باب الله قف بي ببابه ... نلوذ بمن لاذ الورى بجنابه
هو الرحمة العظمى فهل ممسك لها ... وقد عمت النعمى بفيض سحابه
وآية فتح الله للناس رحمة ... محمد مصداق لها في كتابه
فيا سعد اسعدني بطيب حديثه ... ويا رب زدني من لذيذ خطابه
تمثل في الرؤيا لروحي مبشراً ... بشائر اطويها لنشر جوابه
وان جادني لطفاً برفع حجابه ... وقفت وقوف العاشقين ببابه (٢٣) .

وفي قصيدة أخرى جاء قوله:

يمم حمى طه وقف بتأدب ... فالخير كل الخير في باب النبي
ودع السوى في حبه متأدباً ... فسعادة الدارين للمتأدب
فالغير يحجب عنك نور جماله ... وجماله عن اهله لم يحجب
للناس فيما يعشقون مذاهب ... شتى ولكن حب طه مذهبي

ويخاطب الرافعي الرسول (ص) مستغيثاً به ، طالباً شفاعته :

يا سيد الكونين يا علم الهدى ... يا صاحب القبر الشريف بيثرب
يا خير خلق الله اكرم شافع ... ومشفع اشفع بعبد مذنب (٢٤) .

وفي مولد الرسول جاشت نفسه بقصائد عديدة ، جاء في احداها :

ميلاد خير البرايا خير ميلاد ... به الهدى قد تجلى بالنبي الهادي
هادي الانام ومصباح الانام ومن ... هو المرجى لوراد وقصاد
ان طاب انشاد شعر في المديح فقد ... وقفت في مدحه شعري وانشادي
أو كان في حبه قلب يطير له ... شوقاً فقد طرت قلباً مذ حدا الحادي
حقيقة المرء حيث القلب متجه ... فلا عدمت اتجاهي نحو اسيادي
وحسبه حرم حفت به امم ... في يوم ميلاد طه خير ميلاد

حتى الملائك حفته مبشرة وحياً من الملأ الأعلى بارشاد
تقول : من كان ذا قلب يعيش به فليدخره بحب المصطفى الهادي (٢٥) .

وفي قصيدة أخرى يعلن حبه الصادق للرسول (ص) :

الم ترني في باب اشرف مرسل وقفت حياتي صادقاً لا مرائياً (٢٦) .

ولقد دأب الصوفية على ذكر الرسول بما يسمى بالمدائح النبوية التي ضمنوها كل ما يعتقدونه في هذا الرسول : فهو الانسان الكامل ، وسر الحياة ، وروح الدنيا ، وخاتم الانبياء والمرسلين ... الى غير ذلك من المعاني التي صدروها احزابهم واورادهم وصلواتهم وقصائدهم ... يدفعهم الى ذلك عاطفة المحب المتقرب ، فتمثلت الحقيقة المحمدية في اذهان الصوفية ومشاعرهم حقيقة سامية اتجهوا اليها بعواطفهم ومشاعرهم وانجذبت نحوها قلوبهم . والواقع ان بعض شعراء صدر الاسلام كانوا قد مدحوا الرسول ، لكن هذه المدائح لا تختلف عن مثيلاتها في الجاهلية وأول البعثة النبوية ، من حيث انها قصد للقادة والرؤساء بالثناء عليهم ، وذكر علو منزلتهم والتغني بسخائهم وشجاعتهم وبالاعتذار عما فرط منهم .

ومدائح الاندلسيين للرسول كانت نتيجة للحسرة ، التي تركها في نفوسهم ضياع مدنيتهم ، فاتجهوا بعواطفهم الى الرسول يستغيثون به ويتوسلون اليه ، ويبدو أن ذلك قد كان حينما عدموا النصير من الملوك والامراء الذين كانوا يعاصرونهم (٢٧) .

اما الصوفية فقد اتجهوا الى مدح الرسول لأنه باب الله ، ومفتاح الخير في الدنيا والآخرة ، والمثل الاعلى لهم . وفي ذلك يقول الرسول : « يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل . وذلك من سنتي . ومن احب سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة » (٢٨) .

ونتج عن محبة الرسول التعلق بالبقعة الطاهرة التي ترعرع فيها والتي تضم رفاته . وقد اتجه اليها المادحون بارواحهم قبل اجسادهم وخصوها باروع الأوصاف .

وقد سار الشيخ في هذا السبيل ، فكان يعلن شوقه للعيش في المدينة وللمجاورة في المسجد النبوي ... وانتقل بمحبته الى القدس ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومركز الاسراء ، فتألم لضياع قسم منها بايدي الصهاينة الذين احتلوا هذه البقعة المقدسة والغالية على قلب كل مسلم ومسيحي . فكان ينظم القصائد في حث العرب لطرد هؤلاء الغزاة واستعادة الارض :

القدس في الم وليل داج يا صاحب الاسراء والمعراج
القدس آلمها واثقل ظهرها الدخلاء اذ نزلوا بكل فجاج
من لي بجدي (٢٩) فاتح القدس التي ابراجها طالت على الابراج
من لي به والله جل جلاله بالصبح يجلو كل ليل داج (٣٠) .

وكان الشيخ عمر يتألم من تشتت العرب واغتنام الصهاينة لهذا الأمر من اجل

تحقيق اطماعهم . فكان يخشى ان تتحول هذه البلاد الى خراب ودمار . وان تجري فيها الدماء كما تجري انهارها الغزيرة . فكأنما يكشف لمعاصريه ما سيجري في هذه المنطقة من سفك دماء واضطرابات وتدمير وتشريد ... فيتضرع الى الباريء ان يحفظ هذه البلاد وان يوحد بين ابنائها حتى يتمكنوا من اعادة الحق الى اصحابه الشرعيين . ويزيلوا كل حيف لحق باهل هذه البقعة (٣١) .

« العرب في طول البلاد وعرضها ... ذلت وايم الله للاعلاج
والمسلمون تفرقوا شيعاً بلا ... رأس ليجمعهم كما الاوداج
لم تنقطع فتن الزمان وكلها ... تلقى اتصالا بينهم برواج
اخشى وايم الله ان تجري دما ... هذي البلاد كمائها الثجاج

ويدعو ربه ليجنب المنطقة الويلات :

فتدارك الأمر الذي خفته ... برفيع جاهك يا رفيع التاج » (٣٢) .

والخلاص . في رأيه . من كافة الامراض التي تشتكي منها البلاد الاسلامية يكمن في التمسك بالدين :

دعوة الحق نهجها الاسلام ... حيث فيه الهدى وفيه السلام
فاستقيموا على الطريقة فيه ... فلقد افلح الذين استقاموا
وكفى انها السبيل الى الله علي ... بها قام الهداة العظام
دعوة الحق هذه فاجيبوا ... داعي الله ما استجاب الانام
فرقتنا سياسة الحكم قدماً ... وبها اليوم صار يرجى الوئام
فهلموا يا قوم نجمع شملا ... فرقته بحكمها الحكام
وانظروا حكمة التآلف كم قد ... شيد فيها للمسلمين نظام » (٣٣) .

وكانت للشيخ عمر غيرة دينية وقومية . فعندما كان مستنطقاً لمدينة صيدا حاول انشاء ميتم يضم اليتامى والمشردين الذين نكبتهم الحرب العالمية الأولى . وكان من الداعين الى التقرب بين اهل السنة والشيعة في لبنان . وكان ذا صلة حسنة بعلماء الطائفة الشيعية ، فكان يستعين بهم على ازالة الفوارق بين الطائفتين والتقريب بينهما ما امكن لتحقيق جوهر الدين . وقد اثمر سعيه بعض الثمرات الطيبة . ومع سعيه للألفة الاسلامية لم يكن الرافعي داعية تعصب ضد ابناء الاديان والملل الأخرى . بل كان يدعو الى الفة وطنية ينضوي تحت لوائها المسلم والمسيحي من اجل خير البلاد (٣٤) :

لا تقولوا سني وشيعي افتراقاً ... لا تبيحوا المقال وهو حرام
نحن في الدين اخوة اي وربي ... انما الدين عنده الاسلام (٣٥) .

اشتهر الشيخ بسعيه الحثيث للوصول الى مرتبة الفتوح . فقلما تخلو قصيدة من قصائده دون ان يذكر فيها تشوقه لهذا الفتح :

وهب لي بمحض الفضل فتحا ونصرة ... فاني لمحتاج الى الفتح والنصر
فتيقنت بالفتوح قبولا ... لسؤالي الفتوح دون ارتياب (٣٦)

والفتح الالهي ، في رأي الشيخ عمر ، هو « كشف حجاب القلب أو الروح او السر لفهم ما جاء به رسول الله من الكتاب والاحاديث النبوية . اذ الولي لا يأتي بشرع جديد وانما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة . ولهذا يستغربه كل استغراب من لا ايمان له باهل الطريق . ومن يفتح الله على عين قلبه ، ينظر بصفاء الهمة ، ويسمع بثاقب الفهم ونور المعرفة .ويأخذ الاشارة من معاني الغيث ويتبع احسن القول » (٣٧) .

وللشيخ عمر قصائد عديدة في موضوعات فلسفية ، وتوجهات الهية ، تبين مدى عبقرية هذا النقشبندي الطرابلسي ، ففي عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م ، وابان زيارته لمدينة اللاذقية نظم قصيدة مطولة بث فيها فلسفته في الحياة ؛ نقتطف منها الابيات التالية :

سموت بنفسي للعلى عل أبصر	وادرك سر الكائنات فيظهر
سموت بها عن كل ما قد يشينها	فلما صفت ادركت ما كان يضمر
بصرت بعين القلب وهي بصيرة	لها كل مخفي من الغيب مظهر
شهدت جمالا لا يكيف حسنه	تصور فيه جل ربي المصور
تتطوف ببيت القلب مني وانه	لبيت بذكر الله دوماً معمر
فما وسع الرحمن ارض ولا سما	وقد وسع الرحمن قلب منور
خزانة سري كم حويت معارفاً	بارسال فكري في الوجود يفكر
حياتي بعد الموت لا عنصرية	ولكنها ارقى اذا انحل عنصر
الى الملأ الأعلى تعود لأصلها	بلا شبح ارواحنا حين تطهر
فيا بصري هل كنت لولا بصيرتي	لتبصر في الاكوان ما انت مبصر
ويا بدر لولا هذه الشمس لم تزل	تمدك بالانوار هل كنت تبدر
فطوبى لمن قد كان بالله عارفاً	وللنفس في الطاعات ينهي ويأمر
ولما رأيت الكون في مظهر الفنا	ولم يبق الا الله والله اكبر
ولم ار مثل الحب للخير مورداً	وحب رسول الله ورد ومصدر
صفوت بصفو الحب فيه لعلني	اقابل فيض الفيض منه فأصدر (٣٨) .

وعند وفاة الرافعي ، تقاطر على مدحه كبار مشايخ طرابلس وفي مقدمتهم عبد الكريم عويضة :

زينت يا بن الرافعي الادبا	بمدح خير الخلق اماً وابا
وفي مناجاة الحبيب المصطفى	حركت اوتار القلوب طربا
ما زلت في مدح الرسول واقفاً	ببابه حتى بلغت الاربا
ابدعت في اوصافه يا عمر	حتى عليه بايعتك الادبا (٣٩) .

١٨ ـ **الشيخ عصام الرافعي** : ابن عبد الغني شقيق الشيخ عمر ؛ ولد عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م في اسكلة طرابلس . قرأ القرآن على يد الشيخ رسلان الحمصي في ساحة الدفتردار من منطقة الحدادين ؛ ثم التحق بكلية التربية والتعليم حيث تلقى بها علومه الابتدائية ، ثم التحق بعد ذلك بالقسم الشرعي من كلية التربية والتعليم . وقد

تتلمذ على عدد من المشايخ اشهرهم : صلاح الدين ابو علي مندوب الازهر ، رفعت الضناوي ، عاصم رضا ، نصوح البارودي . . . ثم سافر الى مصر حيث التحق بالازهر كعادة المتفوقين في القسم الشرعي .

ظل الشيخ عصام فترة من الزمن يتلقى العلم في الازهر ، حيث اجتمع بنخبة من خيار العلماء المصريين .

ولما عاد الى طرابلس تولى الخطابة والتدريس والامامة في عدة مساجد . كما تولى وظيفة التعليم الديني في المدارس الرسمية .

مال الشيخ عصام الى الزهد . منذ صغره . وسلك طريقة النقشبندية على يد عمه الشيخ عمر ؛ وقد نال الشيخ عصام عدة اجازات في طرق صوفية أخرى من عدة شيوخ : فسلك الشاذلية على يد الشيخ بشير القهوجي . والرفاعية على يد الشيخ محمود الشقفة . . . وهكذا فقد جمع الشيخ بين علمي الشريعة والحقيقة . وهو من المشايخ القليلين الذين عرفوا بالصلاح والتواضع ، وحبّ جميع اهل الطريق . والتفقد لشؤونهم .

واشتهر بالقاء المواعظ في زوايا الصوفية المنتشرة في طرابلس . منبهاً مشايخ هذه الزوايا والمريدين الى حقيقة التصوف التي تكمن . في رأيه . في اتباع الكتاب والسنة ؛ وناهياً عن البدع التي أنتشرت جهلا بين ادعياء التصوف .

للشيخ عصام بعض الشعر . غير المطبوع . في مناسبات الذكريات الاسلامية . خاصة في موضوعي الزهادة والموعظة . ومن غرر شعره قصيدة مطولة في رثاء عمه الشيخ عمر الرافعي النقشبندي . نقتطف منها الابيات التالية :

رحمة الله على عمي عمر ... كم لدين الله في الدنيا نصر

كان في الدنيا مناراً للورى ... مشرق الوجه منيراً كالقمر

يطرب السمع بآيات الحجى ... منطقاً عذباً محلّى بالدرر

كان مدّاحاً لطه عمره ... وقف الشعر عليه والعمر

كان محظياً برؤيا المصطفى ... اكثر الله له فيها فقر

تمّم الله عليه فضله ... في جوار المصطفى خير البشر .

١٩ ــ زهير الرافعي : ابن عبد الغني الرافعي . ولد عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م . تلقى علومه الأولى على يد والده الذي كان اماماً للجامع المنصوري . درس القرآن كشقيقه الشيخ عصام على يد رسلان الحمصي النقشبندي ؛ ثم التحق بكلية التربية والتعليم بطرابلس . وظل يترقى حتى نال الاجازة في العلوم السياسية والاقتصادية من الجامعة اللبنانية ؛ لكن تحصيله العلمي لم يمنعه من حضور حلقات مشايخ المدينة . ولم يكتف بذلك فكان يتوجه الى المدن السورية للأخذ عن مشايخ النقشبندية هناك . فكان بذلك يسير على نهج عمه الشيخ عمر الذي شجعه . مع شقيقه عصام . على

السلوك ومنحه الاجازة في الطريقة .

وسلك زهير على يد الشيخ مصطفى الايوبي النقشبندي ، وعبد الله احرار النقشبندي من الجزيرة الفراتية .

اشتهر زهير بديوان شعر في مديح الرسول وآله ، كما فعل عمه عمر . ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض هذه القصائد تنشد في بعض زوايا طرابلس وحمص وحماه ، وذلك عقب الانتهاء من حلقة الذكر .

وفي مدحه للرسول (ص) يستلهم المعاني والصور التي ابرزها عمه الشيخ عمر : جاء في بعض قصائده :

وافيت حيكم والانس يغمرني ... والسحر يملؤني بالبشر اتسم
عللت نفسي المدى في طيب رؤيتكم ... اني بوصلكم نشوان منسجم
وان نأيتم عني فيا حزني ويا لهفي ... فالدمع منسكب والشمل منفصم
وكم أحن الى قرب فيدفعني ... شغاف روحي ولقياكم هو الحلم
قد طار قلبي الى حي بساحتكم ... فيه الصفاء وفيه الحب والكرم
فالقلب في ظمأ والشوق يحرقه ... والبعد فيه الضنى والهم والألم
فان جلست وحيداً ان صورتكم ... امام عيني طوال الدهر ترتسم
فهل أنال المنى حقاً بوصلكم ... بعد العذاب وجرح القلب يلتئم
صلاة ربي عليكم ثم آلكم ... ما انفك زهر ربي للنور يبتسم .

وفي قصيدة أخرى قال :

ذكرت مديحاً للرسول بطيبة ... ففاضت دموع الحب والعين تسكب
تخالجني ذكراك في كل لحظة ... فيصبو اليك القلب والروح ترغب
وكم راق منكم معجزات كأنها ... قلائد من ياقوت تزهو فتعجب
فطوبى لعبد في رحابك ينطوي ... ويحظى برضوان من الحب يشرب
ويا فوز من ترضى عليه يناله ... تجل مقيم نوره ليس يحجب
مديحك عذب كم يراق مذاقه ... وكم هو يسري في الفؤاد فيسلب
لئن مرضت روحي فأنت لها الشفا ... وان رمت حناناً فأنت لي الأب .

وخص الرافعي فاطمة بنت الرسول (ص) فقال :

سلام على زين النساء نقاوة ... ففاطمة الزهراء نسل مطهر
كريمة طه بنت اكرم مرسل ... وصفوة خلق الله وهو المظفر
محببة منه الى القلب دائماً ... وخير بنيه حينما يذكر الفضل
لقد نلت والحسنين منه حنانه ... وفيضاً من الرضوان ريان يزهر
وبعلك سيف الله في الحرب مشهر ... وباب علوم الله ذاك الغضنفر
كريم تقي فارس ثم شاعر ... وحامي لواء الدين والله اكبر

ويعاهد الرسول (ص) بقوله :

اهيم بكم يا اهل بيت محمد   فشعري لكم طول الحياة مسطر .

٢٠ ـ محمد سعيد منقارة :

ولد بطرابلس عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م . تلقى علومه الأولى في كلية التربية والتعليم الاسلامية في طرابلس . ثم تخصص في الميدان التجاري . لكن انصرافه الى الدنيا لم يحرمه من التطلع الى التربية الروحية ، كما يقول ، فسلك على يد الشيخ مصطفى الايوبي النقشبندي ، ثم التحق بالشيخ محمد عثمان سراج الدين الثاني بمنطقة كردستان الملقب بالمرشد النقشبندي . فأخذ عنه آداب الطريقة ونال الاجازة فيها ، واخذ الاذن بتسليك المريدين . وفي عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م اخذ الشيخ محمد يدير حلقات الذكر ، كل يوم عقب صلاة المغرب ، في الزاوية السقرقية ، القريبة من مسجد ارغون شاه . وكان الحاجب اقطرق قد بناها عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م لتكون مسجداً وتربة للدفن . وقد كتب على حائطها ، لجهة الجنوب الشرقي باحرف غليظة ، الغاية من بنائها والاوقاف التي وقفها اقطرق من اجل العناية بهذا المسجد وبالقيمين عليه (٤٠) .

والذكر في هذه الزاوية لا يختلف كثيراً عن ذكر بقية الزوايا النقشبندية الا انها لا تستعمل الحصى لضبط العدد . وقبل انتهاء الذكر يردد الحضور كلمة الاخلاص جهراً وبقوة ، حتى يشعر الذاكرون بالتعب ، فيشير عليهم شيخهم بالهدوء شيئاً فشيئاً . ويختتم الحلقة بالدعاء لمشايخ النقشبندية .

يضع الشيخ محمد اهمية كبرى لذكر القلب ، ويعتبره الخطوة الاساسية للوصول الى الرتبة العليا في التصوف . من اجل ذلك كان الشيخ يطلب من مريده ان يذكر كلمة (الله) عدة آلاف من المرات يومياً ، لأن في ذلك اندفاع المريد للاتيان بالاعمال الحسنة واجتناب المعاصي . فمن لم يوصله ذكره الى تلك الغاية فقد غابت عنه حقيقة هذا الذكر .

٢١ ـ محمد ناظم القبرصي :

ولد في قبرص بأسكلة لارنكا ، عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م . ينتهي نسبه من جهة والده الى عبد القادر الجيلاني ، ومن جهة امه الى جلال الدين الرومي .

تلقى علومه في قبرص . وبعد المرحلة الثانوية قصد عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م استنبول لمتابعة الدراسة في كلية العلوم . وقد برع في هندسة الكيمياء ، ونال شهادة في هذا الفرع . مال الشيخ ، منذ رحيله الى استنبول ، الى دراسة اللغة العربية والعلوم الشرعية فتتلمذ على الشيخ جمال الاسوني (ت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ، ونال منه الاجازة .

وفي استنبول ايضاً ، اتصل بالشيخ سليمان أرضرومي ، شيخ النقشبندية آنذاك ،

(ت ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م) وسلك على يديه الطريقة النقشبندية . وقد شجعه شيخه للحضور الى سورية ، فانطلق ناظم الى حلب وحماه وحمص حيث جاور مدة سنة عند ضريح خالد بن الوليد . وفي حمص تابع تحصيله للعلوم الشرعية على علمائها : محمد علي عيون السود ، عبد العزيز عيون السود أمين فتوى حمصاً ، عبد الجليل مراد ، سعيد السباعي النقشبندي وغيرهم .

وفي عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م انتقل الشيخ ناظم الى طرابلس حيث نزل ضيفاً عند شيخ مشايخ الطرق الصوفية فيها آنذاك منير الملك . في الاسكلة . ثم عاد الى دمشق حيث التقى عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م بالشيخ عبد الله الداغستاني النقشبندي (ت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) . فلازمه واتم سلوكه على يديه . وقد اشتهر الداغستاني بمحاضراته التي كان يلقيها في الزوايا والمحافل والتي كانت سبباً في اسلام عدد من الغربيين . وكان ناظم يقوم بتدوين هذه المحاضرات . وقام بطبعها في مؤلف « محيطات الرحمة » باللغة الانكليزية .

وبعد نيله الاجازة توجه الى مسقط رأسه قبرص للدعوة والارشاد فلقي القبول . وقد قام الشيخ ناظم بترميم كثير من المساجد المهجورة وبانشاء العديد من الزوايا . وتولى رئاسة بعثة الحجاج القبارصة . فتاب على يديه عدد كبير من المنحرفين .

اشتهر الشيخ بكثرة اسفاره لا سيما الى انحاء تركية واوروبا حيث كان يترك عدداً من المريدين تحت اشراف نائب عنه لادارة الختم النقشبندي .

وقد انشأ في طرابلس عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م زاوية للنقشبندية في منطقة « الزاهرية » وما لبثت ان ازدهرت واصبحت تضم عددا كبيرا من مريدي الطريقة النقشبندية . تقيم الزاوية الذكر كل جمعة قبيل الغروب . ويتميز الذكر فيها باضافة ذكر جهري لاسماء الله الحسنى على ما هو مألوف في زوايا النقشبندية . ذلك ان الشيخ ناظم لا ينتقد اذكار الطرق الصوفية الأخرى . كما يفعل مشايخ النقشبندية . ويعتبر ان الذكر الجهري ضروري للنقشبندي المبتدىء ثم يترقى الى الذكر الخفي الذي هو المقصود . ولا يعارض الشيخ استعمال بقية الطرق للآلات الموسيقية .

وفي كل يوم ، عقب صلاة العشاء ، يقوم الشيخ بالقاء محاضرة امام مريديه تتضمن اراءه واقوال ائمة اهل التصوف في الشريعة والحقيقة والزهد والآداب . . .

وللشيخ ناظم مؤلف « الطرق الى الملكوت » باللغة الانكليزية . يخاطب فيه الملحدين ويدعوهم الى الايمان برسالة الاسلام . وقد دعمه بالحجج المنطقية .

ومما تجدر الاشارة اليه انه قد اسلم على يديه عدد من الاوروبيين والآسيويين . . . ولاحظ الشيخ ان كثيرين ممن اسلموا كانوا شديدي التعلق بتعاليم بوذا .

يتقن الشيخ ناظم اللغات : التركية واليونانية والعربية والانكليزية . وله عدة

قصائد في التوسلات الالهية والمدائح النبوية باللغة التركية .

٢٢ ـ احمد شركان المجلد :

ولد بطرابلس عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٤ م . يرجع نسبه الى ابي بكر الصديق . تلقى علومه الاولى في مدارس المدينة وارسالياتها الاجنبية . ثمتنقل في وظائف عدة . هاجر الى مصر حيث عمل ممثلا في السينما فانصرف الى حياة اللهو ، لكن نفسه رفضت هذه الاعمال الشاذة فرجع الى طرابلس واعلن توبتهعلى يد الشيخ رشيد الحسن النقشبندي ، واهتدى واخذ يداوم على حضور اذكارالطريقة النقشبندية عند شيخه .ـ

وبعد وفاة شيخه الحسن تابع احمد السلوك على يد الشيخ ناظم القبرصلي النقشبندي حتى اجازه الاخير واذن له بادارة ختم الخواجكان .

انشأ احمد زاوية للنقشبندية في منطقة باب الرمل ، وظلت تمارس الاذكار حتى عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، حيث سافر الى المدينة المنورة ،للمجاورة هناك . اشتهر أحمد بقوة حجته ، الامر الذي مهد له السبيل لهداية كثير من المنحرفين .

ومن رجالات التصوف في طرابلس الشيخ خليل بن ظافر سليمان الذي قام بتأسيس الطريقة « المحمدية » التي تستعمل طريقة الذكر النقشبندي . وقد أسس الشيخ عدة زوايا منها : زاويتان في منطقة القبة ، وزاوية ثالثة في منطقة الخناق .

ولد الشيخ في رجب عام ١٣٧١هـ / نيسان ١٩٥٢م في مدينة طرابلس ؛ وتلقى علومه الابتدائية في مدارسها . ولما شب مال الى مطالعة الكتب التاريخية والادبية . فنظم الشعر في سن مبكرة ؛ وما لبث ان اقبل على مطالعة كتب الصوفية ، ففتح الله له طريقاً ذات سبب الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ولقد أشتهر الشيخ بكثرة مرائيه لحضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى ان المريدين الذين سلكوا على يديه قد اكرموا جميعهم برؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) . وكان اذا سئل الشيخ عن سبب توبته ورجوعه يقول : كرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فقد كان ينظم في اغراض الشعر وخصوصاً في الغزل . وعلى أثر رؤيا للرسول (صلى الله عليه وسلم) قام باحراق ديوانه القديم وأقبل على اداء الفرائض والنوافل .

وفي عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ادى فريضة الحج وجاور بالمدينة المنورة مدة حيث فتح الله عليه ديوانه الحالي الذي سماه الديوان « المحمدي » ؛ والذي جعل مداره كله على امتداح الذات المحمدية .

ففي قصيدة نظمها يذكر فيها سيرته الذاتية وكيفية انتقاله الى سلوك الطريق . قال :

يا أخا الطيش كنت مثلك قبلا ... طائش القلب بين شط وريف

ندعاني الى الهدى أمر ربي ... في بيان الترغيب والتخويف
يعبث المرء في الربيع ويلهو ... ثم يبكي ندامة في الخريف

وفي حثه المريدين على التوبة جاء قوله في احدى قصائده :

تب الى الله يا كثير الذنوب ... يأتك العفو من سميع مجيب
كيف لا يقبل الاله تعالى ... وهو ذو الفضل توبة من منيب

ويشير الى طريقة الذكر :

نذكر الله ربنا في قيام ... وقعوداً وعند طرح الجنوب .

ويحث الشيخ مريديه على الاقبال على الذكر في جوف الليل ويبين بان الاخلاص في الذكر يقرب العبد من ربه ويوصله الى الكشف والجذب :

ان اهل الرحمن في الليل قوم ... أخلصوا الذكر دون اهل الفراش
يكتمون الآهات لليل ورداً ... ويراؤون في هشاش بشاش
ركبوا في قوارب خائضات ... في بحار على فناء التلاشي
قربوا ثم كوشفوا ثم نودوا ... ثم فازوا بجذبة الانتعاش

ولا يطلب الشيخ من مريده العزلة أو السياحة في القفار الموحشة كما يوصي بعض المشايخ :

ليس في الدين ان تفر من الناس ... ولا أن تعيش في الاحراش
ما ترى الطير كيف تغدو خماصاً ... تطلب الرزق خارج الاعشاش
يعرف الفضل بالتقى وقديماً ... قد علا البيت سابق الاحباش (٤١) .

فهو يدعو الى التقوى .

ويرسم الطريق امام المريد للوصول الى الولاية ؛ فاذا هي طريق مليئة بالبلاء والصيام والقيام والتضرع والبكاء والتهجد والبعد عن هوى ليلى وهند . فحب الله وحده . والاخلاص له . والخوف منه . والرجاء فيه هي التي توصل المريد الى الولاية :

أترجو عفو ربك بالمراء ... وتطمع بالجنان بلا عناء
كأي من ولي كان قبلا ... تعرض للتزلزل والبلاء
فما نال الولاية ذو منام ... وما عرف الحقيقة ذو غباء
فهلاّ قمت مذكرا بليل ... فان الليل اقوم للنداء
اذا هبط الظلام على البرايا ... تفرّد بالمنارة ذو اصطفاء
خلي من هوى هند وليلى ... مليء بالتضرع والبكاء
لعمرك ان حبَّ الله عبد ... كثير الذكر متصل الدعاء
وما عبد الا له بمثل حبٍّ ... واخلاص وخوف وارتجاء
ولا يرضى الاله بغير طه ... سبيلا للمحبة والرضاء .

وعلى غرار حب رابعة العدوية لله سبحانه وتعالى نظم قصيدة نقتطف منها هذه

الابيات :

سبح بحمد الذي سواك من طين ... كنز الحقائق في طه وياسين
واتبع سبيل الذي أوصى الاله له ... وادع الاله باخلاص وتأمين
يرجو الجهول ملاذاً دون خالقه ... بل المهيمن ارجو مخلصاً ديني
اذا تمكن حب الله من احد ... سيان مدخل فردوس وسجين
لما رايت بني الدنيا على خطر ... ادخلت نفسي في القوم المساكين

وقد ذكر الشيخ تمسكه بالكتاب والسنة ، وان تعاليمه لا تخرج عنهما ، وذلك في قصائد عديدة ، جاء في احداها :

خذ بالكتاب الذي جاء النبي به ... ودع سواه من القرطاس والكتب
اذا الحقيقة حلت قلب صاحبها ... فالنفس تشغل بالتقوى عن اللعب
ان السبيل التي خط الرسول لنا ... هي النجاة من الاسواء والكرب

ويعلن الشيخ حبه الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم :

غيري يحب محمداً لشفاعة ... وانا احب محمداً لمحمد

ومحبته للرسول دفعته الى محبة البقعة التي عاش فيها ولا سيما المدينة المنورة :

ان المحبة والجوار بطيبة ... فانعم بحب محمد وجواره

وهذه المحبة تدفعه الى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والسير على سنته وعدم مخالفة الشريعة :

عجباً تحب محمدا وتجانفه ... وتميل للدنيا ودمعك تذرفه
ان المحب لاحمد من يتبع ... لا من يعظم ذكره ويخالفه .

ويشير الشيخ الى أن محبة الصوفية للرسول الكريم لا تصل الى حد العبادة لأن ذلك شرك بالله :

ان تقوى الانسان لله درع ... فاتق الله ايها العبد تهدى
سبح الله بكرة وعشيا ... وتقرب لله ذكراً وحمدا
لا يصدنك الهوى عن سبيل ... هي خير عقبى وخير مردا
لو عبدنا محمداً لضللنا ... كيف بالله يعبد العبد عبدا
ما عبدناه وهو خير واعلى ... من جميع العباد فضلا ومجدا
جعل الله للنبيين حداً ... فاقتصد في تعظيمهم لا تعدّى

ونظم الشيخ خليل قصائد عديدة في الحث على الزهد والابتعاد عن الدنيا وعدم الركون اليها ؛ وبين الاوجه التي يجب ان ينفق فيها المال :

جعل المال للكفاف وزلفى ... ولغوث المسكين والملهوف
أخطأ العز جاهل حسب العز ... بجمع الالوف بعد الالوف

فاختـــراق القلوب لله جــل اســمــه — خــير مـــن اختــــراق الصفـــوف
ان مكــث الانســـان في دارة الدنيـــا — وان طـــال مثـــل مكـــث الضيــوف

ويذكر الناس بالموت الذي هو اكبر عظة للانسان تدفعه الى الزهد في الدنيـا واعتبارها دار ممر :

ايهـــا النـــاس انمـــا المـــوت حـــق — والـــى اللـــه كـل شـــيء يـــرد
فاتقـــوا اللـــه ذا الجـــلال تعـــالى — وانيبـــوا لربكــــم واستعـــدوا

وفي محاربته للآفات الاجتماعية . وفي الحث على امعان الفكر في الكون والبعد عن الهوى نذكر له هذه الابيات :

اعـــوذ بوجـــه اللـــه ان يهتك الستر — وان تحبــط الاعمــال أو يؤمــن المكــر
واسألـــه جـــل اسمـــه بمحمـــد — عليـــه صلاة اللـــه ان يغفـــر الـــوزر
واشكـــو الى رب الانـــام عبـــاده — فقـــد هجـــر المعـــروف واستفحل النكر
اذا نـــال ذو الايمـــان رضـــوان ربـــه — فسيـــان عنـــد المؤمن الترب والتبـــر
وليس أخـــو الخسران من فاتـــه الغنى — ولكن ذا الخسـران مـــن فاتـــه الأجـــر
ومـــن يكـــن اللـــه العلـــي وليـــه — فـــان لـــه الا يحيـــط بـــه العســر
تعاودنـــا اللـــذات والطعـــم واحـــد — عـــدا لـــذة التقـــوى فخيراتهـــا كثـــر
فواعجبـــاً للمـــرء يفخـــر فـــي الـــدنى — كـــأن ليس بعـــد العيش مـــوت ولا قبر
اذا كـــان اس الزهـــد ان يترك الغنى — فـــان اساس الديـــن ان يتـــرك الكبر
الا أيهـــا العبـــد الـــذي بـــات غافـــلا — تنبـــه فـــان البـــين ميعـــاده الفجـــر
تفكـــر بـــذا الخلق الـــذي انت ناظـــره — فـــان شفا وادي الهوى مالـــه قعـــر
اذا رمـــت نـــور اللـــه فاتبـــع نبيـــه — فربتمـــا فكـــر لصاحبـــه جســـر
فمـــا بين آذان الـــورى وقلوبهـــم — سراديب اظـــلام مصابيحهـــا الفكـــر
الـــم تـــر ان اللـــه اتقـــن صنعـــه — وان بديـــع الخلـــق ليس لـــه حصـــر

وللشيخ خليل ، غير الديوان ، تائية تناهز ١٢٠٠ بيتاً من الشعر .

كلمة عامة :

لقد مرت الطريقة النقشبندية ، في طرابلس ، بتطورات عديدة . فقد شهدت ، ايام الشيخ ذي الفقار ، اقبالا شديداً ، وامتد تأثيرها ، بجهود هذا الشيخ ، الى المناطق المجاورة لا سيما الضنية والكورة . ثم انحسر مؤيدوها . وهي الآن تشهد اقبالا لا بأس به .

ومن اشهر زوايا الطريقة ، والتي لا تزال تمارس الختم الخواجكاني حتى الآن :

١ ـــ زاوية محمد السويسي ؛ وفيها جناح خاص للنساء النقشبنديات .
٢ ـــ زاوية محمد منقارة .
٣ ـــ زاوية محمد ناظم القبرصي .

هـــوامش

(١) را : محمد رشدي الميقاتي ، الاثر الحميد في مناقب الشيخ رشيد ، ص ٩ .
(٢) را : محمد سليمان ، الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية ، ص ٧٧ .
(٣) را : صاحب ، بغية الواجد ، ص ١٢٢ .
(٤) را : نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٢٢ــ٢٤ .
(٥) را : حسن النعنعي النقشبندي ، سعادة الدارين في بر الوالدين (الاسكندرية ، ١٣١٣هـ) ، ص ٧ــ٨ .
(٦) را : نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٠٨ .
(٧) را : الميقاتي ، الاثر الحميد ، ص ٦٤ .
(٨) را : كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٢٩ .
(٩) الشيخ محمود الرافعي هو غير الشيخ محمود الرافعي الشهير بابي الانوار الخلوتي . كان الاول يدرس في قرية مشحا بعكار ، وكان نقشبندي الطريقة .
(١٠) را : عبد الحليم محمود ، فاذكروني اذكركم ، ص ٨٧ .
(١١) را : نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ١٠٨ .
(١٢) نسبة الى الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق . وهو الجد الأعلى للاسرة الرافعية .
(١٣) را : عبد الكريم عويضة ، مقدمة في الادب الروحي ، ص ٧ــ٨ .
(١٤) را : عمر الرافعي ، مناجاة الحبيب (بيروت ، ١٣٧١هـ) ، ص ٢١٣ .
(١٥) را : الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ٢٢٧ .
(١٦) م. ع. ، ص ٢٢٩ .
(١٧) را : عويضة ، مقدمة ، ص ٩ــ١٠ .
(١٨) الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ٢٣٠ .
(١٩) نسبة الى خالد ذي الجناحين النقشبندي .
(٢٠) عويضة ، مقدمة ، ص ١٠ .
(٢١) را : عويضة ، مقدمة في الادب الروحي ، ص ١٠ .
(٢٢) را : عمر الرافعي ، مناجاة الحبيب (صيدا ، ١٣٦٥هـ) ، ص ٢٨ــ٢٩ .
(٢٣) الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ٩ .
(٢٤) م. ع. ، ص ٢١ .
(٢٥و٢٦) م. ع. ، ص ١٣ ، ٢٩ .
(٢٧) را : الجيوشي ، بين التصوف والادب ، ص ٩٦ــ١٠١ .
(٢٨) محمد يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ج ١ ، الطبعة الاولى ، ص ٢٨ .
(٢٩) يعني بذلك جد الاسرة الرافعية عمر بن الخطاب .
(٣٠) الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ١٢ .
(٣١) م. ع. ، ص ١٢ .
(٣٢) الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ١٣٣ .

(٣٣) م. ع. ، ص ٣٠٩ .
(٣٤) را : عويضة ، مقدمة في الادب الروحي ، ص ١١ .
(٣٥و٣٦) الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ١٤٠ ، ٣٠٩ .
(٣٧) م. ع. ، ص ١٥٣ .
(٣٨) الرافعي ، مناجاة الحبيب ، ص ١٥–١٦ .
(٣٩) عويضة ، مقدمة ، ص ٦ .
(٤٠) را : تدمري ، تاريخ وآثار ، ص ٢٩١ .
(٤١) اشارة الى اعتلاء بلال للكعبة وأذانه عقب فتح مكة .

الفصل التاسع

الخلوتية في طرابلس

١ ــ عبد القادر الرافعي (١) .
٢ ــ احمد الرافعي .
٣ ــ مصطفى الرافعي .
٤ ــ محمد الرافعي .
٥ ــ عبد القادر الرافعي (٢) .
٦ ــ محمود الرافعي (ابو الانوار) .
٧ ــ عبد الغني الرافعي .
٨ ــ ابراهيم الاحدب .
٩ ــ درويش التدمري .
١٠ ــ محمد كامل الرافعي .
١١ ــ محمد رشيد الميقاتي .
١٢ ــ علي الميقاتي .
١٣ ــ مصطفى الميقاتي .
١٤ ــ مصطفى المغربي .
١٥ ــ محمود نشابه .
١٦ ــ علي رشيد الميقاتي .
١٧ ــ اسماعيل الحافظ .
١٨ ــ عبد الحميد الحافظ .
١٩ ــ عمر اليافي .
٢٠ ــ ابو النصر اليافي .
٢١ ــ سليمان البطاوي .
٢٢ ــ محمد الجسر .
٢٣ ــ حسين الجسر .
٢٤ ــ محمد الجسر .
٢٥ ــ نديم الجسر .
٢٦ ــ محمد الحسيني .
٢٧ ــ محمد الشهال .
٢٨ ــ عبد القادر المغربي .
٢٩ ــ محمد رشيد رضا .

كلمة عامة .

الفصل التاسع

الخلوتية في طرابلس

ذكر ابن محاسن انه اجتمع في طرابلس عام ١٠٤٨هـ (ص ٦٧) بالشيخ محمد بن محمود الخلوتي الذي كانت له خلوة بجامع العطار ؛ وقد حضر خلوته مع مريديه لمدة ثلاثة ايام متواليات . ويذكر بان الشيخ محمد أخذ الطريقة عن الشيخ « ذكرى » من قرية فنيدق .

ويذكر محمد كرد علي انه كان في طرابلس ، في مطلع القرن العشرين ، عدة زوايا للطريقة الخلوتية (١) .

ولقد تمثلت الخلوتية بمشايخ عدة عائلات طرابلسية ، في طليعتها الاسرة الرافعية ، التي كانت من اشهر بيوتات العلم والدين في ديار مصر والشام . فقد تولى كثير من رجالها مناصب القضاء والافتاء سواء في مصر أو في البلاد العربية ، لا سيما التي كانت خاضعة للنفوذ العثماني . وقد اشتهر معظم مشايخ هذه الاسرة ، ولا يزالون ، بالوعظ والاصلاح والتصوف . ولئن سلك بعض مشايخ الرافعية طرقاً صوفية مختلفة ، فان معظمهم كان قد اثر عنه سلوكه للطريقة الخلوتية .

١ ــ **عبد القادر الرافعي الأول** (ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م) :

ابن عبد اللطيف البيساري ابن عمر البيساري ابن ابي بكر الحموي الولي المدفون بزاويته بحماه . ابن لطفي ابن علي الحموي العقيلي من ذرية الشيخ عقيل المنبجي القطب الشهير . وهذا ابن احمد البطائحي الهكاري ابن عمر بن عبد الله البطائحي ابن عمر بن الشيخ زين الدين عمر المكي ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) .

فالشيخ عبد القادر من عائلة البيساري ، وهو أول من تلقب بالرافعي . اذ قال له احد مشايخه أنت من رافعي لواء العلم ، فاصبح يعرف بالرافعي (٣) . كان لجده ، عمر البيساري ، زاوية مشهورة في منطقة العوينات القريبة من الجامع المعلق بطرابلس . وكان هذا الجد عالماً متصوفاً وعلى اتصال بمشايخ الطرق الصوفية الذين كانوا يؤمون زاويته لتربية المريدين والاتصال بالجماهير الطرابلسية . وعندما مر الشيخ مصطفى البكري ، مجدد الطريقة الخلوتية ، بطرابلس نزل ضيفاً في تلك الزاوية . وسرعان ما

قامت بين الشيخين اواصر الاخوة ، الأمر الذي دفع الشيخ عمر ومريديه الى سلوك الطريقة الخلوتية . ونشأت بين الشيخين مراسلات عديدة . وقد نظم البكري قصيدة في الاشادة بمريده عمر البيساري مطلعها :

سرٌ سرِّ السر للسر ظهر   اين من يفهم هذا يا عمر (٤) .

وظل البيسارية على ولائهم للطريقة الخلوتية . فبعد عمر استلم الزاوية الخلوتية ابنه عبد اللطيف . ولما ولد ابنه عبد القادر الأول اعتنى به وعهد بتربيته الى مشاهير مشايخ المدينة . وبعد أن اتم عبد القادر دراسته الأولى بطرابلس ، ارسله والده الى مصر لمتابعة التحصيل في ازهرها ، حيث أخذ عن علماء عصره ، فبرع في العلوم والمعارف ، ومال الى سلوك الطريقة الخلوتية ، فلازم الشيخ محمود الكردي (٥) حتى نال منه الاجازة . وكان الشيخ عبد القادر معجباً بشيخه ومفتخراً به حتى انه اضاف الى امضائه عبارة « خادم القطب الكردي » . وكان للاستاذ اقبال عليه حتى انه زوجه ابنته ، الا انه لم يرزق منها اولاداً . وقد نظم عبد القادر في استاذه قصائد عدة يمدحه فيها (٦) .

« بحمدك يا مولاي يرتاح ناطقه   وتبدو لأرباب اليقين بوارقه
ومنك أتانا الفيض والفضل والهدى   وجاد بمكنون اللدني وادقه
ومن يك عن اذن تكلم بالهدى   تجلت لآذان الأنام حقائقه
فما كل وعظ في القلوب مؤثر   ولا كل روض الفضل تزهو شقائقه
فسبحان من أجرى حقائق فضله   بقلب أولي العرفان فاعتز ناطقه
اذا حل سر الله في قلب عارف   تجلت على عرش القلوب رقائقه
فأهدى الى الاسماع جوهر حكمه   يزول بها عن كل قلب عوائقه
لسيدنا محمود في كل خصلة   على خلق المختار جاءت خلائقه » (٧) .

يذكر عبد القادر أنه خدم شيخه الكردي في اغلب امراضه لا سيما المرض الذي مات فيه . فقد فاضت روح الكردي وهو في حجر الرافعي (٨) ، وذلك عام ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م . فرجع الشيخ عبد القادر الى طرابلس وأخذ يدرس في الجامع المنصوري الكبير ، فكان الجامع ، على اتساعه ، يضيق بتلاميذه ومريديه . وكان عبد القادر يختلي في حجرة بمنارة الجامع المذكور كل سنة ثلاثة اشهر متوالية (رجب ، شعبان ، رمضان) ، يمضيها في التبتل والعبادة ، ويخرج صبيحة عيد الفطر (٩) .

وقد اعترف له صوفية المدينة بالقطبانية على طرابلس لأكثر من ثلاث عشرة سنة .

وكان له تأثير عظيم في سياسة المدينة ، فكانت الدولة العثمانية تعزل كل قاض لا يرضى عنه الشيخ .

وكان الوزير علي باشا الاسعد (١٠) ، والي طرابلس ، يجله ويقدره . وكان مصطفى بربر (١١) المشهور بقسوته وسفكه للدماء ، يتضاءل امام الشيخ الرافعي .

ولما توفي الأخير ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م تولى بربر غسله بيده (١٢) .

كان الشيخ عبد القادر ، مع اشتغاله بالعلم والوعظ والتسليك يتعاطى التجارة ، وكثيراً ما كان يرافق المراكب التي تحمل تجارته الى الاقطار الاسلامية ، فيغتنم الفرصة لالقاء بعض الدروس ونشر الطريقة الخلوتية (١٣) . ومن ذلك ما حصل بينه وبين امير الاسكندرية الذي اعجب بالشيخ واستقبله في ذلك الثغر استقبالا رائعاً (١٤) .

برع الشيخ في النظم والنثر ، وترك عدة مؤلفات ادبية اشهرها :

أ ـ مقامة طويلة بديعة ، ارسلها للوزير الاسعد ، يصف بها رحلة بحرية تعرضت فيها سفينته للغرق ، فتوسل الجميع الى الله بقلوب خاشعة ان يزيل عنهم الهم والكرب ، فهدأت العاصفة .

ب ـ نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد .

ج ـ مقامة في المفاخرة بين حمص وحماه اتى فيها بالنكات البديعة .

د ـ رسالة في الوالي الاسعد ، مطلعها :

لا والذي رفع السماء بلا عمد ودحا بساط الارض من ماء جمد

هـ ـ تخميس في التصوف لابيات الشيخ عفيف الدين في الحقيقة . مطلعها :

نظرت اليها والمليح يظنني نظرت اليه لا ومبسمها الالمي

و ـ احياء القلوب ، وهو شرح على حكم شيخه الكردي ، بالاضافة الى المطولات في مدح هذا الشيخ (١٥) .

والغاية من تأليف هذا الكتاب ، رغبة الشيخ الكردي في شرح حكمه لمريدي الطريقة . وبالرغم من ان الشيخ عبد الله الشرقاوي ، خليفة الكردي بمصر ، قام بشرح هذه الحكم ، فان الشيخ عبد القادر راى في ذلك : « شرحاً لطيفاً جامعاً مانعا ، استخرج به من كنوز معانيه اخفاها ، فما غادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها ، الا انه لتحققه في مقام العرفان ، سلك فيه مسلك الحقائق ، وغاص في بحور الدقائق ، فقصر عنه فهم مثلي القاصر ، فاحببت ان اخدمه بشرح يجنح الى سبيل السلوك ، مقتصراً على ما ذكره العارفون في علم السلوك من الحكم الواضحة ، والمواعظ الناصحة ، والحكايات الظاهرة ، والامثال السائرة ، ليعم نفعه من كان مثلي قاصراً ولي معاصراً » (١٦) .

ويذكر عبد القادر بانه لا يبغي من وراء ذلك ان يذكر اسمه بين مؤلفي الكتب والرسائل ، أو ان يسطر اسمه في المحافل . بل قام بعمله ذلك من اجل تذكرة نفسه واخوانه السالكين (١٧) .

آراء الشيخ عبد القادر في :

١ ـ الزهد :

الزهد في الدنيا ، في رأيه ، هو أول مسالك الخير . وله ثلاث درجات :

الأولى ان يتكلف الشخص الزهد في الدنيا ، ويجاهد نفسه في تركها مع كونه يشتهيها ، وهذا متزهد . ولعل حاله ابتداء الزهد .

الثانية : ان يزهد فيها طوعاً لاستحقارها عنده ، بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لأجل درهمين . وصاحب هذه الدرجة لا يخلو من ملاحظة ما تركه وملاحظة زهده . ويعتبر الرافعي ان هذا نقصان ايضاً .

الثالثة : وهي العليا: ان يزهد طوعاً ويزهد في زهده . اذ لا يرى انه ترك شيئاً وذلك لمعرفته بان الدنيا بالنسبة الى الآخرة أو الى الله ، أخس من جناح بعوضة الى الدرة . بل لا نسبة ههنا في رأيه .

فاعلى درجات الزهد في نظر الشيخ ان يرغب المرء عن كل ما سوى الله ، حتى عن الآخرة ، ولا يكون له رغبة الا في جانب الله . ويستثني عبد القادر ما لا بد منه لسد الضرورة . ويخلص الى ان حب الدنيا مذموم في كل الشرائع ، وهو رأس كل خطيئة وسبب كل فتنة . لأن من أحب الدنيا خاطر في طلبها ونافس اهلها ، فلا يخلو عند ذلك من آفاتها فيعادي الناس ويندفع الى الشحناء والغيبة والطمع والحسد . ويصبح همه تكديس الاموال ، ولا يسأل عن حلال او حرامٍ . فينبغي للعاقل ، في رأي الشيخ ، ان لا يغفل عن ربه ويقنع من الدنيا بالكفاف (١٨) .

٢ ــ التوكل :

يعتبر الشيخ ان التوكل « عبارة عن اعتماد القلب على الله وسكونه عن الاضطراب عند فقد الاسباب الموضوعة في العالم ، التي من شأن النفوس ان تركن اليها . فان اضطرب فليس بمتوكل . وأصل التوكل معرفة القلب بان الامور كلها بيد الله تعالى » (١٩) .

وبعد ان يستعرض الشيخ الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال الصوفية والفقهاء في معنى التوكل ، يخلص الى ان التوكل محله القلب ، وان حركة الظاهر ، اذا دفعت الانسان الى تعاطي الاسباب ، لا تنافيه ، شرط ان لا يتعلق القلب بهذه الاسباب . ويضرب الشيخ المثل بمسافرين :

احدهما يحمل الزاد ولكن قلبه مع الله ، والآخر لا يحمل الزاد ولكن قلبه معلق بالزاد دون الله (٢٠) .

٣ ــ المجاهدة :

كان الشيخ يحث على مجاهدة النفس ، وذلك بفطمها عن المألوفات ، وحملها على خلاف الهوى في سائر الاوقات . ومخالفة النفس ، عنده ، تكون في ثلاث مواطن : المباح والمكروه والمحظور . وللمجاهدة انواع كثيرة ، وكل مريد يليق به نوع منها لا يليق بغيره . فالمجاهدة بالصوم والصلاة اشق على الملوك من المجاهدة بالصدقة

والعتق . والتجار الحريصون يخالفون هذه القاعدة . . .

ولذلك فان تعيين انواع المجاهدات للمريدين مفوض الى رأي الشيخ ، الذي يسلكهم ويربيهم لا الى اختيارهم لانفسهم . ولذلك يجب ان تكون هذه المجاهدة على يد شيخ عارف ناصح . ويصرح عبد القادر بانه قد تحصل المجاهدة دون الحاجة الى الشيخ المرشد وذلك بالجذب . والمجذوب من صادفته جذبة الهية . واهل الجذب . عنده ، على اقسام : مجذوب سالك، ومجذوب دائم له الجذب ، ومجذوب وقف بعد سيره .

والسالك على يد الشيخ اكمل لأنه سالك ومجذوب فهو أعرف بالطريق . كما يرى (٢١) .

واعظم انواع المجاهدة تأثيراً في تهذيب الاخلاق وتنوير القلب واشراقه هو الذكر . فالذكر في رأيه معظم اركان الطريق ومنشور ولاية اهل التوفيق . والمكثر من الذكر تشرق على قلبه الانوار الالهية . ويشمل الذكر . في رأيه . تلاوة القرآن والتسبيح والاستغفار والدعاء وحضور مجالس الحديث والفقه والعلم . وينصح عبد القادر مريده بأن يجلس على طهارة في خلوة مستقبلا القبلة . ساكن الاطراف . مطرق الرأس ويذكر الله بقلب حاضر (٢٢) . ومن داوم على ذلك اشرقت عليه انواع القرب وانكشفت له اسرار الغيب .

ويرى الشيخ ان الذكر بالجهر للمبتدىء انفع واكثر تأثيراً وعملا في ازالة الحجب . فاذا تمكن الذكر في القلب وسكنت معرفة الحق فيه كان الذكر بالقلب انفع للمريد واجدر . وكان الشيخ يطلب من مريده عدم الاقتصار على ورد واحد بل ينصح بتنويع الاوراد . ذلك ان لكل ورد ، في رأيه ، أثراً في القلب ونوراً ومدداً ومكانة من الله ليست لغيره . ولتعدد الاوراد أثر عظيم في تنوير القلب وضبط الجوارح .

والاوراد في رأي الشيخ على عدة انواع : من صلاة نفل (تطوع) الى تلاوة قرآن . الى قراءة علم . . . والعلم . في نظره . هو الذي يزيد الانسان معرفة بذات الله وصفاته وافعاله وآلائه . ويعرف به ما أمر الله من طاعة وما نهى عنه من معصية . وهو الذي يورث زهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة ويبصر الانسان بعيوبه وآفاته . . . ويضع الشيخ آداباً معينة لكل ورد (٢٣) .

ويطلب الشيخ من مريده ان يخصص وقتاً للتفكر . ويفضل له وقت الفراغ . ولا يرى غير جوف الليل حيث يكون حضور القلب متجليا . وبعد ان يورد الآيات والاحاديث التي تنوه بفضل التفكر ، يبدأ الشيخ في تحديد الموضوعات التي يجب ان يجعلها المريد مجالا للتفكر وما ينتج عن ذلك من خير .

فالتفكر في عجائب مصنوعات الله . وآثار قدرته . وما بث من الآيات في ملكوت الارض والسماء . يزيد في المعرفة بذات الله وصفاته واسمائه .

والتفكر في آلاء الله ونعمه التي اسبغها على الانسان ، يملأ القلب بمحبته والاشتغال بشكره .

والتفكر في احاطة علم الله بالانسان ونظره اليه واطلاعه على كل افعاله ، يدفع الانسان الى الحياء من الله .

والتفكر في التقصير في العبادة ، يزيد في خوف المرء من الله ويحمله على لوم نفسه وتوبيخها ومجانبة التقصير وملازمة التشمير .

والتفكر في نزول الموت فجأة ، وحصول الحسرة والندامة يثمر اصلاح العمل واعداد الزاد ليوم المعاد .

والتفكر في الاخلاق والاعمال التي وصف الله بها اولياءه واعداءه ، وفيما وعد كلا من الفريقين ، ثمرته محبة السعداء ، وحمل النفس على العمل باعمالهم والتخلق باخلاقهم . وبغض الاشقياء ، وحمل النفس على اجتناب اعمالهم واخلاقهم ...

ويحذر الشيخ مريده من التفكر في ذات الله وصفاته من حيث الماهية وتعقل الكيفية ، لأنه ما ولع أحد بذلك الا ووقع في مهاوي التعطيل وتورط في التشبيه (٢٤) .

٤ ـ الجوع :

ينصح الشيخ عبد القادر مريده بملازمة الجوع لأنه جبلة « اهل الحق » ومفتاح الفتوح والصدق ، وهو احد اركان المجاهدة ، وبسببه تنفجر ينابيع الحكمة لأهل السلوك ، وهو من صفات اهل الحقيقة . لكن الجوع الذي ينصح به هو الجوع الشرعي اي صوم اليوم ، فان زاد فالى السحر ؛ لذلك نجد الشيخ ينتقد بعض اهل الطريق الذين يجوعون تلامذتهم أو يصومونهم ثم يطعمونهم قبل غروب الشمس ، يقصدون بذلك مخالفة النفوس .

والذي يسمح به الشيخ مخالفة النفس اذا مالت الى طعام مخصوص فيصدها عنه ويردها الى غيره حتى لا تكره شيئاً من نعم الله . ويصرح الشيخ بانه هو نفسه قد عمل على هذا حتى طاب له كل شيء كان لا يقدر على أكله أو تمجه نفسه .

ويحصر الشيخ فوائد الجوع في عشر :

١ ـ صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب .
٢ ـ رقة القلب الذي يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر .
٣ ـ الانكسار والذل وزوال البطر والفرح ، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع .
٤ ـ ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء . فان الشبعان ينسى الجائع والجوع .

٥ ـ كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء : فان الاطعمة مادة الشهوات وتقليلها يضعف كل شهوة .
٦ ـ تيسير المواظبة على العبادة . فان الاكل يمنع من كثرة العبادات ؛ لان المريد يحتاج الى زمان لشراء الطعام وطبخه واكله .
٧ ـ صحة البدن ودفع الامراض .
٨ ـ خفة المؤونة .
٩ ـ التمكن من الايثار والصدقة بما فضل من الاطعمة .
١٠ ـ دفع النوم ودوام السهر للذكر والفكر (٢٥) .

٥ ـ العزلة والخلطة :

« وهي عبارة عن هجر الخلائق وملازمة البيوت طلباً لسلامة المعتزل من الناس وسلامة الناس منه . فان ارتقى الى طور أعلى من هذا وصار من الخاصة جعل عزلته رياضة وتقدمة بين يدي خلوته . وذلك لتالف النفس قطع المألوفات من الانس بالخلق : فان الانس بهم من العلائق الحائلة بينه وبين مطلوبه من الانس بالله تعالى والانفراد به ؛ فاذا انتقل من العزلة بعد احكامه شرائطها سهل عليه امر الخلطة » (٢٦) .
وبعد ان يورد الشيخ عبد القادر الادلة الشرعية الحاثة على العزلة والخلوة . يبين فوائد العزلة ومنها : السلامة من الغيبة والرياء والنفاق والاشتغال بزينة الدنيا ولهوها والامان من ملل الاصدقاء وستر الفاقة عن العدو والشامت والصديق المتوجع . والتفرغ للنظر واستنباط الحكمة .

والعزلة الشرعية يجب ان تكون مصحوبة بانواع الطاعات والقربات. فاذا استمرت اربعين يوماً فهي خلوة . والقصد بها تطهير القلب من ادناس المخالفة وافراده بذكر واحد وحقيقة واحدة : ويرى الشيخ ان للخلوة فتوحاً عظيماً .

واذا كمل حال المريد في الخلوة كانت الخلطة زيادة في يقينه لأنه يستمد من سائر الكائنات فكل ذرة من ذرات الوجود يشاهد فيها الواحد المعبود . على ان الخلطة اذا سلمت من الآفات كان في طيها سديد الخيرات . فان الانسان بالخلطة يتأتى له عيادة المرضى وتشييع الجنائز وصلة الارحام وزيارة الاخوان وصحبة الاخيار وارشاد الخلق الى الحق ومؤاساة الايتام واغاثة المحتاجين .

ولئن انقسم معظم الصوفية الى قسمين : قسم يؤيد العزلة وقسم يفضل الخلطة . فان الشيخ عبد القادر يحث المريد المبتدئ على العزلة أولا حتى اذا استكمل المبادئ والاسس كانت الخلطة أولى له (٢٧) .

٦ ـ آداب المريد مع الخلق :

تكمن حقيقة هذا الادب . في نظر عبد القادر . باجتماع خصال الخير . والاديب

هو الذي اجتمعت فيه خصال الخير . والادب ينقسم باعتبار طبقات الناس الى ثلاثة اقسام : ادب اهل الدنيا وأدب اهل الدين وادب اهل الخصوص . وينحصر القسم الأول في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم . . .

والقسم الثاني في رياضة النفوس وتاديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات .
والقسم الثالث في طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر . وحسن الادب في مواقف الطلب واوقات الحضور ومقامات القرب .

فعلى المريد ان يحسن معاشرة الخلق . فيسدي لهم النصح . ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم . ويحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويميط الاذى عنهم ما استطاع . ولا يذكر احدا بما يكره . وعليه ان يتودد الى الناس كافة ويمد يده بالاحسان اليهم جميعاً . وعليه ان يتحمل الاذى منهم . وان يبتعد عن الطمع مما في ايدي الناس فيكون طمعه في نيل رضاء الله وغفرانه . . . الى غير ذلك من مكارم الاخلاق (٢٨) .

٧ ــ الشرك :

يبين عبد القادر ان الشرك نوعان : جلي وخفي .
فالشرك الجلي اقسام عديدة اعظمها ان يتخذ المرء مع الله الهاً آخر . وهذا الشرك ينتج عنه الخلود في النار . اما الشرك الخفي فلا يكاد يسلم منه احد . الا من عصمه الله . حتى انه يعتري اهل الخلوة . وذلك عندما يرغبون في اطلاع الناس على عباداتهم ومجاهداتهم في الخلوة . وينتج عن هذا الشرك . في رأيه . نقص الايمان واحباط العمل .

وينصح الشيخ مريده للتخلص من الشرك الخفي بالاخلاص في الافعال والاقوال والحركات والسكنات . وكان الشيخ يردد : اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل . وحتى يكون المريد من هذه القلة عليه ان يخلص النية لله (٢٩) .

٨ ــ القناعة :

يدعو عبد القادر مريده الى القناعة في الامور الدنيوية . ويورد الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال أئمة الصوفية في القناعة . ويعلق عليها .
وفيما يتعلق بالطاعات والعبادات . فانه كان يدعو الى الاكثار منها والاقبال عليها بكل همة ونشاط . ويحث مريده على طلب العلم والمعرفة والعب منهما ولا سيما ما يتعلق بمعرفة الله (٣٠) .

٩ ــ العقل :

يرى عبد القادر ان للعقل وظائف عديدة : احدها الوصف المعنوي الذي يفارق به الانسان سائر المخلوقات الأخرى . وهو الذي استعد به الانسان لقبول العلوم

النظرية وتدبير الصناعات والاعمال الفكرية . وهو المراد بقول بعضهم غريزة ينهيء بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب . وبه يستعد لادراك الاشياء .

الثاني العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد . وان الواحد لا يكون في مكانين ...

الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال . فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب . يقال انه عاقل في العادة . ومن لا يتصف بذلك يقال انه غبي جاهل .

الرابع : ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها . فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا . لأن اقدامه واحجامه عندئذ يصيران بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب . لا بحكم الشهوة العاجلة .

واول ما يبدو اشراق العقل عند سن التمييز . ثم لا يزال ينمو ويزداد شيئاً فشيئاً على التدريج الى أن يتكامل بقرب الاربعين سنة . وهو . في رأي الشيخ . متفاوت في الناس تفاوتاً عظيماً . ودليل تفاوته اختلاف الناس في فهم العلوم . وانقسامهم الى بليد لا يفهم الا بعد تعب . وذكي يفهم بأدنى اشارة . وكامل ينبعث في نفسه حقائق امور دون تعلم كالانبياء وبعض الاولياء .

والعقل . بمعنى استيلاء القوة على قمع الشهوات . لا يخفى تفاوت الناس فيه . بل الشخص الواحد تتفاوت احواله (٣١) .

١٠ ــ محاسبة النفس :

يرى الشيخ ان محاسبة النفس أصل عظيم من اصول الطريق . والمحاسبة . عنده . تشمل سائر احوال النفس وتقلباتها واطوارها ومراعاة الخواطر مع الاوقات . وذلك باستشعار الحياء من الله وملاحظته انه مطلع على العبد . حتى انفاس المرء يجب ان تكون مصحوبة بطاعة من ذكر أو فكر أو عبادة . مع مراقبة المولى وحضور القلب معه . وهناك محاسبة للنفس على ما تتناوله من الطعام وتلبسه من الثياب ... فيوجب الشيخ على المريد ان يتحرى مصدرها . فان كان حلالا صافياً نال قسطه منها . والا فتركها واجب . ومن جملة المحاسبة ان لا يغالي الانسان في ثمن هذه الاشياء (٣٢) .

١١ ــ الوصول :

يقصد الشيخ بذلك الوصول المعنوي . أي اتصاف النفس بالاوصاف الحميدة . والانسلاخ عن الاوصاف المذمومة . ويرى بان كثيراً ممن خاض في هذا البحث . قد زلت به القدم فتكلم بكلمات موهمة . وعبر بعبارات منكرة في الشرع (٣٣) .

١٢ ــ الشريعة والتصوف :

يعتبر الشيخ ان مخالفة الشريعة زندقة . وان التصوف الاسلامي السليم هــو

المؤيد بالكتاب والسنة . وكل من أتى بشيء يخالف ما فيهما فهو رد عليه . وبالتالي فان كل طاعاته ومجاهداته مردودة (٣٤) .

١٣ — علماء الكلام :

يعتبرهم الشيخ من اهل البدع والاهواء . ويصنفهم على الشكل التالي :

١ — المعتزلة القائلون بان العباد خالقو اعمالهم . وبنفي الرؤية . وبوجوب الثواب والعقاب . . .

٢ — الشيعة المفرطون في محبة الامام علي . . .

٣ — الخوارج المكفرة للامام علي ولمن اذنب كبيرة . . .

٤ — المرجئة القائلون بانه لا يضر مع الايمان معصية . كما لا ينفع مع الكفر طاعة . . .

٥ — المشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول . . .

٦ — الجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد . . .

والفرقة الناجية . في رأيه . هم اهل الجماعة . اي اهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على آثار الرسول في النقير والقطمير . ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير (٣٥) .

وينتقد الشيخ جماعة . ظهرت في زمانه . تدعي القرب والوصول وهي لا تدين بالدين الخالص . فيوضح بان الواصلين الحقيقيين اوصوا بالتزام حدود الشرع . لذلك فان هذه الجماعة تعمل ما لم تؤمر به . وهي تبغض اهل العلم والفقه . « وقد كثرت التأليفات في الاسلام . وشاع البدع بين الانام حتى غلب السفهاء على العلماء . والخطأ على الصواب . ولذا قال العلماء : لا يجوز العمل بكل كتاب ولا الاقتداء بكل عالم . وانما يقتدى بمن هو موثوق بعلمه ودينه . وانما الصواب من الكتب ما وافق الاصول » (٣٦) .

١٤ — مداواة القلوب القاسية :

يحصر الشيخ عبد القادر هذه المداواة باربعة امور :

أ — ذكر الموت .

ب — زيارة القبور .

ج — مشاهدة احوال المحتضرين ؛ لأن النظر الى المحتضر ومشاهدة نزعاته وسكراته وتأمل صورته بعد مماته . يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الاجفان من النوم . والبدن من الراحة ؛ ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد والتعب .

د — مجالسة العلماء والاستماع الى وعظهم وارشادهم ومطالعة اخبار الصالحين .

وكان الشيخ يحث مريديه على زيارة القبور لأن هذه الزيارة تبعث على ذكر الموت الذي فيه حياة القلب ؛ فالزائر يعتبر بمن صار تحت الثرى وانقطع عن الاهل والاحباب .

بعد ان قاد الجيوش ونافس الاصحاب وجمع الاموال ... فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه (٣٧) « فليتأمل الزائر حال من مضيَ من اخوانه من الذين بلغوا الآمال وجمعوا الاموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ... وعند هذا التذكر تزول عنه الاغيار الدنيوية ، ويقبل على الاعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه » (٣٨) .

١٥ ــ السياحة :

درج بعض الصوفية على اعتبار السياحة ركناً هاماً في الوصول الى الفتح والقبول . وقد فضل بعضهم السفر في بداية السلوك ، وبعضهم فضل الاقامة في البداية والسفر بعد استكمال مراحل الطريق ؛ وقسم ثالث فضل الاقامة الدائمة ومصاحبة شيخ عالم ، فان هذه الصحبة خير من السياحة .

وكان الشيخ يحث مريده على ملازمة شيخه والارتواء منه وحسن الاقتداء به ؛ حتى اذا احكم امره وبلغ مبلغ الرجال فعليه القيام بالسياحة والاتصال بالصادقين المخلصين والأولياء العارفين والأخذ عنهم (٣٩) .

١٦ ــ تسليك المريد :

قد يستغني السالك عن المرشد وذلك بامتثال الاوامر واجتناب النواهي والمحافظة على أكل الحلال والورع ؛ لكن الطريق طويل والمسافة بعيدة والاهواء مختلفة ... مما يضل السالك أو يستغرق وقتاً طويلا . فالمريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال الى باطن المريد فتشرق عليه الانوار .

وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ، وينتقل الحال الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ، فيصل الى المطلوب بمشيئة الله في اقرب حين . ولا يكون هذا الا لمريد سلم نفسه للشيخ وانسلخ من ارادة نفسه وفني في الشيخ بترك اختياره . ولا ينبغي للمريد ان يسلك هذا الطريق على يد الشيخ الا بعد الاقبال على العبادات والطاعات وبعد المامه بالعلومُ الشرعية .

وحتى يتصدر الشيخ للوعظ والارشاد والتربية لا بد له من سلوك طريق الحق ومعرفة كتاب الله وسنة الرسول ، وان يتصف بصفات الكمال معرضاً عن حب الدنيا والجاه والمال ، يرشد المريد ويشير عليه بما ينفعه ويبعده عن المخاوف والمهالك ... ويكون قد أخذ هذا الطريق عن شيخ عارف . ولا يصلح المجذوب للقيام بمهمة التربية هذه لانه وان كان قد ذاق المقصود لكنه لم يعرف الطريق الى الله تعالى ؛ فلا بد من سلسلة من المشايخ تنتهي بالرسول عليه السلام .

وعلى الشيخ ان يأمر مريده بالرياضة من قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام وقلة الاختلاط ، وكثرة الصوم والصلاة والصدقة ... حتى تظهر في شمائله مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب مثل الصبر والشكر واليقين والسخاوة والقناعة والامانة والحلم

والتواضع والصدق والاخلاص والحياء والوقار والاحتماء والسكون ... وحتى تضمحل فيه الاخلاق الذميمة مثل الكبر والعجب والبخل والحسد والحقد والحرص ... (٤٠) .

١٧ ــ العلم :

يقسم عبد القادر العلم الى فرعين :

أ ــ علم الاحكام الشرعية وما يتفرع منه من علم الحلال والحرام ، ومعرفة الكتاب والسنة . وهو علم يتوجب على جميع المسلمين . ويمكن تحصيل هذا العلم مع محبة الدنيا ؛ لأن حب الدنيا ، في رأيه ، يساعد على اكتساب هذا النوع . فالنفوس جبلت على محبة الجاه والرفعة ، وهي لذلك تتحمل المشاق من سهر الليالي ، وصبر على الغربة .

ب ــ علم الاذواق : وهو ينتج عن العمل بالعلم الشرعي السابق مع التقوى .

يرى الشيخ أن اساس هذا العلم وهب الهي ، ولا يستطيع الانسان ان يصف هذا العلم لأن شعاره : « من ذاق عرف » (٤١) .

وقد سار على طريقة الشيخ عدد من ابنائه منهم :

٢ ــ احمد الرافعي :

وهو اكبر اخوته ، ولد بطرابلس ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م . حفظ القرآن على حسن الحافظ المصري ، وقام بمجاهدات . فقد كان يلبس جبة من صوف غليظ ، ويمضي ثلاثة اشهر من كل عام (رجب ، شعبان ، رمضان) في حجرة داخل منارة الجامع الكبير ، كما كان يفعل والده عبد القادر . فكان احمد يتعبد ربه ويعيش على الكعك اليابس والماء .

اشتهر احمد بتحمله للامراض وللبلايا ، فقد ظل مريضا سبع سنوات متوالية . ومع ذلك كان لا يفتر عن تلاوة القرآن واوراد الطريقة . توفي عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م ودفن بالقرب من والده عبد القادر (٤٢) .

٣ ــ مصطفى بن عبد القادر الرافعي :

ولد بطرابلس . ورباه والده ليكون خليفته في الطريقة الخلوتية . ولما كبر ارسله الى الازهر لمتابعة التحصيل فتلقى العلوم والمعارف ، وسلك الطريقة الخلوتية هناك على يد احمد الصاوي (٤٣) ، وقد سافر الشيخ مصطفى الى استنبول للوعظ والارشاد . كان مصطفى جريئاً على اصحاب النفوذ والسلطان ، ورفض ان يكون قاضياً ، لأن القاضي ، آنذاك ، كان يتقاضى مرتبه من الرسوم التي يدفعها اصحاب الدعاوى وليس من بيت المال .

ولما رجع الى طرابلس أخذ ينشر فيها علومه ومعارفه ويهتم بتسليك المريدين ، فانتفع به الكثير من ابناء مدينته وغيرها من المناطق المجاورة .

كان مصطفى مواظبا على قيام الليل والاعتكاف في المسجد بعد صلاة الفجر الى

ارتفاع الشمس . ثم يصلي صلاة الضحى وينصرف الى عمله . توفي عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م تاركاً عدة مؤلفات تناولتها يد الضياع (٤٤) . وقد تولى ابناؤه مراكز رفيعة في الديار المصرية .

٤ ـ محمد بن مصطفى الرافعي :

ولد بطرابلس . وفيها تلقى علومه ، فمهر في مختلف العلوم . ونال الاجازة في الطريقة من والده . ثم هاجر الى مصر عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م للالتحاق بالجامع الازهر . وهناك تلقى العلوم على كثير من العلماء ، ولازم حلقة الشيخ التميمي الداري . مفتي مصر آنذاك . فأخذ عنه الفقه وبرع فيه .

اجتهد الشيخ محمد في نشر المذهب الحنفي . فقد كان مئتا تلميذ ، جلهم من السوريين والاتراك . يحيطون بعدة علماء احناف مصريين . فلم يكد محمد يتصدى للافادة حتى اقبل عليه جميع هؤلاء الطلبة على اختلاف مراتبهم في العلم . وقد اعترف له العلماء بالنبوغ ، فصار مرجعهم في حل المشكلات الفقهية . وكان يقرأ في اليوم الواحد دروساً مختلفة . من مطولات الكتب ومختصراتها حتى ينتفع به المبتدئون . وظل يترقى حتى اصبح شيخ الاحناف . وكل من نهج طريق الحنفية من بعده كان من تلاميذه أو ممن تلقى عن تلاميذه الازهريين . ومن هؤلاء التلاميذ : حسين الطرابلسي ، صالح قراقوش ، عبد الرحمن البحراوي ، حسنين الملط . مصطفى القرشي ، حسين الخليلي ، احمد الرافعي قاضي مديرية الجيزة (ت ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م) احمد المنزلجي . . .

ومن اعمال محمد لخير الازهريين انه سعى لدى الامراء واهل السعة في ترتيب المرتبات لهم ، اذ لم يكونوا ينالون من قبل الا ما هو دون الكفاف . وكانت مناصب القضاء والافتاء ليس لها قاعدة يرجع اليها في تعيين من يترشح لاحدها . ولم تكن مقيدة بمذهب الحنفية . بل كثيراً ما كانت تسند الى غير الاكفاء فيقع من ذلك الاضطراب في الاحكام ، وتلتبس الامور . لأن الواقعة الواحدة قد تتحمل اراء كثيرة من المذاهب المختلفة . فبذل محمد كل ما في وسعه ، وساعده علماء وقته من اهل المذهب الحنفي حتى جعلوا لهذا المذهب اهمية في اساس النظام الشرعي بمصر .

ولما افلح في مسعاه ، انتشر اكثر تلامذته في مراكز الافتاء والقضاء في مصر ، فبثوا في الناس ما اخذوا من علمه وما استفادوا من فتواه . واقبل الطلبة على المذهب الحنفي حتى صار عددهم يزيد على نصف طلبة الازهر .

وبعد وفاة شيخه التميمي عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م تولى محمد مشيخة رواق الشوام ، واسندت اليه بعد ذلك نيابة الحكم في محكمة مصر الشرعية الكبرى . والعضوية في المجلس العالي الملكي الذي انشأه محمد على باشا . راس العائلة العلوية عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م . ثم عين عضواً في مجلس الاحكام ، الذي كان يتألف من سبعة اعضاء من الكبراء . وعالمين احدهما حنفي والآخر شافعي . وبقي هذا المجلس حتى

ظهرت المحاكم الاهلية فألغي . وكان من اختصاصه النظر في المسائل الكبرى . ثم تولى محمد الافتاء في ديوان الاوقاف ، وبقي في منصبه هذا حتى وفاته عام ١٢٨٠م/١٨٦٣م .

من تآليفه : الاجوبة الشهيرة على المسائل اليمنية التي ارسلت اليه من بلاد اليمن (٤٥) .

وقد رثاه عدد من الشعراء والمشايخ منهم احمد ابو العز :

« امام الانام الرافعي الذي غدت فضائله في الغرب والشرق تنتشر
كسا الازهر المعمور انوار حكمة فارجاؤه من درسه تتنور
فيا بقعة اضحت بآثار علمه تنير ومن انفاسه تتعطر
ويا روضة في ازهر العلم درسه بجملة انواع الافادات تزهر
لقد فاق فضل الاقدمين وان أتى اخيراً وما ضر المزايا التأخر
اكب عليه الناس في العلم فانتهى له مفزع الفتوى فزال التحير
ووافاه من فتح القدير عبابه فتم له في هذا العلم التبحر

الى ان يقول :

وادراك امر الرافعي في كماله لعمري لا يرجى ولا يتصور » (٤٦) .

٥ ـ عبد القادر الرافعي (الثاني) :

ابن مصطفى . ولد بطرابلس عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م . حفظ القرآن والمتون ، واخذ مباديء العلوم من علماء بلدته ، ونال الاجازة في الطريقة من والده . وقد لاقى عبد القادر التشجيع من والده ومن جده لامه ، رشيد الميقاتي الخلوتي ، لمتابعة التحصيل في الجامع الازهر ، حيث كان شقيقه محمد يلقي دروساً هناك . فامتثل لاوامرهما ودخل الازهر في العشرين من ذي القعدة عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م . واكب على طلب العلوم .

فاخذ الفقه عن اخيه محمد ، والحديث والتفسير والمعقول عن المشايخ : ابراهيم الباجوري ، ابراهيم السقا ، الامام البلتاني ، القلماوي ، محمد الاشموني ... وكان عبد القادر يميل الى الخلوة بنفسه فلا يخالط الناس الا لضرورة ، ولا يجتمع باحد الا مستفيداً . فكان لا يعرف من الحظوظ الا طلب العلم فمهر في شتى العلوم . ومع اشتغاله بطلب العلم كان عبد القادر ملازماً للادعية المأثورة عقب الصلوات وفي اوقات الفراغ .

وابتداء من سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م تصدى عبد القادر للتدريس في الازهر فأقبل عليه الطلبة . وبوفاة شقيقه محمد عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م خلا منصبا مشيخة رواق الشوام وافتاء ديوان الاوقاف ، وكثر امل الآملين في هذين المنصبين . لكن الخديوي اسماعيل اسند هذين المنصبين الى عبد القادر وجعله عضواً في مجلس الاحكام مع حداثة سنه بالنسبة لغيره من العلماء . وقد اشتهر عبد القادر بحبه الشديد لتلامذته

ومريديه (٤٧) .

ومكث في افتاء الاوقاف اثنتي عشرة سنة . لا يحابي احداً . ولا يعرف في الحق غير الحق . كما ذكروا عنه . فكان ينتصف للشرع . وكان لافتاء الاوقاف . على عهده . الكلمة العليا . والقول الفصل . فكانت تأتيه المادة من المحاكم ليرى فيها رأيه ومعها من فتاوى العلماء وآرائهم المتضاربة ما يغشي الحق تغشية . فكان ينفض عنها غبارها . ثم ينظر اليها بعين الشرع والمنطق فلا يخطيء الحكم . كما يعبرون . وكثيراً ما وقع النزاع بينه وبين المفتين (٤٨) .

ولقد حاول البعض من ذوي النفوذ في القصر الملكي تغيير اعتقاد قادة مصر . آنذاك . في الشيخ عبد القادر . فلم ينالوا شيئاً حتى ان الخديوي اسماعيل . عندما شكل محكمة مصر الكبرى الشرعية . جعل الشيخ رئيساً لمجلسها . فظل في هذا المنصب حتى عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م . الأمر الذي اتاح له متسعاً من الوقت . فعكف على الدرس والتأليف منقطعا عن الدنيا مقبلا على الله حتى صدر الأمر الرسمي بتقليده منصب الافتاء للديار المصرية . وهذا نص التكليف :

حضرة الاستاذ الشيخ عبد القادر الرافعي .

انه لخلو وظيفة افتاء الديار المصرية . ولما هو محقق لدينا في فضيلتكم من العالمية والاهلية قد وجهنا لعهدتكم الوظيفة المشار اليها . واصدرنا امرنا هذا اليكم للعلم به والقيام بما تستدعيه هذه الوظيفة المهمة من الاعمال بما هو معهود فيكم من الدراية والامانة .

الامضاء
عباس حلمي (٤٩) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الرافعي وصل الى مركز الافتاء بعد وفاة محمد عبده مباشرة .

ظل الرافعي في منصبه حتى وفاته عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م . وقد ودعته الالوف من المصريين في موكب مهيب . شاركت فيه الحكومة المصرية . ودفن بالقرب من ضريح شيخ الاسرة الرافعية محمود الكردي الخلوتي وحيث دفن شقيقه محمد (٥٠) .

وقد رثاه كبار العلماء والشعراء ومشايخ الطرق في مصر . وفي طليعتهم محمد توفيق البكري شيخ الخلوتية وشيخ مشايخ الطرق الصوفية :

« ايها الحبر حبر مصر لقد فـ ... ـت منال الرثاء والتأبين
غير بدع اذ غبت في الترب عنا ... رب كنز تحت التراب دفين
يا سقى الله مهجة دفنوها ... ملأت دهرها بعلم ودين (٥١) .

وقال شاعر مصر حافظ ابراهيم :

يا دهر حسبك ما صنعت بأهل ذاك الجامع
ادميت عين الدين والدنيا بخطب فاجع
فبدأته بمحمد (٥٢) وختمته بالرافعي (٥٣) .

اما في مسقط راسه طرابلس فان شعراء المدينة . واغلبهم من تلاميذه . سارعوا الى اعلان تأثرهم ومنهم حسين الجسر الذي نظم قصيدة طويلة في رثائه :

« كل حي مصيره للممات غير رب الورى تديم الذات
انما هذه الحياة ممر لمقر فاهزأ بهذي الحياة

الى ان يقول :

شيخنا الرافعي قطب اولى التحقيق نور الارشاد في الكائنات
كان حقاً مفتاح خيرات طه وهو كشاف تلكم المعضلات
غاب عنا ملاذنا الغوث عبد القادر الكريم الصفات
فعليه الاله في كل آن واوان يفيض بالرحمات
وحباه الفردوس دار مقام في جوار الكريم محيى الرفات » (٥٤) .

وكتبت عن سيرته وخدماته مختلف الجرائد والمجلات العربية والفرنسية والانكليزية منوهة بالتحسينات التي ادخلها على الجامع الازهر .

. وقد بين عبد المجيد المغربي الجهود التي بذلها عبد القادر في نشر المذهب الحنفي وفي تربية وتعليم اتباع هذا المذهب من الازهريين ، وذكر زهده وتصوفه . داعياً ابناء الفيحاء للافتخار بهذا العلم الذي اغتصبته مصر ، فجعلته بعيداً عن مسقط راسه كما فعلت بالعديد من ابناء طرابلس . ويخلص المغربي الى دعوة ابناء الشيخ ومريديه الى الاقتداء به والنسج على منواله . والى مثل هذا يذهب حسين الجسر وعبد الكريم عويضة وعلي المرتضى الزعبي شيخ الجامع الكبير والشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة الحقوق ببيروت عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م ومصطفى نجا البيروتي ... وغيرهم من الذين تخرجوا على يديه أو الذين كانت تربطه بهم صداقة أو الذين وقفوا على اصلاحاته فاعجبوا بها (٥٥) .

قام عبد القادر بتربية عدد كبير من العلماء الذين تقلدوا ، بعد تخرجهم المناصب العالية في القضاء والافتاء والتدريس منهم عدد من المصريين والسوريين و ... ومن اسرته الرافعية : شقيقه عمر (٥٦) الذي تولى امانة فتوى الديار المصرية والمتوفي ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م . عبد الرحمن الرافعي مفتي الاسكندرية وصاحب الفتاوى في فقه الحنفية . توفي ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م .

محمود سعيد الرافعي الملقب بالصوفي لزهده وعبادته ، مفتي الجيزة ، توفي ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م . محمد علي الرافعي الشهير بالولي ، صاحب كتاب « التقرير الفائق

على متن الاشباه والنظائر » في فقه الحنفية توفي ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م .

احمد الطيب الرافعي مفتي شبين الكوم وصاحب التصانيف العديدة . منها « دقائق الافكار على رد المحتار » وهو في خمسة مجلدات .

محمد طاهر الرافعي قاضي كفر الزيات . توفي ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م . عبد اللطيف الرافعي قاضي مديرية الغربية . وغيرهم كثير (٥٧) .

كان الشيخ يحث مريديه وتلامذته على التحلي بكل ما هو حميد . فكان يشجعهم على احترام مشايخهم واساتذتهم وتعظيمهم . اذ كان هو نفسه ، كما يروى عنه ، متأدباً مع مشايخه . فاذا اجتمع باحدهم سارع الى تقبيل يده والوقوف امامه وقفة التلميذ امام معلمه . وكان يكره لهم الغيبة والنميمة والتنافر . ويأمرهم بالبعد عن الفتن واهل الباطل ، ويحبب اليهم الكرم والسخاء نحو بعضهم البعض ونحو المستضعفين . ومما يؤثر عنه انه فتح منزله كمأوى للمساكين والفقراء والاغراب ، يتعهدهم بنفسه ويحثهم على الحضور في اوقات الطعام ويرسل في طلب من تخلف منهم (٥٨) .

٦ ــ محمود الرافعي (ابو الانوار):

ابن عبد القادر الأول . ولد بطرابلس وفيها تلقى علومه الاولى على علمائهـــا المشهورين ، ومنهم والده . ولما شب ارسله والده الى مصر للدراسة في ازهرها وللتتلمذ والسلوك على يد الشيخ الصاوي الخلوتي . ولازم محمود شيخه مدة طويلة . وكانت لهذا الشيخ عناية فائقة بمريده . وقبل ان يمنحه الاجازة في الطريقة ، كان لا بد لمحمود من ان يمر بعدة تجارب روحية . فلما امره شيخه بدخول الخلوة ، وجد محمود أنه ليس متجرداً تماماً عن العلائق الدنيوية . فاستأذن من شيخه للعودة الى طرابلس حيث باع جميع املاكه ووزع ثمنها على الفقراء والمحتاجين ، وقفل راجعاً الى خلوته بمصر يدخلها ناسكاً زاهداً في متاع الدنيا ، متوجهاً الى الله .

وقد ازداد اعجاب شيخه به فمنحه الاجازة في الطريقة ، وأذن له بتسليك المريدين وتربيتهم وفق شروط الطريقة الخلوتية ولقبه بابي الانوار (٥٩) . وكان الصاوي يقول : « ربيت ولدي محمود لبر الشام » وقد زوجه الصاوي بابنة اخيه التي رزق منها بعدة ابناء كانوا ايضاً من مشايخ الخلوتية المشهورين (٦٠) .

عاد محمود الى طرابلس يشتغل بالوعظ والارشاد ، فأنشأ زاوية للخلوتية في حي النوري ، القريب من الجامع المنصوري (٦١) . وكان يقيم حلقات الذكر فيها . ونقل عنه انه كانت تنتابه حالات من الجذب فيتجرد من ثيابه ولا يبقى عليه الا مرقعة اهداه اياها الشيخ سليم الدجاني ، ويذكر الشيخ حسين الجسر ان هذه المرقعة كانت لا تزال في ايامه مجالا للتبرك (٦٢) .

ونشأت بين الشيخ محمود والشيخ محمد الجسر الخلـــوتي الطرابلسي صداقة حميمة . فقد كان الشيخان يداً واحدة في اقامة الاذكار وقراءة الاوراد ، وكانا يذهبان

الى اسكلة طرابلس لاقامة الاذكار في بعض زواياها . وكان الشيخان يترددان على سواحل سورية لينشرا الطريقة الخلوتية التي اصبح لها بفضلهما مريدون في منطقة عكار وفي اللاذقية وبيروت وصيدا وعكا ودمشق . . . فتعددت زوايا الخلوتية في تلك المناطق ؛ تقيم اذكار الطريقة وتواظب على قراءة الاوراد الخلـوتية لا سيما صلـوات الشيخ الدردير (٦٣) ومنظومته (٦٤) .

وكان الشيخ محمود يعين خليفة له في كل مدينة يكثر فيها مريدوه ويأذن لهذا الخليفة بأخذ العهد وارشاد السالكين . ومن اشهر هؤلاء : محي الدين الفاخوري البيروتي (ت حوالي ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م) زكريا كنعان في صيدا (ت حوالي ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) . . . وقد كان في صيدا وحدها عدة زوايا للخلوتية انشأها مريدو الشيخ محمود .

وكان من عادة الشيخين (محمود الرافعي ومحمد الجسر) ان يخرجا لزيارة الحرم القدسي وغير ذلك من مقامات الانبياء والصحابة والأولياء في بقاع فلسطين فينطلقان من طرابلس الى بيروت مع جموع غفيرة من اتباعهما ويتوجهان الى يافا حيث ينضم اليهما بعض خلوتية صيدا ويافا ويتوجهون جميعاً الى القدس فالخليل فاللد والرملة . . . ولقد درج الشيخان على تسمية تلك المناطق بـ بلاد الفتوح . وفي اثناء هذه الزيارة كان الشيخان يجمعان هدايا وافرة من ثياب وامتعة وأغذية يوزعانها على فقراء ودراويش تلك المنطقة (٦٥) .

ومما يذكر ان الشيخ محمود كان قد فر من طرابلس عند دخول جنود ابراهيم باشا (٦٦) فالتجأ الى عكار والضنية ، يختبيء عند بعض مريديه . ثم ركب سفينة نقلته من القلمون الى قبرص فالاستانة . ولما بلغه عفو الباشا عاد الى طرابلس ليمارس تربية مريدي الخلوتية (٦٧) .

وبعد سنوات طويلة قضاها في الزهد والتسليك توفي ابو الانوار عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م . بوافدة الهواء الأصفر (كوليرا) ودفن بزاويته في حي النوري ، حيث لا يزال مقامه الى الآن يقصد ويزار .

كانت لابي الانوار بعض الآثار الادبية لا سيما في الشعر لكن لم يعثر على شيء منها (٦٨) .

شارك ابو الانوار عبد القادر الدجاني ، شيخ الخلوتية في حيفا ، بتأليف كتاب « روضة الافراح والاسرار » وهو كتاب يجمع اسماء الصحابة الذين شاركوا في معركة بدر ، وذلك على حروف المعجم . فكل اسم يقرن بصلاة وسلام على الرسول . وتنتهي هذه الصلوات بدعاء . وقد جرى تقديم المهاجرين على الانصار (٦٩) .

ومن بعده قام ابناؤه ينهجون نهج والدهم ويسهمون في نشر الخلوتية بين ابناء الفيحاء ، لا سيما عبد الرزاق وعبد القادر . قام الشيخان باستلام الزاوية وتربيـة

المريدين . وقد تتلمذ الشيخان على يد محمد الجسر ، صديق والدهما ، في المدرسة الرجبية قرب الجامع المعلق . توفي عبد القادر عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م ودفن بجوار ابيه في الزاوية (٧٠) .

اما عبد الرزاق فقد كان على اتصال بالمشايخ الذين نالوا الاجازة من والده ، سواء في طرابلس ام في عكار ام في صيدا ومناطق فلسطين . ذلك أنه كان يرافق والده والشيخ محمد الجسر في زيارة الاماكن المقدسة في فلسطين ، والاجتماع بمشايخ الخلوتية هناك . وقد جاور في الازهر مدة ، تلقى خلالها العلوم الشرعية من كبار مشايخ هذا الجامع . وهناك صادق على اجازته بالطريقة الخلوتية كل من الشيخين محمد حسين المكي الكتبي ، وابراهيم الباجوري . وقد ذكر عبد الرزاق اسماء الكتب التي اجازه فيها كل شيخ . ومن بعده سار اولاده على نهجه في مشيخة الخلوتية وهم :

حامد ، ابو الفتوح ، مواليد ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م .

عبد الرحمن ، ابو الهدى ، مواليد ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م .

محمد بدر الدين ، مواليد ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م (٧١) ، وصاحب كتاب « بديع التحبير شرح ترجمان الضمير » وهو شرح لبديعية الشيخ عبد القادر الادهمي الطرابلسي في مدح الرسول . يبين بدر الدين انه اختار هذه البديعية لما تحويه من اسرار البلاغة ، وصنوف البيان ، ما لا يوجد في سواها . وقد ذاع صيتها وتمنى كثير من المهتمين بالاداب وضع شرح لها (٧٢) . وفي ذلك يقول بدر الدين : « فانتدبت نفسي ، وان كنت بعيداً عن هذه المناهل ، لوضع شرح لهذا المتن الذي هو بمديح سيد الاواخر والاوائل ، وسلكت بايجازه اقرب باب ، وانتقيت من فنونه خالص اللباب . وقد جاء مع الزيادة ، على ما تضمنته من الانواع البديعيات ، بحجم صغير جميل مستوفي ايضاح الحدود وحسن الشواهد وبديع التمثيل » (٧٣) . وللشيخ بدر الدين شعر غزير في مختلف موضوعات الشعر .

٧ ــ عبد الغني الرافعي (الأول) :

ابن احمد بن عبد القادر الأول . ولد بطرابلس عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م ونشأ في حجر والده احمد الذي كان يعتبر بركة طرابلس ، في عصره ، لما اشتهر به من زهد وتقوى وعلم وفضل . حفظ عبد الغني القرآن على الشيخ مصطفى الحفار ، وأخذ العلم عن علماء طرابلس المشهورين كالشيخ اعرابي الزيلعي ونجيب الزعبي القادري الذي أخذ عنه اكثر العلوم العقلية والنقلية وفنون الادب . ثم قرأ البيضاوي في تفسير القرآن على اسماعيل الحافظ الخلوتي . وبرع بالفروسية والرمي وضرب السيف .

وبعد ذلك رحل الى دمشق وأخذ عن مشاهير علمائها كعبد الرحمن الكزبري الذي أخذ عنه الحديث وعبد الله الحلبي الذي أخذ عنه الفقه والتفسير ... وتوجه بعد ذلك

لاداء فريضة الحج ، فقرأ هناك على الشيخ محمد الكتبي مفتي مكة الذي اجازه اجازة عامة في مختلف العلوم العقلية والنقلية .

ولما رجع الى طرابلس سلك الخلوتية على يد رشيد الميقاتي الامام والمؤقت في الجامع المنصوري الكبير ، فلازمه وانقطع اليه حتى نال الاجازة في الطريقة . وبعد ذلك انصرف عبد الغني الى قراءة الدروس ونشر علوم الدين والتصوف والادب (٧٤) .

كان لعبد الغني منزل قرب الجامع الكبير حيث كان يخرج مع ابنائه لاداء صلاة الفجر ، وبعدها يتلو اوراد وصلوات الخلوتية في الغرفة المخصصة له بالجامع المذكور . وقد وصفه تلميذه رشيد رضا بانه كان : « آية في الذكاء والهمة . طلب العلوم العربية والشرعية ففاق فيهما الاقران . وسلك طريق الصوفية ففاق اهل العرفان ، وانما سلكها بالمجاهدة العملية دون الرسوم والمظاهر الصورية ، فكان من اولي الفرقان في درجات العرفان ، بعد ان قطع المراحل متنقلا في المنازل حتى ذاق طعم الفناء ، وبلغ حال الجمع ثم ارتقى مقام الفرق بحكم الشرع » (٧٥) .

يروي عبد الغني قصة سلوكه الخلوتية . فيذكر أنه كان قد ظل مدة طويلة في خدمة رشيد الميقاتي الخلوتي الطرابلسي قبل ان يعاهده على الالتزام بمباديء الخلوتية . وعندما لقنه رشيد الذكر الخلوتي ، انطلق عبد الغني يواظب على الصيام والقيام والنوافل واوراد الطريقة ومجالسة السالكين ومحبة الفقراء وخدمتهم وايثارهم ... وبلغ من اعتناء شيخه به ونصحه له انه كان يعلمه كل ما يحتاج اليه من العبادة وتلاوة القرآن وتصحيحها وتجويدها . وعندما سمع من شيخه أن الطريقة الخلوتية تقوم على العلم ، تعلق عبد الغني بطلب العلم . لكن احواله تغيرت بسبب مخالطة طلبة الزمن ، كما يسميهم ، حتى انه وصل الى حد الانكار على اهل الطريق (٧٦) .

وبعد وفاة والده ، واشتغاله بالتدريس ، عاوده الحنين الى محبة الصوفية ، ورأى نفسه لابساً ثوباً وسخاً ، بسبب الاوصاف الرديئة (كبر ، عجب ، حب شهرة ...) . ورأى تدريسه وتعليمه سيئات لعدم الاخلاص . فعاد الى الاشتغال بالذكر الخلوتي الى جانب التدريس ؛ فكان يذكر بـ « لا اله الا الله » كل يوم ثلاثة الاف مرة . واخذ يقوم بالرياضات والمجاهدات التي يطلبها منه شيخه الميقاتي (٧٧) .

وقد نصبه شيخه خليفة له من بعده ، وذلك عندما أمره بأخذ العهد على المريدين ازاء منبر الجامع الكبير ، وقد درج عبد الغني على تلك العادة مع كل مريد يجيزه وهو يردد : « هكذا جلست وهكذا جلس شيخي الرشيد على هذه الصورة وفي هذا المكان » (٧٨) .

وقام عبد الغني بعدة زيارات لعاصمة السلطنة ، حيث اتصل بشيخ الاسلام وبعبد الله باشا والي عكا وغيرهما من مشاهير اركان الدولة . وهنأ السلطان عبد المجيد بمولود فكافأه السلطان بهبة وبمرتب شهري مدى الحياة . وكان حيثما حل يقابل

بالاعجاب والتقدير لسعة علمه واطلاعه وتقواه . وقد قامت بينه وبين الشريف محمد بن عون امير مكة صداقة متينة . وكان الشريف منفياً الى استنبول منفصلا عن امارته .

وقد انشده الشيخ قصيدة مطولة يذكر فيها مناقب آل البيت ويبشره بقرب العودة الى مكة لتولي امارتها (٧٩) .

« يا بني البيت والحطيم وانـ — وار المقام الكريم في محرابه
لا يرعكم عنه البعاد قليلا — اي ليث ما غاب عن حصن غابه
اي سهم ما فارق القوس يوماً — وحسام لم ينتض من قرابه
اي عار في فرقة الدار يوماً — بعد اسفار جدكم واغترابه
هذه سنة المعالي السنا — ننظر البدر سائراً في قبابه
قد تسام العقود اسوء فرط — ليعاد النظام ابهى مشابه
مع ان المأمول من كرم اللـ — ـه واحسانه وجود جنابه
ان يرد التهاف مكة والبيـ — ـت ويرثى لحزنه واكتئابه
ويجيب الدعاء مناً ولطفاً — ويعيد الحبيب مع احبابه » (٨٠) .

وحينما عاد الى طرابلس تولى عبد الغني الامامة لفترة وجيزة في المدرسة الحجيجية الواقعة في سوق النحاسين بطرابلس ، والتي يعود بناؤها الى اواخر عهد المماليك . ولما تسلم راشد باشا ولاية طرابلس امر أن ينتخب للمدينة مفتي جديد بطريقة الاقتراع السري ، فوقع اختيار العلماء والفضلاء على الشيخ عبد الغني . وكانت تتوارد عليه الاسئلة من جميع البلاد الاسلامية ، فكان يجيب عليها بما يوافق الشرع . وفي تلك الاثناء حبب اليه زيارة القدس والخليل فزارهما عدة مرات (٨١) .

بقي عبد الغني ثلاث سنوات مفتياً لطرابلس . وعلى اثر وشاية اوقع الوشاة فيها بينه وبين متصرف طرابلس ، ترك الافتاء وغادر طرابلس الى مصر حيث اتصل بعلماء القطر فاعجبوا به ولقبوه بعالم بر الشام . وفي طليعة هؤلاء ابراهيم السقا شيخ الجامع الازهر آنذاك . ومن هناك توجه الى استنبول حيث قلده شيخ الاسلام نيابة تعز باليمن . وكانت اليمن مركز اضطرابات وثورات ضد الدولة العثمانية . فكانت القبائل تتخلى عن عصيانها اثر اتصال الشيخ بها . وخلال السنتين اللتين قضاهما في اليمن لم تحصل معارك تذكر بين عساكر الدولة العثمانية واهل اليمن (٨٢) .

وقد تأثرت شخصيته بما اطلع عليه هناك من مختلف المصنفات الموجودة في خزائن صنعاء ، ومن مناظرة علماء الزيدية . ذلك انه كلما حل ببلدة كان يحيي فيها المجالس العلمية . ويحضر مجالس علمائها فيمنحهم من علمه الواسع ويستفيد من افكارهم . وعندما رجع الى طرابلس عاد بعلم جديد تفتقر اليه المدينة الا وهو الاستقلال الاجتهادي في العلم وفقه الحديث .

وكان عبد الغني يقيم حلقات الدرس في بهو داره القريب من الجامع الكبير .

وكان يأتي لحضور درسه خيرة طلاب المدينة (٨٣) .

وفي اواخر ايامه غلب عليه التصوف فترك الوظائف والمناصب وانقطع للعبادة (٨٤) . فكان بذلك متأثراً بحياة ابي حامد الغزالي حيث كان عبد الغني يقبل على مطالعة كتبه لا سيما الاحياء والمنقذ من الضلال .

« كان عبد الغني في آخر عهده محدثاً فقيه النفس صوفياً مصفى من آفات النفس ، ولم يكن في يوم من الايام صوفي تقاليد وحلقات اذكار وسماع دفوف أو اوتار . وانما تصوفه علم واخلاق . كان من ازهد الناس في الدنيا بقلبه ، واصدقهم توكلا على ربه على كونه اطيبهم عيشاً في مطعمه ومشربه ولباسه وزينة داره . وكان ، كما يذكرون عنه ، اشد الناس تواضعاً للفقراء ، فكان يضع يده في يد من يعاشرونه من الفقراء كالشيخ صديق الافغاني ويماشيه في الاسواق ويذاكره في آفات النفس والمعرفة وفلسفة الاخلاق . . . مذاكرة الاقران للاقران » (٨٥) .

وظل عبد الغني في انقطاعه للعبادة حتى وافاه الأجل ، في مكة ، بعلة الهواء الأصفر (كوليرا) عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م . ولما انتشر خبر وفاته عم الأسى والحزن سائر طبقات المدينة .

وقام برثائه جماعة كبيرة من علماء طرابلس ومشايخها المشهورين ، منهم حسين الجسر :

خطب له ركن هذا الدين قد صدعا وحادث منه قلب الفضل قد خلعا
علامة الوقت مولانا الذي شهدت له الانام بفخر قط ما سمعا
ما بين فضل البخاري الذي اتسعا وفقه نعمان هذا البحر قد جمعا
وبين علم الجنيد المنتشي ورعاً وما البديع من الآداب قد بدعا
يا أفقه الشعراء المعتلي ادباً واشعر الفقهاء المتلي ورعا (٨٦) .

وتلميذه رشيد رضا :

طوبى لمن بجوار الله قد نزلا وقد تبوا من جناته نزلا
لهفي ولهف جميع المسلمين على محيى الشريعة رب الفضل والفضلا
من أيد السنة السمحاء بحكمته المثلى وللبدعة السوداء قد خزلا
من كان ينهي عن العصيان منتهياً وكان يأمر بالمعروف ممتثلا (٨٧) .

ورثاه ابنه عبد الحميد الرافعي بلبل سورية بقصيدة مطولة جاء فيها :

يا منتقى علماء الارض قاطبة ومن به يتباهى الفضل والفطن
لله كم لك في نشر العلوم يد بشكرها يتواصى السر والعلن
وكم لعلياك في الفتيا مآثر لا تفنى وكم لك في فصل القضا منن
وكم وكم لك في الاحكام من حكم بذكرها يتناغى الشام واليمن
قد كنت بين رجال العلم منفرداً بنصره اذ عاثت به الفتن
وكيف تبغي هوى نفس وانت على شريعة المصطفى الغراء مؤتمن
شمائل جدك الفاروق اورثها بحسنها كل من في الكون مفتتن (٨٨) .

ترك عبد الغني عدة تآليف وشروحات منها :

أ ــ كتاب « الفتاوى » وهو يتضمن اجوبته على الاسئلة الشرعية التي كانت ترد اليه ايام وجوده في مركز افتاء مدينة طرابلس .

ب ــ كتاب « اسرار الاعتبار فيما اودعه الله تعالى من الحكم في الاشجار » .

ج ــ تعليقات على حاشية ابن عابدين في الفقه .

د ــ رسالة نحوية في مئة سؤال .

هـ ــ شرح على بديعية الصفي الحلي في الادب في مجلد ضخم .

و ــ رسائل في فنون شتى ومقالات بديعة في مواضيع متنوعة .

ز ــ اشعار في غاية الرقة والانسجام (٨٩) .

وله اشعار كثيرة في مدح الانبياء والصالحين . فقد كان كثير الترحال ، وكلما وصل الى مكان فيه ضريح نبي أو ولي قصده ونظم شعراً في مدح صاحبه . وقد خص شيخه الميقاتي بالعديد من قصائده ، مادحاً وراثياً ومؤرخاً لولادة ابنائه ...

قال في مدح الرسول (ص) :

لفتات الظباء في سفح رامه ... قد اثارت من الفؤاد غرامه
ووميض البروق من نحو سلع ... اقعد الشوق في الحشا واقامه
كلما لاح بارق من حماكم ... قابلته اجفانه بغمامه
واذا جال فكره في لقاكم ... مال سكراً له بغير مدامه .

وفي قصيدة اخرى :

يا آل ودي انتم كنز الرجا ... وببابكم ابداً محط رحاله
يا آل ودي انتم روض الوفا ... تتفيأ الآمال تحت ظلاله (٩٠) .

وهنأ الرافعي شيخه الميقاتي بولادة ابنه خير الدين :

ابو الفضل والارشاد بدر سما العلا ... ونور ضياء الكون عند ظلامه
له المنهل العذب الذي ساغ ورده ... فلا تنكروا في الناس فرط زحامه
فيا ايها المولى الرشيد لك الهنا ... بشبلك خير الدين غيث ركامه
وما الرافعي وافى يؤرخ قائلا ... ليهنا بخير الدين بل بامامه (٩١) .

وكان الرافعي سريع الخاطر في النظم ، لا يتكلف اليه كبير وقت وعناء ، وشعره ليس عليه شيء من التكلف والتأنق سواء في الالفاظ أو في المعاني ، بل يترك نفسه على سجيتها لتعبر اصدق تعبير عن مشاعره واحاسيسه (٩٢) .

وللشيخ عبد الغني الرافعي كتاب مخطوط في مكتبة حفيده الشيخ عصام جمع فيه قصائد الشيخ مصطفى البكري الخلوتي ونصائح عديدة تلقاها الرافعي من شيخه الميقاتي وقد ضمنه الكثير من ابيات الشعر في شتى موضوعات الزهد والتصوف والتمسك بالسنة والاقبال على المولى عز وجل بالذكر والعبادة ... وفيه قصائد في مدح ابي الانبياء

ابراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وغيرهم من الانبياء والصالحين .

ففي الحث على التسبيح :

قسم الاله الأمر بين عباده ... فالضب يشدو والخلي يسبح
ولعمري التسبيح خير عبادة ... للناسكين وذا لقوم اصلح .

وقال في الذكر :

اذا ذكرتك كاد الوجد يقتلني ... وغفلتي عنك احزان واوجاع
وصار كلي قلوباً فيك دائمة ... للسقم فيها وللآلام اسراع

وفي حنينه الى زيارة قبر المصطفى قوله :

اذا ما حدا الحادي باحمال يثرب ... فليت المطايا فوق خدي تعنق
فما عبق الريحان الا وتربها ... أجل من الريحان طيبا واعبق
نسيم قبر النبي المصطفى لهم ... روض اذا نشروا من ذكره فاحا .
اتيتك زائراً ووددت اني ... جعلت سواد عيني امتطيه
ومالي لا اسير على المآقي ... الى قبر رسول الله فيه

ولما وقع بصره على القبر الشريف جاشت نفسه بالابيات التالية :

ايها المغرم المشوق هنيئاً ... ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا ... طالما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجاً ... وجميع الاشجان والاشواق
ومر العين ان تفيض انهمالا ... وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق

وفي قصيدة مطولة مدح فيها السيد احمد البدوي شيخ الطريقة البدوية جاء قول عبد الغني :

يا بارقاً هيج الاشجان والطربا ... اليك قلبي المعنى هام واضطربا
ويا صبا طندتا الساري على مهل ... اذكيت منه لاعج الاشواق بي لهبا
دعوتني وديار الشام لي وطن ... لارض مصر اجد السعي والطلبا
وقدتني بزمام الحب منشغفاً ... حتى انتهيت لمغنى سيد النجبا
اعفر الخد في الاعتاب تكرمة ... والثم الترب منه ذاك الحمى ادبا
واحتسي منه حميا القرب صافية ... تقضي على الشرب الا يقضوا بها طربا
كأنها ذهب في الكأس منسكب ... فما عليها اذا عقلي بها ذهبا
السيد البدوي قطب الوجود ومنه ... فوق المجرة ذيل المجد سحبا
والامجد العلوي حامي الحمى ابدا ... ومن به منهل الاحسان قد عذبا
فذاك سؤلي وتصدي وهو منتجعي ... وحبه مذهبي دوماً ولا عجبا

وللشيخ عبد الغني قصيدة في اكثر من ستين بيتاً ذكر فيها صفات من يظلهم الله

تحت ظل عرشه رجاء ان ينتظم في سلكهم . نذكر منها بعض الابيات :

بحمد الله ابتديء انتظامه — واسأله الهداية والسلامه
وابدي اشرف التسليم دوما — الى طه المظلل بالغمامه
مع الاصحاب اصحاب السجايا — كذلك آله اهل الشهامة
وبعد فان للمولى عباداً — كراما يصطفيهم بالكرامه

ويذكر من هؤلاء :

ومن ذكر المهيمن فاستفاضت — له العبرات تنسجم انسجامه
ومن حسنت خلائقه جميعا — وابدى البشر دوماً وابتسامه
ومن للسنة الغراء احيا — وقد دثرت فاولاها اهتمامه
واكثر للصلاة على نبي — هو المبعوث فينا من تهامه
واهل الجوع والمرضى بدنيا — ومن يخلص لمولاه صيامه
ومن يعلم مراقبته اذا ما — توجه ان مولاه امامه
ومن حب الانام له شعار — لأجل جلال مولاه ادامه
ومن صفى سريرته منيباً — بذكر الله قد ابدى اهتمامه
ومن بذكره سراً أو جهاراً — فاهل الذكر فازوا بالسلامة
ومن يستغفر المولى سحيراً — وقد هجرت مضاجعه منامه

وينهي قصيدته :

فعبدك يا غني به افتقار — فحسن يا رحيم له ختامه .

يعتبر الشيخ عبد الغني الرافعي ، في مخطوطته ، ان كل من قصد شيئاً من الكرامات وخرق العادات افتتن وانقطع عليه طريق العبودية ؛ فعلى المريد ان يكون خالياً من جميع الاذكار الا ذكر ربه ، ولا يسعى الا الى رضا ربه ؛ وليكن قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب من حقوق الربوبية .

ويذكر الرافعي بعض قصائد للشيخ مصطفى البكري الخلوتي ، لا سيما تلك التي يبين فيها آداب المريد واسماء الله الحسنى المعتمدة في ذكر الطريقة الخلوتية .

وبمناسبة بلوغ الرافعي سن الاربعين كتب مقالة اطلق عليها اسم « نصيحة النفس » يحث فيها نفسه على متابعة الرسول (ص) في الاقوال والافعال حتى ينال محبة الله وغفرانه ، وعليها أن تلزم الندم والانكسار ، وتبتعد عن الكبر والعجب ، ويفرض عليها ايضاً محبة الخلوة لأن كل محبوب يريد الخلوة مع حبيبه .

ويحصر الرافعي اسباب المحبة بـ : قراءة القرآن بالتدبر . والتقرب الى الله سبحانه بالنوافل ، وبدوام الذكر وايثاره على غيره ، ومطالعة اسماء الله الحسنى وصفاته وافعاله ، ومشاهدة بره واحسانه ، وانكسار القلب بالكلية بين يديه ، والخلوة

به والوقوف بالقلب مع التأدب بين يديه ، ومجالسة المحبين الصادقين ، ومباعدة كل ما يحول بين النفس وخالقها .

ويتساءل الرافعي : « ليت شعري كيف تتأتى لك (النفس) محبة الله وانت بعد لم تعرفيه ، والمحبة فرع المعرفة وانت مخلوقة للمعرفة المستلزمة للمحبة والعبادة . فيا ايتها النفس لقد اطعتك طويلا ولولا فسحة الأجل لأهلكتني . بقي أن تطاوعينني قليلا لننجو جميعاً ؛ فان عمراً ضيع أوله حري ان يحفظ آخره » .

د ـــ ومن اعظم مؤلفاته كتاب « ترصيع الجواهر المكيـــة في تزكية الاخـــلاق المرضية » . وقد قام عبد الغني بتأليفه قبالة الحرم المكي عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م واوضح فيه معالم طريق الخلوتية ، كما تحدث فيه باسهاب عن مقامات النفس : الامارة ، اللوامة ، الملهمة ، المطمئنة ، الراضية ، المرضية ، الكاملة . داعياً المريد الى حسن الخلق وترك ما سوى الله ، واللطف بالخلق وحملهم على الصلاح والصفح عن ذنوبهم ، وحبهم ، والميل اليهم لاخراجهم من ظلمات طبائعهم ... ويحث المريد على ان لا يفتر عن العبادة ، ولا تغفل جوارحه عن الله طرفة عين ، وان يكثر من الاستغفار والتواضع ، وان يكون رضاه في توجه الخلق الى الحق ، وحزنه وغضبه في ادبارهم عنه ، وان لا يشعر في قلبه كراهة لمخلوق (٩٣) .

وفي الكتاب يحث عبد الغني السالكين للبحث عن المرشد الذي يجب ان يتحلى بالصفات التالية : ان يكون عالماً بالشريعة ، على قدر ما يحتاجه المريد من الفقه وعقائد التوحيد ، فيزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية ، ويكون عالماً بكمالات القلـــوب وآفات النفوس ، وكيفية حفظ صحتها واعتدالها . وان يكون على اعتقاد اهل السنة والجماعة ، شجاعاً ، عفيف النفس (٩٤) .

وقد دافع عبد الغني عن اوراد وصلوات الصوفية عامة ، والخلوتية خاصة . وكان هؤلاء قد رتبوا لكل يوم وليلة اوراداً خاصة يتلى بعضها قبل الصلاة أو عقبها ، ويتلى قسم آخر منها قبل النوم ...

فيبين الرافعي ان هذه الاوراد والصلوات هي مخ العبادة وان لها اهمية عظيمة في تسهيل الطريق لما فيها من اظهار الفاقة والعجز . فكان يحث جمهور المريدين على تلاوة صلوات البكري والمسبعات العشر (الفاتحة ، الناس ، الفلق ، الاخلاص ، الكافرون ، آية الكرسي ، تسبيح وحمد لله وصلوات على الرسول واستغفار ... كل منها سبع مرات) الى غير ذلك من الادعية والاوراد والصلوات التي يتكون منهـــا الذكر الخلوتي (٩٥) .

وفي السنة التي توفي فيها عبد الغني ولد له طفل سمي باسمه « عبد الغني الثاني » . وسار على نهج مشايخ الرافعية فتلقى العلوم الدينية عن شيوخ عصره في طرابلس ، ثم رحل الى مصر لمتابعـــة الدراسة في الازهر . ثـــم يمم شطر استنبول

للاستزادة من العلم لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول تركيا غمارها . وقد عين عبد الغني اماماً للجيش واشترك في حرب البلقان . وعلى أثر انتهاء الحرب عاد الى وطنه حيث شغل عدة وظائف بالاضافة الى الامامة والتدريس في المدرسة الحجيجية .

توفي عبد الغني الثاني ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م فقام مكانه ابنه الشيخ عصام الرافعي يجمع بين العلم والدين والتصوف .

٨ ــ ابراهيم الاحدب :

ولد بطرابلس عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م . احترف تجارة الليمون ، لكنه ، خلال شهر رمضان من كل عام ، كان يتردد الى حلقة عبد الغني الرافعي لاستماع دروسه التي كان يلقيها في الجامع الكبير . وقد انتبه عبد الغني الى ذكاء تلميذه ، فرغبه بترك التجارة والانصراف الى العلوم الشرعية والادبية . وهكذا انقطع الى الدروس على عبد الغني . وبرع الاحدب في العلوم الفقهية واللسانية . فضاقت طرابلس عن اشباع مطامحه ، فانتقل الى بيروت وتعين في المحكمة الشرعية حيث بقي فيها اكثر من ثلاثين سنة . ثم تعين عضواً في مجلس معارف ولاية بيروت . توفي عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م . ترك عدة دواوين من الشعر تزيد ابياتها على الثمانين الف بيت . كما وضع كتاب « كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان » . ونظم امثال الميداني واطلق عليه اسم « فرائد اللآل في مجمع الامثال » .

وله كتاب « فرائد الاطواق في اجياد محاسن الاخلاق » . ونظم مولدين ...
كما وضع ثمانين مقامة نحا فيها نحو مقامات الحريري .
حرر جريدة ثمرات الفنون التي كان يصدرها عبد القادر القباني في بيروت . كما وضع عدة مسرحيات مثلت مراراً في بيروت (٩٦) .

يبين ابراهيم ان الدهر ثلاثة ايام :
أ ــ يوم مضى ولن يرجع ابداً ، ولا يملك الانسان لهذا اليوم الا التحسر والندم .
ب ــ يوم حاضر يعيش فيه المرء لكنه لا يدوم وخير عمل يفعله الانسان فيه التزود بالتقوى .
ج ــ يوم مستقبل مجهول على المرء أن يسعى فيه لنيل رضا الله (٩٧) .
وقد خص الاحدب التقوى والزهد والحكميات ... بقصائد عديدة ، ولم يترك مناسبة الا واغتنمها ليحث الناس على الالتزام بمبادئها (٩٨) .

فمن نظمه حاثاً على الزهد والعبادة :

من عرف الدنيا ورامها فقد	اخطأ الطريق وعن التوفيق صد
دنيا الورى كثيرة التغيير	وانها سريعة التنكير
شديدة المكر لمن عناها	دائمة الغدر بمن حواها
فانها خلابة سحارة	غدارة باهلها مكارة

وهكذا لذاتها قليلة ... كما ترى حسراتها طويلة
فلا تمل قلباً اليها ابداً ... أو تقبلن وجهها عليها ان بدا
فانزل عن الهوى المبيد تسلم ... واقطع عرى الدنيا الغرور تكرم
عنها فاعرض زاهداً من قبل أن ... تعرض عنك ببلاء ومحن
لا تفن عمراً في الملاهي صارفا ... مالك في العصيان لست عارفا
ان رمت عزاً فليكن بالطاعة ... أو الغنى فاطلبه بالقناعة (٩٩) .

وقال في الصبر :

والصبر عند صدمة المصائب ... لذي الحجى من اعظم المواهب
ونال غاية المنى من صبرا ... وحصل النعمان من قد شكرا (١٠٠) .

وقال في تفويض الآمر لله :

ثم رضا الانسان بالكفاف ... يفضي به الى منهج العفاف
من اكتفى في الدهر باليسير ... فانه استغنى عن الكثير
غني من بربه استعانا ... عن كل خلقه وعز شانا (١٠١) .

كان الاحدب يحث على مكارم الاخلاق ، فيثير في الانسان همته لمساعدة اخيه الانسان وعدم التعدي عليه أو النيل منه سباً وشتماً . وعلى الانسان ، في رأيه ، ان يستحي من معاتبة صديقه . وان اراد ان يعاتب فعليه أن يستبقي له من بقية ... ولا يبغي المرء في كل ذلك الا وجه الله . وحتى يتمتع المرء بالاخلاق الحسنة عليه ان يحرص على معاشرة الكرام واهل الفضل ويأخذ عنهم : حسن العشرة ، والحلم ، والعفو عند المقدرة ، والكرم والمؤاساة والمداراة والتواضع والعفة والاحسان لمن اساء ... (١٠٢) .

ومن بسط اليدين بالعطاء ... يستنطق اللسان للثناء
ومن قابل السخيف بالمثل سخف ... ومن سما عما يقوله شرف
بالعرف جد فافضل المعروف ... اغاثة المسكين والملهوف
اذا جنيت الذنب يوما فاعتذر ... وان جني عليك فاسمح واغتفر
وهكذا احسن الى من تملكه ... يحسن اليك من لمسا تملكه
واغتنمن صنائع الاحسان ... وراع دوماً ذمم الاخوان (١٠٣) .

وعند وفاته رثاه تلميذه مصطفى نجا :

لقد كان ابراهيم بحر معارف ... ومورد فضل منه طاب لنا الورد
بكتبه علوم الدين اذ كان جامعاً ... لاشتاتها الغراء وابتسم اللحد
عليك بلاد الشام تبكي وربما ... عليك تبكي من بعدها الهند والسند
عليك سلام لا يزول ورحمة ... تروح مع الرضوان دوماً كما تغدو
مدى الدهر ما ابدى رثاءك مائل ... مضى العالم النحرير والعلم الفرد (١٠٤)

٩ ــ الشيخ درويش التدمري :

ولد سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م وتخرج على يد الشيخ عبد الغني ، ثم سافر الى القاهرة حيث التحق بالجامع الازهر . ومكث اعواماً اتقن خلالها الفقه ، على المذهب الشافعي ، كما اتقن سائر العلوم اللسانية ؛ ثم رجع الى طرابلس وانصرف للتدريس فتخرج على يديه الكثيرون . كان الشيخ درويش واسع الاطلاع ، وتغلب عليه اللهجة المصرية . ترك كتاباً في علم المنطق وآخر في علم التوحيد (١٠٥) .

١٠ ــ محمد كامل بن عبد الغني الرافعي :

ولد سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م . قرأ العلم عن نخبة من علماء طرابلس منهم : الشيخ عبد الله ، شيخ المكتب الرشدي ، والشيخ عبد القادر الرافعي الثاني مفتي الديار المصرية . نشأ محمد كامل فاضلا واديباً بارعاً ، معروفاً ببلاغة نثره ورقة نظمه . وقد مال الى التصوف كمعظم مشايخ اسرته ، فسلك على والده الطريقة الخلوتية .

دخل محمد كامل في خدمة الحكومة العثمانية فتعين بمأموريات عديدة آخرها مأمورية الاجراء وكتابة العدل في طرابلس . وفي اواخر ايامه نكبه الدهر بفقد ولده الوحيد رشيد ، رئيس الكتبة في المحكمة الشرعية . فآلمه فقده وجزع عليه كثيراً فانحرفت صحته وتوفي ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م .

ترك محمد كامل آثاراً ادبية في النثر والنظم لم تطبع (١٠٦) . وقام بوضع تراجم مختصرة لمشاهير الاسرة الرافعية ، وقد خص والده بقسم وافر اذ انه كان مطلعاً على خفايا حياة هذا الوالد . ولا عجب فقد كان والده شيخه في الوقت ذاته .

جاء في احدى قصائده مادحاً باني مدرسة مشحا في عكار :

عن العلم والدين الحنيفي والعلا ... نقدم يا فرد الزمان لك الشكرا
بنيت بتوفيق الاله وعونه ... مكاناً لنشر العلم في مشحة الزهرا
جعلت به عكار روض معارف ... فاحييت يا بحر الندى ذلك البرا
لذاك امير المؤمنين (١٠٨) ادامه ... اله الورى يستخدم العز والنصرا
فأولاك من احسانه وامتنانه ... من الفخر ما مات الحسود به قهرا
مداليتي تبر سبيك وفضة ... لقد اطلعا في صدرك الشمس والبدرا (١٠٨)

وقد هنأ الشيخ مصطفى نجا البيروتي بتولية منصب الافتاء لمدينة بيروت :

بيروت في مصطفى العلياء مفتيها ... جرّت مطارف عز في معاليها
وكيف لا ووحيد العصر مفخرة ... صدر الشريعة اضحى اليوم مفتيها
مولاي اني اهنيك الدوام بها ... كما بمنصبك الفتيا اهنيها (١٠٩) .

١١ ــ محمد رشيد الميقاتي :

ابن الشيخ مصطفى بن ابي بكر بن ابراهيم بن مصطفى بن عبد الحي ... الى

ان يصل نسبه بدفين المقبرة التي في الجامع الكبير وهو محمد الميقاتي الـذي احضره السلطان قلاوون ، من مصر الى طرابلس ، حينما بنى الجامع الكبير عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. وقد عهد اليه بجميع وظائف الجامع ، لما اشتهر به محمد من علم ديني وبالاخص في علم التوقيت ، فكان مرجعاً في هذا العلم لجميع مساجد طرابلس .

اما الشيخان عبد الحي وابنه مصطفى فقد عاشا في اواخر القرن العاشر واواسط الحادي عشر الهجريين . وقد اوقف مصطفى مكتبة ، كانت طرابلس تنافس بها بقية البلدان ، نظراً لاهميتها . وذلك عام ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م (١١٠) .

ولد رشيد بطرابلس عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م ونشأ في حجر والده مصطفى الذي كان منتطعاً لخدمة الامامة والتوقيت في الجامع الكبير ، وكان فقيهاً ، فتلقى رشيد علومه الأولى على يد هذا الوالد وعلى يد يحيى المسالخي الذي كانت له شهرة واسعة في طرابلس . فلازمه رشيد حتى اتم التحصيل على يديه في مجال العلوم العقلية والنقلية . ثم وجه جهوده لتلقي علم الميقات والحساب عــن الشيخ عبد الله الدبها النقشبندي منشيء المدرسة المسماة باسمه في طرابلس والتي لا تزال الى الآن . برع رشيد في هذا العلم واصبح مرجعاً لكل البلاد المجاورة ، وخصصت له حجرة التوقيت الملحقة بالجامع الكبير حيث كان يشرف على تسيير ساعاتها .

وبتأثير من شيخه الدبها اخذ يهتم بمطالعة كتب الصوفية ، ويتتبع اخبارهم ، فقصد دمشق واتصل بالشيخ خالد ذي الجناحين ، مجدد الطريقة النقشبندية . وكان رشيد في التاسعة والعشرين . وبعد أن ظل مدة في دمشق توجه لاداء الفريضة في الحجاز ثم عاد الى طرابلس . ولما بلغ السادسة والثلاثين توجه مع فريق من ابناء الفيحاء الى مصر ليسلكوا الطريقة الخلوتية على يد احمد الصاوي ، الذي عهد الى خليفته حسن ابي حامد القصبي تسليك رشيد الميقاتي . وبعد مجاهدات ورياضات روحية توجتها الخلوة . نال رشيد الاجازة باعطاء العهود وافتتاح الاوراد والاذكار وتلقين الاسماء والباس الخرقة وادخال الخلوة لمن يكون اهــلا لذلك مــن الطالبين ، وذلــك عــام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م .

وهذه سلسلة الخلوتية كما وردت في اجازة رشيد :

الرسول ــ علي ــ الحسن البصري ــ حبيب العجمي ــ داود الطائي ــ معروف الكرخي ــ السري السقي ــ الجنيد البغدادي ــ ممشاد الدينوري ــ محمد البكري ــ وجيه الدين القاضي ــ عمر البكري ــ ابو النجيب السهروردي ــ قطب الدين الابهري ــ محمد النجاشي ــ محمد الشيرازي ــ جمــال الدين التبريزي ــ ابراهيم الزاهد التكلاني ــ محمد الخلوتي ــ عمر الخلوتي ــ محمد مبرام ــ عز الدين ــ صدر الدين الخيافي ــ يحيى الباكوري صاحب ورد الستار ــ محمد الشيرواني ــ جمال الخلوتي ــ خير الدين التوقادي ــ شعبان القسطموني ــ عمر الفوادي ــ اسماعيل الجرومي ــ علي قره باش ــ مصطفى الادروني ــ عبد اللطيف الحلبي ــ مصطفى البكري (مجدد الطريقة) ــ محمد الخفناوي ــ محمود الكردي ــ عبد الله الشرقاوي ــ حسن القصبي

الادريسي ــ محمد رشيد الميقاتي الطرابلسي (١١١) .

وعاد رشيد الى طرابلس . واخذ يداوم على قيام الليل وقراءة ورد الستار وورد السحر للبكري والمسبعات واوراد الغروب والعشاء . بالاضافة الى صلوات الشيخ الدردير . فتهافت عليه المريدون ، يدفعهم الى التقرب منه والتتلمذ على يديه تقواه ومحبته وغيرته عليهم ، واشفاقه على الفقراء والضعفاء منهم ، ومساعدته لهم بكل ما يستطيع . وفي ذلك يقول : « ما اصابت انساناً نعمة الا ولو وزنت فرحي له بفرحه لنفسه لرأيت أني فرحت له اكثر من فرحه لنفسه ، وما اصابته مصيبة الا ولو وزنت حزني عليه بحزنه على نفسه لرأيت أني حزنت عليه اكثر من حزنه على نفسه » (١١٢) .

كان رشيد يندفع من اجل خدمة الناس . لا يبغي من وراء ذلك سوى ارضاء الله . فمن مآثره في هذا المجال أنه كانت له اليد الطولى في اصدار العفو عن عشرة اشخاص مظلومين كاد مصطفى بربر أن يشنقهم . ذلك ان بربر قد عاد حاكماً لمدينة طرابلس بسعي من الشيخين التصبي والميقاتي لدى السلطات المصرية . فقد التجأ مصطفى الى مصر بعد أن خسر مركزه ، فوجد من الشيخين كل عطف ومساعدة . واخذ ينتظر الفرصة المناسبة ليرد الجميل . فاغتنم رشيد هذه الفرصة وسعى لاصدار العفو عن هؤلاء الاشخاص (١١٣) .

واتخذ رشيد من منزله زاوية للخلوتية . وكان يتوافد اليها جمهور المريدين . وكان يجري في مجلسه شرح لكتاب الاحياء للغزالي وغيره من الكتب الفلسفية والاسلامية (١١٤) .

وقامت علاقات الود بين رشيد ومحمود الرافعي ومحمد الجسر حيث كانوا يلتقون في كل صباح وقت السحر لقراءة اوراد الخلوتية في الجامع الكبير (١١٥) .

وللشيخ مفاخر عديدة من اهمها انه جمع تلاميذه ومريديه عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م في الحوادث المؤسفة التي وقعت بين ابناء الوطن الواحد ، واوصاهم بالمحافظة والعناية بالمواطنين المسيحيين من عبث الجاهلين . وان لا يشغلهم عن الاهتمام بهم وملاطفتهم فنفذوا رغبته . واخذ يرسل ابناءه ومريديه لحراسة نصارى المدينة ، وقد جعل ذلك علانية على اعين الناس ليقتدوا به ويقلدوه . فتمكن من استئصال بذور هذه الفتنة من نفوس ذوي الجهالة من شبان طرابلس . فصينت المدينة من الويلات التي حاقت بسواها ، مما دفع فؤاد باشا ، المفوض من قبل الدولة العثمانية للمصالحة بين المتخاصمين ومجازاة الآثمة ، ان يأتي الى طرابلس خصيصاً ليشكر لها هدوءها وراحتها . وقد زار الشيخ في داره لأنه صاحب الفضل في هذا الهدوء . واستحق الشيخ ايضاً من الدول الاجنبية المهتمة بقضايا الفتنة آنذاك كل تقدير واحترام . فذاع صيته في سائر مناطق المشرق العربي ، وتهافت العقلاء على مدحه وتكريمه .

فيوسف الاسير (١١٦) يقول فيه :

زر بـلاد اللـــه واختـر مسكنـــا — في طـرابلس الشـآم يـــا مريـــد
لا تـــرى فيهـــا مكينـــأ امكنـــا — في مقامـــات التقى الا رشيـــد (١١٧) .

وللشيخ مناقب ومآثر عديدة جمعها حفيده محمد رشدي في كتاب « الأثر الحميد » .

وفي عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م توفي رشيد ودفن بمقبرة باب الرمل قرب ضريح الشيخ فضل الله . وقد سجلوا على قبره :

هـــذا مقـــام العـــارف الربـــاني — تطـب الوجـود ومنجـد اللهفـــان
هـــذا امـــام الاوليـــاء محمـــد — شيخ الطريقة صاحب البرهان (١١٨) .

وقد رثاه العديد من مشايخ طرابلس منهم محمد امين عــز الدين قاضي الشرع بطرابلس آنذاك :

هو القطب نرجـو اللـــه نفعـاً بسره — لنسلـك اثـر القـوم تلـك المذاهبـا
فشـأن مريديـــه مـــن الفيض منهـلا — كشأن ذراريه من الرشد دائبا (١١٩) .

وقد رثاه ايضاً عبد الحميد الرافعي « بلبل سورية » بقصيدة مطولة امتدح فيها طريقته الخلوتية :

لقـد كـان شيـخ المرشديـن بعصره — فللـه عصـر كـان النـور زاهيـا
سقى اللـه عهـد الخلوتيين كـم جلت — رجالهـم بـين البريـة هاديـا
وكـم بينهـم أقطـاب رشـد تقدمـوا — وسرهـم مـا زال في الكـون ساريـا
ولا سيمـا المـولى الرشيد مـن ارتقى — مقامـات اهـل القـرب واجتاز ساميا
سمعـت ابـي اذ كـان مـن خلفائـه — وممـن بـه نالـوا المنـى والمعاليـا
يقـول رشيد الجوهـر الفرد شيخنـا — مـن الراسخـين السائديـن المراقيـا
يربـي مريديـه علـى سنـن الهـدى — باعمالـه اذ لا يـرى القـول كافيـا
لسـان بذكـر اللـه رطب وان غفـا — فتسمـع منـه القلب بالذكـر شاديـا
تلـوذ قلـوب السالكـين ببابـه — فتقتبـس الانـوار زهـراً زواهيـا

ويذكر حبـه للوطن :

وان مـا دهت اوطانـه نكبـة بكـى — واجرى لكشف الضر عنها المآقيا (١٢٠).

ترك الشيخ رشيد عدة قصائد في الاستعطافات الالهية والمدائح النبوية :

بمحمـــد وبآلـــه — وبصحبـــه وفاطمـــة
وجميـــع اهـــل اللـــه اصحـاب — القلـــوب الراحمـــة
خلصنـي مـــن شـــرك الرجيـــم — كـــذا الهـــوى واللائمـــة
واعتقنـــي يـــاربـــاه مـــن — نـــار الجحيـــم الحاطمـــة
وامنحنـــي يـــا مفضـــال مـــن — جـدواك حسـن الخاتمـــة (١٢١) .

ذكر الشيخ عبد الغني الرافعي عن شيخه رشيد الميقاتي عدة ابيات من الشعر في كتاب مخطوط بقلم الرافعي وموجود في مكتبة الشيخ عصام الرافعي ؛ منها في الزهد :

اقنــع بلقمـــة وشربـــة مــاء ولبـــس الخيـــش
وقــل لنفســك ملــوك الارض راحــوا بيــش
عليــك بالزهــد ان الزهـــد اهنـــى العيــش
واعمــل ليــوم يطيــش العقــل فيــه طيش .

وقد سمع الرافعي شيخه يقول :
عطر نفسك بالاستغفار ، فقد فضحتك روائح الذنوب ؛ ولكل ذنب رائحة مخصوصة يدركها من شاء الله .

من رضي بالله ربا رضي باحكامه .
وقد اوصى الميقاتي مريده بتلاوة هذه الصيغة :
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الجامع لاسرارك والدال بك عليك وعلى آله واصحابه عدد ما احاط به علمك واجمعني بك عليه .

وقد خلفه في مناصبه (التوقيت والامامة بالجامع الكبير) حفيده محمد رشدي الميقاتي الذي اهتم بجمع آثار جده . وقد اشتهر محمد رشدي بقصائده التي امتدح فيها رجال الطريقة الخلوتية (١٢٢) .

وتولى محمد رشيد الميقاتي الثاني ، حفيد الشيخ ، منصب الافتاء لمدينة طرابلس . ومن ابنائه الذين اشتهروا بالطريقة الخلوتية :

١٢ ـ **علي** المتوفى عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م . كان علي قد تلقى علومه على محمود نشابة ، ثم استلم التوقيت في الجامع الكبير حيث كانت له خلوة (١٢٣) .

١٣ ـ **مصطفى** المولود بطرابلس ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م . وفيها تلقى علومه الأولى . كان يداوم على حضور حلقات ذكر الخلوتية في (الاوطة) التي كانت في الجامع الكبير ، فكان يجتمع مع اخوانه الخلوتية ، ليلة الجمعة من كل اسبوع ، ويذكرون بالاسماء الخلوتية حتى منتصف الليل . ثم يرتاحون فترة قصيرة . وبعدها يقرأون ورد السحر الذي وضعه الشيخ البكري . والواقع ان للسحر اهمية كبرى عند جمهور الصوفية . فانهم يعتبرون الاسحار وقت التجليات الالهية ، والتنزلات الربانية . لذلك فهم يحرصون على اغتنامها لينهلوا من خيرها وانوارها كما يعتقدون . ولقد ورد الحث على قيام الليل ، والاستغفار في السحر ، في كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

وورد السحر ، المشهور عند الخلوتية ، هو عبارة عن تلاوة للفاتحة ثم ادعية واستغاثات الهية مستمدة من الكتاب والسنة .

ثم يؤدي الجميع صلاة الصبح ويتلون صلاة الدردير . ويختمون ليلتهم تلك بتلاوة الفاتحة .

وقد توجه مصطفى الى الازهر ، كما كان يفعل علماء المدينة ، لكن نفسه تاقت الى التخصص في مجال الطب ، فدخل مدرسة العيني ، وحصل على الدبلوم التي تخوله مزاولة المهنة .

وعاد الى طرابلس يمارس عمله الجديد بين مواطنيه جامعاً بين الطب والتصوف (١٢٤)فذاع صيته ولقب بمصطفى الحكيم . توفي عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م . تاركاً مجموعة شعرية تناولت معظمها يد الضياع . وفي الاشعار المنسوبة اليه الكثير من النكات والدعابة (١٢٥) .

١٤ — مصطفى المغربي :

تعلم على يد الشيخ العريف ، واعرابي الزيلعي . ثم تلقى العلوم الفقهية على يد رشيد الميقاتي ويوسف الاسير . وفي سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م قدم الى القاهرة والتحق بالجامع الازهر . وبعد ان اتقن سائر العلوم الفقهية واللسانية اجازه اساتذته هناك . ورجع بعد ذلك الى طرابلس حيث مكث فيها فترة قصيرة . وعلى اثر وفاة والده انطلق نحو دمشق حيث تولى منصب القضاء الشرعي في محلة الميدان في دمشق ، واخذ بالتأليف في العلوم الشرعية التي اتقنها . واقام في دمشق نحو ثماني سنوات . ثم رجع الى طرابلس حيث عين عضواً في مجلس ادارة المدينة . وبعد أن اتم مدة عضويته انقطع للعبادة والتأليف . ولعل من جملة الاسباب التي دفعته الى الزهد في المناصب الدنيوية الخلافات التي نشأت بينه وبين ابراهيم باشا لعدم موافقته على قرارات مجلس الادارة . توفي مصطفى عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م تاركاً عدة مؤلفات في القضايا الشرعية (١٢٦) .

١٥ — محمود نشابة عبد الدائم :

ولد بطرابلس . بعد ان اتم دراسته في المدينة على يد رشيد التحق بالجامع الازهر . فلما نال العالمية ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م . وذلك بعد قضائه مدة ثلاثين سنة متعلماً ومعلماً رجع الى الفيحاء وانقطع للتدريس والتأليف . توفي عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م تاركاً عدة حواش وتعليقات من اهمها : حاشية على متن مصطلح الحديث ، وحاشية على همزية البوصيري ، وتعليق على شرح الضناوي في المنطق ، وحاشية على شرح ايزاغوجي في المنطق ايضاً ، وشرح الاسئلة النحوية التي تبادلها مع زميله عبد الغني الرافعي ، وكتاب « الدر الثمين في احكام تجويد الكتاب المبين » (١٢٧) .

وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من خلوتية المدينة كمحمد الحسيني ومحمود منقارة ومحيى الدين الخطيب المتوفى بطرابلس عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م والذي كان يعتبر من مشاهير علماء طرابلس . وكان قد تخرج من الازهر والتحق بسلك التعليم في المدرسة العلمية التي كانت قد انشأتها مديرية الاوقاف بطرابلس . ترك محيى الدين الخطيب مخطوطاً في علم الأصول وعدة شروح وتعاليق دينية (١٢٨) .

ومن الذين اذن لهم رشيد الميقاتي بالتسليك واخذ العهد : عبد اللطيف كرامة ، عبد القادر بركة ، علي الشهال ، شاكر الملك وغيرهم (١٢٩) .

١٦ — علي رشيد بن محمد رشيد الميقاتي :

ولد بطرابلس عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م درس العلوم على مشايخ المدينة . اشتهر

بكرم السجايا . عين رئيساً للجمعيــة الخيرية الاسلامية في طرابلس ، وذلــك منذ تأسيسها ، في ولاية مدحت باشا الوزير العثماني . وظل في منصبه حتى قضت عليه الشيخوخة ملازمة داره .

ترك علي لتلك الجمعية املاكاً كثيرة . فكان ينفق من ريع تلك الاملاك على مدرسة الجمعية العلمية حيث كانت تدرس مختلف العلوم بالاضافة الى اللغة الفرنسية .

وكان علي أول من وضع فكرة التعليم المجاني الابتدائي للذكور والاناث . فبفضل همته وجهوده انتشر هذا التعليم خصوصاً بين البنات اللواتي كن حتى ذاك الوقت محرومات من وسائل العلم والتهذيب (١٣٠) .

ومن مشايخ الخلوتية في طرابلس :

١٧ ــ اسماعيل بن احمد الاحمدي الملقب بالحافظ :

لقب بالاحمدي نسبة الى قبيلة بني احمد أو الى بلدة بني احمد التابعة لمديرية المنيا في مصر . وهي البلدة التي اختطتها تلك القبيلة وسمتها باسمها .

حفظ اسماعيل القرآن واتقن اداءه . ثم تلقى العلوم في الازهر . وقد تميز على اقرانه بوفرة الذكاء وقوة الحافظة . فكان يحفظ صحيح البخاري باسانيده . فلقب بالحافظ . ثم اتصل بالشيخ أحمد الصاوي . وهو يومذاك من اكبر شيوخ الشريعة والطريقة الخلوتية في الجامع الازهر . فلازمه الحافظ وتلقى عنه العلوم الشرعية ، لا سيما التفسير ، وسلك على يديه الخلوتية . التي كان سلوكها وسلوك امثالها من الطرق ، كما يعتقد الصوفية . من اعظم الوسائل لتربية النفس وتهذيب الاخلاق . ونال الحافظ الاجازة من شيخه الذي أوفده لنشر الطريقة في سورية . فتوجه الحافظ اولا الى الحجاز لاداء الفريضة . وجاور في مكة مدة . ثم جاء الى طرابلس ، واشتغل بخدمة الطريقة الخلوتية . وكان يتكسب بالفتوى ، فتواردت عليه الاسئلة من البلدان المختلفة .

اهتم بالارشاد والقاء الدروس فكثر تلامذته ومريدوه ، وعينه مفتي طرابلس ، آنذاك ، عبد الحميد كرامة اميناً للفتوى . وبقي في هذه الوظيفة حتى اشرف على الشيخوخة . وظل اسماعيل حريصاً على مواصلة التدريس والافادة . فكان يقرأ الفقه والعلوم الادبية في مدرسته المعروفة بالخاتونيــة ، والتفسير والحديث في الجامــع المنصوري الكبير ، والخطابة في جامع سيدي عبد الواحد المكناسي .

وفي شيخوخته كف بصره . لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة اعماله . توفي عــام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م بعد ان جاوز التسعين (١٣١) . ترك اسماعيل تعليقات وحواشي على شرح الدر المختار في فقه الحنفية . وله رسالة في علم الفرائض ، والكثير مــن الفتاوى ، وعدد وافر من الخطب المنبرية ، وله شعر في مدح الرسول ومدح رجال الطريقة الخلوتية (١٣٢) .

١٨ ــ عبد الحميد الحافظ :

ابن اسماعيل . ولد سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م . تلقى العلوم الشرعية والعربية على والده . كما قرأ على عبد الحميد الخطيب الشاذلي وعبد الرزاق الرافعي الخلوتي . ونال اجازته في الطريقة من والده . ولما احرز قسطاً وافراً من العلوم تسلم مهمة التدريس في المدرسة الخاتونية ، حيث كان والده يقوم بالتدريس . وبعد وفاة هذا الوالد وجهت اليه وظيفة الخطابة في جامع السيد عبد الواحد .

كان عبد الحميد ميالا للأدب فحفظ الكثير من الاشعار ، وكان له نظم قليل يمتاز بالرقة والجودة . توفي عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م (١٣٣) .

١٩ ــ عمر بن محمد بن محمد الدمياطي اليافي :

ولد بمدينة يافا عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م نشأ في تلك المدينة ، وتلا القرآن تجويداً وحفظاً واتقاناً دون العشر . ثم جد بطلب العلم فقرأ في يافا على عدة مشايخ : علي الرشيدي ، محمد مهيار ، احمد زائد الغزي ، سليم الدجاني ... وفي طرابلس اخذ عن عبد القادر الطرابلسي ... ثم رحل الى مصر واخذ عن مشايخها . سلك عمر الخلوتية على يد كمال الدين البكري الصديقي (١٣٤) . وبعد وفاة شيخه ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م قدم اليافي الى الشام واخذ عن شيوخها . ثم تجول وساح في البلاد الشامية والحجازية لنشر الطريقة الخلوتية واشاعة العلم والارشاد . وبعد اداء فريضة الحج استوطن دمشق واتخذ له في جامع بني امية حجرة كبيرة ، لا تزال تعرف الى الآن بمشهد اليافي ، ذلك لاقامة اذكار الخلوتية وتربية مريديها . وظل اليافي هناك حتى وفاته عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م (١٣٥) .

ترك اليافي ديواناً في الشعر الصوفي . جاء في احدى مناجاته :

كيف اخشى تحول الاحوال	ولربي التسليم في كل حال
لست ابغي للنفس حظاً وقد بـ	ـت بريئاً من قوتي واحتيالي
كيف احتار بعدما بت اختا	ر الذي يرتضيه لي ذو الجلال
كم له في الفؤاد حبة حب	أنبتتها تجليات الجمال (١٣٦) .

وللشيخ عمر ادعية واستغاثات منها هذه الاستغاثة التي درج الناس على تلاوتها لنزول الغيث والاستسقاء :

يا من يغيث المستغيث	ان لم تغثنا من يغيث
وما لنا رب مغيث	سواك يا رب العباد
فينا صغار رضع	فينا شيوخ ركع
فيا رحيم الرحما	ويا كريم الكرما
افض افض غيث السما	في الارض فهي لنا مهاد (١٣٧) .

وله تخميس بديع يصور فيه اندفاعه الى سلوك طريق الصوفية :

وقــد تجــردت عن اهلي وعــن ولدي وملت عــن طيب عيش رائــق رغــد
وشــد عــزمي رحــال الصبــر للجلد وقلــت للنفس جــدي الآن واجتهــدي
وســاعديـنــي فهــذا مــا تمنيــت (١٣٨) .

ومن بعده انتشر ابناؤه في مصر وسورية ولبنان ينشرون الخلوتية . فمحمد الملقب بالزهري (ت ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م) استلم زاويــة والــده بدمشق . ومحيى الدين (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م) استوطن بيروت ، وتولى الافتاء فيها (١٣٩) .

٢٠ ــ محمد بن عمر اليافي (ابو النصر) :

قام مقام والده في الارشاد والتوجيه بمصر . وقد توفي هناك عــام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م (١٤٠) .

لكن ابا النصر لم يهمل بقية البلدان . فقد اسس زاوية للخلوتية ببيروت ، في ساحة الشهداء ، وأخرى في طرابلس قرب جادة بور سعيد ، في الاسكلة . واصبحت له ذرية في طرابلس (١٤١) . ومن بعده قام ابنه مصطفى بمهمات الخلافة في الطريقة . وقد حصر جهوده بطرابلس . لكنه لم يعمر طويلا فانبرى ابنه عبد الفتاح لتربية المريدين وللوعظ والارشاد على طريقة جده عمر . واعترافاً بفضل عبد الفتاح في هذا المجال ، ونظراً لاتصال نسبه بالرسول ، فقد جرى انتخابه نقيباً للاشراف . وقد ايد صحة انتسابه لآل البيت عدد كبير من علماء النسب في طليعتهم : محمد سعيد الحمزاوي نقيب اشراف دمشق ، كاظم الميقاتي مفتي طرابلس . وقد جمع عبد الفتاح بين السياسة والتصوف . فكان يتمتع بفكر سياسي صائب . فتد حمل لواء الدعوة الى اتحاد العرب لمواجهة خطر الصهيونية العالمية . وبين ان الانتصار لا يتم الا بالاعتصام بحبل الله وتوحيد الاوطان والاهداف (١٤٢) . وكان عبد الفتاح من دعاة التقريب بين الاسلام والمسيحية ، لأنه يعتقد ان المسلمين والمسيحيين من اقرب المجموعات البشرية الى بعضهما البعض (١٤٣) .

وكان للشيخ اهتمام كبير بنشر ورد السحر للبكري . فكان يحث المريدين على تلاوته صباحاً ، قبل التوجه الى اعمالهم حتى تنفعم قلوبهم ، كما يرى ، بالايمان . وظل يدير حلقات الذكر الخلوتي في الزاوية باسكلة طرابلس فترة طويلة . ثم نقل مركز الزاوية الى منطقة ابي سمراء في طرابلس . وبقيت زاويته ناشطة حتى وفاته .

ترك عبد الفتاح عدة مؤلفات اهمها :

أ ــ « مذكرات قائد عربي » .

ب ــ « العراق بين انقلابين » .

ج ــ « الاسلام والمسيحية في خطر » .

د ــ « رسالة الجمال » .

هـ ــ « بلاغ وذكرى » . وله اشعار كثيرة نظمها لكي تنشد في حلقات الذكر ، من اشهرها الميمية :

الهي بأهل الذكر والمشهد الاسمى — بمن عرفوا فيك المظاهر بالأسما
عبيد ولكنّ الملوك عبيدهم — وعبدهم اضحى له الكون خادما
بأهل الغنا والسكر والصحو والبقا — بكل مدب في محبتكم همّا
بكل مريد طالب لجنابكم — فلم يعرف الاحزان فيكم ولا الهما
تقبل وجد واعف وسامح لمغرم — وتب وتحنن يا الهي تكرما (١٤٤) .

وله قصيدة طويلة اسمها المنبهجة ؛ ذكر فيها الآداب التي يجب ان يتحلى بها المريد :

قم نحو حماه وابتهج — وعلى ذاك المحيا فعج
ودع الاكوان وقم غسقاً — واصدق في الشوق وفي اللهج
اقنع وازهد واذكره كذا — ك بباب سواه لا تلج
مولاي اتيتك منكسراً — ولغيرك شوقي لم يعج
ودموع العين تسابقني — من خوفك تجري كاللجج
هل غير جنابك يقصد لا — وجمالك ذي الحسن البهج
وامنح قلبي نفحاتك يا — مولاي وعجل بالفرج (١٤٥) .

٢١ ـ سليمان البطاوي :

من خلوتية مصر الذين سكنوا طرابلس من اجل نشر الطريقة . اقام في منطقة البداوي القريبة من طرابلس (١٤٦) ، وفي الموقع الذي ضم مزاراً لأحد الاولياء على غاية من القدسية في اعتقاد الناس هناك ، حيث اقيم جامع صغير ، وصحن مبلط بالحجارة تتوسطه بحيرة ، ينبع منها الماء . حتى ان اسماك تلك البحيرة الصغيرة لا تزال مصونة بفضل هذا الاعتقاد (١٤٧) .

٢٢ ـ محمد الجسر (ابو الاحوال) :

ابن مصطفى الجسر . ولد بطرابلس عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م . رباه والده على طلب العلم . ولما بلغ السابعة من العمر حصلت فتنة في طرابلس بين بعض الباشاوات وبين اهالي المدينة ، كان من نتيجتها أن فر معظم الاهالي ، وتشتتوا في البلدان المجاورة .

فذهب به ابوه الى دمشق حتى هدأت الاحوال فعاد الى طرابلس . أخذ محمد يتردد على الشيخ عبد الله دبا (دبها) النقشبندي ، وذلك في المدرسة المنسوبة اليه . فتعلم القرآن والكتابة . وفي الثامنة عشر من عمره استأذن والده لزيارة قبر الصوفي ابراهيم بن ادهم في بلدة جبلة على الساحل السوري ، فأذن له بذلك .

وبعد فترة قضاها في الخلوة والعبادة ، توجه الى القاهرة حيث جاور في الجامع الازهر طلباً للعلم . وكان والده يرسل له ما يحتاج اليه من اموال . فلما توفي هذا الوالد رجع محمد الى طرابلس لفترة قصيرة . ثم عاد من جديد الى الازهر لمتابعة علومه ، بتشجيع من والدته واخوته . وقد تتلمذ هناك على جملة من المشايخ منهم : محمد الكتبي ،

عمر الحلبي ، مصطفى المبلط ، احمد المرصفي ، ابراهيم الباجوري ، مصطفى البولاقي ... وبعد اختبارات عديدة نال محمد الاجازة العلمية من الازهر (١٤٨) .

وابان اقامته بمصر سلك الطريقة الخلوتية على يد احمد الصاوي ونال الاجازة فيها عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م . وقد ورد في تلك الاجازة : « لازمني الشاب الحسيب النسيب محمد الجسر ، من اهالي طرابلس الشام ، الحنفي المذهب . وتلقن مني الاسماء السبعة على طريق السادة الخلوتية ، وادخلته خلواتهم والبسته خرقتهم . واجزت المذكور باعطاء العهود ، وافتتاح الاذكار ، والاوراد ، وتلقين الاسماء وتلبيس الخرقة ، وادخال الخلوة لمن يكون اهلا بشرط الجد والاجتهاد والمحافظة على الاوراد » (١٤٩) .

ويظهر من كتابات تركها محمد الجسر انه كان قد مال الى الخلوتية بطرابلس ، وقبل سفره الى مصر . فقد تلقى بعض مبادىء هذه الطريقة وآدابها على عمر اليافي الخلوتي ابان مروره بطرابلس (١٥٠) .

وبعد تخرجه من مصر ، اقام الشيخ اربع سنوات في قرية بيت دجن ، من اعمال يافا ، حيث عاش في خلوة صغيرة بجوار مسجد القرية ، يقرأ العلم ويربي السالكين . ثم اتى طرابلس وأخذ يقرأ درساً عمومياً في الجامع الكبير (١٥١) ، وفي المدرسة الرجبية ، حيث اتخذ منها زاوية لاقامة الذكر الخلوتي .

وظل محمد يربي ويرشد في طرابلس حتى حملة ابراهيم باشا على سورية ، ففر مع بعض الطرابلسيين الى عكار فالضنية فقبرص . وهناك لحق به اخوته واخواته ووالدته ، واقاموا عنده فترة محاولين اقناعه بالعودة الى طرابلس . لكنه رفض فعادوا ادراجهم ، وتابع هو سفره الى استنبول عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م .

وبالرغم من عفو ابراهيم باشا عن الفارين الطرابلسيين ، فان محمداً لم يرجع الى طرابلس وظل في استنبول حيث تزوج ابنة علي آغا رمضان البيروتي . وبعد اندحار جيوش ابراهيم باشا وعودتها الى مصر رجع محمد الى مدينته ، وعاد الى سابق عهده من حيث الارشاد والتوجيه والتدريس والتسليك .

ولما عرض عليه حاكم طرابلس العثماني ، يوسف باشا ، توسيع داره ، رفض محمد ذلك ورغب الى الباشا بان يرمم المدرسة الرجبية القريبة من منزله لتستوعب جماهير الخلوتية . وكان محمد يقيم اذكار الخلوتية في تلك المدرسة ، فلما فر الى قبرص حولها الجيش المصري ، ابان احتلاله لطرابلس ، الى مستودع لمؤونته . فتشققت حيطانها وتلفت اخشابها . فقام الباشا باصلاح تلك المدرسة وعاد محمد يقيم فيها الاذكار ويقرأ الصلوات ويدرس الطلبة (١٥٢) .

وخلال وجوده في طرابلس ، نشأت بينه وبين محمود الرافعي (ابي الانوار) صداقة حميمة . فكان الشيخان يداً واحدة في اقامة الاذكار ونشر الخلوتية في شتى

ربوع سورية ولبنان وفلسطين . ومن اجل ذلك كانا يتجولان في تلك المناطق مع اتباعهما ، حيث كانا يتومان بتربية المريدين واخذ العهود ومنح الاجازات وتنصيب الخلفاء . وقد استمرت هذه الاخوة بين ابنائهما من بعدهما لا سيما بين عبد الرزاق الرافعي وحسين الجسر (١٥٣) .

توفي محمد عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م بمدينة اللد بفلسطين ، حيث كان في احدى جولاته التفقدية لاتباعه . وكانت وفاته اثر مرض شديد الم به . ومما يذكر ان الشيخ لما علم بدنو اجله اوعز الى من معه باقامة حلقة الذكر التي ختمهـا الشيخ المحتضر بالشهادتين وتسليم الروح . وقد جرى دفنه هناك بحضور جمع غفير من اهالي يافا واللد والرملة والقرى القريبة ومن كان معه من الطرابلسيين (١٥٤) . وقد رثاه مختلف المشايخ في سورية ولبنان وفلسطين .

لقد كان محمد محباً للعلم ، ملتزماً الصلاح والتقوى ، مراعياً آداب الشريعة ، متصفاً بالاخلاق المرضية ، زاهداً في المناصب الدنيوية . فمما يؤثر عنه انه رفض استلام بعض الزوايا في قبرص أولا ثم في استنبول ، بالرغم من غنى هذه الزوايا . وذلك ليس خوفاً من ان لا يسلك فيها الاستقامة والعدل ولكن من ان ينحرف ابناؤه من بعده ، اذ كانت هذه الوظائف تنتقل هناك بالوراثة . واشتهر محمد بحبه للفقراء وللمساكين والنصيحة لهم ، وارشادهم الى الخير . وكان يهبهم كل ما يصل الى يده من اموال ، مما دفع البعض الى الطلب اليه أن يقتني لأولاده ، من بعده ، بعض العقارات ، وان يترك لهم اموالا تعينهم على الدهر ... لكن محمداً ردّ على هذا الفريق بأن ولده ان نشأ تقياً فان الله لا يحوجه الا اليه . وان كان بخلاف ذلك فهو لا يريد ان يعينه بما يقتنيه له على معصية الله (١٥٥) .

ترك محمد كتابات علمية وشروحات على بعض الكتب ، وهي تتناول فنوناً شتى من شرعية الى صوفية الى لغوية ... وترك عدة مراث ومدائح يعبر فيها عن حقيقة مشاعره نحو مشايخه في الطريقة كتلك التي مدح بها شيخه الصاوي ... (١٥٦) .

دهـري رمـاني باسهـم الاحـزان	مـذ خضـت بحـر الغي والعصيـان
كـم ليلـة تمضـي علـي مـن الاسى	ارعـى النجـوم بطـرفي الوسنـان
امسيـت محتـاراً اهيـم كفاقـد	لأليفـه أو عـاشق ولهـان
نـاديت يـا ربـاه غوثـاً سيـدي	ارحـم لحـالي بالنبـي العدنـان
مـن بعـد ذا الهمـت ان لا مخلـص	الا بمـدح العالـم الربـاني
مقـدام اكـرم عـارف ومسلـك	بـاب الوصـول لحضـرة الديـان
كـم مـن مريـد قـد هـداه لرشـده	بعـد الضـلال بسـره النـوراني
واذا اغتدى قطبـاً لارشـاد الـورى	كنـي ابـا الارشـاد عـن برهـان
اعنـي بـه الصـاوي كنـز معـارف	ودقائـق وحقائـق العرفـان (١٥٧) .

ومنها يظهر ان محمداً كان يهتم بتنميق الالفاظ وتنسيق الاسجاع ، على عادة معظم

شعراء عصره ، بل يرسل التعابير والكلمات التي تعبر بصدق عن مشاعره واحاسيسه .

مريدوه : كان محمد يقيم حلقات الذكر في كل مكان يصل اليه . الأمر الذي كان يدفع جمهور المريدين الى سلوك طريقته الخلوتية على يديه . وحلقات ذكره في قبرص ، مثلا ، كانت تضم اعيان الجزيرة من الطائفة الاسلامية هناك ، وكانت مناسبة دفعت بالكثيرين الى سلوك الخلوتية ومتابعة اذكارها واورادها . وفي استنبول سلك محمد عدداً كبيراً من المشايخ : خضر الدبوسي ، محمد الحنفي ، باكير آغا القباقيبي (احد تجار الشام المقيمين في استنبول) ، محمد المنزلجي (منشد المدائح النبوية في زاوية استنبول الخلوتية) ، محمد ديب الدمشقي الذي تولى مشيخة الطريقة وادارة حلقات الذكر في الزاوية بعد عودة محمد الجسر الى طرابلس (١٥٨) .

ومما يذكر ان محمد أباظة (ابا خليل) ، الذي نال شهرة عظيمة في بلاد الشام ومصر ، كان قد حضر حلقة ذكر ، اقامها الجسر في قبرص ، فأخذ يضحك من هؤلاء الذاكرين . لكنه سرعان ما ندم وانطلق الى الشيخ يعتذر ويعلن رغبته في الانضمام الى جملة المريدين . وابو خليل هذا انشأ زاوية للخلوتية في صيدا . وقد زاره فيها الجسر قبيل وفاته ، وذلك عندما مر بتلك المدينة قاصداً بيت المقدس . ومن مريديه في يافا آل الدجاني حسن وحسين وعبد القادر ابو رباح ...

وقد سلك على يديه عدد من مشايخ صيدا منهم : محمد المجذوب ، بكري حتيتو ، عبد السلام الجراح ... فقد ترك هؤلاء مسقط رأسهم صيدا وانطلقوا الى طرابلس يأخذون عن الشيخ الشريعة والطريقة في المدرسة الرجبية . ولما رجعوا الى مدينتهم انشأ كل منهم زاوية للخلوتية جمعت عدداً من مريدي الطريقة هناك .

وفي منطقة عكار انتشر مريدو الشيخ لا سيما في قرية برقايل (١٥٩) .

وفي طرابلس سلك على يديه عدد من المشايخ :

ا ــ محمد مراد : من علماء اسكلة طرابلس . ولد فيها وتعلم على الشيخ الجسر في المدرسة الرجبية بطرابلس . انقطع للمطالعة والتأليف وقرض الشعر والتدريس . من نظمه قصة المولد النبوي وسيرة المعراج ومطلعها :

مــن مكـــة والبيــت الامجــد   للقــدس ســرى ليــلا احمــد

زاول الخطابة والامامة في جوامع الاسكلة . ووضع في اواخر حياته شرحاً مختصراً لمقامات الحريري . توفي عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م (١٦٠) .

ب ــ عبد الله المطرجي .
ج ــ مصطفى الهندي .
د ــ محمد القرق (١٦١) وغيرهم كثير .

٢٣ ـ حسين بن محمد الجسر :

ولد في حي الحدادين من طرابلس عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م . وينتهي نسبه الى بني مائي من مدينة دمياط في مصر . ومن المرجح ان اسرة الجسر انتقلت من دمياط الى طرابلس خلال عام ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م . وبعد تسعة اشهر من ولادته توفي والده محمد ، فكفله عمه مصطفى الذي أحسن الوصاية وانشأه تنشئة حسنة . وفي العاشرة من عمره توفيت والدته فنشأ يتيماً .

قرأ القرآن على احمد عبد الجليل وتعلم الخط عنده ، ثم لازم حلقة الدروس اللغوية والدينية عند الشيخين عبد الرزاق وعبد القادر الرافعيين . ثم انتقل الى حلقة احمد اعرابي الذي كان يعتبر من اشهر علماء طرابلس في اللغة ، فتلقى حسين عنده مبادىء الصرف والنحو والفقه . ولقد مال حسين الى الادب ونظم الشعر في سن مبكر . ثم سافر الى القاهرة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م حيث التحق بالجامع الازهر ، واكب على تحصيل العلوم . وقد تفوق على جميع اقرانه في العلوم الدينية والعقلية واللغوية ، واشتهر اسمه بين اساتذته وبين سائر الطلاب في الازهر . اقام في مصر خمس سنوات تتلمذ خلالها على عدة مشايخ مشهورين منهم : صهره عبد القادر الرافعي الذي اصبح مفتياً للديار المصرية ، احمد الرافعي ، مصطفى المبلط ، عبد الرحمن البحراوي ، سليمان الخاني ، حسين منقاره الطرابلسي ، حسين المرصفي ... وكان حسين يلازم حلقة درس المرصفي ويلازمه في داره ايضاً . فقد كان المرصفي معجباً بأدب وافكار حسين .

وفي سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م عاد الى طرابلس حيث بلغته انباء عن مرض عمه مصطفى الذي ما لبث ان توفي . وهكذا اضطر حسين الى البقاء في بلدته بالرغم من ميله الشديد للرجوع الى الازهر (١٦٢) .

وفي طرابلس اخذ حسين يلقي دروساً في الفلسفة الدينية . وبعد فترة انتقل بدروسه الى المدرسة الرجبية التي ورثها عن والده والتي تقع في منطقة الدباسة . فكان يدير فيها حلقات الذكر ويدرس التلاميذ . وفي عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م كان حسين قد اقام مدة سبع عشرةسنة ، لم يفارقها الا مدة خمس سنوات عندما انتخب رئيساً للمدرسة الوطنية بطرابلس والمدرسة السلطانية في بيروت (١٦٣) .

وعن زاويته يقول : « واما الجنينة الملحقة بالمدرسة الرجبية فهي المحل الذي اعانني الله تعالى على بناء منزل فيه لاقامة الذكر الخلوتي ، وقراءة الصلوات ، باجتماع اخواننا الخلوتية ، وهو قبال المدرسة الرجبية المذكورة . أدام الله تعالى علي فضله بخدمة العلم الشريف وهذه الطريقة الى انتهاء اجلي » (١٦٤) . وكان الجسر قد نال الاجازة في الطريقة الخلوتية من الشيخ محيي الدين الفاخوري البيروتي (١٦٥) .

ومما تجدر الاشارة اليه انه لما مرض عمه مصطفى ، لم يتمكن هذا الأخير من القيام باعباء الذكر في الزاوية ، فعهد الى ابن اخيه حسين بادارة الحلقات ، يعاونه في ذلك

نسيبه محمد البيزة الذي كان نقيباً (١٦٦) لتلك الزاوية . وكان ذلك في النصف من شعبان ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

وكانت لوالده محمد زاوية اخرى بالقرب من الجامع المعلق ، فحولها حسين الى مركز لاستقبال المهنئين ايام الاعياد والمناسبات الدينية . وظل حسين يدرس العلوم الشرعية وعلم الكلام ويلقن مسلك الامام فخر الدين الرازي ، ويقيم حلقات الذكر ويربي المريدين ويمنح الاجازات في الطريقة حتى عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م اي العام الذي تأسست فيه مدرسة « الفرير » في طرابلس . فرأى حسين ضرورة تأسيس مدرسة اسلامية عصرية ، في مدينته ، تدرس اللغة الفرنسية بالاضافة الى العلوم الشرعية واللغوية . فأسس المدرسة الوطنية التي كانت تقبل الطلاب من كافة الاديان . ونالت مدرسته تلك اعجاب الجميع وانتسب اليها عدد كبير من الطلاب (١٦٧) .

وفي اواخر عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م اغلقت المدرسة الوطنية ابوابها . وكان السبب في ذلك أن بعض علماء عصره حسدوا سعيه فوضعوا في طريقه الاشواك ، واعترضوا سبيله بالعقبات والوشايات .

وبعد فترة استدعي حسين الى بيروت لادارة المدرسة التي انشأتها الدولة العثمانية والتي كان يدرس فيها محمد عبده واحمد عباس الازهري مؤسس الكلية الاسلامية ببيروت . وقد شهد لحسين علماء بيروت بالباع الطويل في العلوم العصرية . لكنه لم يلبث هناك طويلا ، فعاد بعد سنة الى مسقط رأسه طرابلس حيث اعتنى بالمدرسة الرجبية وفتح ابوابها امام الطلاب ، منصرفاً الى الاهتمام بالعلوم الدينية (١٦٨) .

وكانت لحسين رغبة شديدة في تأليف كتاب في التطبيق بين ما ثبت في الشريعة المحمدية وبين ما يعارضه من العلوم العصرية الحديثة ، آنذاك ، حتى يكون له الأثر العظيم في هداية النشء الجديد الى الصراط المستقيم ، ودفع الشبهات التي تساور نفوس المتعلمين . فأخرج كتاب « الذخائر في الفلسفة الاسلامية » وكتاب « الرسالة الحميدية » (١٦٩) .

ولعل السبب في تأليفه لهذا الكتاب جاء في قوله : « وقد خطر لي من حيث وجدت مجالا للكلام وسميعاً للنداء ، أن احرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي وكيفية تحققه لمتتبعيه على اسلوب جديد ، سهل الفهم ، لا تمله الانفس ولا تستوعره الافكار ، يروق العقول الحرة ، وليجنب الاذهان المطلقة عن قيود التعصب ».(١٧٠) .

قد يظن البعض ان حسيناً قد أراد التقرب من أولي الامر ، وبالاخص من السلطان عبد الحميد فنسب كتابه اليه . والواقع ان الحكومة العثمانية كانت تمنع طبع الكتب الا بعد موافقة مجلس التدقيق في المؤلفات . اما الرسائل فقد انيط امرها إلى مجلس المعارف ببيروت . وقد اشار عليه افراد هذا المجلس ان يذكر كلمة رسالة بدلا من كتاب . فقد كان مسموحاً لهم الترخيص بطبع الرسائل .

اما اطلاق اسم السلطان عبد الحميد على تلك الرسالة فلكي يمنع الوشاة والجواسيس من عرقلة مشروعة (١٧١) . لعبت هذه الرسالة دوراً بارزاً في العالم الاسلامي ، وترجمت الى عدة لغات ، ولقيت القبول لدى السلطان عبد الحميد الذي استدعى الشيخ حسين الى الاستانة وقلده وساماً وانعم عليه .

وظل حسين تسعة اشهر في الاستانة ، حيث الف كتاب « الحصون الحميدية » . ثم رجع الى طرابلس حيث اهتم بالتدريس في جامع طينال (طيلان) والتأليف . ومن اشهر كتبه الأخرى ، كما يرتبها ابنه نديم ، مفتي طرابلس :

العلوم الحكمية في نظر الشريعة الاسلامية ــ هدية الالباب في جواهر الآداب ــ مهذب الدين ــ تربية المصونة ــ علم تربية الاطفال ــ تعدد الزوجات ــ العقيدة الاسلامية والعقيدة النصرانية والمناظرة بينهما بالاستدلال في كتبهما ــ القرآن الكريم وعصمة الانبياء ــ ذخيرة المعاد في فضائل الجهاد ــ رسالة في آداب البحث والمناظرة ــ رسالة في صدقة الفطر ــ التوفير والاقتصاد ــ حكمة الشعر ــ كلمات لغوية ــ الادبيات ــ مختارات طرابلس ــ مجموعة خطب منبرية ــ مجموعة اشعار وهي ما نظمه في حياته في موضوعات اخلاقية وحكمية وغزلية وتواريخ وتهنئة ــ وهي حوالي ١٣٧٥ بيتاً ــ اشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة ــ نزهة الفكر في مناقب الشيخ محمد الجسر ، وقد ذكر فيه سيرة والده معدداً مناقبه ــ رياض طرابلس الشام ، وهي مقالات عديدة كان يكتبها لجريدة طرابلس (١٧٢) . وقد بلغت مجلدات وكلها بليغة العبارة غزيرة المادة ــ الكواكب الدرية في الفنون الادبية . وهو من اروع ما كتب والف في الادب العربي ــ البدر التمام في مولد خير الانام . نشره عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م . ويتضمن قصة المولد النبوي بعبارة منظومة . ولهذا الكتاب قيمة من حيث الشعر ، لانه صادر عن انجذاب ووجد ديني خالص . وهو مؤلف من مئة وخمسين قطعة . وقد اقبل الطرابلسيون على اقتنائه . جاء في فاتحته :

حمداً لمن بعث النبي رحيما

بالمؤمنين وزاده تكريما

انشأه من اصل زها تفخيما

وانار فيه الكائنات عموما

صلوا عليه وسلموا تسليما (١٧٣) .

وفي عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م اعتلت صحته وتوفي . وقد رثاه علماء طرابلس ومشايخها ومنهم حكمت شريف صاحب مجلة الرغائب ، وتلميذه عبد الحميد الرافعي الذي بين مناقبه وتواضعه وزهده ، وانفاقه في سبيل الخير ، وامتدح اياديه البيضاء في مجال الشريعة . وخص بالذكر تآليفه العديدة التي الفت في نصرة الدين ، وذكر فضله عليه اذ حضر عليه دروس العلم في طرابلس مدة اربع سنوات (١٧٤) .

« كان الشيخحسين كاتباً وشاعراً عصرياً ، يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة . وكان له اسلوب خاص في التعليم غير اسلوب الازهر يتحرى فيه السهولة في البيان ويتجنب المناقشات اللفظية واستطرادات الحواشي . فلم يكن يذكر منها الا ما لا يتم تحرير المسألة العلمية بدونه » (١٧٥) .

لقد كان من اخص خصائص الجسر تبحره في علم التوحيد ، وامتلاكه نواصيه . ولا تزال كتبه وتصانيفه ، الى الآن ، محل عناية الدارسين والباحثين في العلوم الشرعية ، مما يدل على اجادته في هذا الفن .

جمع الجسر بين العلوم الدينية القديمة والعلوم العصرية ، وادلى بدلوه في شتى الموضوعات . فكان اشبه بالغزالي منه باي عالم آخر . يتفق العالمان (الغزالي والجسر) في ان الغرض من مباحثهما الفلسفية يتلخص في اثبات وجود الله وما يتفرع عن ذلك من قيم ومبادىء .

وكما كان الغزالي يؤمن بحقائق العلم التي تقوم على البراهين ، ويستنكر القول بمنافاتها للدين ، ويهاجم المنكرين الذين يحسبون انهم بهذا انما ينصرون الدين ، ويعتبرهم من اشد الناس اضراراً بالدين . فان الجسر يشدد النكير على علماء الدين الذين لا يعترفون بحقائق العلم ، ويعتبرهم عقبة في سبيل الايمان لجهلهم قواعد الدين واصوله وعدم مقدرتهم على التوفيق بين نصوص الدين والادلة العقلية القاطعة .

وقد اتفق العالمان في ان كلا منهما وضع كتاباً للرد على الفلاسفة في الامور التي وجدا أنها تخالف الدين . فالغزالي وضع كتابه « تهافت الفلاسفة » . ووضع الجسر « الرسالة الحميدية » . ويكمن الفرق بينهما في امرين :

الأول : أن الغزالي خص كلامه في التهافت على رد بعض اقوال الفلاسفة الالهيين ، ولم يتناول راي الماديين الطبيعيين المنكرين لوجود الله (١٧٦) .

لكن الجسر وجد ان المذهب المادي أخذ ينتشر بفضل بعض العلماء الماديين في القرن التاسع عشر . فكان كلامه في الرسالة موجهاً الى هذا الفريق .

الأمر الثاني : ان الجسر تعرض لمحاربة آراء تنكر وجود الخالق ، وتدعي بان الحياة انما نشأت من الجماد بالتولد الذاتي . وهو ما عبر عنه مذهب النشوء والارتقاء . وهذه الآراء لم تكن موجودة ايام الغزالي (١٧٧) .

ويهاجم الجسر العلماء الذين يبحثون في كنه ذات الله ، ويبين تقصير عقولهم عن ادراك حقيقة المادة ، وحقيقة الحياة ، وحقيقة العقل والادراك ، ومعرفة الطريقة التي يتم بها الاتصال بين المادة والعقل . . . ويتساءل : « هل يرجو الانسان الذي لا يعرف كيف يعرف ولا يدرك كيف يدرك ، ولا يعقل كيف يعقل ، ان يدرك حقيقة الله ؟ » (١٧٨) . واذا كانت العقول لا تتمكن من تصور هذا الاله ، في رأيه ، فلا يعني ذلك عدم وجوده . ويصل الجسر الى النتيجة التالية : يكفي العقول ان تستدل على وجود الله وصفاته

بآثاره . فكل ما في الكون من نظام واتقان واحكام . . . دلائل قاطعة على وجوده (١٧٩) .

وللشيخ آراء في موضوعات مختلفة بسطها في مختلف تآليفه ، وبصورة خاصة في الرسالة الحميدية التي جمع فيها خلاصة آرائه الدينية والفلسفية والعلمية .

رايه في العقل والروح :

يرى الجسر ان العقل من المغيبات التي لا سبيل الى أيضاح حقيقتها ، وان الشرع لم يأت بايضاح لها ؛ لذلك لا يبعد أن يكون صحيحاً قول الماديين ان العقل ظاهرة من ظواهر تفاعل اجزاء المادة ؛ ولكنه تفاعل حصل بخلق الله لا بمحض حركة المادة لذاتها . وهذا الأمر ينطبق على قول الماديين ان عقل الانسان لا يخالف عقول الحيوانات الا بالكم ولا يخالفها في الذات . وهذا القول ، في راي الجسر ، لا ينافي نصوص الشريعة الاسلامية ؛ اذ لم يرد فيها ما يعارض ذلك أو يؤيده ، بل غاية ما ورد أن الانسان خص

بالعقل عن سائر الحيوانات وبه كلف بالشرائع من دونها . اما كون هذا العقل مغايراً لادراكها أم لا . فلم يرد فيه نص ، لذلك لا مانع من ان يكون ادراك الحيوانات وعقل الانسان من مقولة واحدة ، ولكنه زاد في الانسان حتى بلغ درجة ممتازة عن سائر عقول الحيوانات .

اما الروح ، فمع اعتراف الجسر ، بوجودها ، فانه يصرح بعجز العقل عن ادراك كنهها وحقيقتها . وهذا هو الموقف الذي يتخذه الشرع من مسألة الروح اذ وقف معرفتها على الله وحده (١٨٠) .

رايه في اصلاح الدولة العثمانية آنذاك :

كان حسين يرفض الدخول ، في خدمة الدولة العثمانية ، ويعتزل الحكام . وقد تجلى ذلك عندما رغب السلطان عبد الحميد بتعيينه في استنبول ، فاعتذر الجسر وفضل العودة الى بلدته واتمام مهمته التربوية والتهذيبية . ومع ذلك فانه كان ينصح المصلحين بالامور التالية :

١ ــ الحفاظ على خلافة المسلمين في بني عثمان ، على ان تكون بينهم وبين العرب عهود ولاء ، ومواثيق تجعلهم كتلة واحدة .
٢ ــ ولتوطيد تلك الوحدة ، اشار الجسر الى ربط البلدان الاسلامية بعضها ببعض بخطوط حديدية ، يكون مركزها عاصمة البلاد . وذلك من اجل اتصال شعوب الدولة وتعارفها .
٣ ــ اصلاح ولاية الحجاز وجعل ادارتها منتظمة كبقية الولايات ، ويتم ذلك ، في رأيه ، بتحضير القبائل المتواجدة في تلك البقعة .
٤ ــ الاصلاح الديني ، على نطاق الدولة ، ويتم ذلك في نظره بالقضاء على الخرافات ، ومحاربة البدع (١٨١) .

تلامذته ومريدوه :

سلك الطريقة الخلوتية على يديه عدد من علماء طرابلس . ولم يقتصر الأمر على طرابلس وحدها ، فقد تخرج عليه عدد آخر من علماء العالم الاسلامي وفي طليعتهم ابو النور الموزون ، احد مشايخ سمرقند المشهورين . فقد تعرف الموزون بالجسر ابان احدى رحلاته نحو الديار المقدسة ، فلازمه واقام في حلقته في جامع طينال واخذ عنه الخلوتية . ولما عاد الموزون الى سمرقند اخذ ينشر تعاليم شيخه هناك . ثم اقام في قرية خرتنك القريبة من سمرقند ، وانقطع للعبادة وذكر الله في مسجد بني عند ضريح الامام البخاري . وقد نصحه الجسر بقراءة الفلسفة ، ومطالعة آراء الفلاسفة عن وجود الله واحديته ، ثم المقارنة بين هذه الآراء ، ثم جمع كل آيات القرآن الدالة على وجود الله ، وقراءتها بتدبر ، وعلى ضوء ما قرأ من الفلسفة والعلم . ويطلب من مريده عندئذ ، ان يحكم العقل في التوفيق بين العلم والادب . فلا بد ان يجد المــرء نفسه في احضان الايمان واليقين ، كما يرى . وقد نصحه ايضاً بالاكثار من قراءة سورة الضحى وسورة الانبياء ، وعدم القنوط من رحمة الله (١٨٢) . ومن اقوال الجسر في نصح هــذا المريد : « ان الفلسفة بحر على خلاف البحور ، يجد راكبه الخطر والزيغ في سواحله وشطآنه ، والامان والايمان في لجحه واعماقه » (١٨٣) .

ومن اشهر مريديه الطرابلسيين :

٢٤ ــ محمد الجسر :

ابن حسين توفي عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، نائب طرابلس في مجلس المبعوثان العثماني ثم رئيس مجلس الاعيان ، ثم رئيس مجلس النواب اللبناني ، ووزير الداخلية ثم وزير التربية الوطنية .

ولد في طرابلس وتعلم على والده ، وتقلب في عدة وظائف ، خلال العهد العثماني ، وحين انفصلت البلاد عن الدولة العثمانية ، شغل منصب رئاسة محكمة الجنايات . ثم انتقل الى منصب الوزارة فعضوية مجلس الاعيان ثم النواب . وحين انتهت مدة رئاسة شارل دباس ، قرر النواب انتخاب محمد الجسر لمنصب رئاسة الجمهورية ، الأمر الذي لم يرض عنه المفوض السامي الفرنسي ، فحل المجلس والغى الدستور . وفي اواخر ايامه اعتزل محمد السياسة وانصرف للعبادة (١٨٤) .

٢٥ ــ نديم الجسر ابن حسين :

المفتي الحالي لطرابلس ولبنان الشمالي . اشتهر نديم بغزارة تآليفه :
« قصة الايمان » وقد قرظه عشرات من علماء وادباء العالم الإسلامي .
« الموجز في الفلسفة العربية » .
« ادب الحياة في الاسلام » .
« فلسفة الحرية في الاسلام » .

« الاسلام في العالم المعاصر » .
« شبابنا بين الايمان والتدين » .
« ركائز التفكير الاسلامي » .
« غريب القرآن ومتشابهاته » وهو عبارة عن تفسير لمعنى حوالي الف كلمة وردت في القرآن .

يذكر نديم الاسباب التي دفعته الى القيام بوضع هذا المؤلف :

أ ـ الكدح المرير الذي يتطلبه العصر ، حيث لا يجد القاريء متسع وقت لأن ينبش بين ركام الكلام ، في كتب التفسير ، عن المعنى اللغوي المختصر المفيد للكلمة التي تمر به اثناء تلاوته للقرآن او سماعه . وقلما ترتفع بالقاريء الهمة للبحث عن اصل الكلمة ومصدرها في معاجم اللغة .
ب ـ ان التفاسير القديمة ، على جلالة قدرها وقدر اصحابها ، غير وافية ، كما يرى ، بحاجات عصرنا الحاضر : فبعضها قد وضع تفسير الكلمات على ترتيب سور القرآن فأدى ذلك الى تكرار الكلمة الواحدة او الى احالة الطالب الى تفسير سابق لتلك الكلمة في سورة سابقة .

وبعضها لا يراعي ترتيب الحروف الهجائية في الكلمة الواحدة فيحتاج الطالب الى البحث عن الكلمة في صفحات اخرى ، وتصبح الكلمة ذات المعنى الواحد والأصل الواحد مذكورة بصيغ مختلفة في صفحات متعددة . ولو روعي ترتيب الحروف وتتابعها في الكلمة الواحدة لاجتمعت الكلمات التي ترجع الى اصل واحد في مكان واحد ولكان في هذا فضلا عن الايجاز والتيسير ما ينبه الطالب الذي يعرف بعض مشتقات الكلمة الى أن يتذكر معناها ويألفه حتى لا يعود غريباً عن سمعه وفهمه .

ويبين نديم بان بعض التفاسير يكتفي بذكر الكلمات الغريبة الصعبة ، ويضرب صفحاً عن ذكر تلك التي يراها المؤلف معروفة وهينة على الناس . وقد تكون هينة حقاً في العصر الذي وضع به ذلك الكتاب . اما اليوم ، في عصرنا الذي ضعف فيه شأن اللغة فانها اصبحت صعبة ومعدودة من غريب القرآن .

فهذه هي الاسباب التي دفعت بنديم الى وضع كتاب تعمد فيه تذليل الصعوبات ،

وتجنب الاختلاف بين معنى الكلمة عند المفسرين ومعناها في لغة العرب التي انزل بها القرآن .

والواقع ان المفتي جمع فيه كل الكلمات التي يمكن ان يقف عندها المتعلمون وغير المتعلمين ، وفسرها تفسيراً لغوياً محصناً ، ونسقها على ترتيب المعجم الحديث ، وذكر امام الكلمة اسم السورة ورقم الآية . الا في الكلمات المكررة والتي لها نفس المعنى (١٨٥) .

توفي نديم في ١٢ ربيع الأول ١٤٠٠هـ / ٣٠ كانون ثاني ١٩٨٠م .

٢٦ ــ محمد بن ابراهيم الحسيني :

بعد تخرجه من مدرسة حسين الجسر ، تفرد بالقاء دروس على الطلاب في حلقته الخاصة في رابية التل العليا ، وسط مدينة طرابلس . فكان يفسر لهم ما يرغبون من العلوم العصرية والفلسفية . وكانت حلقته تكتظ بالطلاب . وبالرغم من انه كان لا يحسن لغة اجنبية ، الا انه كان على اطلاع على ما كتبه الفلاسفة الاوربيون بشأن المادة وحدوثها . وقد اخذ عن شيخه الجسر الالتزام بالمقارنة بين آراء الفلاسفة وما أتت به الشريعة الاسلامية وما تضمنه القرآن (١٨٦) .

وقد عرف فضل هذا الشيخ ومكانته عدد من المستشرقين منهم الفرنسي ماسينيون ، وذلك اثناء مروره بطرابلس . فلما استمع الى حديثه في شرح الاحاديث النبوية وتفسير القرآن وفي الفقه والفلسفة . اعلن ماسينيون عن اسفه لبقاء محمد في طرابلس وعدم ارتياده جامعات اوروبا لالقاء محاضرات على الطلاب . توفي محمد عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م تاركاً عدة اجزاء من تفسير القرآن ، وردوداً على بعض الفلاسفة الذين يروجون الالحاد (١٨٧) .

ومن تآليفه : « فريدة الاصول » في اصول فقه ابي حنيفة اذ كان الحسيني على هذا المذهب . وقد قسمها الى ستة اقسام تبحث في : القرآن ، السنة ، الاجماع ، القياس ، المعارضة والترجيح ، الاحكام . وقسم كلا منها الى عدة ابحاث . ويحدد محمد الاسباب التي دفعته الى القيام بهذا العمل :

أ ــ مكانة علوم الأصول المهمة بين العلوم الشرعية .
ب ــ الابحاث الناقصة التي قام بها بعض القدامى والمعاصرين في هذا المجال .
ج ــ وضع هذا العلم شعراً ليسهل على الطلبة حفظه (١٨٨) .

وبعد فالعبد الفقير المذنب ... محمد من للحسين ينسب
الطرابلسي بلداً ومحتدا ... والحنفي مذهباً ومنتدى
يقول راجياً نجاح المقصد ... بجاه طه المصطفى محمد
فن الاصول في الورى جليل ... اذ وضعه الاحكام والدليل
لولاه لا يعرف فرع من دليل ... ومن هنا ليس له حقاً مثيل
وقد عني فيه الفحول في القديم ... وفي الحديث محيت تلك الرسوم (١٨٩) .

ويهاجم الحسيني الفلسفة ويتهمها بالسفسطة وبالسخافة وبكل ما هو قبيح ويقترح عوضاً عنها العلوم الشرعية والسنة المحمدية :

لكنهم قد درجوا للفلسفة ... اقبح بفن غاية منه سفه
الا ترى الى فتى معرة ... كيف اكتبى بكسبها المعرة
قد سئل المذكور يوماً ما الذي ... حصلته منها لكيما نحتذي
فقال ما ازددت خليلي علما ... الا وزدت في الانام وهما

فهذه غايتها السخيفة	وهذه طينتها الخفيفة
قد موهوا الوهم بترهات	ودهنوا البطل، خزعبلات
ان الغزالي حجة الاسلام	وابن خطيب الري ذا الكلام
اي وابن رشد وابن خلدون والامام	وغيرهم ممن عليهم الكلام
قد بيّنوا فسادها وابطلوا	انتحالها ثم عليه دللوا
وسلسلوا المقدمات لليقين	فكان كالشمس بعين الناظرين
عن مثلهم قد نقلنا الدينا	فكتبهم افادت اليقينا
مملوؤة بدرر المسائل	مشحونة بغرر الدلائل
ما العلم الا آية محكمة	أو سنة قائمة هادية (١٩٠) .

وقام حسين الجسر بتقريظ كتاب مريده الحسيني منوهاً بفضله وجراته في هذا المجال (١٩١) .

وحاول الحسيني وضع تفسير حديث للقرآن ، بقالب عصري ، يختلف عن بقية التفاسير . فكتب ثلاثة اجزاء . ثم داهمه المرض والشيخوخة ، فلم يكمل هذا التفسير . وكان ينشره على صفحات مجلة اللواء الاسلامي التي كانت تصدر في طرابلس (١٩٢) .

يرى الحسيني ان اساس العلوم الدينية موجود في الكتب السماوية من التوراة والانجيل والقرآن . لكن القرآن ، في رأيه ، ناسخ لهما ، لذلك فهو المقصد الأعلى والمطلب الاسنى .

وقد نزل القرآن بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم ، فكانوا يفهمونه ويعلمون اسباب نزوله وناسخه ومنسوخه . ثم صارت علوم اللسان صناعية فاحتيج الى تفسير للقرآن . وصار التفسير على صنفين : تفسير نقلي يستند الى الآيات والاحاديث وتفسير يرجع الى معرفة اللغة والاعراب والبلاغة . ويبين الحسيني ان كتب الصنف الأول تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود . وان اصحاب الصنف الثاني اقتصروا في تفسيرهم على الفن الذي برعوا فيه . وبعد أن انتقد المبتدع الذي ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه ، والملحد الذي يتقول على الله ما لم يقل ، ينتقل الى معالجة رأي الصوفية في القرآن فيعلن بان كلامهم في القرآن ليس بتفسير بل هو اشارة خفية الى دقائق تنكشف لهم ويمكن ، في رأيه ، التطبيق بينها وبين معاني القرآن (١٩٣) .

ولم يلج الحسيني هذا الموضوع الا بعد اطلاعه على مختلف التفاسير التي يحصرها في اربعة :

أ ــ « الكشاف عن حقائق التنزيل » لمحمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ــ٥٣٨هـ / ١٠٦٤ــ١١٤٣م) . وقد بين الحسيني ان هذا التفسير مشحون بعلوم البلاغة .

ب ــ « انوار التنزيل » لعبد الله بن عمر البيضاوي . توفي بتبريز (٦٨٥هـ /

١٢٨٦م) . وقد بين الحسيني ان هذا التفسير لاختصاره لا يهتدي الى مقاصده الا من تبحر في العلوم الكونية والفنون الادبية والنظرية .

ج ــ « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » لابي السعود بن محمد العمادي (٨٩٨ــ٩٨٢هـ / ١٤٩٢ــ١٥٧٤م) . وهو خلاصة التفسيرين السابقين .

د ــ « تفسير الجلالين » لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي . ويعتبره الحسيني من المختصرات في التفسير .

ولم يترك الحسيني تفسيراً الا واستعرضه ، ولا حاشية على تفسير الا واطلع عليها ، حتى جاء تفسيره ، كما يعتقد ، خالياً من عيوب التفاسير السابقة (١٩٤) .

وقد ادلى الحسيني بدلوه في عدة مسائل تتعلق بالقرآن وهي :

أ ــ رايه في غريب القرآن .
ب ــ في براهين القرآن .
ج ــ في اعجاز القرآن .
د ــ مضامين القرآن .

وكان الحسيني يسلك الطريقة الازهرية في التدقيق والتحليل والمناقشة ، وذلك عقب عودته من مصر . فلما استقر به المقام تركها والتزم بطريقة شيخه الجسر . وقد اشتهر بمحاوراته مع محمد كامل الرافعي في ادق المسائل . فقد كان الشيخان يطالعان اعلى كتب الأصول والمنطق والفلسفة (١٩٥) .

يذكر رشيد رضا بانه قد مارس الطريقة النقشبندية مع الحسيني عند شيخ طرابلسي ؛ لم يذكر اسمه ، وصل الى مرتبة المرشد الكامل ، كما يعتقد رشيد . ولقد قطعا مراتب اللطائف كلها ورأيا ، كما يذكر رشيد ، في اثناء ذلك كثيراً من الامور الروحية الخارقة للعادة التي تظهرها الرياضة وكثرة الذكر والفكر . لكن توجه المريد النقشبندي ، اثناء ورده ، الى شيخه دفع الشيخين (رشيد والحسيني) الى نبذ هذه الطريقة ، اذ اعتبرا ان ذلك قد يكون من الشرك الخفي . فرجعا الى طريقة استاذهما الجسر (١٩٦) .

٢٧ ــ محمد الشهال :

ولد بطرابلس عام ١٢٨٥هـ /١٨٦٨م ، اكب على تحصيل العلوم ، انقطع للشيخ حسين ولازم دروسه ففاق اقرانه . ونال الاجازة منه . ثم انصرف الى التدريس والنظر في سائر العلوم .

انتخبه المطران غريغوريوس الرابع للتدريس في مدرسة كفتين . سافر للاستانة للتبحر في العلوم . وبعد رجوعه الف رسالة في علم الفلك ، ثم أخذ في وضع تفسير للقرآن . والف رسالة في تربية دود القز ، نال عليها جائزة من الحكومة العثمانية مع

وسام ذهبي . ثم اتبعها برسالة اخرى في كيفية استخراج الزيوت من النباتات . وفي خلال الحرب العالمية الاولى وانقطاع ورود المواد الأولية ، راجعه الدباغون لمعرفة المواد الكيماوية التي بامكانهم الاستعانة بها في دبغ الجلود ، فهداهم وتمكنوا من انتاج مصنوعات في غاية الاتقان .

وقد تمكن من تركيب المتفجرات (الديناميت) دون ان يكون له معرفة بطريقة نوبل السويدي .

علّم الشمال في مدرسة الفرير مدة طويلة . وكانت له زاوية بقرب الجامع الكبير . توفي عام ١٣٣٧هـ /١٩١٨م (١٩٧) .

٢٨ ـــ عبد القادر المغربي :

ولد بطرابلس وتعلم على الجسر ، فاتقن اللغة العربية كل الاتقان وبرع في سائر العلوم التي كانت تدرس في المدرسة الرجبية . ثم تاقت نفسه للاتصال بجمال الدين الافغاني . ولما بلغ مرحلة الشباب قصد الاستانة حيث تلقى دروساً على يد الافغاني . ثم عاد الى طرابلس وزاول الامور السياسية واصبح في عداد الرجال المقاومين للعهد الحميدي ، فلاحقته الدولة العثمانية . فر عبد القادر الى القاهرة حيث أخذ يحرر في جريدة الظاهر اولا ثم في جريدة المؤيد . وقد حظيت مقالاته في المؤيد بالقبول لدى الشعب المصري . ظل عبد القادر في القاهرة حتى اعلان الدستور العثماني عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م . فعاد الى طرابلس واصدر جريدة البرهان . وكان المغربي قد تشرب حرية الصحافة من القاهرة . وكان ينشر في جريدته آراء استاذيه الجسر والافغاني في الاصلاح الديني ، ويدعو المسلمين الى التجديد ، كما كان يدافع عن الاتحاديين وحزبهم كل الدفاع . وقد راجت البرهان لدى كافة الاوساط . واخذت بعض الصحف العربية في مصر وسوريا ولبنان تنقل بعض مقالات المغربي . وظل عبد القادر يصدر جريدته في طرابلس حتى عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م حين استدعاه احمد جمال باشا ، القائد التركي ، لتولي رئاسة تحرير جريدة الشرق التي أنشأها الباشا في دمشق للدفاع عن سياسته ، فكتب المغربي في الشرق مقالات عديدة تشهد له بطول الباع في الشؤون الاسلامية .

ومن مقالاته الشهيرة « النهضة الدينية في الامة الاسلامية » . وكان لهذه المقالات الأثر الطيب لا سيما في الاصلاح الديني . وعلى اثر انتهاء الحرب الاولى ، وجلاء الاتراك عن البلاد العربية طلب اليه الامير فيصل بن الحسين مواصلة اصدار الشرق واستبدال اسمها بالشمس . لكن المغربي رفض الطلب مبيناً انه ليس بوسعه الكتابة مخالفاً ما سبق له وقاله في الدولة العثمانية .

ولما انشيء المعهد العلمي العربي بدمشق ، عهد الامير فيصل ، سلم الامير شؤونه الى المغربي . وعلى اثر استعفاء محمد كرد علي عهد برئاسة المجمع الى المغربي . فظل رئيساً حتى عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م . ثم استقال وبقي محتفظاً بالعضوية . وظل

المغربي يحرر مجلة المجمع العلمي حتى وفاته .

وقد عينته الحكومة المصرية في مجمعها اللغوي عضواً بارزاً .

توفي عبد القادر عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م . له عدة آثار ادبية اشهرها : « البينات » في ثلاثة اجزاء . وهو مجموعة مقالاته في جريدة المؤيد القاهرية . وكتاب « الاشتقاق والتعريب » . ومحاضرات القاها في المجمع العلمي (١٩٨) .

٢٩ ـ محمد رشيد رضا :

ولد في بلدة القلمون ، القريبة من طرابلس ، عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م . وقد تعلم في كتاب القرية قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب . ثم انتسب الى المدرسة الرشدية في طرابلس ، وهي مدرسة ابتدائية للدولة ، كانت تدرس الصرف والنحو والحساب ومباديء الجغرافية وعلم الحال ، يقصدون به العقائد والعبادات ، واللغتين التركية والعربية . واقام فيها سنة ثم تركها وانتسب الى المدرسة الوطنية لأنه لم يك يرغب في تولي وظيفة حكومية ، ذلك ان هذه المدرسة تعد طلابها لتولي الوظائف في الدولة العثمانية . وكان هذا الانتقال عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .

وفي المدرسة الوطنية ، التي انشأها حسين الجسر ، درس رشيد العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية ... لكن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعد هذه المدرسة من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ، فكان ذلك سبباً لالغائها وتفرق طلبتها . فذهب بعضهم الى مدارس بيروت ، وانقطع بعضهم للطلب في المدارس الدينية في طرابلس وكان رشيد من اصحاب الفريق الثاني . وكان الجسر استاذاً في هذه المدارس ايضاً ، فتعهد تلميذه حتى نال الاجازة منه في العلوم العربية والشرعية والعقلية (١٩٩) .

وقد خص الجسر تلميذه بالاهتمام بعد ان لاحظ منه الحب الشديد للدراسة والمذاكرة ، فضلا عما يتمتع به من تدين حقيقي واخلاق فاضلة وذكاء . ففتح امامه ابواب الاصلاح لا سيما بعد ان وهبه اعداد مجلة « العروة الوثقى » التي كان يصدرها الافغاني وعبده . وقد دفعت هذه المجلة برشيد الى سلوك طريق الاصلاح (٢٠٠) .

وقد درس رشيد على عدة مشايخ خلوتية ، في طرابلس ، منهم : عبد الغني الرافعي ، محمد الحسيني ، محمود نشابة ، توفيق الايوبي ، ومحمد القاوقجي الشاذلي ... وقد تأثر بافكارهم وآرائهم في التصوف بالاضافة الى اسلوبهم العصري في الكتابة والتأليف (٢٠١) .

وبعد نيله الاجازات ، هاجر رشيد الى مصر حيث التحق بدروس محمد عبده . وقامت بين الشيخين صلات مودة ورباط تعاون من اجل الاصلاح . وفي السابع من آذار ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م اصدر رشيد ، بمؤازرة محمد عبده ، مجلة المنار كي تكون البديل للعروة الوثقى في حمل راية الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي ...

وفي الدعوة للجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وتحرير ما استعبد الاجانب من شعوبه ... واقامة الحجة على ان الاسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة ... وان الشريعة اداة عملية صالحة للحكم ... الى غير ذلك من الآراء التي تشبعت منها روحه في مدرسة الجسر (٢٠٢) .

ولم يقتصر عمل رشيد في مصر على اصدار مجلة ، بل اهتم بانشاء جمعية للدعوة والارشاد . وكانت فكرة هذه الجمعية قد راودته وهو على مقاعد الدراسة في طرابلس . فقد كان كثير التردد هناك على مكتبة المبشرين الامريكيين حيث كان يقـرأ جريدتهم الدينية ، وبعض كتبهم ونشراتهم . وطالما تمنى ان يكون للمسلمين جمعية كجمعية هؤلاء المبشرين ومدارس كمدارسهم (٢٠٣) .

وفي الثالث من آذار ١٣٣١هـ / ١٩١٢م . افتتحت مدرسة دار الدعوة والارشاد في جزيرة الروضة بالقاهرة افتتاحاً رسمياً . وقد وصفت هذه المدرسة بانها مدرسة كلية تعلم جميع العلوم والفنون التي تدرس عادة في الكليات مع التربية الدينية ، وزيادة العناية بالعلوم الاسلامية . وبعبارة أخرى المواد التي كانت تدرسها مدرسة الجسر الوطنية (٢٠٤) . وكانت مدرسة دار الدعوة تقبل في عداد طلابها شباب المسلمين الذين تتراوح اعمارهم بين العشرين والخامسة والعشرين ؛ على أن يكونوا قد حصلوا من التعليم ما يسمح لهم بتلقي دروسها . وكان يفضل منهم من كان من بلاد اسلامية بعيدة كالصين والهند والملايو ووسط افريقيا ... وغيرها حيث الحاجة فيها الى الدعاة اعظم . وقبلت المدرسة طلاباً من افريقيا الشرقية والشمالية ومن تركيا والباكستان والهند وجاوة والملايو ... وكانت تعلم الطلاب وتقدم لهم الغذاء مجاناً وتمد المحتاجين بالمال (٢٠٥) .

بقي رشيد يجاهد ويدافع عن آرائه الاصلاحية حتى وفاته في ٢٢ آب ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م . وقد دفن بجوار استاذه محمد عبده في القاهرة (٢٠٦) .

ترك رشيد رضا مؤلفات عديدة اشهرها :

« تفسير المنار » وهو تفسير للقرآن في اثني عشر مجلداً . وكانت آخر آية فسرها من سورة يوسف . (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السماوات والارض ، انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين) (٢٠٧) .

« مجلة المنار » وقد صدر منها ٣٥ مجلداً .

« تاريخ الاستاذ الامام » وهو في سيرة محمد عبده .

« نداء الجنس اللطيف أو حقوق النساء في الاسلام » وقد ترجم الى عدة لغات .

« الوحي المحمدي » وقد ترجم ايضاً الى عدة لغات .

« المنار والازهر » .

« ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد » .

« ذكرى المولد النبوي » .

« مختصر ذكرى المولد النبوي » وكان يقرأ في حفلة الذكرى التي يحضرها خديوي مصر أو نائبه .

« الوحدة الاسلامية » .

« يسر الاسلام واصول التشريع العام » .

« الخلافة أو الامامة العظمى » .

« الوهابيون والحجاز » .

« السنة والشيعة » .

« المسلمون والقبط » .

« رسالة في الصلب والفداء » .

« حقيقة الربا » .

« مساواة المرأة بالرجل » .

« رسالة في حجة الاسلام الغزالي » .

« رسالة في التوحيد » .

« الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية » (٢٠٨) .

تصوفه ورايه في الكرامات :

لقد كان رشيد ينتسب الى اسرة اشتهرت بالتصوف . فقد نقل عن جده الثالث انه كان عالما صالحاً مشهوراً بالكرامات . وفي سلسلة نسبه عدة رجال كانوا يلقبون بالصوفي (٢٠٩) .

ويحدث رشيد عن تصوفه فيقول : « كنت من اول النشأة صوفياً عبادة وتخلقاً ؛ مع ميل شديد الى الادب . واكثر ما كتبت كان في الالهيات والزهد والرقائق ومدح النبي .

كنت من سن المراهقة اذهب الى المسجد في السحر ولا اعود الى البيت الا بعد ارتفاع الشمس . وقد اتخذت لنفسي حجرة خاصة في اعلى مسجدنا للمطالعة والعبادة . وهذه الغرفة كان يخلو فيها جدنا السيد علي الذي بنى المسجد . وكان شيخنا الجسر يستقرئني فيها بعض فصول الفتوحات المكية » (٢١٠) . وكانت تلذ له صلاة التهجد تحت الاشجار في البساتين . بعيداً عن اعين الناس . فكان يجد لذة روحية تعلو كل لذات الضحك واللهو . لا سيما في البكاء من خشية الله وتدبر كتابه في صلاة الليل . حيث يعلم المصلي أنه لا يسمع صوته احد الا الله (٢١١) .

وكان يواظب على قراءة ورد السحر ودلائل الخيرات حيث نال الاجازة فيه من ابي المحاسن القاوقجي . واشتغاله بكتب السنة دفعه الى اوراد وصلوات على الرسول ليس فيها . كما يرى . شبهة او بدعة . وقد حبب اليه التصوف كتاب احياء علوم الدين للغزالي . فكان يجاهد نفسه على طريقة الصوفية بترك اطيب الطعام ويكتفي بالقليل منه . فلم يشق عليه هذا الأمر لكنه لم يستطع تحمل الوسخ في البدن والثياب (٢١٢)

وهو غير مشروع . وبعد ان سلك الطريقة الشاذلية . على يد ابي المحاسن . تاقت نفسه الى اعمق من ذلك . فسلك النقشبندية وقطع مراتب اللطائف كلها .

ويذكر بانه رأى اثناء ذلك كثيراً من الامور الروحية . فكان يتأول الكثير منها . وعجز عن تأويل بعضها . وخلص الى انها من خصائص الروح التي تظهرها الرياضة وكثرة الذكر والفكر (٢١٣) .

وفي النقشبندية كان عليه ان يذكر اسم الجلالة بالقلب خمسة آلاف مرة يومياً مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة وملاحظة ربط قلبه بقلب شيخه . ثم اكتشف ان هذا الذكر غير مشروع وهو مخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور . وان هذه الرابطة محل انكار خاص عند علماء الشرع ؛ وهي مخلة بالعقيدة اذا عدت عبادة شرعية . فان متقضى التوحيد . عنده . ان يتوجه العبد في كل عبادة الى الله وحده . اما التوجه الى الشيخ فقد يكون من الشرك الخفي (٢١٤) « وجملة القول انني كنت اعتقد ان سلوك طريقة المعرفة . وتهذيب النفس ، والوقوف على اسرارها جائز شرعاً لا خطر فيه ؛ وانه نافع يرجى به من معرفة الله ما لا يوصل اليه بدونه ، ولكنني لم اعتقد قط ان الشيخ الذي ارتبط به قادر على شيء مما تقدم . ولم اكن استحضره ولا اتصوره في اثناء الذكر . وانما اتصور عند البدء به انني ربطت قلبي بسلسلة من القلوب المخلصة لله » (٢١٥) .

وفي الختم النقشبندي عرضت للسيد رشيد امور روحية غريبة ، وسرعان ما أحس بانه روح بغير جسد . وأخذت تصدر عنه الكرامات والمكاشفات . وبدأ الناس ينقلون عنه الكرامات ويطلبون منه شفاء المرضى بالرقية ... خاف على نفسه من الافتتان . فكان يتأول للناس ما علموه من كراماته بانه من الاتفاق والمصادفة او من الامور العادية لكنهم يجهلون اسبابها . ويرجع رشيد رضا السبب . في عدم افتتانه . الى قراءته لكتاب « الاحياء » للغزالي ولا سيما ابحاث : الغرور واصناف المغرورين من الصوفية . محاسبة النفس . النية والاخلاص (٢١٦) .

ولما لم يجد ضالته في النقشبندية . انتقل الى زاوية الشاذلية في جامع الطحام . فحضر اذكارها مرات عديدة . وحفظ الاحزاب والاوراد الخاصة بهذه الطريقة . لكنه صرح لشيخه ابي المحاسن القاوقجي بانه لا يعجبه ان يسلك هذه الطريقة بشكلها الصوري (٢١٧) .

ولما سمع بالطريقة المولوية واذكارها التي تقام في « المولويخانة » على ضفة نهر ابي علي . سارع رشيد الى حضور حلقة ذكرها كمستمع ومشاهد اولا . وقد شاهد دراويش المولوية يلبسون غلائل بيضاء ناصعة كجلابيب العرائس . يرقصون بها على نغمات الناي الشجية . ويدورون دوراناً غنياً سريعاً . تنفرج به غلائلهم . فتكون دوائر متقاربة وعلى ابعاد متناسبة . لا يبغي بعضها على بعض . ويمدون سواعدهم . ويميلون اعناقهم . ويمرون واحداً بعد آخر فيركعون لشيخهم ويقبلون يده . عند ذلك لم يتمالك

رشيد نفسه . فخاطب الناس مبيناً ان هذا منكر لا يجوز السكوت عليه . ولا النظر اليه . واعتبر هذه الافعال من باب الهزء والسخرية واللعب . وطلب الى جمهور الحاضرين مغادرة التكية . وخرج من المكان راجعاً الى المدينة . فلحق به عدد قليل من المتفرجين وبقي الاكثرون (٢١٨) .

واعلن رشيد بان اهل الطريق ذنبهم اكبر من ذنب اهل اللهو . لأنهم جعلوا السماع المنكر ورقص الغلمان عبادة مشروعة . فشرعوا لانفسهم من الدين ما لم يأذن به الله (٢١٩) .

وفي هذا الوقت قام ابو الهدى الصيادي بطبع كتب كثيرة في الاستانة وبيروت ومصر . وبث فيها دعاية واسعة النطاق لنفسه . واهل بيته . ولاحمد الرفاعي . والمنتمين اليه نسباً وطريقة . وقد تضمنت هذه الكتب تفضيل الرفاعي على الجيلاني وغيره من الاولياء . وقد فعل ابو الهدى ذلك للاقلال من شأن الكيلانية الذين نالوا المقام الرفيع بفضل انتسابهم الى عبد القادر الجيلاني . فانبرى رشيد يبين ما احتوته هذه الكتب من الاباطيل في الدين والتصوف والتاريخ . فكتب « الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية » . وكان هذا الكتاب باكورة تآليفه العديدة . وقد عالج فيه مسائل عديدة اهمها :

ا ـ اصل التصوف واطواره وما انتهى اليه عند اهل الطرائق التي تدعيه . وتقاليدهم . وعاداتهم وازياؤهم وما يخالف الشرع منها .

ب ـ مسألة الزي في الاسلام .

ج ـ مسألة المهدي المنتظر .

د ـ مسألة الكرامات : حقيقتها والخلاف في جوازها ووقوعها وانواعها والحقيقي والصوري منها . ومادخل من بابها على الامة من الخرافات والفتن (٢٢٠) .

واخذ رشيد رضا على عاتقه تحرير جماهير الصوفية من الخرافات والاوهام . ففي بلدته (القلمون) قام بقطع شجرة كبيرة . كان اهالي البلدة يتبركون بها ويطلقون عليها اسم « شجرة الولية » (٢٢١) .

ولما انتقل الى مصر . ظل رشيد على نهجه في محاربة كل بدعة وخروج عن الشرع . وقد وجد هناك الكثير من الانحراف لدى مدعي التصوف . مما يتضاءل امامه كل ما شاهده في طرابلس والقلمون .

وفي المسجد الحسيني بالقاهرة تعرض رشيد لغضب بعض المتصوفة عندما اعلن امامهم أن توقع البركة من التمسح بعواميد المسجد وغيره عبث لا جدوى فيه ولا غناء (٢٢٢) .

وفي مسجد البدوي بطنطا عارض اتباع البدوية الذين كانوا يطوفون بقفص القبر ويطلبون قضاء الحوائج من البدوي . وندد بهذا العمل على صفحات المنار . وطالب

الحكومة المصرية بمنع المنكرات التي تجري في هذا المسجد . ووضع خطة للاصلاح التدريجي في هذا النطاق ، لكن دون جدوى (٢٢٣) .

وينتقد رشيد مسألة الاستمداد عندالصوفية . فقد درج هؤلاء على طلب المدد من شيخ الطريقة قبل البدء بالذكر . وقد بين رشيد أن الاستمداد هو طلب المدد اي ما يمد الشيء ويزيد في مادته الحسية أو المعنوية . فمن طلب من مخلوق مدداً كالزيادة في الرزق . بغير ان يتعاطى الاسباب التي شرعها المولى ، فقد طلب من هذا المخلوق ما لا يطلب الا من الله . وهذا في رأيه ينافي التوحيد لأنه عبادة لغير الله . ولا يعارض رشيد ما يطلبه الصوفية من ذكر لمناقبهم وسيرهم وتصور أحوالهم . لأنه يعتبر ذلك من الزيادة في حب الخير والصلاح والتقوى . وهو ما يعبرون عنه بالبركة . فالانسان . في رأي رشيد ، يتأثر باحوال غيره اذا رآها او تصورها او سمعها . لكنه لا يقبل التوجه الى رجال الصوفية من دون الله (٢٢٤) .

وحارب رشيد اسراف الصوفية في اجلال شيوخ الطرق . وخضوعهم لرؤسائهم ومشايخهم خضوعاً اعمى . والاذكار الصاخبة التي يقيمونها . فيأتون فيها باعمال لا يطلبها الشرع : من تصفيق وتمايل وضرب دفوف واكل نيران وزجاج وضرب شيش وغير ذلك . فهذه الاعمال كلها من البدع المنكرة التي يطلب رشيد ازالتها باليد على من يقدر على ذلك . من غير ان يترتب عليه مفسدة أخرى وضرر يفوق ضررها (٢٢٥) .

وانتقد رشيد ذكر جماعة الصوفية بالاسم المفرد فقط (الله) . وبين ان القرآن والسنة النبوية . التي هي البيان الاجلي للقرآن . لم يحثا على مثل هذا الذكر . بل ان الناقلين لهذه السنة . في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم المعتبرة . لم يذكروا أن النبي واصحابه كانوا يذكرون الله بالاسماء المفردة . كما يفعل بعض اهل الطرق . ولا يعقل . في رأي رشيد . أن يترك النبي هذه العبادة أو يتركها اصحابه اذا رأوا النبي يقوم بها . ولا يمكن أن تكون هذه عبادة قد مضت ولم ينقلها احد من الرواة . ولئن عارض رشيد الذكر بالاسماء المفردة فانه كان يحث على الكثير من الاذكار الطيبة . كما يسميها . كالتوحيد . والتسبيح . والتحميد والتكبير . والاستغفار . . .

وينتقد رشيد الذكر بالرقص والثني والتواجد والصياح والتغني بالاشعار المهيجة للنفوس . ويعتبر ان الذكر بهذا الشكل مبتدع في الملة الاسلامية . ويوضح بان احدا من العلماء لم يقل بان هذا الأمر من الدين أو انه يقرب الى الله . غير أنه . مع بعض العلماء . يعذر من يغلبه حاله من الذاكرين فيصدر من هذا الذاكر بعض المنكرات بغير اختيار . ولكن ليس هناك من عذر . عنده . لمن يتعمد الاجتماع لذلك (٢٢٦) .

واعتبر رشيد حمل المتصوفة للسبح من البدع الداخلة في العبادة . فقد كان هؤلاء يحملونها ويعلقونها في رقابهم . وحجته في ذلك انه لم يرد لها ذكر في الكتاب او السنة . فكان الرسول . في رأيه . يأمر اصحابه بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير . وان يعقدوا بالانامل . أي وضع رأس الاصبع على عقدها (٢٢٧) . فيرى رشيد انه اذا اعتبر الصوفية

أن السبحة ضرورية لضبط الذكر الذي يفرضه مشايخ الطرق ، فمن الواضح ان الذكر الكثير لا حاجة الى عده ، لأن العد ، في رأيه ، يشغل القلب عن المذكور ، فلا يحصل المراد منه (٢٢٨) .

ويرى رشيد ان استعمال الصوفية لبعض المصطلحات كالفرق والجمع والسكر والصحو ... هو من قبيل الاصطلاحات الفنية وليس من الامور الدينية . ذلك ان الصوفية استعاروا لانفسهم الفاظا من اللغة اخرجوها عما وضعت لاجله ، وعبروا بها عن اذواقهم ومعارفهم كما فعل غيرهم من اهل الفنون اللغوية والشرعية والعقلية والطبيعية ... ولا يشترط ، رشيد ، في اباحة ذلك لهم ، ان يكون كل ما يقولون به قد نطق به الشرع من قبل . لكنه ينكر عليهم في هذا المجال ان يجعلوا بعض عرفهم واصطلاحهم من الدين والشرع بغير دليل شرعي ، وان يكون في ذلك ما ثبت بالدليل انه مخالف للكتاب والسنة الثابتة (٢٢٩) .

كل هذا لتجارب دفعت برشيد الى سلوك طريقة خلوتية خاصة به ، كوّن مبادئها من افضل الصفات في كل طريقة . فاتخذ لنفسه غرفة خاصة لخلوته في بلدته ، يطالع فيها احياء علوم الدين ، لا سيما الجزء الرابع ، ويتتبع منازل الطريق ، ويداوم على الذكر بصيغ ماثورة عن الرسول وعن الصحابة . وانشأ لنفسه صلوات خاصة على النبي ليس فيها ، كما يقول ، شبهة أو بدعة . وكان يخصص قسما كبيرا من الليل للقيام ولذكر الله (٢٣٠) .

وعندما هاجر الى مصر ظل يواظب على دخول الخلوة . وبالرغم من ان رشيد رضا عارض استاذه الجسر في موقفه من الصوفية فان تصوف رشيد تأثر الى حد بعيد بطريقة شيخه ، فقد كان يحضر ، عنده ، الذكر كل ليلة جمعة في المدرسة الرجبية . وكان يتخلل هذا الذكر انشاد لشيء من اشعار الصوفية أو ادوار في الالهيات والمدائح النبوية (٢٣١) . فتصوف رشيد رضا بعيد عن البدع والمبالغات (٢٣٢) .

ويطلب من جميع المؤمنين ان يجاهدوا ليصلوا الى تلك المرتبة . « فمن لم ير في نفسه شيئاً من آيات ربه ، ومن لم يتألف في قلبه شعاع من نور ربه ، فاسلامه صوري وراثي ، وايمانه تسليم ظني أو جدلي . وهاتان الثمرتان للدين لا تؤتيهما شجرة الايمان الطيبة الثابتة الأصل ، الباسقة الفرع الا بمجاهدة النفس مع كثرة الذكر بالقلب واللسان » (٢٣٣) . ويحارب مدعي الكرامات ويبين انهم يعيشون في ظلمات ، يضلون الجاهلين بخرافاتهم ، ويأكلون اموالهم بالباطل ، ولا يستفيد أحد منهم ؛ ويطلب من الانسان بان لا يغتر بدعوى حي أو ميت ولا بشهرته ولا بخوارق العادات . ذلك ان بعض الامور الروحانية التي تثمرها رياضة التصوف قد تكون فتنة تضل صاحبها ، وان بعض الانوار التي تتراءى لبعضهم خيالات شيطانية ، والمكاشفات التي تحصل لهم خواص نفسية ؛ ففتن هؤلاء انفسهم وفتنوا غيرهم واختل ميزان عقلهم فيما يتصورون (٢٣٤) . ومع ذلك فانه يبرىء اكابر الصوفية من انحرافات مدعي التصوف . وفي طليعة هؤلاء

الاقطاب الجيلاني والرفاعي والبدوي . . . ويعتبر ان هؤلاء ساروا في التربية على منهاج الكتاب والسنة ، واظهروا مـا فيهـا مـن دقـائق ، فصلح بذلـك عدد كبير مـن المنحرفين (٢٣٥) . ويخلص رشيد رضا الى ان سلوك الطرق الصوفية أمر لا ضرر منه ، باعتباره وسيلة لتهذيب النفس والوقوف على اسرارها ؛ اما ما عدا ذلك مـن المبالغات التي تأباها النفس أو الحياة الواقعية فضرر يجب تجنبه (٢٣٦) .

كلمة عامة :

بعد الانتشار الذي شهدته الطريقة الخلوتية في طرابلس ، اصابها ما اصاب معظم الطرق من انحسار . واصبحت الخلوة وسيلة للوصول الى الاجازة في بقية الطرق لا سيما الشاذلية . فاوجبت هذه الطرق على مريديها دخول الخلوة لعدة ايام : يجلس المريد في غرفة تابعة للزاوية ، مستقبلا القبلة ، في جو يكاد يكون مظلماً ، يتأمل اسم الجلالة ويتخيله مرسوماً أمامه ، وهو يذكر في قلبه ما طلب منه شيخه .

وفي شهر رمضان عموماً ، وفي العشر الأواخر خصوصاً ، يقبل جمهور الصوفية على دخول الخلوات في المساجد والزوايا .

هـــوامش

(١) را : محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٥٧ .

(٢) را : محمد رشيد الرافعي ، ترجمة عبد القادر الرافعي ، ص ٥ــ٦ .

(٣) را : نوفل ، تراجم ادباء ، ص ٤٢ .

(٤) را : رشيد الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ٥ .

(٥) محمود الكردي : آخذ الطريقة عن مصطفى البكري ، وخلفه في القطبية ومشيخة الطريقة بمصر . توفي بالقاهرة عام ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م ودفن بالقرب من مقام شيخه بمنطقة البستان . را : علي السخاوي ، تحفة الاحباب وبغية الطلاب (القاهرة ، ١٩٢٧) ، ص ٥٥ .

(٦) را : عبد الغني الرافعي ، ترصيع الجواهر المكية (القاهرة ، ١٣٠١هـ) ، ص ٢٣ .

(٧) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٤٢ .

(٨) را : محمد كامل الرافعي ، تاريخ الاسرة الرافعية ، مخطوط (طرابلس ، دون تاريخ) ، ص ١ .

(٩) را : عبد الغني الرافعي ، ترصيع الجواهر ، ص ٤٨ .

(١٠) توفي عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م . اشتهر بحروبه ومنازعاته مع مصطفى بربر منافسه على الولاية .

(١١) مصطفى بربر : ولد بطرابلس عام ١١٨١هـ / ١٧٦٧م . نشأ يتيماً ودخل في خدمة الامير علي الايوبي ، من امراء ددة في منطقة الكورة . ثم في خدمة الشيخ رعد في الضنية فالامير يوسف الشهابي فأحمد باشا الجزار الذي عينه عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م محافظاً على طرابلس . لعب بربر دوراً مهماً في توطيد الأمن ونشر الاستقرار بالمدينة ، وذلك بفضل ما اشتهر به من قسوة بالغة . نشأت بينه وبين الامير بشير علاقات ود وصداقة . توفي ودفن بقرية ايعال من اعمال الزاوية (زغرتا) ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م . را : شكيب ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٢٩ . والزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٢٨٢ .

(١٢) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ٣ .

(١٣) را : رشيد الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ١٠ .

(١٤) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ٢ .

(١٥) را : رشيد الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ١١ .

(١٦و١٧)عبد القادر الرافعي ، احياء القلوب (القاهرة ، ١٣١٥هـ) ، ص ٣ .

(١٨) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٩ــ١٥ .

(١٩) م. ع. ، ص ١٦ .

(٢٠) م. ع. ، ص ٢٣ .

(٢١) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ١٠٠ .

(٢٢) جاء في الحديث : سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله . وقد ذكر منهم : رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . (را : محمد علي الصابوني ، من كنوز السنة (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ١٥) .

(٢٣) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٢٦ــ٤٠ .

(٢٤) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٤٣ــ٤٥ .

(٢٥) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٥١ــ٥٢ .

(٢٦) الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٦٣ .

(٢٧) م. ع. ، ص ٦٤ــ٧٢ .

(٢٨) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٧٣ .
(٢٩) م. ع. ، ص ٧٧—٧٨ .
(٣٠) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٨٣ .
(٣١) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٨٥ .
(٣٢و٣٣و٣٤) م. ع. ، ص ٩٨ ، ١٧٦ ، ١٢٩ .
(٣٥) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ١٢٩ .
(٣٦) م. ع. ، ص ١٣٠ .
(٣٧) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ١٤٠ .
(٣٨) م. ع. ، ص ١٣٩ .
(٣٩) م. ع. ، ص ١٧٢ .
(٤٠) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٢٠٨—٢٠٩ .
(٤١) را : الرافعي ، احياء القلوب ، ص ٢٠٣—٢٠٥ .
(٤٢) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ٣ .
(٤٣) كان الصاوي شيخ الخلوتية بمصر . انشا زاوية بمنطقة البستان عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م توفي ودفن بالمدينة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م . كان مشهوراً بكثرة تآليفه . را : السخاوي : تحفة الاحباب ، ص ٥٨ .
(٤٤) را : الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ٤ .
(٤٥) را : الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ١٧—٢٤ .
(٤٦) محمد رشيد الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ٢٥—٢٦ .
(٤٧) را : الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ١٦—٥٠ .
(٤٨) م. ع. ، ص ٦٠ .
(٤٩) الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ٦٧ .
(٥٠) را : السخاوي ، تحفة الاحباب ، ص ٥٥ .
(٥١و٥٢) الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ١٥٢ .
(٥٣) هو محمد عبده الذي كان مفتياً قبل الرافعي .
(٥٤) م. ع. ، ص ١٤٠ .
(٥٥) را : الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ١٤١—١٦١ .
(٥٦) هو غير عمر الرافعي النقشبندي .
(٥٧) م. ع. ، ص ٥١—٥٦ .
(٥٨) را : الرافعي ، ترجمة عبد القادر ، ص ٧٣—٧٤ .
(٥٩) را : نوفل ، تراجم ادباء ، ص ٤٤ .
(٦٠) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ٦ .
(٦١) شارك في البناء الفقراء والاغنياء والامراء والاكابر حيث كانوا ينقلون التراب والاحجار تبركاً . را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ٦ .
(٦٢) را : حسين الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٦٤ .
(٦٣) الشيخ احمد الدردير (ابو البركات) (١١٢٧هـ / ١٧٢٤م — ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م) ولد في بني عدي وعاش في جو ملؤه التقوى والصلاح حفظ القرآن وبعض مبادىء العلوم ثم قصد الجامع الازهر وتتلمذ على الشيخ شمس الدين الحنفي (الحفناوي) الذي انتهت اليه تربية مريدي الخلوتية بمصر . أخذ الدردير الفقه عن الشيخ الصعيدي . وظل مصاحباً للشيخين حتى اصبح من العلماء المعدودين . وبعد وفاة شيخه الصعيدي عين شيخاً للمالكية ومفتياً على المذهب المالكي وناظراً على وقف الصعايدة . وقف الدردير نفسه على قضاء مصالح الناس فاقبه اهل مصر بابي البركات . ولما بلغ الثالثة والثلاثين انصرف بكليته الى سلوك طريق الخلوتية لا سيما بعد ان علم ان التصوف سلوك وليس قراءة اذ

لا يعرف الحب الا من يكابده . وظل ملازماً للشيخ الحفني حتى نال الاجازة في الطريقة . وبقي الدردير يرشد ويربي السالكين من مختلف الاقطار موغلا في التصوف والتعبد ضارباً القدوة والمثل في كل شيء .
وعنده ان التصوف نهاية التوحيد وان من لم يتصوف لم يذق التوحيد ، ولا تصوف الا بعد معرفة عقائد الايمان الصادقة . ويرى ان ليس لغير اهل السنة مجال في ميدان التصوف . توفي الدردير بالقاهرة ودفن بزاويته التي بناها له السلطان محمد سلطان المغرب تاركاً المئات من المريدين واكثر من عشرين مؤلفاً في الفقه والتوحيد والتصوف . ولا يزال الازهر يدرس كتابه المسمى بالشرح الصغير وهو اربعة اجزاء في الفقه المالكي ؛ ويدرس كتابه (الخريدة) في علم الكلام . ومهما يكن من امر فان الدردير لو ظل على مستوى الكتب لكان كبقية مشايخ العلم لكنه عندما اخذ على عاتقه تسليك المريدين في الطريقة الخلوتية ، باثاً فيهم روحاً جديدة ، الروح الصوفية والشعور الصوفي والطريقة الصوفية ؛ استحق كل تقدير وخلود . (را : مجلة منبر الاسلام ، شباط ١٩٧٥ ص ٢٢٤–٢٢٦) .

(٦٤) الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٥٢ ، ٦٨ ، ١٤٣ .

(٦٥) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٧١ .

(٦٦) على اثر تصدي ابراهيم باشا لثورة اهالي فلسطين شاع في طرابلس ان الباشا قد قبض عليه وان عساكره قد هزمت ؛ فظهر السرور على اهالي المدينة وصدرت عن بعضهم كلمات التشفي واقاموا الافراح لكن محمد علي باشا جاء الى يافا وانفذ ابنه ابراهيم الذي تسلم رسالة من ممثله في طرابلس نعمة نوفل يطلعه فيها على جلية الامر مسمياً بعض الشخصيات الطرابلسية بانها كانت تتآمر لصالح الدولة العثمانية . ولما علم اهالي طرابلس بانتصار ابراهيم باشا فر بعض وجهاء المدينة وعلمائها لكن ابراهيم باشا تمكن من القبض على عدد من المطلوبين فنفذ فيهم حكم الاعدام . ومن هؤلاء : احمد المحجة – ابراهيم النابلسي – شاكر المطرجي وكان موظفاً في الديوان – عبد الله وحسن علم الدين – طالب الحمزة – شاكر الشهال – الشاعر اسحق الادهمي – الشيخ محمد رفاعية ... وقد جرى صف رؤوسهم على بركة الملاحة والقيت جثثهم في الاسواق الداخلية من سوق العطارين حتى الملاحة . وكان الشيخ محمود من جملة الفارين (را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٢٠٥–٢٠٦).

(٦٧) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٧٣ .

(٦٨) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٩٧ .

(٦٩) را : عبد القادر الدجاني ، المعارج القدسية (طرابلس ، ١٣١٧هـ) ، ص ٣–٤ .

(٧٠) را : عبد الرزاق الرافعي ، اجازات ، مخطوط (طرابلس ، ١٢٩٥هـ) ، ص ٦ .

(٧١) را : الرافعي ، اجازات ، ص ٦ .

(٧٢) را : محمد بدر الدين الرافعي ، بديع التحبير ، ص ٢ .

(٧٣) م. ع. ، ص ٣ .

(٧٤) را : يوبيل بلدل سورية ، ص ٣٩ .

(٧٥) م. ع. ، ص ١٠٣ .

(٧٦) را : عبد الغني الرافعي ، ترصيع الجواهر المكية ، ص ١٨ .

(٧٧) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ١٧ .

(٧٨) الصالح ، نثر اللآلي ، ص ١١٩ .

(٧٩) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ١٥ .

(٨٠) تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ١٥ .

(٨١) را : تاريخ الاسرة الرافعية ، ص ١٧ .

(٨٢) م. ع. ، ص ٢١ .

(٨٣) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٩٣ .

(٨٤) را : نوفل ، تراجم ادباء ، ص ٨٣ .

(٨٥) يوبيل بلبل سورية ، ص ١٠٥ .
(٨٦) يوبيل بلبل سورية ، ص ٤١ .
(٨٧) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٨٥ .
(٨٨) عبد الحميد الرافعي ، ديوان عبد الحميد ، ص ٢٤٠ .
(٨٩) م. ع. ، ص ٣٩ .
(٩٠) يوبيل بلبل سورية ، ص ٤٣—٤٤ .
(٩١و٩٢) م. ع. ، ص ٥٢—٥٣ .
(٩٣) را : عبد الغني الرافعي ، ترصيع الجواهر المكية ، ص ٥٩ .
(٩٤) م. ع. ، ص ١٣ .
(٩٥) را : الرافعي ، ترصيع الجواهر ، ٦١ ، ٦٥ .
(٩٦) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٥٩ .
(٩٧) را : ابراهيم الاحدب ، كشف الارب عن سر الادب (بيروت ، ١٢٩٣هـ) ، ص ١٧ .
(٩٨) م. ع. ، ١٣ .
(٩٩و١٠٠و١٠١) الاحدب ، كشف الارب ، ص ١٣—٢٠ .
(١٠٢) را : الاحدب ، كشف الارب ، ص ٣٨—٤٤ .
(١٠٣) م. ع. ، ص ٣٨—٤٤ .
(١٠٤) محمد عمر نجا ، ذكرى (بيروت ، ١٩٣٢) ، ص ١٥٧ .
(١٠٥) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٠٥ .
(١٠٦) را : نوفل ، تراجم علماء ، ص ٢٠٥ .
(١٠٧) السلطان عبد الحميد .
(١٠٨) نوفل ، تراجم ، ص ٢٠٦ .
(١٠٩) نجا ، ذكرى ، ص ٢٢٩ .
(١١٠) را : الميقاتي ، الأثر الحميد ، ص ٨ .
(١١١) را : الميقاتي ، الأثر الحميد ، ص ٢٥—٤٣ .
(١١٢) الرافعي ، ترصيع الجواهر ، ص ١٤ .
(١١٣) را : الميقاتي ، الأثر الحميد ، ص ٥٧ .
(١١٤) م. ع. ، ص ٣٠ .
(١١٥) را : كامل البابا ، تاريخ طرابلس ، مخطوط ، ج ٥ ، ص ١٨ .
(١١٦) يوسف الاسير ، صيداوي الأصل . عالم ازهري ، درّس في بيروت . وقف على ترجمة التوراة للمرسلين الامريكيين . كان عالماً في الفقه . له ديوان شعر مطبوع . ت ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م .
(١١٧) نوفل ، تراجم ادباء طرابلس ، ص ٥٦ .
(١١٨) الميقاتي ، الأثر الحميد ، ص ١٠٢ .
(١١٩و١٢٠) رشدي الميقاتي ، الأثر الحميد ، ص ١٠٥—١٠٧ .
(١٢١) محمد زهدي الميقاتي ، استعطافات الهية (طرابلس دون تاريخ) ، ص ٤ .
(١٢٢) را : يوبيل بلبل سورية ، ص ١٢٨ .
(١٢٣) را : مصطفى الرافعي ، طرابلس الفيحاء ، ص ٢٤ .
(١٢٤) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ١٢٦ .
(١٢٥) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٣٦ .
(١٢٦) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٧٤ .
(١٢٧) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٣٩ ، ٥٧٢ .

(١٢٨) م.ع . ، ص ٥٧٣ .
(١٢٩) را : الميقاتي ، الأثر الحميد ، ص ١٢ .
(١٣٠) را : نوفل ، تراجم علماء ، ص ١٥٦ .
(١٣١) م. ع. ، ص ٢٥٤ .
(١٣٢) را : يوبيل بلبل سورية ، ص ٨٣ .
(١٣٣) را : نوفل ، تراجم ، ص ٢٥٧ .
(١٣٤) المتوفي بغزة عام ١١٩٦هـ / ١٧٨١م وهو ابن الشيخ مصطفى البكري .
(١٣٥) را : عبد الباسطالفاخوري ، ديوان اليافي (بيروت ، ١٢٢٣هـ) ، المقدمة .
(١٣٦) عبدا لباسط الفاخوري ، ديوان اليافي ، ص ٥ .
(١٣٧) جمعية مسجد التوبة بدمشق ، الورد العام (دمشق ، ١٩٧٣) ، ص ١٧ــ١٨ .
(١٣٨) الجسر ، نزهة الفكر ، ص ١٨٧ .
(١٣٩) م. ع. ، المقدمة .
(١٤٠) را : الفاخوري ، ديوان اليافي ، المقدمة .
(١٤١) را : عبد الفتاح اليافي ، رسالة الجمال (طرابلس ، ١٩٥٩) ، ص ١١ .
(١٤٢) م. ع. ، ص ٢ ، ١٣ .
(١٤٣) را : عبد الفتاح اليافي ، بلاغ وذكرى (القاهرة ، دون تاريخ) ، ص ٤ .
(١٤٤و١٤٥) اليافي ، رسالة الجمال ، ص ٢٣ و ص ٢٦ .
(١٤٦) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ١٢٩ .
(١٤٧) را : بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ص ٢٦٤ .
(١٤٨) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٢٨ــ٣٢ .
(١٤٩) الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٥٠ .
(١٥٠) م. ع. ، ص ٦٢ .
(١٥١) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٧٦ .
(١٥٢) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٧٤ ، ١٢٩ .
(١٥٣) م. ع. ، ص ٥٢ .
(١٥٤) م. غ. ، ص ١٩٩ .
(١٥٥) م. ع. ، ص ٢٢٩ــ٢٣٧ .
(١٥٦) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٢٤٠ .
(١٥٧) الجسر ، نزهة الفكر ، ص ٢٤٠ــ٢٤١ .
(١٥٨) م. ع. ، ص ٩٩ ، ١٠٥ .
(١٥٩) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ١٠٠ ، ١٣٥ ، ١٧٣ .
(١٦٠) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٤٦ .
(١٦١) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٢١ .
(١٦٢) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٧٣ .
(١٦٣) را : الجسر ، نزهة الفكر ، ص ١٣٩ .
(١٦٤) م. ع. ، ص ١٢٩ .
(١٦٥) م. ع. ، ص ٥٥ .
(١٦٦) النقيب ، اليوم ، عند الصوفية هو الذي يرتب صفوف الذاكرين .
(١٦٧) را : نوفل ، تراجم ، ص ١٦٩ .
(١٦٨) را : الصالح ، نثر اللآلي ، ص ١١ــ١٢ .
(١٦٩) م. ع. ، ص ١٧ ، ١٩ .

(١٧٠) حسين الجسر ، الرسالة الحميدية ، المطبعة المنيرية ، ط ١ ، ص ٣ .
(١٧١) م. ع. ، ص ز .
(١٧٢) جريدة طرابلس ، اصدرها محمد كامل البحيري وعهد بتحريرها الى حسين وكانت عبارة عن جريدة باربع صفحات . تصدر مرة في الاسبوع . ويتناول مقالها الرئيسي الاصلاح الديني الاسلامي . وهو بقلم الجسر الذي ظل يكتب هذا المقال حتى وفاته . را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٣٤٠ .
(١٧٣) بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ص ٢٥٦ .
(١٧٤) را : الرافعي ، ديوان عبد الحميد ، ص ٢١٧ .
(١٧٥) ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٣٩ .
(١٧٦) را : نديم الجسر ، قصة الايمان (طرابلس ، ١٩٦١) ، ص ١٩٥ .
(١٧٧) م. ع. ، ص ١٩٦ .
(١٧٨) الجسر ، قصة الايمان ، ص ٢٠٥ .
(١٧٩) م. ع. ، ص ٢٠٦ .
(١٨٠) را : الجسر ، قصة الايمان ، ص ٢١٨ .
(١٨١) را : الجسر ، الرسالة الحميدية ، المقدمة .
(١٨٢) را : الجسر ، قصة الايمان ، ص ١٩ ، ٤٤٥ .
(١٨٣) م. ع. ، ص ٤٤٥ .
(١٨٤) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٦٧ . ايضاً الزركلي ، الاعلام ، ج ٦ ، ص ١٠٦ .
(١٨٥) را : نديم الجسر ، غريب القرآن ومتشابهاته (طرابلس ، ١٩٧٤) ، ص ٤ــ٥ .
(١٨٦) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٨١ .
(١٨٧) م. ع. ، ص ٤٨٢ . ايضاً را : زركلي ، الاعلام ، ج ٥ ، ص ٣٠٦ .
(١٨٨) را : محمد الحسيني ، فريدة الأصول ، ص ٢ .
(١٨٩) الحسيني ، فريدة الأصول ، ص ٢ .
(١٩٠) م. ع. ، ص ٣ .
(١٩١) م. ع. ، ص ٤٦ .
(١٩٢) را : مجلة اللواء الاسلامي (طرابلس ، ١٣٥٥هـ) ، ص ٤ــ٥ .
(١٩٤) را : محمد الحسيني ، تفسير الحسيني ، ج ١ (طرابلس ، ١٣٣٢هـ) ، ص ٣ــ٥ .
(١٩٤) را : الحسيني ، تفسير الحسيني ، ج ١ ، ص ٣٢ .
(١٩٥) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٤٢ .
(١٩٦) را : ارسلان ، رشيد ضا ، ص ٥٠ــ٥١ .
(١٩٧) را : نوفل ، تراجم علماء ، ص ٢٢٥ .
(١٩٨) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٢٢ــ٥٢٣ .
(١٩٩) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٣٥ــ٣٦ .
(٢٠٠) را : تشارلز آدامس ، الاسلام والتجديد ، ترجمة عباس محمود (القاهرة ، ١٩٥٢) ، ص ١٧١ .
(٢٠١) را : ابراهيم العدوي ، رشيد رضا ، (القاهرة) طبعة الدار القومية ، ص ٢١ .
(٢٠٢) را : آدامز ، الاسلام والتجديد ، ص ١٧٢ .
(٢٠٣) م. ع. ، ص ١٨٦ .
(٢٠٤) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٢٦ .
(٢٠٥) را : رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج ١ ، (القاهرة ، ١٣٦٧هـ) ، ص ٤٢٤ .
(٢٠٦) را : العدوي ، رشيد رضا ، ص ٢٨٢ .
(٢٠٧) القرآن : ١٢ ، ١٠١ .

(٢٠٨) ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٨–١٠ .
(٢٠٩) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٢٤ ، ٣١ .
(٢١٠) م. ع. ، ص ٢٨ .
(٢١١) م. ع. ، ص ٤٧ .
(٢١٢) لم اجد طريقة صوفية عرفها الطرابلسيون تدعو الى عدم نظافة الثوب والبدن .
(٢١٣) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٥٠ .
(٢١٤) م. ع. ، ص ٥١ .
(٢١٥) م. ع. ، ص ٥٢ .
(٢١٦) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٨٧ .
(٢١٧) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٥٠ .
(٢١٨) را : رشيد رضا ، المنار ، مج ٢٤ ، ص ٥١٨ .
(٢١٩) را : العدوي ، رشيد رضا ، ص ٤٤ .
(٢٢٠) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ١٢٤ .
(٢٢١) را : رشيد رضا ، المنار ، مج ٢٤ ، ص ٥١٨ .
(٢٢٢) م. ع. ، مج ٢ ، ص ٧٣٥ .
(٢٢٣) م. ع. ، مج ٦ ، ص ١٠٠ .
(٢٢٤) را : رشيد رضا ، فتاوى ، ج ٣ ، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت) ، ص ١٠١٢–١٠١٣ .
(٢٢٥) را : يوسف ابيش ، رحلات الامام محمد رشيد رضا (بيروت ، ١٩٧١) ، ص ١٠٧ .
(٢٢٦) را : رشيد رضا ، فتاوى ج ٢ ، ص ٩٦٨ ، ١٠٢٣ .
(٢٢٧) را : حبيب الرحمن الاعظمي ، الزهد والرقائق (بيروت ، دون تاريخ) ص ٤٠٦ .
(٢٢٨) را : رضا ، فتاوى ، ج ٣ ، ص ١١٢١ .
(٢٢٩) م. ع. ، ص ٨٦٤ .
(٢٣٠) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٥٠ ، ٨٤ .
(٢٣١و٢٣٢) را : ارسلان ، رشيد رضا ، ص ٩٧ ، ١٣٨ .
(٢٣٣) م. ع. ، ص ١٣٨ .
(٢٣٤) م. ع. ، ص ٦١ ، ١٣٩ .
(٢٣٥) را : رشيد رضا ، المنار ، ٣٧ ، مج ١ ، ص ٧٢٩ . ومنار ٢٢ ، مج ١ ، ص٤٠٨ .
(٢٣٦) را : م. ع. ، مج ٢٤ ، ص ٥١٨ .

الفصل العاشر

المولوية في طرابلس

١ ــ عبد الجليل السنيني .
٢ ــ احمد المولوي .
٣ ــ شفيق المولوي .
٤ ــ حسني المولوي .
٥ ــ انور المولوي .
٦ ــ منير الملك .
٧ ــ الذكر في زاوية المولوية .

كلمة عامة .

الفصل العاشر

المولوية في طرابلس

اول ما نعرفه عن مولوية المدينة ، ان ابن محاسن ، صاحب الرحلة المشهورة ، نزل في زاوية المولوية قبل عام (١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م) ، « وذكر ان شيخ المولوية آنذاك محمد الرومي وان منلا مصطفى المشهور بفدائي ددة العنتابي كان من افاضل دراويش المولوية ؛ فله ديوان شعر بالتركية يتضمن الغزل الرقيق ؛ وله ترجمة منطق الطير لفريد الدين العطار سماه « منطق الاسرار » . وله ترجمة « مهر مشترى » وقد سماه « عشق نامه » للشيخ محمد العطار ؛ ومنظومة جمع فيها ما يحتاج اليه المتعلم من الالفاظ العربية بالتركية ، واتقنها غاية الاتقان » (١) .

ويذكر ابن محاسن ايضاً ان « صمصمجي علي » الذي كان مندوب السلطنة العثمانية في طرابلس قام ببناء تكية المولوية في مكان مشرف على الوادي الذي يجري فيه نهر «ابو علي»(٢) .

ولا نستغرب ورود اسماء تركية في سلسلة مشايخ المولوية ، ذلك ان الدولة العثمانية كانت تهتم بالطرق الصوفية وخصوصاً المولوية .

واكبر زاوية للمولوية في طرابلس كانت « المولويخانة » أو الدرويشية . وهي الآن الزاوية الوحيدة في لبنان لهذه الطريقة (٣) . ويعود بناء هذه الزاوية الى عدة مئات من السنين ، لكن البناء الحالي يعود للقرن الهجري الماضي . وقد خصص مشايخ المولوية عدة اوقاف للانفاق من ريعها على الزاوية والقائمين عليها وعلى مريدي الطريقة المولوية . وبناء المولوية قائم في محلة ابي سمراء ، على ضفة نهر ابي علي . وهو عبارة عن منزل كبير ، في داخله قاعة كبيرة مربعة الشكل ، معدة لاقامة حفلات الفتل المولوي (٤) . وعلى مدخل التكية لوحة رخامية كتب عليها :

احيا الرسوم المولوية بعدما　　درست خلوصي محمد الوزراء
هنوه بالفوز العظيم وارخوا　　باري الهنا يجزيه خير الجزاء .

ويعود تاريخ هذه اللوحة الى سنة ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م .

وفي داخل المولوية نقش هذان البيتان :

بمظهر سر مولانا جلال الدين والدنيا　　وهمة صاحب الدار كان مللي مصطفى المولى

بنـاني بيـت ارشـاد وارخنـي بمـا يهـوى   وجدد حسن اورادي واسسني على التقوى (٥) .

وكانت لهذه الزاوية شهرة واسعة في انحاء شتى من العالم الاسلامي ، فكانت مقصداً لزوار المدينة ، وفي طليعة هؤلاء عبد الغني النابلسي الذي انشد شعراً في مدح المدينة والزاوية :

والمولويـــــة جنـــــة   فـي الحـر حيـث الحـر نـار
تزهـــو طـــرابلس بهـــا   ومـــن الزهـــور لهـا ازار
يـــا حســن واديهـا الـذي   كـأس النسيـم بـه يـدار
ومعـــاطف الاغصـان قـد   مـالت واثقلهـا الثمـار (٦) .

وعندما نزل فيها عبد الرحمن بن عبد الرزاق الدمشقي ، خطيب جامع السنانية بدمشق ، والمتوفى عام ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م انشد قصيدة طويلة في مدح طرابلس ووصف التكية :

والمولويـة اضحـت وهـي زاهيـة   مثـل العروس لها الازهار تيجان (٧) .

والواقع ان الذين قاموا ببناء هذه الزاوية كانوا على جانب عظيم من الذوق . فقد شيدوها وسط بساتين طرابلس البديعة ، في منطقة تجري فيها روافد نهر قاديشا . فكان يزيدها روعة مناظر الوادي ويضيف اليها خشوعاً بعدها عن ضوضاء المدينة ، حتى أن المعتكف بها يظن نفسه في جنة تجري من تحتها الانهار وتحف بها الرياحين والاطيار .

ومن اشهر مشايخ الطريقة المولوية :

١ ــ **الشيخ عبد الجليل السنيني الحنفي الطرابلسي** : كان من العلماء المدرسين . وله مهارة في استخراج المسائل وتصويرها بأوجز عبارة وكتب شرحاً على الدرر والغرر .
كان الشيخ عبد الجليل شديد الاعجاب بنفسه الامر الذي جر عليه نقمة العلماء والادباء . وفي اواخر ايامه ظل قعيد داره حتى وفاته عام ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م .

وآل المولوي العائلة المعروفة في طرابلس هي من سلالة الشيخ عبد الجليل . ويحتفظ المولويون بشجرة نسبهم ، التي تبين ان جدهم الأعلى هو الشيخ الامير حاج الذي كان من مشاهير العلماء واصحاب التآليف النفيسة الفقهية وهو جد الشيخ عبد الجليل (٨) .

وقد انحصر اقطاب هذه الطريقة في آل المولوي (نسبة الى مولانا جلال الدين الرومي) ؛ فقد تتابع مشايخها على استلام التكية المولوية ، وادارة شؤونها ، وتصريف امور الاوقاف التابعة لها . وكان يجري انتخاب مشيخة القدس ومشيخة حلب من قبل اعضاء هذه الاسرة وكثيراً ما كان يتولى هذا المنصب احد افرادها .

نقتطف هذه القطعة من شجرة العائلة المولوية الطرابلسية ، مكتفين بذكر الذين تولوا المشيخة :

مصطفى الثاني (مشيخة طرابلس)　　عبد الحميد　　شاكر (مشيخة طرابلس)
احمد (مشيخة طرابلس)　　شفيق (مشيخة طرابلس)
حسني (مشيخة طرابلس)　　فؤاد (مشيخة حلب)　　عادل (مشيخة القدس)
انور (مشيخة طرابلس) .

والمعلومات ضئيلة جداً عن الشيخ مصطفى الثاني ، وكل ما يذكر عنه انه خصص اربع حفلات سنوية ، وذلك خلال شهر نيسان حيث كانت تقام في مكان ملاصق لجامع التكية يدعى (السماع خانة) ؛ وحفلة اسبوعية مساء الخميس وكانت تقام في جامع التكية .

اما ابنه الشيخ شاكر ، فقد تلقى علومه على يد والده وعلى يد مشايخ طرابلس ، حيث كان يؤم المساجد ، ويحضر حلقات العلوم الدينية ، فبرع في الفقه والحديث ... ومال الى سلوك طريقة اجداده . فنال الاجازة من والده الشيخ مصطفى الثاني وتسلم مشيخة الطريقة حتى وفاته .

٢ ــ **الشيخ احمد بن مصطفى :** سلك الطريقة على يد والده وتولى المشيخة بعد وفاة شقيقه شاكر ؛ وظل يتولى ادارة شؤون التكية ويدير حلقات الذكر فيها حتى وفاته عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .

٣ ــ **الشيخ شفيق بن عبد الحميد :** كان الشيخ شفيق قد سلك الطريقة على يد عمه الشيخ مصطفى الثاني ، وقد تولى مديرية الاوقاف الاسلامية بطرابلس . وكان الشيخ شفيق من الاصدقاء المقربين الى الشيخ حسين الجسر .

اشتغل الشيخ شفيق بالسياسة وكان من مؤيدي حزب الاتحاد والترقي التركي وكانت له بين قادة هذا الحزب صداقات حميمة وخاصة طلعت باشا أبو الدستور . وقد ساعده هذا الحزب على تولي مشيخة المولوية بطرابلس عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م وذلك عقب منافسة شديدة بينه وبين الشيخ عادل بن الشيخ احمد المتوفى . وقد اضطر شيخ تكايا المولوية آنذاك ان يكلف الشيخ عادل استلام مشيخة القدس المولوية وذلك لارضائه .

وكان من طبيعة الشيخ التقرب الى العلماء والوجهاء والزعماء ، فكان منزول (٩) التكية المولوية يضم العديد من هؤلاء في مختلف المناسبات ؛ فكان يقيم الولائم لهم في هذا المنزول .

وكان يحرص على اقامة مناقشات دينية قبل وبعد حلقات الذكر التي كان يجريها في التكية . وقد كان عظيم التأثير في نفوس السامعين بما منحه الله من صوت جهوري الى منطق سليم الى قامة مهيبة . وجراة نادرة ، فكان لا يخشى في الله لومة لائم ؛ ففي عهد الانتداب الفرنسي وابان رئاسة اميل اده اغلقت الحكومة اللبنانية المدارس وصرفت المعلمين ، فشكلت طرابلس وفداً برئاسة الشيخ شفيق ، وكان من أبرز اعضائه نائب

طرابلس عبد الحميد كرامي وسعد الله المنلا وفؤاد الذوق رئيس البلدية . وقد حصل تلاسن بين الشيخ شفيق والرئيس اده سببه نقمة هذا الرئيس على مدينة طرابلس لانها استقبلته بالعداء . وازاء ثبات الشيخ شفيق اعتذر الرئيس ادة عما بدر منه ووعد الوفد برفع الظلم عن مدينة طرابلس .

وفي احدى المناسبات سمع الشيخ احد الضباط الفرنسيين يشتم النبي محمداً فضربه الشيخ وطالب بنقله فوراً من طرابلس .

ولقد حرص الشيخ على تربية المريدين ، فكان يمضي معهم اغلب اوقاته لا سيما بعد صلاة العشاء وحتى منتصف الليل ، يتدارسون القرآن والحديث واخبار الصوفية واحوالهم .

وكان حريصاً ايضاً على مصالح المدينة ويسعى من اجل انعاشها فأسهم في تأسيس دار التربية والتعليم الاسلامية ؛ وكانت له الايادي الخيرة في ايصال مياه الشفة الى مدينة طرابلس ... الى غير ذلك من المشاريع ذات المنفعة العامة .

وكان من عادته الطواف على تكايا المولوية في العالم الاسلامي للاطلاع على ما يجري فيها من تبديلات وتعديلات في الذكر وفي تربية المريدين ؛ وقد زار تكايا قونية ومصر وسوريا وفلسطين وقبرص وحضر حفلاتها جميعاً .

وفي ايامه عرفت تكية المولوية بطرابلس اقبالا عظيماً من جمهور المريدين والعلماء والوجهاء .

توفي عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م ودفن بطرابلس .

٤ ــ **الشيخ حسني المولوي** : وعلى اثر وفاة الشيخ شفيق ، اختلفت العائلة المولوية في اختيار خلف له ، الأمر الذي حمل رئيس تكايا المولوية الشيخ جلبي الى الحضور لطرابلس حتى يعالج الموقف وقد عين جلبي الشيخ حسني شقيق الشيخ شفيق شيخاً لمولوية طرابلس عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م وعين منافسه الشيخ فؤاد بن شاكر شيخاً لمولوية حلب .

كان الشيخ حسني قبل تعيينه تاجراً مرموقاً لذلك كان حظه من العلم ضئيلا جداً ، لكنه كان يحرص على اقامة حلقات الذكر الاسبوعية والسنوية المعتادة . بكامل الابهة التي كانت تجري فيها ايام اخيه الشيخ شفيق .

توفي الشيخ حسني عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م تاركاً عدة ابناء انصرفوا جميعاً الى التجارة ولم يهتموا بالطريقة الأمر الذي سهل على الشيخ انور بن فؤاد تولي المشيخة .

٥ ــ **الشيخ انور المولوي** : ابن فؤاد بن شاكر ... ولد بطرابلس عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١م تعلم على يد والده واقربائه مشايخ المولوية . وأخذ عن غير علماء الاسرة كالشيخ عبد اللطيف العلمي والشيخ عبد الفتاح سلهب وغيرهما . وتنقل في المدارس

العثمانية ، وبرع في العلوم الدينية ومال الى التصوف كمعظم ابناء اسرته .

وبعد أن أتم التحصيل في طرابلس ، اتجه الى حلب حيث التحق بمريدي الشيخ باقر جلبي شيخ تكية حلب المولوية ورئيس التكايا المولوية في العالم الاسلامي آنذاك .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المركز الرئيسي لهذه الزوايا كان زاوية قونية وذلك في ظل الدولة العثمانية ؛ فلما قام مصطفى كمال بانقلابه وبتأسيس الجمهورية التركية ، الغى الخلافة وخلع السلطان . ومن جملة الخطوات التي اتخذها لعلمنة الدولة اغلاق تكايا الصوفية لا سيما زوايا المولوية . فانتقل المركز العام لهذه الزوايا من قونية الى حلب التي اصبحت محط انظار رجالات المولوية والمكان المقصود لنيل الاجازة في الطريقة واستلام الزوايا . وهذا ما فعله الشيخ انور .

نال الشيخ انور الاجازة في الطريقة بعد ان امضى فترة طويلة في مجاهدة ورياضة روحية زادته نسكاً وزهداً . وكان محط اعجاب مشايخه وفي مقدمتهم جلبي .

ولما توفي الشيخ حسني المولوي شيخ تكية طرابلس عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، أبلغ الشيخ باقر جلبي المفوض السامي الفرنسي بانه قد جرى تعيين الشيخ انور ، للقيام باعمال مشيخة تكية طرابلس . وذلك وفقاً لقوانين التكايا المولوية وانظمتها . فصدر الأمر من المفوض السامي بالموافقة ؛ وجرى اعلام محافظ لبنان الشمالي بذلك بتاريخ ١١ أيار ١٩٣٦ / ١٣٥٥هـ . وقد حمل هذا الأمر توقيع De Salins . ولا يزال كتاب المفوضية العليا هذا محفوظاً لدى ابناء الشيخ انور .

وفي التاريخ ذاته حصل الشيخ انور على كتاب من دائرة الاوقاف الاسلامية ، يعهد اليه بتولي شؤون تكية المولوية بطرابلس واستلام اوقافها (١٠) ، على ان يقوم بما توجبه عليه حق القيام ؛ فاذا اهمل أو ترك ادارتها بدون معذرة مشروعة تنزع منه وتوجه على من يستحقها .

وقد أطلق على الشيخ انور لقب صاحب الرشادة ؛ وهذا اللقب في عرف المولوية يدل على مهمة الشيخ وهي ارشاد الناس والدعوة الى التمسك باصول الدين .

وفي ايام الشيخ انور غص منزول المولوية بالرواد من العلماء والادباء والمشايخ والمريدين الذين كانوا يتذاكرون في امور الدين والدنيا . واكثر ما كانت تجري تلـك المناقشات بعد صلاة عصر الجمعة من كل اسبوع وتستمر حتى ساعة متأخرة من الليل ؛ فتحول هذا المنزول الى مدرسة تعلم اصول الدين ومباديء الطريقة المولوية .

وكان الشيخ انور يدير حلقة ذكر تعرف باسم (الجلال) وذلك بعد صلاة المغرب من ليلتي الجمعة والاثنين من كل اسبوع في انوار خفيفة جداً .

وفي شهر نيسان كان الشيخ انور يقيم اربع حفلات عامة تعرف باسم (المقابلة) يدعى اليها الرسميون وفي مقدمتهم رئيس الوزراء والمحافظ والمفتي والقاضي وسائر

الرسميين ووجهاء المدينة . وفي عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م اقام الشيخ انور حفلة عامة حضرها عدد كبير من الشخصيات منهم رياض الصلح رئيس الوزراء آنذاك والسيد هكسلي امير البحرية البريطانية في شرقي المتوسط . وكانت لهكسلي رغبة شديدة في حضور احدى حفلات المولوية ؛ ذلك ان جده كان قد زار طرابلس وحضر حلقات ذكر المولوية فيها فأوصى ابناءه واحفاده بان يحضروا هذه الحلقات كلما سنحت لهم فرصة زيارة طرابلس . وقد اغتنم الشيخ انور هذه المناسبة واظهر للسيد هكسلي عتب المسلمين والعرب على بريطانيا لموقفها الداعم للصهيونية وتنكرها لحق العرب .

فأجابه هكسلي بان ذلك يعود الى النفوذ الصهيوني في العالم الغربي ؛ وبين هكسلي بانه بات يخاف على لندن نفسها من الصهيونية العالمية .

كان الشيخ انور صديقاً لعبد الحميد كرامي مفتي طرابلس وزعيمها . وللشيخ بشارة الخوري ولسائر رجال الاستقلال . وكان يتصدر الوفود الطرابلسية التي أمت بيروت في كل مناسبة لتقدم الى الحكومات المتعاقبة مطالب طرابلس .

صومعته واعتكافه :

وفي عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ترك الشيخ انور الامور السياسية وبنى صومعة على تلة صغيرة في قرية فنيدق بعكار حيث كان يقضي فصل الصيف في عبادة وتبتل . ولا تزال هذه التلة الى الآن تعرف بتلة الشيخ انور .

كان يعتكف طيلة شهر رمضان في جامع التكية . حيث كان يختم القرآن عدة مرات ويكثر من العبادات والنوافل ، ولا يخرج من الجامع الا صباح يوم العيد . حيث كان يقيم مأدبة لعموم آل المولوي ولمريدي الطريقة . فهذا الشهر الذي يعتزل فيه الناس يصقل نفسه ، ويصفيها من الادران . كما يعتقد ، ويجعلها تفكر بالخالق . وتحاول جهدها للتقرب اليه ؛ ذلك ان كثرة معاشرة الناس والاختلاط الشديد بهم يلهيان القلب عن ذكر الله والتفرغ لعبادته .

وكان الشيخ انور يتشبه بالصحابة ويدعو مريديه الى النسج على منوالهم لأنهم في رايه المثل العليا في التقى والورع والزهد والعلم الديني (١١) .

علاقاته برجال الدين من مسلمين ومسيحيين :

لقد اقام الشيخ انور علاقات وديه مع رؤساء الطوائف الأخرى اساسها الاحترام المتبادل ، لذلك كان محبوباً ومحترماً من قبل الجميع . وقد اجتمع في احد الاعياد في منزول التكية المولوية ثلاثة مطارنة واربعة علماء للسنة وعالمان من الشيعة .

ومن الطبيعي ان تتحول هذه اللقاءات الى ندوات دينية مفيدة تقرب وجهات النظر بين الاديان والمذاهب (١٢) .

الشيخ انور والخلافة العثمانية :

يعتبر الشيخ انور ان اكبر خطر على العرب والمسلمين قاطبة هو زوال الخلافة الاسلامية ؛ من اجل ذلك ناهض كل دعوة للانفصال عن الدولة العثمانية لأن المنفصلين لم يتمكنوا من اقامة خلافة اسلامية بديلة . وكان من ارائه ان يعود العرب الى حظيرة الحكم العثماني ويسعوا في اصلاح الخلافة العثمانية . بما يضمن لها البقاء والاستمرار .

ولم يكن الشيخ انور يشعر ان هناك فرقاً بين تركي وعربي اذ ان الاسلام يجمعهما ويوحد بينهما ؛ يظهر ذلك في الموقف الذي اتخذ على اثر وفاة الشيخ جلبي (شلبي) رئيس التكايا المولوية وشيخ حلب ؛ فقد دعي مشايخ المولوية لانتخاب رئيس جديد ، فاجتمعوا في حلب وقرروا بعد نقاش طويل انتخاب ابن الرئيس المتوفى رئيساً وذلك خلافاً لرغبة الحكومة السورية آنذاك . وكان للشيخ انور اليد الطولى في هذا الانتخاب ؛ مما أثار حفيظة الحكومة لأن الرئيس الجديد تركي الجنسية وهي تريد هذا المنصب لشيخ عربي ؛ فأمرت الشيخ انور بمغادرة البلاد فوراً لكن اهالي حلب قاموا بالتظاهرات تأييداً لموقف مشايخ المولوية ؛ وكان الشيخ انور يتصدر هذه التظاهرات بكل جراة واقدام ؛ واخيراً تراجعت الحكومة عن مطلبها ذاك . وقد جرت مقابلة بين الشيخ انور ورئيس الوزارة سعد الله الجابري تفهم الرئيس من الشيخ وضع الانتخاب وظروفه .

وبعد فترة من عودة الشيخ انور الى طرابلس حضر وزير الاوقاف السوري واجتمع بالشيخ وبيّن له ان مشايخ المولوية في سورية قد تراجعوا عن موقفهم وانتخبوا شيخ المولوية بدمشق بدلا من ابن جلبي وان رغبتهم انحصرت في استئصال آخر نفوذ للاتراك . وقد طلب وزير الاوقاف من الشيخ انور الرجوع عن قراره وموافقة الحكومة السورية رأيها ؛ لكن الشيخ اعلن صراحة بانه لا يفكر بان هناك فضلا لعربي على اعجمي الا بالتقوى وان الرابطة الاسلامية هي فوق كل رابطة . ولم يتراجع الشيخ عن موقفه .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الحكومة السورية قد عزلت الرئيس الشرعي التركي وعينت مكانه شيخ دمشق المولوي وذلك باقتراع شارك فيه مشايخ المولوية في سورية فقط (١٣) .

مقتطفات عن آرائه :

أ ــ **في المذاهب :** كان الشيخ انور من الداعين الى اعتماد المذهب الحنفي . مثل معظم مشايخ طرابلس . وكان يحرص على نشر فتاوى الحنفية بين جمهور المسلمين .

ب ــ **في زيارة القبور :** وفي ايامه درج المسلمون على زيارة قبور موتاهم . وذلك صباح كل عيد ؛ فأنكر الشيخ انور هذا العمل لا سيما ان النساء كن يخرجن لاداء هذه الزيارة متبرجات لابسات اجمل الملابس واغلاها . وقد حذر الرجال من السماح بهذا العمل المخالف للسنة النبوية .

ج ــ **تعلم العلوم الدنيوية :** كان الشيخ يحض المريدين علـــى الاقبـــال لاكتساب المهارات الفنية واتقان كل العلوم المتعلقة بها ، وذلك بنفس القـــوة التي كان يحثهم فيها على الاقبال على العلوم الدينية والترقي في مدارج الطريق .

وكان يشجع الآباء على تعليم البنات ولم يجد غضاضة في متابعة الفتاة لتحصيلها الجامعي ودخولها معترك الحياة شرط ان تكـــون متسلحة بالوازع الـــديني وباللباس الشرعي .

د ــ **حدبه على الفقراء والمحتاجين :** كان الشيخ انور يتفقد ابناء حيه ويسألهم عن حاجاتهم ، وعما اذا كان احدهم بلا عمل ... فكان يساعد بعضهم لاستلام اعمال يعتاشون منها ، ويحل ما استطاع من المشاكل ، ويقدم المعونات المادية والمعنوية لكل طالب أو محتاج . وقد فتح ابواب التكية والمنزول امام الفقراء والمحتاجين من ابناء المحلة ومن عابري السبيل . وذلك بالرغم من ضآلة واردات اوقاف التكية (١٤) .

وفاتـــه :

كان الشيخ انور يردد قبيل وفاته بأنه آخر شيخ للمولوية لا في طرابلس فحسب بل في العالم الاسلامي كله . وفعلا ، فبوفاته ٢ أيار ١٩٦٣م / ١٣٨٣هـ شغر منصب المشيخة واغلق الجامع والمنزول واصبحت المولوية كمكان مهجور يسكنه بعض آل المولوي دون ان تقام فيه اية اذكار . ولم يتولى احد المشيخة من بعده وآلت اوقاف الزاوية الى دائرة الاوقاف الاسلامية بطرابلس لتدير شؤونها . ولقد تهدمت اجزاء من الزاوية لا سيما قبة الجامع وبعض جوانبه .

وعلى اثر وفاة الشيخ انور نعته الاذاعة اللبنانية وشيعته جماهير غفيرة من اهالي طرابلس ، وقد تقدم هذا الحشد ممثلو الطوائف ورجال السياسة والعلماء . وانهالت برقيات التعزية ونوهت الصحافة اللبنانية بتصوفه .

وقد ترك الشيخ انور عدداً كبيراً من المريدين في طليعتهم : الشيخ عبد الحميد مرحبا ، جلال السيد ، عشير العلمي ، سعد الله منقارة ، حسن حرب ، نظيف المولوي ، جلال المولوي مختار منطقة الحديد ، نور الدين عيسى وغيرهم (١٥) .

وفي مطلع عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م قررت الاسرة المولوية بطرابلس الغاء المشيخة اسوة بسائر التكايا وطالبت بالتولية على اوقافها فقرر مجلس الاوقاف الاداري في طرابلس تعيين الاستاذ رياض المولوي ابن الشيخ انور متولياً على اوقاف المولوية في طرابلس .

٦ ــ **الشيخ منير الملك :** ولد بطرابلس ، وفيها تعلم على مشايخ زمانه ، ومال للادب والعلوم الفقهية والارشاد . سلك الطريقة المولوية ونال الاجازة فيها .

عين الشيخ منير خطيباً ومدرساً في جامع غازي باسكلة طرابلس . واصدر جريدة « المدلل » وهي جريدة هزلية انتقادية ، فقد كان الشيخ خفيف الروح ، حاضر النكتة ،

غريب نسب ... » يود سامعه ان ينقطع عن الحديث . وقد راجت المدلل كل الرواج .
ولما عاد الشيخ عبد القادر المغربي من القاهرة واصدر جريدة « البرهان » التي أخذ ينشر فيها مقالاته عن الاصلاح الاسلامي ، كما دعا الى تحرير المراة طبقاً لما قام به في مصر قاسم امين ؛ فما كان من الشيخ منير الا ان وجه حملاته الانتقادية على البرهان وصاحبها المغربي . فقد كان الشيخ منير ضد التجديد أو التفرنج كما يسميه . ظلت المدلل تصدر حتى قبيل الحرب العالمية الأولى .

تقلد الشيخ منير عدة مناصب منها : المحكمة الشرعية في عكار ؛ الخطابة والتدريس والامامة في جامع الاسكلة الكبير . وقد اتخذ من هذا المسجد زاوية للطريقة المولوية ، فكان يربي المريدين ويشرف على حلقات الذكر التي كانت تقام في المسجد لا سيما خلال شهر رمضان (١٦) .

ولعل اشهر حفلة كانت تقام كانت في السابع والعشرين من شهر رمضان ، حيث يصادف ذلك اليوم ليلة القدر ، التي يحتفل المسلمون بشتى بقاع الارض بقضائها في عبادة ودعاء ؛ يدفعهم الى ذلك ما ورد في القرآن من تعظيم لها ؛ فهي ذكرى نزول الوحي على الرسول بالقرآن . من اجل ذلك كان مشايخ الطرق يحرصون على احيائها : « يجلس الشيخ في زاوية خاصة على جلد ، يحيط به التلامذة ، يرتدون الثياب البيضاء الطويلة الفضفاضة ، ويعلو رؤوسهم طاقية طويلة من لباد ، تدعى « كلاه » . ثم يتحلّق الذاكرون ومنهم المنشدون والمرددون والعازفون والنافخون بالناي . ثم يقبل مقدّم التلاميذ ويحني عنقه امام الشيخ مستأذناً ؛ فاذا بادله انحناء العنق ، عاد المقدم وشرع يدور مع اخوانه التلاميذ الدوران المتقن الجميل ، آخذاً بعض ثوبه بيده اليمنى ثم يطلقها في الفضاء حتى نهاية الحفلة .

واذا انتهى الشوط وقف القوم لأخذ بعض الراحة ، وارتفعت اصوات المنشدين والملحنين ، فاذا عزموا على الاستئناف اقبل المقدم مستأذناً من الشيخ ... » (١٧) .

توفي الشيخ منير الملك عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م تاركاً مجموعة من الخطب التي القاها في المساجد والمحافل (١٨) .

الذكر في الزاوية المولوية

في المناسبات الدينية ، يجتمع مريدو الطريقة المولوية في الزاوية الرئيسية ويشتمل مجلسهم على :

١ ــ الصلاة جماعة .
٢ ــ قراءة القرآن ورواية شيء من احاديث الرسول . ثم يجلس شيخهم ، في زيه الرسمي ، على كرسي ينصب له بينما يتحلق حوله بقية المريدين .
٣ ــ يأخذ الشيخ بالوعظ والنصيحة لمريدي الطريقة ولمن حضر من الناس ، فهناك مقصورات مخصصة للنظارة من غير المريدين . ويشتمل وعظ الشيخ على ذكر قصص

الصالحين واخبار الانبياء والمرسلين ...

٤ ــ قراءة جزء من المثنوي ، لا سيما ما يتعلق بالعلوم الالهية والمعارف الربانية .

٥ ــ انشاد قصيدة في مدح جلال الدين الرومي ، مطلعها :

بكتاب المثنوي طاب الوجود وتوالى كل انعام وجود

ظهر الحق به واتضحت سائر الاحكام فينا والحدود (١٩) .

٦ ــ السماع بالآلات المطربة كالشبابة (الناي) ذلك ان صوت القصب ، في نظرهم ، يوقظ في الانسان الهيام لأصله ، ويثير فيه مشاعر الحب التي تكشف كل الاسرار (٢٠) . ويستعمل المولوية الدف ونحو ذلك من الآلات ، ويعتبرون ذلك ترويحاً للقلوب وتنشيطاً للسلوك .

٧ ــ الدوران المعروف بالفتل المولوي . وتقوم به مجموعة من الفتيان ، الذين يلبسون غلائل بيضاء ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقصون بها على النغمات المشجية ، ويدورون دوراناً فنياً سريعاً ، تنفرج به غلائلهم ، فتكون دوائر متقاربة على ابعاد متناسبة ، لا تطغى واحدة منها على الاخرى ، ويمدون سواعدهم ويميلون اعناقهم ويمرون واحداً بعد آخر امام شيخهم .

٨ ــ اظهار الطاعة والاذعان باحناء الظهر امام شيخ التكية ، ثم الجلوس في المكان المخصص لكل مريد .

٩ ــ الادعية للمشايخ وللمريدين ولكافة الحاضرين والمؤمنين .

١٠ ــ اهداء ثواب القراءة والذكر للنبي ولكافة الانبياء والمرسلين ، وخص جلال الدين الرومي واستاذه التبريزي بافضل الدعاء .

« لقد كانت الموسيقى المولوية ذات شهرة عالمية . يفد الى سماعها في تكايا هذه الطريقة خاصة الناس من كل فج » (٢١) . ذلك ان المولوية . وغيرهم من الصوفية ، يرون أن حسن الصوت من صفات الكمال الانساني . وان النغمة الطيبة تروح عن القلوب المحترقة بنار محبة الاله . كما يعتقدون . ويعتبرون أن للموسيقى تأثيراً سحرياً على النفس . فهي علاج لكثير من الامراض . وهي الوسيلة لترقيق الطباع حتى طبائع الحيوانات .

ومن هذا القبيل كان جلال الدين يلجأ الى مجالس الذكر والسماع . كلما الم به الحنين الى شمس تبريز . وبالاضافة الى ذلك فانهم يعتبرون ان الموسيقى تثير في النفس ذكرى الاناشيد السماوية التي كانت تسمعها في العالم العلوي . لذلك يعتقد المولوية ان من لم يحب السماع الطيب ، البعيد عن ذكر القدود .. وغير ذلك من الغزليات التي يستمع اليها البعض في مجالس الشراب واللهو ، يشكو من نقص فيه . فهم يعتبرون ان السماع الطيب يشتمل على تنزيه الله وتقديسه والابتهال اليه وعلى مدح الرسول وعلى الترغيب في الجنة والترهيب من النار .

وللسماع . عند المولوية . ثلاث مراتب :

أ ــ سماع الطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام وكل ذي روح يستطيب الصوت الطيب لأنه من جنس الروح .

ب ــ سماع الحال ويعنون به اثر الموسيقى والغناء في الكشف عن نوازع النفس ، وخفايا المشاعر ، واسرار الاحاسيس النفسية .

ج ــ سماع الحق ويعنون به ادراك حكمة الله وآثار قدرته ، وعجائب لطفه . فالموسيقى ، عندهم ، لغة تتحدث عن اسرار الحياة واسرار الوجود المليء بالاسرار (٢٢) . ومهما يكن من امر فان عدداً كبيراً من المصلحين كان ينكر على المولوية استعمال الموسيقى في الذكر ، وينكر عليها ايضاً طريقة الفتل وغيرها من الحركات الدخيلة .

كلمة عامة :

منذ وفاة الشيخ انور عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م . توقفت التكية المولوية عن اقامة الاذكار ، ولم يعين شيخ مكانه . وما لبثت هذه الطريقة ان زالت من المجتمع الطرابلسي .

وفي عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م فوضت الأسرة المولوية رياض المولوي ابن الشيخ انور من اجل ترميم الزاوية واستئناف الاذكار فيها .

هـــوامش

(١) يحيى بن ابي الصفا ، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية ، تحقيق محمد البخيت (بيروت ، ١٩٨١) ، ص ٧٤ .
(٢) م. ع. ، ص ٧٦ .
(٣) را : زعبي وزيعور ، البونية ، ص ١٥٦ .
(٤) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٤٧ .
(٥) عمر تدمري ، تاريخ وآثار مساجد ، ص ٥٣ــ٥٤ .
(٦) نوفل ، تراجم ، ص ٢٧٥ .
(٧) م. ع. ، ص ٢٧٦ .
(٨) نوفل ، تراجم علماء طرابلس ، ص ٣١ .
(٩) هي اشبه بمقهى صغير يجتمع فيها اهل الحي للتداول وتبادل الاراء والتسامر . وقد اشتهرت طرابلس بالمنازيل الملحقة بقصور الامراء والوجهاء .
(١٠) خصص وجهاء الاسرة واغنياؤها عدة اوقاف لتسيير شؤون التكية وذلك بموجب فرمانات سلطانية .
(١١) را : رياض مولوي ، حياة الشيخ انور ، مخطوط ، (طرابلس ، ١٩٧٠) ، ص ١٥ .
(١٢) م. ع. ، ص ١٧ .
(١٣) را : مولوي ، حياة الشيخ انور ، ص ١٩ــ٢٠ .
(١٤) م. ع. ، ص ٢٣ .
(١٥) را : مولوي ، حياة الشيخ ، ص ٢٥ .
(١٦) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٤٤٧ .
(١٧) زعبي وزيعور ، البونية ، ص ١٥٦ .
(١٨) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٥٤٧ .
(١٩) عبد الغني النابلسي ، العقود اللؤلؤية ، ص ١٧ .
(٢٠) Molé , les mystiques musulmans , p. 112 .
(٢١) احمد عياد ، التصوف الاسلامي ، ص ٣٢١ .
(٢٢) م. ع. ، ص ٣٢٠ .

الخاتمـــة

حاولنا تقديم صورة عن نشأة بعض الطرق الصوفية ، وتميزها بعضها عن بعض . وقد اقتصر بحثنا على الطرق التي وصل تأثيرها الى طرابلس . وقد شمل البحث التعويف بمشايخ الطرق الطرابلسيين القدامى والمعاصرين . . . وكما ظهر فاني حاولت ان اعود ، بقدر ما تيسر لي من المراجع ، الى المشايخ الأول الذين نشروا الطرق الصوفية في طرابلس ، وان اسير في هذه السلسلة حتى الشيخ الحالي للزاوية . وهنا قد تطرح تساؤلات كثيرة . في طليعتها : ما هذا العدد الضخم من المشايخ الطرابلسيين ؟

هل سكان طرابلس كلهم من الصوفية ؟ . . .

وسرعان ما تزول هذه التساؤلات عندما نعلم ان سكان طرابلس ، في مطلع القرن العشرين ، كان لا يتجاوز الخمسين الفاً بين ذكور واناث ومن مختلف الطوائف (١) .

وفي الفترة ذاتها قام مؤلفا كتاب (ولاية بيروت) بجولة في طرابلس ، وباحصاء عدد المنتسبين الى الطرق الصوفية بين اهالي المدينة . فكانت الارقام التالية :

اتباع الطريقة الخلوتية	٤٠٠٠ــ٥٠٠٠	نسمة
اتباع الطريقة القادرية	٥٠٠٠	نسمة
اتباع الطريقة الرفاعية	١٠٠	نسمة
اتباع الطريقة الشاذلية	٣٠ ــ ٤٠	نسمة
اتباع الطريقة النقشبندية	١٠ ــ ١٥	نسمة (٢) .

وقد أغفل المؤلفان احصاء اتباع الطريقة المولوية التي كانت ترعاها وتتبناها الدولة العثمانية والتي كانت تكيتها المشهورة تزخر بجمهور الصوفية . ولم يذكر هذا الاحصاء ايضاً اتباع الطريقة البدوية .

ومهما يكن من امر هذا الاحصاء ، فانه يبين اقبال الطرابلسيين على سلوك الطرق الصوفية . وان الباحث ليجد عدداً لا بأس به من مشايخ طرابلس الذين نالـــوا عدة اجازات في طرق متعددة . وذلك لزيادة البركة ، كما يعتقدون .

ومما لا شك فيه ان هذا العدد الكبير من جماهير الصوفية بحاجة الى عدد مناسب من المشايخ المرشدين .

ويمكن تلخيص الآثار التي نجمت عن هذه الحركة في المجتمع الطرابلسي :

١ ـ لم يكتف الصوفية بالعلم بالعقائد الايمانية ، بل انتقلوا الى الاشتراط بها . فانطلقوا الى السمو بقيمة النفس الانسانية ، والاعتراف بجلال خطرها في الوجود . وفتحوا ابواب الاجتهاد لا سيما في تفسير القرآن والحديث ، مما يزيد الانسان معرفة بالله وبذاته . وقد تجلى ذلك في تفسير ابي المحاسن القاوقجي وتفسير محمد الحسيني ...

٢ ـ للطرق الصوفية اثر مهم في نشر الدعوة الاسلامية . فقد اسلم على ايدي مشايخ الطرق عدد من اهالي المدينة وجوارها ، وعاد الى حظيرة الدين عدد كبير من المنحرفين والمبتعدين ... فكانت المساجد عامرة بالمصلين والمعتكفين ، وكثر في زوايا الصوفية عدد التائبين .

٣ ـ للطرق الصوفية دور مهم في الحياة الشعبية للجماعة الاسلامية ، يتجلى هذا الدور في اقامة حلقات الذكر التي كانت تشهد اقبالا شعبياً عظيماً . الأمر الذي مكن المشايخ من القيام بدور هام في تعبئة الراي العام ، فلم يكن احد من مسلمي المدينة ليتجاسر على الافطار علناً في شهر الصيام ، ولم يذكر أن مسلماً قد باع الخمر في متجره . وذلك ابان سيطرة المشايخ .
وفي هذا السياق يذكر أن من اسباب ثورة الطرابلسيين على ابراهيم باشا المصري اباحته شرب الخمور ، الامر الذي اثار حفيظة الشيوخ وبالتالي تحريض الطرابلسيين على الثورة (٣) .

٤ ـ كان لمشايخ الطرق دور مهم في حل المشاكل التي تنشأ بين الاهالي ، كما كانوا واسطة بينهم وبين الحكومات المتعاقبة ، فاسهموا في تخفيف الظلم عن الرعية وعن المضطهدين . فكانت الزاوية ملجأ للضعيف والمضطهد ، وملاذاً للفقير والجائع . يجد فيها كل منهم ما يحتاجه ، ويجد في شيخها الاب العطوف والموجه والمرشد للخير .

وكان مشايخ الطرق يجمعون ما يجود به الاغنياء ويوزعون ذلك على الفقراء والمحتاجين . وقد حث المشايخ المريدين على خدمة المرضى والفقراء ... فكان لذلك كله ابلغ الأثر في تخفيف الويلات والمصائب التي حلت بالمدينة .

٥ ـ وفي ميدان الاخلاق . كان للطرق الصوفية اثر مهم . ذلك ان كل تعاليم الصوفية وارشادهم ينصب على اصلاح القلوب والاقبال على الاعمال الصالحة . فالصوفي . الحقيقي ، حين لا يفكر الا في اعداد النفس ليوم الحساب . يخشى الله دائماً في كل قول وعمل . وشعوره بعظمة الرب يدفعه الى الخوف من الكبائر والصغائر . والرغبة في التقرب الى الله بصالح الاعمال . اضف الى ذلك الآداب التي يتحلى بها الصوفي حتى يصل الى مرحلة صقل النفس وتطهير القلب وتربية الوجدان .

٦ ــ وقد ترك صوفية طرابلس آثاراً ادبية في الشعر والنثر . تحدثوا فيها عن افكارهم وطرقهم ومجاهداتهم وادعيتهم ...

٧ ــ كان للطرق الصوفية ، وعلى الاخص المولوية أثر في فني الموسيقى والغناء ، لأن هذه الطرق تعطي اهمية لهذين الفنين في تربية الذوق وتهذيب الطباع . فمجالس الذكر كانت بمثابة مدارس شعبية لتخريج المغنين والموسيقيين .

والآن فان حركة التصوف في طرابلس تشهد تقهقراً لاسباب مختلفة في مقدمتها :

١ ــ بعد الممثلين لفكرة التصوف عن نتاج العقل الحديث ، فاصبحوا عاجزين عن قبول أي الهام جديد من الفكر الحديث والتجربة العصرية . ولا يزال بعض اصحاب الطرق يزاول اساليب خلقت لأجيال كانت لها نظرة ثقافية تختلف عن نظرتنا في نواح هامة (٤) .

٢ ــ طغيان العنصر المادي في العلاقات الانسانية .

٣ ــ انتشار التعليم بمختلف انواعه ومراحله وعلى نطاق واسع .

٤ ــ انتشار وسائل الاعلام وقيامها بالارشاد والتوجيه .

٥ ــ عدم اهتمام الفقهاء وائمة المساجد بالطرق الصوفية .

٦ ــ تحويل اوقاف الزوايا الى دائرة الاوقاف الاسلامية في الشمال . مما أدى الى هجر كثير من الزوايا واغلاقها ، لأن هذا التحويل حرم الزوايا من المورد المالي الضروري لاستمرارها وقيامها بدورها .

وبالرغم من هذا التقهقر في الموقف الصوفي فان بعض المشايخ لا يزالون يمارسون التربية والتسليك على الاسس السليمة التي كان يسير عليها مشاهير الصوفية . وهكذا يسهم هذا الفريق الصغير في اصلاح المجتمع الطرابلسي .

هـــــوامش

(١) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٢٣١ .
(٢) بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
(٣) را : الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٣٩٢ .
(٤) را : محمد اقبال ، تجديد الفكر الديني ، ترجمة عباس محمود (القاهرة ، ١٩٥٥) ، المقدمة .

المصادر والمراجع

١ ــ ابن عياد ، احمد ، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ، القاهرة ، ١٩٦١ .
٢ ــ ابن بطوطة مهذب ، رحلة ابن بطوطة ، تحقيق العوامري وجاد المولى ، القاهرة ، ١٩٣٤ .
٣ ــ ابو الفرج ، عبد الرحمن ، ترياق المحبين ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ .
٤ ــ ابو غدة ، عبد الفتاح ، صفحات من صبر العلماء ، بيروت ، ١٩٧١ .
٥ ــ ابو النظر ، علي احمد ، درة الأسرار وتحفة الأبرار ، الاسكندرية ، ١٩٣٥ .
٦ ــ ادهمي ، عبد القادر ، ترجمة قطب الواصلين ، بيروت ، ١٣٠٦هـ .
٧ ــ ادهمي ، عبد القادر ، ارشاد المريد ، طرابلس ، ١٣٠١هـ .
٨ ــ ادهمي ، عبد القادر ، تبييت البردة ، الاسكندرية ، ١٣١٣هـ .
٩ ــ آدامس ، تشارلز ، الإسلام والتجديد ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
١٠ ــ ارسلان ، شكيب ، رشيد رضا ، دمشق ، ١٩٣٧ .
١١ ــ الأحدب ، ابراهيم ، كشف الارب عن سر الأدب ، بيروت ١٢٩٣هـ .
١٢ ــ ايبش ، يوسف ، رحلات الامام رشيد رضا ، بيروت ، ١٩٧١ .
١٣ ــ البابا ، كامل ، تاريخ طرابلس ، مخطوط ، دون تاريخ .
١٤ ــ البابا ، كامل ، كرامات الشيخ علي العمري ، طرابلس ، ١٩٥٨ .
١٥ ــ بارودي ، مصطفى وهيب ، خلاصة البهجة في سيرة صادق اللهجة ، القاهرة ، ١٣١٥هـ .
١٦ ــ بارودي ، مصطفى وهيب ، الفوز الأبدي في الهدى المحمدي ، بيروت ، ١٣٤٣هـ .
١٧ ــ بارودي ، مصطفى وهيب ، اعلام وبيان ، طرابلس ، ١٣٢٢هـ .
١٨ ــ بارودي ، مصطفى وهيب ، مجلة البيان ، طرابلس ، ١٣٣٠هـ .
١٩ ــ بهجت والتميمي ، ولاية بيروت ، بيروت ، ١٩١٧ .
٢٠ ــ بيهم ، محمد جميل ، فلسفة التاريخ العثماني ، بيروت ، ١٩٢٥ .
٢١ ــ تدمري ، عمر ، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس ، طرابلس ، ١٩٧٤ .
٢٢ ــ الجرجاني ، علي ، التعريفات ، استنبول ، ١٣٠٨هـ .
٢٣ ــ الجسر ، حسين ، الرسالة الحميدية ، الطبعة الأولى .

٢٤ ــ الجسر ، حسين ، نزهــة الفكر في مناقب الشيــخ محمد الجسر ، بيروت ، ١٣٠٦هـ .
٢٥ ــ الجسر ، نديم ، قصة الأيمان ، طرابلس ، ١٩٦١ .
٢٦ ــ الجسر ، نديم ، غريب القرآن ومتشابهاته ، طرابلس ، ١٩٧٤ .
٢٧ ــ الجميلي ، صادق ، من اعلام العارفين ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٦٩ .
٢٨ ــ الجيلاني ، عبد القادر ، الفتح الرباني ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .
٢٩ ــ الجيوشي ، محمد ابراهيم ، بين التصوف والأدب ، القاهرة ، دون تاريخ .
٣٠ ــ حسيني ، محمد ، تفسير الحسيني ، ج ١ ، طرابلس ، ١٣٣٢هـ .
٣١ ــ حسيني ، محمد ، فريدة الأصول ، طرابلس ، ١٣١١هـ .
٣٢ ــ حصرية ، عزة ، الشيخ ارسلان ، دمشق ، ١٩٦٥ .
٣٣ ــ حمادة ، محمد ماهر ، المكتبات في الإسلام ، بيروت ، ١٩٧٠ .
٣٤ ــ خاني ، عبد المجيد ، الحدائق الوردية في حقائق اجلاء النقشبندية ، دمشق ، ١٣٠٦هـ .
٣٥ ــ خطيب ، محمد جميل ، كشف القناع ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٣٦ ــ خطيب ، حسين ، الدر اللطيف ، حمص ، ١٣٤٢هـ .
٣٧ ــ خورشيد ، يونس ، دائرة المعارف الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
٣٨ ــ الدبس ، يوسف ، تاريخ سورية ، بيروت ، ١٩٠٣ .
٣٩ ــ الدهلوي ، عبد الله ، منحة الرحمن ، اللاذقية ، دون تاريخ .
٤٠ ــ الرافعي ، عبد الحميد ، ديوان عبد الحميد ، بغداد ، ١٩٧٤ .
٤١ ــ الرافعي ، عبد الغني ، ترصيع الجواهر المكية ، القاهرة ، ١٣٠١هـ .
٤٢ ــ الرافعي ، عمر ، مناجاة الحبيب ، صيدا ، ١٣٦٥هـ .
٤٣ ــ الرافعي ، عبد الرزاق ، اجازات ، مخطوط ، طرابلس ، ١٢٩٥هـ .
٤٤ ــ الرافعي ، بدر الدين ، بديع التحبير ، القاهرة ، ١٣١٢هـ .
٤٥ ــ الرافعي ، عبد القادر ، احياء القلوب ، القاهرة ، ١٣١٥هـ .
٤٦ ــ الرافعي ، محمد رشيد ، ترجمة عبد القادر ، القاهرة ، ١٩٠٦ .
٤٧ ــ الرافعي ، محمد كامل ، تاريخ الأسرة الرافعية ، مخطوط ، طرابلس ، دون تاريخ .
٤٨ ــ الرافعي ، مصطفى ، طرابلس الفيحاء ، بيروت ، ١٩٤٢ .
٤٩ ــ رضا رشيد ، فتاوى ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٩٧١ .
٥٠ ــ رضا ، رشيد ، تفسير المنار ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ .
٥١ ــ رفاعي ، احمد ، حالة اهل الحقيقة مع الله ، تحقيق ابن منجح ، القاهرة ، ١٣١٥هـ .
٥٢ ــ رفاعي ، احمد ، البرهان المؤيد ، تحقيق الحلواني ، دمشق ، ١٩٦٠ .
٥٣ ــ رفاعي ، احمد ، السير والمساعي ، تحقيق ابراهيم الرفاعي ، حلب ١٣٠٩هـ .
٥٤ ــ الزعبي ، عبد الفتاح ، المواعظ الحميدية ، بيروت ، ١٩٣٩ .

٥٥ ــ الزعبي ، عبد الفتاح ، الايجاز ، في مدح سيدنا الباز ، طرابلس ، دون تاريخ .
٥٦ ــ الزعبي ، عبد الفتاح ، مجموعة مباركة ، بيروت ، ١٣١٥هـ .
٥٧ ــ الزعبي ، بدر الدين ، اوراد جليلة ، تحقيق رشيد درنيقة ، طرابلس ، ١٤٠٠هـ
٥٨ ــ زعبي وزيعور ، البوذية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
٥٩ ــ زين ، سميح ، تاريخ طرابلس ، بيروت ، ١٩٦٩ .
٦٠ ــ سالم ، عبد العزيز ، طرابلس الشام ، الإسكندرية ، ١٩٦٧ .
٦١ ــ السامرائي ، يونس ، احمد الرفاعي ، بغداد ، ١٩٧٠ .
٦٢ ــ السخاوي ، علي ، تحفة الاحباب وبغية الطلاب ، القاهرة ، ١٩٣٧ .
٦٣ ــ سليمان ، محمد ، الحديقة الندية في آداب النقشبندية ، القاهرة ، ١٣١٣هـ .
٦٤ ــ السلمي ، طبقات الصوفية ، تحقيق شريبة .
٦٥ ــ السيوطي ، جلال الدين ، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الشاذلية ، القاهرة . ١٩٣٤ .
٦٦ ــ الشعراني ، عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى .
٦٧ ــ الشيال ، جمال الدين ، اعلام الاسكندرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٦٨ ــ صاحب ، أسعد ، بغية الواحد ، دمشق ، ١٣٣٤هـ .
٦٩ ــ صالح ، صبحي ، نثر اللآلي ، طرابلس ، ١٩٥٦ .
٧٠ ــ صوفي ، محمد امين ، سمير الليالي ، طرابلس ، ١٣١٦هـ .
٧١ ــ صيادي ، ابو الهدى ، التاريخ الأوحد ، القاهرة ، ١٣١٣هـ .
٧٢ ــ صادق ، خليل ، منحة الخليل في مدحة الجليل ، بيروت ، ١٣٠٨هـ .
٧٣ ــ صادق ، خليل ، ورد الإسراد ، طرابلس ، ١٣١٦هـ .
٧٤ ــ صادق ، سامي ، المحاضرات الثلاث ، تحقيق محمد صادق ، طرابلس ، دون تاريخ .
٧٥ ــ الطصفاوي ، الفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التيجاني ، القاهرة ، ١٩٤٨
٧٦ ــ طويل ، توفيق ، الشعراني ، الإسكندرية ، ١٩٤٥ .
٧٧ ــ طيباوي ، عبد اللطيف ، التصوف الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
٧٨ ــ عاشور ، سعيد ، السيد احمد البدوي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
٧٩ ــ العاني ، قاموس العاشقين ، بيروت ، ١٣٠٢هـ .
٨٠ ــ علوان ، محمد ، التصوف الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
٨١ ــ علوان ، محمد ، مجلة الإسلام والتصوف ، القاهرة ، ١٣٢١هـ .
٨٢ ــ عويضة ، عبد الكريم ، نوال الشفا ، طرابلس ، ١٣٦٨هـ .
٨٣ ــ عويضة ، عبد الكريم ، مقدمة في الأدب الروحي ، طرابلس ، ١٣٧١هـ .
٨٤ ــ عيسى ، عبد القادر ، حقائق عن التصوب ، حلب ، ١٩٦٤ .
٨٥ ــ عيش ، محمد نوري ، البسط في احكام الطريق ، طرابلس ، دون تاريخ .
٨٦ ــ عياد ، احمد ، التصوف الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
٨٧ ــ فاخوري ، عبد الباسط ، ديوان اليافي ، بيروت ، ١٣٢٣هـ .

٨٨ ــ الفاروثي ، احمد ، ارشاد المسلمين ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ .
٨٩ ــ قاوقجي ، محمد ، الإعتماد في الاعتقاد ، القاهرة ، ١٩٢٦ .
٩٠ ــ قاوقجي ، محمد ، خلاصة الزهر على حزب البحر ، القاهرة ، ١٣٠٤هـ .
٩١ ــ قاوقجي ، محمد ، الذهب الابريز شرح المعجم الوجيز ، بيروت ، ١٣١٠هـ .
٩٢ ــ قاوقجي ، محمد ، شرح حزب الدسوقي ، القاهرة ، ١٣٠٢هـ .
٩٣ ــ قاوقجي ، محمد ، الدر الغالي ، القاهرة ، ١٣١٧هـ .
٩٤ ــ قاوقجي ، محمد ، مفتاح الكنز الأفخر ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ .
٩٥ ــ قاوقجي ، محمد ، اللؤلؤ المرصوع ، القاهرة ، ١٣٠٢هـ .
٩٦ ــ قطب ، محمد علي ، السيد احمد البدوي ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٩٧ ــ كرد علي ، محمد ، البعثة العلمية ، دمشق ، دون تاريخ .
٩٨ ــ كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، ج ٦ ، دمشق ، ١٩٢٨ .
٩٩ ــ كفافي ، عبد السلام ، جلال الدين الرومي ، بيروت ، ١٩٧١ .
١٠٠ ــ كمشخانلي ، احمد ، جامع الأصول ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ .
١٠١ ــ مالح ، رياض ، محمد سعيد البرهاني ، دمشق ، ١٩٦٧ .
١٠٢ ــ محمود ، عبد الحليم ، ابن مشيش ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
١٠٣ ــ محمود ، عبد الحليم ، السيد احمد البدوي ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
١٠٤ ــ محمود ، عبد الحليم ، ابو الحسن الشاذلي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
١٠٥ ــ محمود ، عبد الحليم ، فاذكروني اذكركم ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
١٠٦ ــ مطبعة اللواء ، يوبيل بلبل سورية ، طرابلس ، ١٩٣٠ .
١٠٧ ــ مغربي ، محمود ، تحفة السالكين ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ .
١٠٨ ــ مغربي ، عبد المجيد ، الفنار ، طرابلس ، ١٣٣١هـ .
١٠٩ ــ مغربي ، عبد المجيد ، المنهاج في المعراج ، طرابلس ، ١٣١٤هـ .
١١٠ ــ المدني ، علي ، سلافة العصر ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .
١١١ ــ المدني ، محمد ، الانوار القدسية ، استنبول ، ١٣٠٤هـ .
١١٢ ــ ملاح ، محي الدين ، الغرر البهية ، حيفا ، ١٣٣٥هـ .
١١٣ ــ ملاح ، محي الدين ، نظم اللؤلؤ المنثور ، طرابلس ، دون تاريخ .
١١٤ ــ ملك ، شفيق ، التدريب لما في التهذيب ، طرابلس ، ١٣١١هـ .
١١٥ ــ منقارة ، فؤاد ، تخميسان ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ .
١١٦ ــ منوفي ، محمود ، جمهرة الأولياء ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
١١٧ ــ مولوي ، رياض ، حياة الشيخ انور ، مخطوط ، طرابلس ، ١٩٧٠ .
١١٨ ــ ميقاتي ، محمد رشدي ، الأثر الحميد في مناقب الشيخ رشيد ، طرابلس ، ١٣٤١هـ .
١١٩ ــ نابلسي ، عبد الغني ، العقود اللؤلؤية ، دمشق ، ١٣٢٩هـ .
١٢٠ ــ نادر ، البير ، التصوف الإسلامي ، بيروت ، ١٩٦٠ .
١٢١ ــ نبهاني ، يوسف ، سعادة الدارين ، بيروت ، ١٣١٦هـ .

وطبعة ١٩٦٩ .
١٢٣ ــ نعنعي ، حسن ، سعادة الدارين في بر الوالدين ، الإسكندرية . ١٣١٣هـ .
١٢٤ ــ نور الدين ، ابراهيم ، حياة السيد البدوي ، طنطا ، ١٩٥٠ .
١٢٥ ــ نور ، محمد ، الصفا الانسي ، القاهرة ، ١٣١٢هـ .
١٢٦ ــ نوفل ، عبد الله . تراجم علماء وادباء الفيحاء ، طرابلس . ١٩٢٩ .
١٢٧ ــ الوتري ، احمد ، روضة الناظرين ، تحقيق الطوبي ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ .
١٢٨ ــ اليافي ، عبد الفتاح ، رسالة الجمال ، طرابلس ، ١٩٥٩ .
١٢٩ ــ اليافي ، عبد الفتاح ، بلاغ وذكرى ، القاهرة ، دون تاريخ .
١٣٠ ــ اليشرطية ، فاطمة ، رحلة الى الحق ، بيروت ، ١٣٧٣هـ .
١٣١ ــ يني ، جرجي ، تاريخ سورية ، بيروت ، ١٨٨١ .

(1) Paul nwyia , Ibn Ata Àllah , Beyrouth , 1971 .
(2) Burk hardt , titus , du soufisme , Lyon , 1951 .
(3) Dermengham , Emil , Vies des saints muslumans , Alger .
(4) Gardet , Louis L'islam , Paris , 1967 .
(5) Marijan , Molé , Les mystiques , Paris , 1963 .
(6) Nourbackhel , Javad , le soufisme , cours .

الفهرس

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

النقشبندية في طرابلس ١٩٥

الفصل التاسع

الفصل العاشر